

عقـول الفتيـان

حماية أبنائنا من التخلف عن غيرهم في المدرسة وفي الحياة

مايكل غوريان

نقلته إلى العربية
سهى كركي





عقول الفتيان

حماية أبنائنا من التخلّف عن غيرهم
في المدرسة وفي الحياة

عقول الفتيان

حماية أبنائنا من التخلّف عن غيرهم في المدرسة وفي الحياة

للكاتب: مايكل غوريان،

مؤلف (أعجوبة الفتيان)، الكتاب الأكثر رواجاً،

بالتعاون مع المؤلفة كاثي ستيفنز

نقله إلى العربية

سهى نزيه كركي



Original Title:

The Minds of Boys Saving Our Sons From Falling Behind in School and Life

by:

Michael Gurian and Kathy Stevens

ISBN 0 - 7879 - 7761 - 6

Published by: Jossey-Bass Inc. U.S.A.

المملكة العربية السعودية، شمال طريق الملك فهد مع تقاطع العروبة، ص.ب. 62807 الرياض 11595

Obeikan Publishers, North King Fahd Road, P.O. Box 62807, Riyadh 11595, Saudi Arabia

الطبعة العربية الأولى **1427هـ ـ 2006م**

ISBN 9 - 035 - 54 - 9960

ح مكتبة العبيكان، 1427هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

مايكل، غوريان

عقول الفتيان حماية أبنائنا من التخلف عن غيرهم في المدرسة والحياة. / غوريان مايكل؛ سهى نزيه كركي. - الرياض 1427هـ

406 ص؛ 16.5× 24 سم

ردمك: 9 - 035 - 54 - 9960

1 ـ الطلاب الموهبون

أ. كركي، سهى نزيه (مترجم) ب. العنوان

ديوي: 371.75 1427 / 2953

رقم الإيداع: 2953 / 1427

ردمك: 9 - 035 - 54 - 9960



الإهداء

إلى النساء الأهمّ في حياتي: غايل وغابرييل ودافيتا

إلى الرجال الأهم في حياتي: دون وكيفن ومايك وماثيو ورودني

وإلى آسبن، أروع طفل

إلى جميع الأطفال والطلاب الذين التقينا بهم على مرّ السنين

إنّهم مصدر إلهامنا.

المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المزيد من الثناء لكتاب (عقول الفتيان)

«عقول الفتيان كتابٌ عملي وممتع مرافقٌ لكتاب أعجوبة الفتيان. تقوم الاستراتيجيات المطروحة في الكتاب بمساعدة الأهل على مطالبة العدالة الاجتماعية لأبنائهم في المدرسة. إنني أنصح بشدّة قراءة هذا الكتاب».

د. ستيفن ج. بافوليك، مؤلف كتاب «تنشئة برامج خاصة بالأهل»

«لا يتوجه كتاب عقول الفتيان إلى الأهل والمدرّسين فحسب بل إنّ فائدته تمتدّ لتشمل صانعي القرارات والسياسات. إنّ الفتيان يعانون من الضعف الأكاديمي، وإنّ المؤلفيّن غوريان وستيفنز يقومان بعرض حلول مهمّة على الصعيدين العمليّ والتحليلي».

د. كريستينا هوف ساميرز، مؤلفة كتاب «الحرب ضدّ الأولاد»

«إنّ قراءة هذا الكتاب هو أكثر ما يمكن للأهل القيام به لإظهار أبنائهم كم يحبّونهم».

سكوت هالتزمان، مؤلف كتاب «أسرار الأزواج السعداء» ومؤسس الصفحة الإلكترونية www.secretsofmarriedmen.com

«كتاب عقول الفتيان هو هديّة ممتازة للأهل وللمدرّسين ولأي شخص يُعنى بتربية وتنشئة الفتيان. إنّه كتاب مليءٌ بمواضيع دقيقة عن علم الأعصاب، إلاّ أنه يتمتّع بحماسة الإنسان المحترف والحكيم».

دانييل آمين، مؤلف كتاب «تطوير العقل الجيد ليصبح عظيماً»

«يلعب الجنس دوراً مهماً في تفكير الأطفال وفي نموّهم وفي تصرّفهم، وبالتالي، في تعلّمهم. إن عقول الفتيان هو كتاب يساهم في الوقت المناسب

وبشكل عملي في مساعدة الفتيان في النجاح في البيئة التعليمية وفي النشاطات الحياتية وفي الحياة اليومية. إنّه كتاب يتوجّب على كل أب وأم قراءته لمحاولة منح أبنائهم الأفضل!».

آيمي جايمز، مؤلفة سلسلة أسس المعرفة التي تتضمن كتابيْ «النجاح في الصف الأول» و«النجاح في الصف الثاني»

«يقدّم هذا الكتاب معلومات بالغة الأهمية للأهل وللمربين، وذلك لمساعدتهم على تطوير نجاح الأولاد على المستويين الأكاديمي والاجتماعي».

مايكل ميريفيلد، نائب ولاية كولورادو ورئيس لجنة التربية والتعليم في مجلس النواب الأميركي

«بما أنّني أمٌّ لثلاثة أولاد، إنني شديدة الامتنان لمايكل غوريان ولكاثي ستيفنز لمساهمتهما السبّاقة والرائعة في مساعدتنا على فهم عقول الأولاد. لطالما عرفنا أنّ الفتيان والفتيات يتعلمون بشكل مختلف، لكن مايكل وكاثي أظهرا لنا للمرة الأولى كيف يمكننا مساعدة أبنائنا على استغلال قدراتهم لتحقيق ذاتهم. إنني أنصح الجميع، وبشدّة، بقراءة كتاب عقول الفتيان، وإنّ ندائي هذا يشمل الأهل والمدرّسين وأي شخص يهمّه مستقبل مجتمعنا. إنّه كتاب يجب قراءته ومن المحتّم أن يصبح كتاباً ذا شهرة تاريخية وأدبية.

د. ميشيل بوربا، مؤلفة كتاب تنمية الذكاء الأخلاقي: الفضائل السبع الأهم لتعليم الأولاد القيام بالأعمال الصالحة

«لقد تجرّأ مايكل غوريان على التحدث عن الفتيان قبل أن يصبح هذا الموضوع كثير التداول. إنّ هذا الكتاب يضيف إلى أعمال غوريان السابقة ويتوجه إلى المسائل من منحىً أساسه الأبحاث الخاصة بعقول الفتيان وأذهانهم. كما ويقدّم غوريان وكاثي ستيفنز أمثلةً عمليةً عن كيفية حل هذه المسائل. أنصح كل

من يعمل ويتعامل مع الفتيان بقراءة هذا الكتاب الذي أعتبره مفيداً بشكل استثنائي».

روبي باين، مؤلفة كتاب «نظام لفهم الفقر»

«في كتابهما عقول الفتيان، يشرح مايكل غوريان وكاثي ستيفنز، بشكل مبسّط وعملي، مشكلة أكاديمية حالية تؤثر على عدد كبير من الفتيان».

د. ساندرا وايتلسون، رئيسة قسم علم الأعصاب في جامعة ماكماستر

«إنّ الأزمة التي تواجه الفتيان في أيامنا هذه هي بالخطورة نفسها التي تمتعت بها أزمة الشابات منذ عشرين عاماً، بواسطة الاستراتيجيات العملية المقدّمة، ومن خلال الاقتراحات المبنية على أبحاث عميقة، وبمساندة فريق عمل تهمّه العائلة وسلامتها، يقدّم كتاب عقول الفتيان المساعدة لتنمية ثقة الفتيان بأنفسهم إضافةً إلى ثقافتهم وقدراتهم».

د. ليندا كارجز بون، مؤلفة كتاب «أكثر أهمية من اللونين الزهر والأزرق: تأثير الجنس على المنهج»

كلمة شكر وتقدير

وراء كل كتاب فريق عمل. نشكر بكل محبة وتقدير فريق العمل الذي جعل من هذا الكتاب عملاً متكاملاً. لقد قام محرّرنا ألان رينزلير برعاية هذا المشروع من بدايته وحتى الوصول إلى شكله النهائي هذا. إنّه من أفضل المحررين في عالم النشر، ونشكره شكراً جزيلاً على اهتمامه وفطنته وبراعته وشغفه. إنّ ألان محاطٌ، في داريَ النشر جوسي بايس وجون وايلي، بفريق عمل يتمتع بأعلى المستويات. نشكر جينيفر وينزيل، ولورا أورا، وميشيل جونز، وسارة ميلير، ونانسي روتشايلد، وكارول هارتلاند، إضافة إلى جميع من كان له دور في إنجاح هذا المشروع. نتوجه بشكرنا الجزيل إلى الناشرَيْن بول فوستر وديبرا هانتر اللذين آمنا بهذا المشروع منذ البداية.

نتوجه أيضاً بعميق شكرنا إلى محامينا ووكيلنا كاندريس فورمان.

كما ونشكر جميع من قام بقراءة المخطوطة بهدف التدقيق: دانييل آيمن؛ هاورد شوبينير؛ سكوت هالتزمان؛ كاثرين كرادوك؛ لوري سييد ـ ميرتينز؛ جايمز زول؛ ولورين إ. فالديز.

خلال عملية تأليف الكتاب، قام دون ستيفنز بمساعدتنا بشكل كبير على صعيدي البحث والدعم. نشكره وفيل غوريان، إذ إنهما يتمتعان بقدرة رائعة في مجال المعلوماتية جعلت من بحثنا على صفحات الإنترنت على المستوى المطلوب الذي يسعى إليه كلّ مؤلف والذي يحتاج إليه كل كتاب.

بكلّ احترام وتقدير، نشكر المدرّسين والمديرين والأهل الذين أطلعوا مركز غوريان للبحوث على تجاربهم التي من دونها لما استطعنا مشاطرتكم إياها.

لقد تشرّف مركز غوريان للبحوث والتدريب (www.gurianinstitute.com) بالعمل داخل الولايات المتحدة وخارجها، إذ إنّ عملية البحث هذه لما كانت ممكنة دون مساعدة أفراد ومحترفين وجماعات، نتوجه بالشكر الجزيل إلى هيلين باروف.

نقدّم جزيل شكرنا أيضاً إلى الباحثين والأساتذة في مركز غوريان للأبحاث، ومن الممكن الاطلاع على جهود هؤلاء الأفراد عبر صفحة المركز الإلكترونية. إننا نتعاون مع هؤلاء الأساتذة والباحثين لزيادة الوعي لدى المدارس والأهل، ولما استطعنا تدريبهم وتوعيتهم لولا دعم هؤلاء الأساتذة. نشكر ماريلين آلتمان.

نتوجه بأعمق الشكر إلى الجامعات التي تشجّع التنمية المهنية في مجال العلوم المتعمقة في عقل الإنسان وفكره، إذ إن دعمهم هذا يجعل من المكن دخول المعلمين إلى صفوفهم وهم مسلحين باستراتيجيات تعليمية تمنح الطلاب، فتياناً كانوا أم فتيات، الفرصة للوصول إلى النجاح. نذكر من هذه الجامعات جامعة كولورادو في كولارا دوسبرينغز حيث يتمّ عملنا في مركز سامرز للأبحاث.

أخيراً وكما جرت العادة، نشكر عائلاتنا التي لطالما آمنت بنا وبفريق عملنا والتي عملت دوماً على تشجيعنا وإعطائنا الملاحظات القيّمة ومنحنا الحب الدائم.

نأمل أن نصل إلى مبتغانا وذلك بأن تتم قراءة هذا الكتاب بحبّ عميق وتقدير كبير لجميع العائلات والمجتمعات التي تشجع النمو الصحي لأطفالنا.

مقدّمة

لقد كنت في صغري أحبّ سوبرمان، والرجل الوطواط، والرجل العنكبوت. كنت وزملائي في المدرسة نتبادل المجلات الهزلية في الملعب وفي الأفنية الخلفية وفي منازلنا. في الصف الرابع، اكتشفت القصص الهزلية التي تعرف باسم الأقوياء الأربعة. سحرتني القوة الخارقة التي كان أحد الأقوياء الأربعة يتمتّع بها، إذ كان باستطاعته أن يمدّ ذراعيه ورجليه بطريقة مطاطية. قوّته هذه جعلت من محاولات قتله من قبل أعدائه محاولات فاشلة، إذ كان من المستحيل تمزيقه أو كسره.

لقد كان مجتمعنا في العام 1968 مليئاً بالأحداث التي كان من بينها اكتشافي للأقوياء الأربعة. في تلك السنة، تمّ اغتيال مارتين لوثر كينغ وبوبي كينيدي. كانت عائلتي تتابع كلّ ليلة شاشة التلفاز التي كانت تعرض مشاهد جنود تلوثت وجوههم بالتراب والدماء وصور أخرى لطائرات مروحية تعصف بها الرياح القوية التي تهزّ الأشجار والنباتات في الغابات. لقد كنت في عام 1968 من سكان حيّ يدعى آينا هاينا، وهو حيٌّ تمّ بناؤه في أسفل جبال أواهو وعلى الجهة التي تهب نحوها الريح. عاد والدي إلى المنزل أكثر من مرّة، من عمله كأستاذ محاضر في جامعة هاواي، والحزن يملأ قلبه بعد إعلامه بأنّ أحد طلاّبه السابقين قد قُتِل في خضمّ المعارك. انتابني شعور من الخوف والارتباك كلّما رأيت جنوداً في قاعدة هيكام الجوية وهم يجرّون كراسيهم المدولبة على الرصيف.

إنني مدرك لرغبتي بأن أكون بطلاً ذا قوىً خارقة، بطلاً شجاعاً لا يمكن هزمه. لقد نمت هذه الرغبة في نفسي، وذلك يعود وبشكل جزئي إلى كوني إنساناً. إلاّ أنّ ذلك تمّ أيضاً نتيجةً لوضع هؤلاء الجنود وبسبب الحرب التي كانت

تهزّ مجتمعنا. كما وأنني أعلم أنّ ما عمل أيضاً على بلورة هذه الرغبة في نفسي هي مشاكلي العائلية والمدرسية.

كانت عائلتي تعاني من الفقر، وذلك في جوّ ساد فيه سوء التفاهم بين والديّ، اللذين عانيا من صعوبة تربيتنا ومن الإرهاق الجسدي الناتج عن هذه المسؤولية. كان زواجهما يتأرجح بين النجاح والفشل، وبدأت بالهرب من المنزل في التاسعة من عمري. أُطلق عليّ اسم الولد الفاسد في المدرسة واستدعيت إلى مكتب المدير مرات عدّة بسبب مشاكلي السلوكية. ازدادت هذه الاضطرابات في الصف الخامس ممّا استدعى تدخّل طبيب نفساني وصف لي جرعات من الريتالين. في غضون أشهر معدودة، طلبت معلمتي السيدة كونو أن يتمّ إيقاف جرعات الريتالين، إذ إنّها شعرت أنّه كان قد بدأ بتحويلي إلى مخلوق يفتقد إلى الحيوية وإلى الرغبة في التكلّم مع الآخرين. قالت السيدة كونو لوالديّ إنّها اشتاقت إلى تألّقي الذي لطالما اعتادت عليه في الصف. توقفت عن أخذ جرعات الريتالين، إلاّ أنّ مشاكلي المدرسية استمرّت. لم أركّز على ما كان يُطلب منّي في الصف. وجدت صعوبة في البقاء في كرسيّ المدرسة للفترة الزمنية المطلوبة.

كنت أفضّل تعلّم معلومةٍ واحدة والتمرّس بها على أن أقوم بتعلّم عدّة أمور في الحصّة نفسها.

لم أرغب بقراءة الكثير من الكتب. كنت أشعر بالملل بسرعة هائلة. كنت أفضل تعلّم الأشياء من خلال القيام بها بنفسي عوضاً عن السماع عنها في الصف. لطالما كنت غير متأكدٍ من فهمي للتعليمات المعطاة لي ولطالما فشلت في تنفيذ ما كان يُطلب منّي القيام به في الصف. لم أرَ في معظم الأحيان داعياً لحضوري إلى المدرسة.

عند ترفّعي إلى الصف السابع، انتقلنا للعيش في وايومينغ، وتحديداً في لارامي، حيث بدأ والدي بإعطاء المحاضرات في جامعة وايومينغ. بدأتُ عندها

في التخلّف عن حضور صفوفي المدرسية. في الصف العاشر، انتقلنا إلى دورانغو في كولورادو، وبدأت العمل لعشرين ساعة في الأسبوع في مطعم. مكّنني ذلك من دفع رسم إيجار لعائلتي بهدف مساعدتها مادياً. ثمّ تحسّنت علاماتي المدرسية في الصف الثاني عشر الذي ترفّعت إليه في ثانوية كايسر في هونولولو، حيث أصبحت عضواً فعّالاً في فريق المناظرات في المدرسة.

إلاّ أنّ مشاكلي المدرسية استمرّت. تحسّن سلوكي لكنني تخرّجت من المدرسة وقدرتي الكتابية بحالة سيئة أدّت إلى رسوبي في أوّل بحث كتبته في السنة الجامعية الأولى. تعليقاً على هذا البحث، كتب لي الأستاذ العبارات التالية: «أفكارك لا بأس بها لكنّك لا تجيد التعبير عنها في كتابتك. كيف يعقل أنّك تخرّجت من المدرسة وقدرتك الكتابية بهذه الحالة المزرية؟».

أذكر أنني في العام 1976، قمت بمناقشة فشلي الأكاديمي الذريع والمستمر مع ناصحة متخصصة في جامعة هاواي. أطلعتها على كلّ ما حصل معي، بدءاً بالطبيب النفسي وبالبريتالين في الصف العاشر وصولاً إلى المشكلات المختلفة التي كانت عائلتي تعاني منها. كانت هذه المستشارة في خريف العمر وكان لديها ثلاثة أولاد. طلبت منّي إعطاءها معلومات إضافية عن المدارس التي التحقت بها، وعندما أخبرتها عن الصعوبة والألم اللذين تعرضت لهما في المدرسة سألتني: «هل يُعقل أن يكون مستوى المدارس التي التحقت بها متدنّياً، ممّا سبّب لك المزيد من المشاكل؟ لقد عانيت من هذا الأمر مع اثنين من أولادي».

فوجئت بسؤالها هذا، إذ إنّه كان التلميح الأول الذي يشير إلى أنني لم أكن وحدي أساساً للمشكلة، بل إنّ هناك ما يدلّ على أن النظام المدرسي بحدّ ذاته يعاني من أخطاء تعليمية تسهّل مشكلات أولادنا. طلبت تفسيراً إضافياً من الناصحة لأفهم قصدها ولأحاول معرفة ما قد تكون مشكلة المدارس التي التحقت بها. إلاّ أنّها لم تضف المزيد على هذا الموضوع ممّا أجبرني على محاولة

تحـديد المشكلة بنفسـي. تذكّـرت الماضي الذي كنت فـيـه ولداً يحـاول أن يكون كالبطل المطّاطي، شخصاً يستطيع التماشي وجميع الظروف ويحاول باستمرار التعلّم بغية الوصول إلى أهداف معينة من خلال أساليب تعليمية لم تساعده في معظم الأحيـان. تذكـرت حدّة الألم الذي كنت أشعـر به وعـادت إلى ذاكـرتي محاولتي المستمرة لمواجهة ذلك النظام التعليمي ومحاربته.

بعـد ثلاث سنوات بدأت دراساتي العليا وبحكم مكوثي في منزل للطلبة، تعرّفت إلى الكثير ممّن كانوا يسكنون معي. كان جميع هؤلاء الشبّان، كلٌّ بطريقة مختلفة، طلاّباً عانوا في المدرسة في صغرهم. فمنهم من كان بمثابة خيبة أمل، ومنهم من لم يستطع الأداء بشكل جيد في المدرسة بالرغم من طاقاته، ومنهم من كان يفتقد إلى الحماس تجاه التعلّم. كانت تجربة السكن معهم ومعرفة قصصهم المختلفة أمراً ساعدني على فهم الكثير من الأمور، خصوصاً وأنّ عددنا كان كبيراً. أطلعني أحد زملائي في الجامعة على تعليق سمعه من والده في صغره: «ليس من الضروري أن تحب المدرسة أو أن تكترث لها. كلّ ما عليك محاولته هو أن تترفّع من صفٍ إلى آخر حتى تصل إلى الجامعة. إن استطاع أي ولد تحقيق ذلك يعني أنّه سيكون بأفضل حال».

استوقفني هذا الكلام الذي كنت قد سمعته في السابق، إذ إنني لطالما فكرت به وقلته لنفسي في صغري. لم يعد هذا الكلام يعجبني الآن. هناك مشكلة ما، وإنّ هذه المشكلة لا تتعلّق بي أو بعائلتي المضطربة بل بالأسلوب التعليمي المستخدم في مدارسنا وفي الحياة بشكل عام.

أصبحت محاولتي لتحديد هذه المشكلة محور عملي المهني. الآن، وبعد ربع قرن، أتذكّر سنواتي المدرسية مسلّحاً بمعلومات إضافية وبقدرة على رؤية الأمور بشكل أوضح وبقليل من الحكمة التي أتمنى أن أكون متمتعاً بها. لقد تركّز عملي في السنوات الأخيرة حول المسار الذي يظهر ما يجري في الصبا، ابتداءً من

لحظة الولادة وصولاً إلى سنّ البلوغ، كان اهتمامي هذا ينصبّ على الحياة داخل المدرسة وخارجها.

لقد تمحور عملي بصفتي معالجاً ومربّياً ومفكّراً وكاتباً، على مساعدة مجتمعنا على تغيير وتطوير أساليبه التربوية والتعليمية، وذلك بغرض تقديم الأفضل لأبنائنا. كان الهدف من مؤلفاتي مثل «أعجوبة الأولاد» و«الشاب الفاضل» و«الابن الحسن» هو توعية الأهل والمربّين وأصحاب القرار حول خطورة المشكلات التي يعاني منها أولادنا على الصّعد العاطفية والنفسية والأخلاقية في منازلهم وفي المجتمع بشكل عام. أمّا كتاب «الفتيات والفتيان يتعلّمون بشكل مختلف»، فإنّه كان الرائد في مناقشة النتائج الحديثة للأبحاث المتعلقة باختلاف التعلم بين الجنسين، وذلك في مختلف الحقول وخاصة علم دراسة العقل الإنساني، وعلم الكيمياء الحيوية إضافةً إلى دراسات نموّ الأطفال. من جهة أخرى، قصدت في كتاب «محاولة فهم الرجال» إظهار عقلية الرجال وأهدافهم الحياتية، إضافةً إلى توعية النساء من أجل إنجاح علاقاتهن مع الرجال. وفي كتابي هذا، أشدّد بمساعدة المؤلفة المشاركة كاثي ستيفنز على ضرورة أن يؤخذ ما يجري للأولاد في مدارسنا بعين الاعتبار وذلك من قبل الأهل، والمعلمين وأصحاب القرار إضافة إلى أيّ مواطن يهمه أمر مجتمعنا هذا.

يتمّ اليوم التخطيط لنظام تعليمي جديد لأبنائنا، إلاّ أنّنا لا نستطيع الجزم بأن هذا النظام يتطابق وما نرغب به في مدارسنا. لقد ألّفت كتابي هذا بمشاركة كاثي ستيفنز، وهي أمّ ومعلّمة إضافةً إلى كونها مديرة مركز غوريان للأبحاث. تمّ اختيارها لمساعدتي على تأليف هذا الكتاب وذلك لنحاول سويّاً أن نرشدكم إلى الحلول المناسبة وإلى كيفية مساعدة أولادكم وطلاّبنا على الوصول إلى أفضل النتائج في المدرسة. تشاطرني كاثي الرأي بأننا نخسر الكثير من أولادنا في المدرسة، إذ إنهم يصلون إلى حائط تعليمي مسدود. إنّ عدد الأولاد

الذين يواجهون بالفشل الأكاديمي بازدياد مستمر، ممّا يضطرهم إلى بدء حياتهم بشكل ضعيف خصوصاً وأنهم يفتقدون إلى الشهادات وإلى المهارات الأساسية التي لا يستطيعون من دونها النجاح في عالم يزداد تطلباً ومنافسةً يوماً بعد يوم. يجب ألاّ يستمرّ ما يحصل مع أولادنا، ولذا فإننا نعتقد أن الوقت قد حان لنحسّن هذا الوضع المأسوي.

كتاب «عقول الفتيان» دليلٌ عملي لمساعدة الفتيان على التعلّم والأداء بشكل أفضل في صفوفهم والنجاح في الحياة. يؤمن لكم هذا الكتاب نظاماً تستطيعون البدء باتباعه مباشرةً في حياتكم وفي تجربة ابنكم الأكاديمية.

كاثي ستيفينز:

تدافع كاثي ستيفنز عن حقوق الفتيان والفتيات، تماماً كما أفعل عبر أبحاثي. شاركت كاثي لمدة ثلاثين عاماً بابتكار برامج خاصة بالتنمية الأنثوية، وقد أصبحت مؤخراً مديرة وكالة الموارد النسائية في كولورادو سبرينغز. كما وأشرفت على برنامج توجيه المراهقات الذي حصد عدداً من الجوائز لفعاليته.

اتصلت بي كاثي بعد مطالعتها كتابي «أعجوبة الفتيان»، وقمنا بمناقشة اهتمامنا المشترك بمختلف الأساليب ووجهات النظر الخاصة بحياة الفتيان. تركّز عملي في العقدين الماضيين على دمج علم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم النفس في محاولةٍ لفهم طريقة نمو الفتيان والفتيات بطرق متشابهة ولكن متباينة. لاحظت كاثي من خلال أبحاثها أنّ هناك صعوبات مشتركة يواجهها الفتيان والفتيات.

تشدّد كاثي على أهمية فهم ما يجري مع الفتيان، إذ إن ذلك يؤدي إلى نجاحنا في مساعدة الفتيات بشكل أفضل. كاثي هي من الأشخاص الحكماء الذين ينظرون إلى المسائل من جميع أطرافها. صودف أنّني تعرفت إلى كاثي في

الفترة التي كنت أبحث فيها عن مديرة تدريب في مركزي المخصص لدراسة هذه المسألة. تولّت كاثي هذه المسؤولية وساعدت على أن يبتكر مركز غوريان برامج في أميركا وكندا وأوستراليا. إنّ معظم الاقتراحات التي يتطرق إليها هذا الكتاب هي من ابتكار كاثي ستيفنز.

ليست المؤلفة المشاركة مجرّد مدرّبة وباحثة، بل هي أيضاً أمٌّ لصبيين. عندما أخبرتني عن التجربة المدرسية لابنها كارل، تذكرت معاناة والدتي لأتخرّج من المدرسة. كما فكّرت عندها بجميع الأهالي والمدرّسين الذين يناضلون لمساعدة أبنائهم وطلاّبهم على الأداء بأفضل شكل ممكن في مدارسهم. إنّ تجربة كاثي قاسية ومؤثّرة في الوقت نفسه، وتمثّل قوّة تصميم المرء على محاربة الفشل، والإرادة التي يتحلّى بها جميعنا لحماية قدرة أبنائنا الفكرية.

تجربة كاثي:

لطالما كان كارل مايكل مولعاً بالمجازفة منذ ولادته. كان كثير الحركة، وكان مستعداً ومتحمساً لاستكشاف العالم. كانت عيناه زرقاوين وكانت ابتسامته تشعّ أينما كان. اتّسم كارل بكونه شديد الفضولية والودّ. استكشف ما حوله واستهلك الكثير من الطاقة. كان ينام بشكل عميق، واستمتع بالمدرسة في ما بعد. في الصفوف التمهيدية والأول والثاني والثالث، ساعده مدرّسوه على إنجاز الفروض وعلى النمو. كان طفلاً كثير الكلام والحركة، إلاّ أنّه تعلّم بشكل جيد.

ترفّع كارل بعدها إلى الصف الرابع، وأدّت التجربة في ذلك الصف إلى تغيير موقفه من المدرسة بشكل جذري. لم تفهم المعلّمة طاقته وطريقة تعلّمه، إضافةً إلى صبيانيته وإلى عدم قدرته على الجلوس في مكانه بشكل هادئ. كنت أعلم أنّ تلك هي طبيعته لكنّها اعتبرت تلك الأمور مشكلات خطيرة. عاملَتْ كارل بقسوة وزرعت فيه الشعور بأنها لا تحبّه وبأنّه فتىً غير نافع.

بدأ موقف كارل من المدرسة بالتغيّر. لم يكن يرغب بالذهاب إلى صفوفه لأيامٍ متتالية. اجتمعت مع معلمته لكنني لم أستطع التأثير عليها. قالت إنّ كارل يعاني من اضطرابات سلوكية.

كنت أرى ابني يتحوّل من فتى نشيط وذكي إلى طالب يكره المدرسة، وضايقني ذلك إلى حدّ كبير. أستمع الآن إلى كثير من الآباء والأمهات وهم يتحدّثون عن خسارة أبنائهم بسبب أزمات مماثلة، ويذكرني ذلك بالكابوس الذي عانت منه عائلتي. خلال تلك السنة، تقرّر أن كارل يعاني من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه بالرغم من أنّ الفحوصات المختلفة المتعلّقة بالذكاء أظهرت أنّ إمكانيته الأكاديمية تفوق المعدّل. في الصف السادس، طلبت معلّمته أن يلتحق بصف الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة. نصحتنا مديرة المدرسة بأن نقوم باستشارة عالمٍ نفسي حدّد لكارل جرعات من الريتالين. اعتُبر كارل مشكلة في المدرسة وبدأ طبيبٌ بمعالجته. كان كارل يكره المدرسة وكنّا كأهله شديدي الارتباك. لم نعلم من علينا استشارته. كان المتخصصون من حولنا يقومون بما بوسعهم، إلاّ أنّنا لاحظنا حزن كارل ورسوبه الأكاديمي.

كانت الصفوف السادس والسابع الثامن من أكثر المراحل المؤلمة في حياة كارل وفي حياتنا. ازداد نفور كارل من المدرسة. كان زملاؤه في الصف أولاداً يعانون من اضطرابات منها البسيط ومنها الشديد الخطورة. لطالما بكى كارل وتوسّل إلينا بالبقاء في المنزل. كان قد اقترب من مرحلة البلوغ، فحاول اكتشاف عالمه الجديد وزملاءه في الصف، إلاّ أنه شعر بعدم الانتماء إلى المجموعة التي حوله. كان زملاؤه يسخرون منه ويقولون إنّه أحمق ومتخلّف، وأحسّ بأنّه فاشل.

خارج المدرسة، مارس كارل الرياضة. كان يلعب كرة السلة ويقوم بتسلّق الجبال. كما وقام بالتزلج واستمتع بالتخييم مع العائلة، الأمر الذي كنّا نقوم به سنوياً لأسبوع واحد في موسم الصيف. كان يشاركنا بشغف في النشاطات كصيد

السمك والتجذيف في البحيرات والأنهر. في الصيف، كان يقوم بجمع العشب وتقليب التربة وتنظيف الميازيب في حيّنا. جنى المال من هذه الأعمال، ممّا سمح له بالذهاب إلى السينما وبشراء الحذاء الرياضي الخاص بمايكل جوردان.

إلاّ أنّه كان مراهقاً مكتئباً في المدرسة. في الصف التاسع، بدأ بالتخلّف عن حضور المدرسة وبإنجاز القليل من فروضه ممّا أدّى أخيراً إلى رسوبه. كان أخوه الذي يكبره بست سنوات قد التحق بالجامعة، وسنحت لنا فرصة الانتقال من فيرجينيا إلى كولورادو. أيّد كارل فكرة الانتقال مباشرةً إلى تلك الولاية، فوضّبنا أغراضنا وذهبنا إلى الغرب.

كانت تستغرق الرحلة ثلاثة أيام، وفي اليوم الأول، تحدثنا عمّا أردناه في حياتنا في كولورادو. عبّر كارل عن رغبته بتغيير كل شيء حتى اسمه. لم يكن يريد البقاء على ما كان عليه في المدرسة في السابق. أراد أن يُعرف في المدرسة الجديدة باسمه الأوسط مايك. توسّل إليّ بألاّ يلتحق بصف الاحتياجات الخاصة وقلت له إنني سأحاول ألاّ يتمّ ذلك. لم أكن واثقةً من قدرتي على منحه ما يريد، إذ إن التجربة في مدرسته القديمة جعلتني أشعر بالعجز.

تحسّنت الأوضاع في كولورادو. لقينا المساعدة اللازمة هناك. بدأ الجميع بتسميته مايك. اخترنا منطقة سكننا وفقاً للمقاطعة التي توفّر أفضل مساعدة لمايك. اجتمعنا مع مستشارة مذهلة في مدرسة هولمز، وأطلعها مايك على تجربته. طرحت عليه الكثير من الأسئلة وأصغت إليه بانتباه. في نهاية اجتماعنا، قالت إنّ ابني سيعاني من أوقات عصيبة في المدرسة إذ إنّه قد تخلّف عمّن هم بعمره. إلاّ أنّها وافقت بأن يحضر الصفوف العادية.

كانت المستشارة محقّة إذ إن مايك واجه الكثير من الصعوبات. لكنّه لم يأخذ أيّ دواء ولم يلتحق بالصفوف الخاصة. تعاون معه معظم مدرّسيه وكانوا

شديدي الصبر معه. بدأ بممارسة كرة القدم، ممّا ساعده كثيراً، خصوصاً وأنّ هذه الرياضة باتت الدافع لحضوره إلى المدرسة. حصل على حافزٍ قوي وعلى التدريب. أصبح أكثر شعبيةً بين زملائه وبشكل سريع. أحبّه معظم مدرّسيه، حتّى الذين أزعجهم عدم إيمانه بالمدرسة. أصبح مايك عضواً فعالاً في نادي الكنيسة وازداد عدد أصدقائه.

أصبح كارل مايكل في الثامنة والعشرين من عمره ومضى على كونه جندياً محنّكاً حوالي خمس سنوات. التحق بالجامعة ويودّ أن يصبح مدرّساً في المستقبل. يعبّر الآن عن معرفته لما جرى في المدرسة من أمور جيدة وأخرى خاطئة، ويشعر برغبة بمساعدة الفتيان الذين يعانون من مشكلات مشابهة في مدارسهم.

عادت ابتسامة مايك واستعاد طبيعته الفضولية والودودة. أصبح إنساناً مجازفاً كما كان في صغره. لم يعد يشكّ في نفسه وفي قدراته كما كان يفعل في السابق. إنّه يقترب من تحقيق أحلامه التي أشاطره إيّاها كوني أمّه، وهي أن يغدو رجلاً ناجحاً. أكثر ما يسعى إليه مايك هو أن يصبح مدرّساً للأطفال.

دمعت عيناي عندما أطلعتني كاثي على تجربتها، خصوصاً وأنّها ذكّرتني بطفولتي. لم أكن رياضياً كما كان مايك، إلاّ أنّه كان هناك الكثير من التشابه بين تجربتينا.

التقيت بمايك في العام 2002، وأعجبني ذكاؤه وحماسته. بالرغم من أنني أكبر منه بعشرين عاماً، إلاّ أنّني رأيت أنّه عانى مثلي من النظام التعليمي الذي لم يتوافق وقدرتنا الفكرية. وفقاً إلى هذا النظام، كانت طاقتنا مشكلة ولم تُعتبر أمراً إيجابياً. لم تقم مدارسنا على احترام حاجتنا إلى التحرّك وإلى القيام بالأشياء عوضاً عن التحدث عنها. كما وأنها لم تعتمد على أساليب تعليمية

تبقينا على مستوى مقبول من التركيز، وذلك بسبب عدم وجود الدعم المعنوي لجميع الفتيان. لم نكن الطلاب الذين أرادهم المدرّسون في صفوفهم.

عندما التقيت بكاثي للمرة الأولى، أتتني فكرة هذا الكتاب، وبعدما تعرّفت إلى ابنها، ازدادت رغبتي بمشاركتها لي في كتابة هذا الموضوع. اتفقت وكاثي على ضرورة تأليف كتاب يساعد الأهالي والمدرّسين على فهم الفتيان وعائلاتهم ومعاناتهم في النظام التعليمي الحالي. كما واتفقنا على أهمية التوصل إلى فهم لجميع الفتيان الذين يريدون الاستفادة من سنواتهم المدرسية بأفضل شكل ممكن.

ما اتبعناه في بحثنا:

إن أهم حافز لتأليف كتاب يحتاج إليه المجتمع هو تجربة شخصية مؤلمة. كانت لكاثي ولي تجربةٌ صعبةٌ في النظام التعليمي المتّبع، ممّا دفعنا إلى إنجاز هذا المشروع.

إلاّ أنّ الاعتماد على تجربتين فحسب لتأليف كتاب كهذا ليس كافياً، إذ إنّ أهم عناصر أيّ كتاب هو اللجوء إلى بحوث سابقة والقيام بأبحاث خاصة. لذا، بذلنا الكثير من الجهد في أبحاث تساعد هذا المشروع. كان معظمها يتمحور حول الفتيان الذين يعانون من مشكلات في المدرسة، إلاّ أن بعضها لم يرتكز على هؤلاء. لا نعتقد بأنّ كلّ فتى وكلّ والد يواجه هذه المعاناة، وإنّنا لا نلقي اللوم على أيّ معلّم أو على أيّة مدرسة محددة. هناك الكثير من التجارب الإيجابية للفتيان في مدارسهم، وهناك أعداد كبيرة من المدرّسين الذين يهتمون بهؤلاء الفتيان وبقدراتهم الفكرية. لم نقم بأبحاثنا وبتأليفنا لهذا الكتاب بهدف التذمّر.

إلاّ أنّ غايتنا هي إطلاعكم على نظريتنا وعلى كثير من المعلومات والاقتراحات التي تستطيعون البدء بتطبيقها مباشرةً. توصّلنا إلى كل ما نقدمه

إليكم في الكتاب بالتعاون مع مدرّسين وأهل ومربّين يشعرون مثلنا بأنّ نظامنا التعليمي، وبالرغم من إيجابياته العديدة، لا يأخذ حاجات الفتيان وقدراتهم الفكرية بعين الاعتبار.

نظريّتنا:

قمنا بدراسة الأبحاث التربوية التي تمّ إنجازها في العشرين سنة الماضية. بعد تقييمها وتحليلها، توصّلنا إلى أنّ النظام التعليمي الحالي، الذي يشمل المدارس والمنازل والمجتمعات، لا يقوم على أهمّ عناصر التربية وهي:

- الأسلوب التعلّمي عند الذكور.

- إمكانية عدم توافق هذا الأسلوب التعلّمي الذكوري والكثير من الممارسات التربوية الحالية.

- دور الأهالي والمجتمعات في ضمان تعلّم الفتيان.

- الاستراتيجيات التعليمية الحديثة التي أثبتت فعاليتها في المدارس الخاصة بالفتيان.

كتابنا:

سنعرّفكم من خلال هذا الكتاب على هذه النظرية، وسنبدأ في الفصل الأول بعرض الأزمة التي يعاني منها الكثير من الفتيان في النظام التعليمي الحالي. كما وسنطلعكم على تجارب عديدة مشابهة لتجربتي ولتجربة مايك، ابن كاثي. قد يفاجئكم عدد الفتيان الذين يعانون من مشكلاتهم في مدارسهم. ستقوم هذه التجارب المعروضة بدعم كلّ من يعاني من الأزمة نفسها. أمّا من لا يعيش هذه المصاعب، فسيلفت هذا الكتاب نظرهم إلى من في مجتمعهم من فتيان يواجهون هذه الأزمة القائمة على عدم توافق الأنظمة التربوية الحالية وقدرات الفتيان الفكرية والتعلّمية.

أمّا الفصل الثاني، فهو بمثابة رحلة استكشافية في دماغ الفتيان وتكوينه وما يجري داخله. إنّ الاطّلاع على هذه التفاصيل سيظهر لكم طريقة تعلّم الفتيان لتعرفوا إن كان أداؤهم جيداً أم سيئاً. سنقوم بمقارنة صور الأشعة الخاصة بالأدمغة الذكورية والأنثوية، وستلاحظون التشابه والاختلاف في تعلّم الجنسين للرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة، إضافةً إلى المواد الأخرى.

أثناء هذه المقارنة، سنعرض عليكم مدى أخذ الاختلافات بين الجنسين بعين الاعتبار وما يجب القيام به في المستقبل وفقاً لهذه الفروقات التعلّمية. يمثّل الفصلان الأول والثاني أوّل خطوتين عليكم أخذها قبل الانتقال إلى الاستراتيجيات التي نقوم باقتراحها.

تعتمد هاتان الخطوتان المتمثلتان بنظريتنا وبحثنا، على علم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وعلم النفس التربوي. لقد كانت لي ولكاثي تجارب عمل في بلاد أخرى، لذا فإنّ معلوماتنا قائمةٌ على أبحاث في الولايات المتحدة وفي قارات أخرى.

نأمل بأنّ اعتمادنا على هذه العلوم المختلفة وعلى الأبحاث العديدة سيساعدكم على التوصّل إلى فهم جديد لما يتناسب وقدرة الفتيان الفكرية أينما كانوا ومهما كان مستواهم التعليمي الحالي. إن الأسلوب التعلّمي الذي نتحدث عنه في هذا الكتاب لا يقوم على أفكار مقولبة بل إنّ أساسه الاختلاف بين الفتيان أنفسهم. إلاّ أنّ إطلاعكم عليه سيوضح لكم القدرة الفكرية عند معظم الذكور. من المهم أن يفهم المدرّسون والأهالي الطاقة الذكورية بشكل كامل، خصوصاً وأننا نؤمن بأن داخل كل فتى بطلاً تربوياً يحاول النمو. نعتقد أنّ كل فتى قادرٌ على التعلّم إن كان النظام التعليمي مدروساً.

تعليم الفتيان بالطرق المناسبة:

ذهبت مؤخراً لمشاهدة فيلم الرجل العنكبوت 2 مع زوجتي غايل وأولادي وبعض أصدقائهم. استمتعت به وأعلم أنّ الأولاد أحبّوه أيضاً. خرجنا من الصالة وفي نفوسنا شعور بطولي جعلنا ندرك عدم ثقتنا بذاتنا وشجاعتنا الفطرية التي تحتاج إلى أن نستغلّها ونوجهها نحو الأفضل لنا. إن قصة الرجل العنكبوت الهزلية من أفضل القصص ببساطتها وأهميتها.

كانت ابنتي الكبرى غابرييل تعلم أنّني وكاثي في صدد تأليف كتاب عن الفتيان والتربية، وسألتني إن كنت قد لاحظت أنّ بيتر باركر يعاني من مشكلات تعلّمية في المدرسة. ولّد هذا السؤال مناقشةً عن الأفلام الحديثة واعتمادها على أبطال ليسوا طلاّباً جيدين. حتى إنّ سلسلة هاري بوتر الأكثر شعبية تظهر أنّ أفضل الطلاب أنثى وأنّ الفتيان هم أكثر من يواجهون صعوبات في صفوفهم. لم تعد هذه الشخصيات الخيالية، أمثال بيتر باركر، مؤمنةً بقدرة المؤسسات التعليمية والمجتمعات على تأمين التعليم المناسب. يشعر هؤلاء الأبطال بالعزلة ويصبّون اهتمامهم كلّه على قدرتهم السحرية. من حسن الحظ أنّ هؤلاء الأبطال يتمتعون بقوة خارقة، إلاّ أنّ الفتيان العاديين لا يملكون هذه القدرات. لا توفر المدارس لهم فرص النجاح وما من قوة باطنية لديهم.

تضايقت من هذا الموضوع تلك الليلة، إلاّ أنّني شعرت ببعض الارتياح. كنت عندها أعمل على كتابة القسم الخاص بكيفية تعليم اللغة للفتيان، أشعر بأنني غير مضطر للتخلّي عن فكرة القوة الخارقة، حتى في السابعة والأربعين من عمري. لا يمكن حلّ المشكلات الحياتية بواسطة التحوّلات السحرية، إلاّ أنّ تطبيق العلوم وبذل الجهود يؤدّي إلى حلولٍ كثيرة. كان ذلك بمثابة القوة الخارقة من خلال الاستراتيجيات التي بوسعهم تطبيقها مع أيّ فتى يعاني من مشكلة مدرسية.

أتمنى أن تكون لعلم الأحياء العصبي وعلم الإنسان وعلم الاجتماع وعلم النفس القدرة الخارقة لحلّ المشكلات. تتمتع هذه العلوم بالقدرة على مساعدة الفتيان وعلى توجيههم إلى درب النجاح وعلى جعلهم يحبّون المدرسة. أتمنى أن يقنعكم هذا الكتاب بالقوة الخارقة الخاصة بالعلوم والأبحاث.

أخبرني مايك، ابن كاثي، أنّه كان يرغب بشدّة بأن يحبّ المدرسة، وأراد ذلك طوال سنواته المدرسية الصعبة.

أهنئه على تلك الرغبة التي شعرت بها في صغري. يرغب جميع أبنائنا بأن يستمتعوا بالساعات التي يمضوها في المدرسة كلّ يوم، ويودّون لو أنّهم يشعرون أثناءها بالقوة الخارقة، في مدارسهم ومنازلهم ومغامراتهم التعلّمية.

يريد أبناؤكم وطلابكم الاستمتاع بالتجربة الأكاديمية، ويودّون تعلّم مختلف الأمور من خلال قيامهم بها. إنّهم مثلكم، أشخاصٌ يبحثون عن وسائل عملية للاستفادة ممّا حولهم وللتعلّم بشكل جيّد.

بعد الفصلين الأول والثاني، سنبدأ باقتراحاتنا العملية المتمثلة بالخطوات التي يمكنكم اتباعها لمساعدة أبنائكم وطلابكم على النجاح. إنّ معظم الاستراتيجيات التي نقترحها هي من ابتكار مركز غوريان.

لقد أصبح مركز غوريان، وخاصةً تحت إدارة كاثي ستيفنز، مورداً للمعلومات العملية الخاصة بتعليم الفتيان والفتيات. يعتمد المركز على أسلوبٍ يستطيع الأهالي والمدرّسون والأنظمة التعليمية استخدامه في تعليمهم للفتيان بطرق مناسبة. لقد أثبت هذا الأسلوب فعاليته في صفوف ومنازل مختلفة في معظم الولايات الأميركية مثال ألاباما، كاليفورنيا، كولورادو، فلوريدا، جورجيا، كينتاكي، مينيسوتا، ميزوري، نيويورك، تكساس وواشنطن. كما وامتدت فعالية

هذه الاستراتيجيات إلى انكلترا وكندا وأوستراليا (لمعرفة المزيد عن فعالية هذه الأساليب، يمكنكم التوجه إلى (www.gurianinstitute.com).

إنّ محور الفصول العشرة الأخيرة من كتاب «عقول الفتيان» هو الإجراءات العملية التي يمكنكم تطبيقها في المنازل والمدارس. لقد وصلنا إلى هذه المعلومات العملية بعد إصغائنا إلى الكثير من الأسئلة، ونذكر منها:

- ما دور التغذية في تعليم ابني؟
- ما دور العائلة في نجاح تجربته المدرسية؟
- هل يستطيع الأهالي أن يصبحوا مدرّسين؟
- في أية مرحلة مدرسية أتوقف عن مساعدته في إنجاز فروضه المنزلية؟
- هل هناك تصميم داخلي للصف يتّسم بفعالية أكبر من غيره؟
- ما هي المدة المثلى لمشاهدة البرامج التلفزيونية؟
- ما دور الكمبيوتر في نموّ الفتى التعلّمي؟
- هل هناك طريقة ما لمكافحة الضغط الذي يتعرض بعض الفتيان له من قبل زملائهم والذي يجعلهم يكرهون المدرسة؟
- ما السبيل لدعم المدرّسين في تعليمهم للفتيان؟
- كيف يمكن استخدام الصفوف الأحادية الجنس ليستفيد الفتيان من التأكد من عدم التأثير السلبي على الفتيات؟
- ما هي الأساليب التعليمية التي يطالب بها الفتيان أنفسهم؟

يتمحور القسمان الثاني والثالث من هذا الكتاب حول تدريبكم على تغيير البيئة في المنازل والمدارس والصفوف لتتناسب وحاجات الفتيان وميولهم

التعلّمية. تشمل هذه التعديلات تغيير الجداول اليومية الخاصة بالمنازل والصفوف. إضافةً إلى السياسات المتبعة، وعدد الطلاّب المناسب في كلّ صف، والتصميم الداخلي للصفوف والقواعد والإجراءات المتخذة فيها. لقد تمّ إثبات فاعلية جميع الاقتراحات المقدّمة إذ إنّنا اعتمدنا على الاستراتيجيات التي توصلت إليها الأبحاث في السنوات العشرين الماضية. نسعى في هذا الكتاب إلى تقديم الأفضل والأكثر فاعلية.

ستلاحظون اعتمادنا على سرد تجارب عديدة لمدرّسين وأهل وأجداد وأفراد آخرين. يقوم هؤلاء بالاعتناء بالفتينان وبتعليمهم بأفضل الطرق في منازلهم ومدارسهم وفي الحدائق والشوارع. تستطيع تجاربهم أن ترشدنا إلى الدرب الصحيح تماماً كالأبحاث المختصة. في الكتاب شهادات لمديري مدارس عديدة ولمدرّسين وأهل، إضافة إلى آخرين قاموا بابتكار أنظمة فعّالة أدّت إلى تحسّن علامات الطلاب وإلى تقليص عدد المشكلات السلوكية.

هناك مسائل عديدة تحدث عنها المدرّسون والأهالي. يرتكز القسم الثالث على الاستراتيجيات التي يجب اتباعها في المنازل والمدارس لتعليم القراءة والكتابة واللغات والرياضيات والعلوم. يشمل هذا القسم معلوماتٍ عن أهمية الفنون والرياضة في تعليم الفتيان. كما وسنتطرق إلى فعالية الصفوف الأحادية الجنس. أعترف وكاثي بفعالية الصفوف المختلطة، إلاّ أنّنا نعتقد بأن الاعتماد على بعض الحصص الأحادية الجنس يفيد الفتيان والفتيات، وسنبرّر لكم ذلك في كتابنا.

أما القسم الرابع من الكتاب، فإنّه يناقش المسائل المتعلقة بالفتيان ذوي الاضطرابات العاطفية والأداء الأكاديمي السيئ. كما ويتمحور هذا القسم حول من يعانون من مضايقة الزملاء ومن الاحتياجات التعلّمية الخاصة. سنركز على الاستراتيجيات التي يجب اتباعها مع هؤلاء الفتيان كي لا يتمّ إهمال أيّ منهم.

ستلاحظون أنّ هناك جزءاً خاصاً بدور المدرّسين وآخراً خاصاً بدور الأهل. سنعرض عليكم دور الأم والأب والأجداد والجيران والمدرّبين في توفير أعلى مستوى من التعليم في المنزل. سنناقش دور الأهل والمدرّسين وأهمية تعاونهم مع بعضهم البعض. نقدّم للمعلمين في كلّ فصل اقتراحات بوسعهم تطبيقها فوراً في صفوفهم.

في الكثير من الفصول قسم بعنوان «هل كنت تعلم؟» وآخر خاص بالاقتراحات. نأمل أن تقدّموا هذه المعلومات إلى الأصدقاء وإلى أفراد العائلة، وأن تتشاركوها مع الآخرين في المدرسة وفي اجتماعات الطاقم التعليمي. نأمل بأن تساعدكم هذه المعلومات على تعزيز التواصل في ما بينكم، خصوصاً حول ما يتعلّق بحاجات الفتيان في مدنكم ومدارسكم.

عقول الفتيان:

لقد أصبحت مساعدة الفتيان محوراً عملياً وعمل كاثي، وباتت هدفاً أساسياً في حياتنا. لقد افتقرت حياة الذكور إلى العناية الفعّالة في السنوات الماضية. لقد ولّدت تجربتانا الألم في نفوسنا وزرعتا فينا الشغف لمساعدة الفتيان.

ينبع هذا الكتاب من عملٍ مشتركٍ بيننا وبين مركز غوريان، وهو نتيجةٌ لجهود المجموعة كلّها، وإنّ أكثر ما يهمّنا هو نجاح الأولاد. لما استطعنا تأليف هذا الكتاب دون التجارب والاستراتيجيات التي شاطرنا إياها الآخرون، من أبناء وبنات وأمهات وآباء وأجداد ومدرّسين ومدرّبين. لقد أطلعونا على أفكارهم القيّمة في لقاءاتنا معهم أو في رسائلهم الإلكترونية.

نشكر جميع من وثق بنا وأطلعنا على تجربته. نشعر وكأننا قد التقينا بأبنائكم وبالفتيان في مدارسكم، إضافةً إلى الشبان الذين يعانون من مشكلات

مدرسية حالياً والذين يبحثون عن المساعدة. إنّكم تشاطروننا الإدراك بخطورة المسألة، لذا فإننا نستطيع التعاون لزرع الوعي في مجتمعاتنا ولحثّ الجميع، نساءً ورجالاً، على حماية أبنائنا وقدراتهم الفكرية.

فلنستكشف الذكور معاً ولنكن أكثر وعياً إلى أنّ هؤلاء الفتيان غير قادرين على تغيير أنفسهم للتكيّف مع ما حولهم. لا نستطيع أن نخسر هؤلاء الشبان، ويجب ألاّ نقبل بذهابهم إلى المدرسة وهم تعساء. علينا اتخاذ إجراءات شاملة وكاملة، متسلّحين بالشغف والمعرفة. فلنبدأ الآن وهنا!

الجزء الأول

حماية القدرة الفكرية عند الفتيان

الفصل الأول

الأزمة الحالية

يميل الفتيان فطرياً نحو المجازفة. لذا، فإنّ الأم تواجه الكثير من الأزمات الصغيرة يومياً. إلاّ أنّ الأزمة التعليمية التي واجهها ابني فاجأتني إلى أبعد الحدود.

كاثي ستيفينز

ترحّب اليافطة في المدرسة التمهيدية بجميع الطلاّب. يصل الابن البالغ من العمر الثلاث سنوات مع والديه اللذين اختارا هذه المدرسة من بين جميع المدارس التمهيدية في المنطقة. يخفق قلباهما بقوّة، إذ إنّه اليوم المدرسي الأول لابنهما. ينزلان من السيارة ويُخرجان ابنهما من كرسي السيارة ويرافقانه إلى الباب الأمامي للمدرسة.

تتجه شابة نحوهم وترحب بطالبها الجديد وبأهله. يرتعش الفتى بعد إدراكه بأنّ والديه سيتركانه هنا. يعانقهما ويبكي لبعض الوقت، ثمّ يذهب مع معلّمته، وهي شابة ودودة تمسك يده وتعرّفه إلى الأولاد الآخرين. يلتفت الفتى نحو والديه ويلوّح بيده. يردّ الوالدان بالمثل ويغادران المكان بهدوء.

لا يفهم هذا الفتى آمال والديه وأحلامهما. لا يعلم كم يرغب والداه بأن تنوّره هذه المدرسة وغيرها من المدارس التي قد يلتحق بها ابنهما. لا يدري كم يرغبان بأن تغذي هذه المؤسسات التعليمية قدرته الفكرية، خصوصاً وأنّهما مؤمنان بوجود طاقمٍ تعليمي مؤهل تمّ تدريبه على تعليم الفتيان. لدى مغادرتهما للمدرسة، يبدأ الوالدان بالتفكير بمدى نموّ ابنهما الفكري في المدرسة، وبالعلامات الجيدة التي سيحصل عليها. يفكران بالمدرّسين وبالمعرفة التي سيكتسبها منهم، إضافةً إلى حبّ الحياة وإلى الحكمة التي سيتوصل إليها بعد

اثنتي عشرة سنة وأكثر من التجربة المدرسية. لقد أدخلا ابنهما إلى مدرسة تعتمد على نظامٍ تعليمي قد أثبت فاعليته عبر التاريخ.

وقد يكون بالفاعلية نفسها في حياة ابنهما.

إلاّ أنّ هناك إمكانية لفشل هذا النظام في تعليم ابنهما. قد تكون هذه بدايةً لأزمة تربوية في عائلته. ولن تكون هذه العائلة الوحيدة التي تواجه هذه الأزمة.

هل هناك أزمة بالفعل؟

يتمّ استخدام كلمة «أزمة» بشكل واسع هذه الأيام، لذا يجب معاملتها بحذر. في الواقع، لقد حاولت وكاثي استعمال هذه الكلمة، لكننا نفكر دوماً بأنّ هناك الكثير من الفتيان الذين لا يواجهون أيّة مشكلة، لذا هل نستطيع تسمية الوضع الحالي أزمة؟ كنّا نعلم بأنّ عائلتي غوريان وستيفينز قد عانتا من مشكلتيهما وتغلّبتا عليهما، ولكنّنا تساءلنا إن كانت الأزمة منتشرة في وطننا وحول العالم. عدنا بالذاكرة إلى الوقت الذي سئل فيه طاقم مركز غوريان، وغيرهم من المختصين، عن تعليقهم وتحليلهم لما جرى ولأسبابه. أدركنا عندها أنّ كلمة «أزمة» قادرةٌ على أن تولّد خوفاً حيال حياة الأطفال، وهو شعورٌ قد يؤذي المدارس والعائلات وقد ينشر شعوراً باليأس، ممّا يعيق التغييرات اللازمة والحلول الضرورية.

إلاّ أنّنا استخدمنا هذه الكلمة بالرغم من كلّ ذلك. نأسف لاعترافنا بوجود أزمة خطيرة. نأمل أن نقنعكم في هذا الفصل باستخدام الكلمة، ليس كتحذير فحسب بل كدافعٍ لاتخاذ إجراءاتٍ ضرورية. سنعرض عليكم بعض ما يقوله الأهالي والمعلمون عن الوضع الذي يواجهه الفتيان في مدارسهم.

لوري هوف، هي أمٌّ لثلاثة أولاد في نينا، ويسكونسين. كتبت لنا لوري رسالةً فيها أن ابنها الذي يبلغ الثالثة عشرة من عمره يذهب إلى مدرسة تكميلية لا تحترم قدرات الفتيان الفكرية وحاجاتهم التعلّمية. تعتبر لوري أنّ الواجبات

المنزلية وتكوين اليوم المدرسي، إضافةً إلى القوانين السلوكية، تعمل معاً في نظامٍ تعليمي يحارب الفتيان.

أمّا نيتي كروسكان، وهي باحثة من ماريون، كينتاكي، فقد أطلعتنا على عملها القائم على تقييم التأخر في النمو وتطويره. من خلال أبحاثها، لاحظت نيتي أنّ معظم الأطفال الذين يعانون من هذا التأخر هم من الذكور.

في رسالةٍ لها، عبّرت ليندا ساليفان، وهي أمٌّ لولدين في فيرجينيا، عن تفاجئها من عدد الفتيان الذين يتمّ تشخيصهم باضطرابات سلوكية مثل عدم القدرة على التركيز وبمطلق الصعوبات التعلّمية. في منطقتها مدرسة يأخذ ثمانيةٌ من طلاب الصف الثالث، الذي يبلغ عددهم العشرين، جرعات من الريتالين.

الواقع المرير:

إنّ هؤلاء الأهل والباحثين خائفون، ولهم الحق بالشعور بذلك الخوف. إنّ الإحصائيات في مجتمعاتهم مثيرة للقلق، ويمكنكم الاطلاع عليها في «هل كنت تعلم؟».

لا تنحصر المشكلات التي يواجهها الفتيان في المدارس بمجموعةٍ عرقيةٍ معينة أو بطبقةٍ اجتماعيةٍ دون غيرها. قد يكون من المغري القول إنّ الذكور الأثرياء ذوي البشرة البيضاء لا يعانون من أيّة مشكلة، إلاّ أنّ ذلك غير صحيح. لقد طُلب مؤخراً من مركز غوريان أن تساعد مدرسة ثانوية خاصة يتألف جسمها الطلابي من غالبيةٍ من الفتيان الأثرياء ذوي البشرة البيضاء. إنّ خمسين بالمئة من طلاب هذه المدرسة، وفي مختلف المراحل، قد رسبوا في مادة واحدة على الأقل. لذا، فالمشكلة تمتد إلى هذه الطبقة وهذا العرق.

تظهر الأزمة بشكل واسع عند الذكور الأميركيين من أصل إفريقي، إذ إنّهم معرضون أكثر من غيرهم إلى: (1) الصعوبات التعلّمية والالتحاق بصفوف لذوي

الاحتياجات الخاصة، (2) عدم المشاركة في الصفوف المتقدمة، (3) الأداء بشكل أسوأ من زملائهم في مادتي الرياضيات والعلوم، (4) الحصول على علامات أقل من زملائهم في الامتحانات الرسمية.

يحاضر بيدرو نوغييرا في كلية التربية في جامعة هارفرد، وتحديداً في قسم الماجيستير. قام نوغييرا بدراسة الأداء الأكاديمي للذكور الأميركيين من أصل إفريقي، وتوصل إلى أنّ 90 بالمئة منهم يرغبون بشدّة بالنجاح في المدرسة، إلاّ أن 22 بالمئة فقط عبّروا عن أنّهم يبذلون مجهوداً للحصول على علامات جيدة. كما وجد نوغييرا أنّ 42 بالمئة من هؤلاء الذكور لم يوافقوا على أنّ مدرّسيهم يدعمونهم أو يهتمون بنجاحهم في المدرسة.

هل كنت تعلم؟

- يشكّل الفتيان أغلبية الراسبين في معظم المدارس، وتصل نسبتهم في بعضها إلى 70 بالمئة.
- يتسبّب الفتيان بحوالي 80 بالمئة من المشكلات السلوكية.
- يشكّل الفتيان 80 بالمئة من الأطفال المصابين باضطرابات سلوكية.
- يشكّل الفتيان 80 بالمئة من الطلاب الذين يأخذون جرعات من الريتالين أو من الأدوية المشابهة. في العام 2004، وصل عدد الفتيان الذين يأخذون جرعات الريتالين إلى حوالى خمسة ملايين. (تستهلك الولايات المتحدة 80 بالمئة من المخزون العالمي للريتالين).
- وفقاً لوزارة التربية والتعليم الأميركية، إنّ التباين بين الفتيان والفتيات يتراوح بين السنة والسنة والنصف، حيث يتخلّف الذكور عن الإناث في القراءة والكتابة. (لا يصل تخلّف الفتيات عن الفتيان في الرياضيات والعلوم إلى هذا الحدّ).
- يشكّل الفتيان 80 بالمئة من الطلاّب الذين يتركون المدرسة في المرحلة الثانوية.
- يشكّل الفتيان 44 بالمئة من الطلاب الجامعيين.

لا تنحصر أزمة الذكور التعليمية بالولايات المتحدة. قامت الجمعية الاقتصادية للتعاون والتنمية بدراسة دامت ثلاث سنوات وتمحورت حول المعرفة والمهارات لدى المراهقين في عمر الخامسة عشرة. اعتمدت هذه الدراسة على امتحان سمّي بالبرنامج الدولي لتقويم الطلاب. وارتكز الامتحان على القراءة والرياضيات والعلوم. تفوقت الفتيات على الفتيان بشكل عام في 35 بلداً منها الولايات المتحدة وانكلترا وكندا ووأستراليا وألمانيا وفرنسا واليابان. كان أكبر تباين بين الجنسين في القراءة والكتابة.

في كندا، بدأ تطبيق نظام مؤشرات الأداء الأكاديمي في العام 1993، وكان محور هذا الامتحان تقويم الجدارة في الرياضيات والقراءة والكتابة والعلوم. في دورة العام 2002، كان هناك تباين بين الفتيات والفتيان في الكتابة، وتشابهت النتائج الخاصة بهذا الامتحان وبالنظام الدولي، إذ إنّ الفتيات تفوّقن على الفتيان في جميع المراحل.

تمّ نشر تقرير في أوستراليا في العام 2002 وكان عنوانه «اتخاذ الخطوات الصحيحة مع الفتيان». كان الموضوع الرئيس لهذا التقرير تعليم الفتيان في أوستراليا، وكان نتيجة مجهود واسع على نطاق البلد بأكمله. أشرف على التقرير مجلس النواب الأسترالي، وكان الهدف منه تحديد العوامل المؤدية إلى تدنّي مستوى الأداء الأكاديمي للفتيان الأوستراليين. كانت هناك جلسات عديدة في مختلف أرجاء أوستراليا، وقدّم أكثر من مئتي شاهد نتائج أبحاثهم أو معلومات يحملونها، ممّا أدّى إلى التوصل إلى سلسلة استنتاجات ونصائح. كانت النتيجة العامة لهذا التقرير أنّ النظام التعليمي الأوسترالي لم يأخذ بعين الاعتبار حاجات الفتيان الاجتماعية والتربوية.

كما وقامت إنكلترا بدراساتها الخاصة التي أظهرت أنّ الفتيات تتفوّقن على الفتيان في معظم المواد وفي معظم الأعمار. كان هذا التباين واضحاً لدى جميع

الأقليات العرقية، واعتبر الباحثون أن المشكلة لا تنبع من الفتيان بل من المدارس. من المثير للاهتمام أنّ الولايات المتحدة لم تنشر النتائج نفسها التي توصل إليها الباحثون إليها في كندا وأوستراليا وإنكلترا.

بوسع أبنائنا التعلم في أيّة بيئة، فهم موهوبون وهم الرابحون في مباريات التهجئة والجدل. كما وأنّهم ينتهون من مطالعة كتاب هاري بوتر بأكمله في غضون أسبوع. إلاّ أنّ معظم الأطفال الذين يرسبون في المدرسة وفي جميع مراحلها هم من الفتيان. هناك الكثير من الطلاب الذين يعانون من ضعف أكاديمي أو حتى من الرسوب، ممّا يضطر أهاليهم إلى طلب المساعدة الإضافية. إلاّ أنّ الأمر الأهم في هذه المسألة هو أنّ معظم هؤلاء هم من الفتيان.

إنّ معدّل نتائج الامتحانات في الولايات أو في البلاد ككلّ يتدنّى بسبب علامات الفتيان. إنّ أكثر من يعاني من النظام التعليمي هو الجنس الذكوري. إضافةً إلى ذلك، يشعر المدرّسون بالعجز في تعاملهم مع الأبناء.

النتائج التي توصّل إليها الخبراء:

لستُ وكاثي الوحيدَيْن اللذين يشعران بالانزعاج تجاه أزمة تعليم الفتيان. دان كيندلون هو باحث من جامعة هارفرد ومايكل تومسون هو عالم نفسٍ متخصص بالمرحلة التمهيدية. قام كيندلون وتومسون بتأليف كتاب خاص بالتعليم الإعدادي، وفيه أنّ الفتى يمضي أكثر من ألف ساعةٍ سنوياً في المدرسة من دخوله صف الحضانة وحتى الصف السادس. يضيف هذان الباحثان أنّ الفتى يعاني في هذه المرحلة الإعدادية ليصل إلى ما هو متوقعٌ منه على صعيدي النمو والأداء الأكاديمي. يختلف الفتيان في ما بينهم في تلك المسألة، وتتخلف بعض الإناث عن الذكور. إلاّ أنّ النتائج العامة تشير إلى أنّ الفتيات تتفوقن على الفتيان على صعيد النمو الفكري في المرحلة المدرسية المبكرة.

ألّف عـالم النفس في جـامعـة هارفـرد، ويليـام بولاك، كتـاباً تحت عنوان «الفتيان الحقيقيون»، وفيه دراسةٌ لثقة الفتيان بقدرتهم التعلّمية في المرحلتين التكميلية والثانوية. أظهرت هذه الدراسة أنّ هذه الثقة أقل عند الفتيان مقارنةً بالفتيات، وأنّ الذكور معرّضون أكثر من الإناث، إلى مواجهة مشكلات سلوكية أو إلى الطرد من المدرسة أو حتى تركها.

قامت كريستينا هوف سامكرز بالدراسة الأوسع من نوعها ونشرت نتائجها في كتابها «الحرب ضد الفتيان». توصّلت سامرز إلى أنّ الفتيات، في نظامنا التعليمي الحالي، يرغبن بالتعلّم أكثر من الفتيان. كما وأنّ 31 بالمئة من الفتيان يشعرون بأنّ المدرّسين لا يهتمون بحاجاتهم، مقارنةً بـ 10 بالمئة من الفتيات.

أشارت سامرز أيضاً إلى دراسات قامت بها وزارة التربية الأميركية في الصفين الثامن والثاني عشر. في ما يتعلّق بالتطوّر المهني، كان لدى الفتيات في الصفين توقعاتٌ مهنية أكبر من توقعات الفتيان. شعر عدد أكبر من الفتيات أنهنّ سيتخرجن من المدرسة والجامعة، كما توقعن حصولهن على شهادات الماجيستير أو التحاقهن ببرامج التدريب المهني.

قامت دايان رافيتش، وهي باحثة حكومية، بتلخيص الوضع في نظامنا التعليمي، قائلةً إن ما يتّضح في جميع المراحل المدرسية، وما يراه الطلاّب والباحثون من الجنسين، هو أنّ المدارس تساند الفتيات.

أبحاث مركز غوريان:

تؤيد أبحاث مركز غوريان النتائج التي توصّل إليها هؤلاء الباحثون. بعد عشرين سنة من الدراسات ومن ابتكار الأنظمة الجديدة في جميع الولايات، وفي كندا وأوستراليا، توصلنا إلى الأمر التالي: إن كان أداء الفتى الأكاديمي جيداً أم

متدنياً، فإنّه معرّضٌ لأن يتم تعليمه وإرشاده في نظام قد يعتبره متخلّفاً عن غيره. كما ومن نتائجنا أنّ هذا النظام قد يكون غير قادر على تصحيح هذا الخلل عند الفتى أو في النظام نفسه.

تؤدي هذه الصعوبة التي يواجهها الفتيان إلى مشكلةٍ ستؤثر على حضارتنا بشكلٍ سلبي في العقود القادمة، إن لم نحاول إيجاد حلٍّ لها في القريب العاجل. سيستمر الأهالي باصطحاب أبنائهم إلى الحضانة في اليوم المدرسي الأول لهم، إلاّ أنّهم سيواجهون هذه الأزمة التربوية مع ابنٍ واحدٍ على الأقل.

أطلعتنا تيري كالبيبير، وهي أمٌّ من أريزونا على أنّ ابنها وثلاثة من أصدقائه بدؤوا بالتغيّب عن المدرسة منذ وصولهم إلى المرحلة التكميلية. عبّرت لنا تيري عن إحباطها من جرّاء هذه المسألة التي حاولت ما بوسعها لحلّها ولكن دون جدوى.

أمّا إيسايا أولسون، فهو أبٌ من ديترويت، وقد لاحظ مشكلةً ظاهرةً في مدرستهم لدى الفتيان المتحدّرين من أصلٍ إفريقي. لا يشعر هؤلاء الطلاّب بالانتماء إلى مجتمعهم، وليست المسألة متعلّقةً بالعرق فحسب بل بأمور أخرى. بات عدد الذكور منهم الذين يتركون المدرسة ضعف عدد الإناث؛ لذا فإنّ لجنس الطلاّب تأثيراً واضحاً على هذه الظاهرة.

ترايس طالبٌ في الصف التاسع في أوريغون، وقد عبّر لمستشارة المدرسة عن شعوره بأنّه تلميذٌ فاشل. شدّد ترايس على أنّ الجميع يدركون ذلك، بما في ذلك أهله ومدرّسوه، إلاّ أنه ما باليد حيلة.

من المؤكد أن هؤلاء الأشخاص يواجهون أزمةً تتمثّل بعدم ثقتهم بالنظام

التعليمي. إنّ هذه الرسائل التي ذكرناها أمثلةٌ عن الآلاف التي تصل إلينا وإلى باحثين آخرين باستمرار.

الفتيان في حياتكم:

لن تتأثروا بالإحصائيات وبالتجارب الخاصة وبالأزمة نفسها إن لم يكن في محيطكم مَنْ يعاني مِن فتيانٍ ومدارس وعائلات. ما هو الوضع في مدارسكم ومنازلكم ومجتمعاتكم؟

أسئلة موجهة للأهالي:

- هل تعرفون فتياناً أذكياء ولكنّ أداءهم المدرسي سيئ؟
- هل تعرفون فتياناً ينجحون في إنجاز المهمات في بيوتهم وفي أماكن أخرى، ولكن يفتقدون إلى الحافز للتعلّم في صفوفهم؟
- هل تعرفون فتياناً يحصلون على علاماتٍ متدنية ويتخلّفون عن زملائهم ولا يريدون أو لا يستطيعون إنجاز الفروض المطلوبة منهم؟
- هل هناك أبناءٌ يجيدون إحدى المواد، كالرياضيات مثلاً، ولكن يتخلفون عن زملائهم في مواد أخرى كالقراءة؟
- في مدارس أبنائكم، كم يبلغ عدد الطلاّب الذين يأخذون جرعات من الريتالين أو الآديرال؟ هل تمّ فحص هؤلاء الطلاّب علمياً لمعرفة إن كانوا يعانون من اضطرابات سلوكية كعدم القدرة على التركيز أو كالحركة المفرطة؟ أم هل إعطاؤهم الأدوية هذه مجرّد حلٍّ سهل لمشكلة يعاني منها الفتيان في المدرسة بشكل عام؟

ـ هل تعرفون فتياناً وعائلاتٍ تزداد مشكلاتهم المدرسية سنةً بعد سنة؟

ـ هل تعرفون مراهقين لا يتلقّون التدريب الكافي الذي يحضرهم للحصول على وظائف أو للنموّ والتقدّم في حياةٍ سعيدة وسليمة؟

أسئلة موجّهة للمدرّسين أو للمختصّين بالمسائل التربوية:

ـ في صفوفكم، هل عدد الفتيان ذوي الأداء المتدني المستوى أكثر من عدد الفتيات؟

ـ هل يحصل الفتيان في مدرستكم على نتائج سيئة في القراءة والكتابة واللغات؟

ـ هل يتمّ اللجوء إلى الأدوية دون أن يكون الفتيان بحاجة إليها؟

ـ هل امتنع الفتيان في صفوفكم عن التعلّم؟ وهل بدؤوا بافتعال المشكلات أكثر ممّا يلزم؟

ـ هل لاحظتم عدد الفتيان الأذكياء الذين يقررون عدم الالتحاق بالجامعات؟

في نظامنا التعليمي الكثير من الإيجابيات، إلاّ أنّ في كلّ صفّ تقريباً طالباً يفتعل المشكلات ويعاني من أزمة تعليمية تماماً كمايكل غوريان وكارل مايكل. يتعارك هؤلاء الطلاب مع زملائهم ومع الراشدين. عندما يقررون ترك المدرسة، يؤثرون على غيرهم ممّا يؤدي إلى عدد أكبر من الطلاب الذين لا يتخرجون من المدارس والجامعات. عندما يرسب هؤلاء، يتوقفون عن استغلال قدراتهم الفكرية ويفقدون أيّ اهتمام بالمدرسة أو بالمجتمع ككل. يتحوّل الغضب الذي يشعر به بعض هؤلاء الطلاب في المدرسة إلى عنفٍ متمثلٍ باستخدامهم للأسلحة أو بضرب زملائهم. كثيراً ما يتخلّف هؤلاء عن رفاقهم في الصف، ويقرر معظمهم ترك المدرسة. يتمّ وضع بعضهم في صفوف للاحتياجات الخاصة أو يتمّ

تشخيصهم بصعوبة تعلّمية ما، وقد يصف لهم المتخصصون أدويةً معينة لحلّ هذه المشكلات. يواجه العديد منهم الفشل في الحياة، ويغدون رجالاً وفتياناً بعيدين كل البعد عن الصورة التي أردناها لأبنائنا.

شبابنا والجامعة:

للمرة الأولى عبر التاريخ، يمثل الذكور أقل من 44 بالمئة من الطلاب في عديد من جامعات الولايات المتحدة. لطالما كان عدد الإناث أقل لقرونٍ عدة، إلاّ أنّ الوضع قد انعكس. منذ منتصف التسعينيات، بدأ عدد الشبان، الملتحقين بالجامعة والمتخرجين منها، ينخفض إلى حدّ عدم التساوي بين الجنسين في هذه المؤسسات التعليمية. لما شكّل هذا الأمر مشكلةً إن لم تكن التجربة الجامعية قيّمة، إلاّ أنّ دراسةً جديدة قد أثبتت أنّ معظمنا يشدّد على الشهادة الجامعية كأساس للنجاح في الحياة. كما وأظهرت هذه الدراسة أنّ عدداً كبيراً من الذكور لا يشعرون بالانتماء إلى الجامعة.

في بوسطن، قام مركز الدراسات المختصة بسوق العمل في جامعة نورث إيستيرن بدراسةٍ عرضت تأثير حرم الشبّان من النجاح الدراسي. اعتبرت الدراسة أنّ استمرار ما يجري في عالمنا التربوي سيؤدي إلى انخفاض متزايد لعدد الذكور المتخرجين من المدرسة والملتحقين بالجامعة، وحدّدت النسبة التي سيصل إليها عدد الشبان في الجامعات إلى ثلاثين بالمئة.

هل من متطلبات النجاح في الحياة الالتحاق بالجامعة؟ لا ينطبق ذلك على جميع الحالات. لم يتخرّج بيل غايتس من الجامعة، ومن المعروف أنّه والدٌ صالح ورجل أعمال ناجح ومواطنٌ يخدم بلده بفعالية. إنّ الالتفات إلى مشكلة الذكور الجامعية لا يعني الانتقاص من قدر الفرد ومن سماته الحسنة، ولا يسعى إلى انتقاد نجاح النساء في التحاق عدد أكبر منهن بالجامعات واستقلاليتهن المادية

هل كنت تعلم؟

وفقاً لدراسة قام بها المركز الخاص بالأبحاث العمّالية، فإنّ الشبان، وبالرغم من وصول نسبتهم في الجامعات إلى 44 بالمئة، سوف:

- يزدادون في عالم البطالة.
- يجمعون مبالغ مالية أقل قيمةً ممّا يجمعه زملاؤهم.
- يدفعون مبالغ أقل من الضرائب للضمان الاجتماعي وللحكومة، الأمر الذي يتسبّب به المستوى التعليمي المنخفض.
- يعتمدون على المساعدات الاجتماعية (كالإعاشات والمستوصفات) أكثر من الذكور الذين حصلوا على شهادات أعلى مستوى.
- يشكّلون أغلبية آباء الأطفال غير الشرعيين.
- لن يحققوا أهدافهم الشخصية والاجتماعية الخاصة بالنجاح في هذه الحياة التنافسية.

عن الرجال. إلاَّ أنّ الغاية من ذلك هو التأكيد على أنّ الشهادة الجامعية أفضل مؤشر لنجاح الفرد على الصعيدين الشخصي والاجتماعي، خصوصاً في عالمنا الصناعي والمتطوّر. إنّ عدم توفّر التعليم الجامعي لأبنائنا أمر يتزايد باستمرار وبشكلٍ مثير للقلق.

محاولة فهم الأزمة وحلّها:

لقد حصل خطأ ما في طريقة تعليم أبنائنا. بدأت الدراسات بالإشارة إلى هذا الخطأ منذ المراحل التمهيدية وصولاً إلى الإعدادية والتكميلية والثانوية وحتى الجامعية. ما هو ذلك الخطأ؟ هل نستطيع تعريف المشكلة؟ هل نستطيع تحديدها ومن ثمّ حلّها؟

ستلاحظون في الكتاب أنّ الدراسات التي قام بها مركز غوريان تظهر أنّ الأزمة تكمن في النظام، ممّا يعني أنّ إلقاء اللوم على أيّ شخص أو مجموعة أمرٌ خاطئ. إنّ ربط المسألة بالمدرّسين أو الأهالي أو الطلاب أمرٌ لا يجدي نفعاً. إنّ اللوم كالثلج، فهو يقوم بتجميد المشكلة دون حلّها. المسألة أخطر وأعمق من مجرّد إيجاد من يجب لومه.

بالرغم من ذلك، إلاّ أنّنا نستطيع تحديد الخطأ، وتعريف المشكلة وتحديدها ومن ثمّ حلّها. تتمثل الخطوة الأولى في محاولة كشف من ولّد هذه المشكلة منذ البداية ومنذ صغر أبنائنا. علينا التفكير في طريقة تربيتنا لهؤلاء الفتيان. كما وعلينا تحديد التغيير الذي طرأ على دور الأهالي والأطفال والمدارس في تعليم الفتيان.

ما هي الأسباب؟

في جميع أقطار العالم، كانت العائلات والقبائل والبيئة الطبيعية هي المصدر التربوي لأبنائنا، أيّ أنّ الصفوف والمدرّسين لم يكونوا من يتولّى تلك المسؤولية. تغيّر هذا الواقع منذ ما لا يقلّ عن مئة عام. في السابق، كان الفتيان والرجال يصطادون ويحمون عائلاتهم ويفلحون؛ عملوا في قبائلهم ووجهوا المراهقين إلى أن أصبحوا رجالاً. لم يقتصر ذلك على قارةٍ دون أخرى، إذ إن ذلك انتشر في أوروبا وإفريقيا وآسيا وفي كلّ مكان. عندما افتتحت أوّل مدرسة في المدن منذ آلاف السنين، كانت هناك حاجةٌ لأن يعمل الذكور في مجالات تعتمد على مهارات فكرية ومعرفة عملية. تمّ تدريب الفتيان على بعض تلك القدرات في مدارس حديثة التشييد، إلاّ أنّ معظمهم لم يمضِ الكثير من الوقت داخل المدرسة. انتقلوا في سنّ المراهقة، أو حتى قبل ذلك بقليل، إلى أماكن عملهم.

في بداية القرن التاسع عشر، استمر معظم الفتيان بتعلّم ما يحتاجون إلى معرفته من أمهاتهم وآبائهم ومرشديهم، واكتسبوا بعضاً من المعرفة من خلال

الأعمال التي قاموا بها بأنفسهم. قاموا بتقليد من هم أكبر سنّاً وتمرّنوا وتعلّموا عبر تطبيقهم للمعلومات الجديدة. لم تصبح الكتب المطبوعة أساساً لحياة الفتى التربوية إلاّ منذ حوالى مئتي سنة. عندها بدأت الثورة الصناعية.

نشرت صحيفة «لوس أنجلس تايمز» مقالاً تحت عنوان مثير هو «فلنوقف التعلّم في المصانع»، وهو من كتابة مارغريت غايل، (المديرة التنفيذية للمنظمة الأميركية للأطفال الموهوبين في جامعة ديوك) وهيو أوزبورن (مستشار تربوي). حاول هذان الباحثان معرفة أساس العديد من المسائل التي نواجهها في مدارسنا، وشرحا ما أدّى إلى اتباع النظام التعليمي الحالي. تم ابتكار هذا النظام من قبل الصناعيين الذين أرادوا أن تكون المدرسة مكاناً لتجهيز الأطفال لحياتهم المستقبلية في المصانع. كان على الطلاب التعلّم وفقاً للقواعد المدرسية، وكان احترام القوانين من أهم ما تعلّموه في صفوفهم، إذ إن ذلك يحضّرهم للعمل في المصانع المتكاثرة بسرعة هائلة.

كان هناك هدف منطقي لهذا النظام التربوي الصناعي، إذ إن ازدياد عدد السكان ونموّ البلد تطلّبا التحاق الأطفال بالمدارس.

تمّ إنشاء المدارس وفقاً للحاجات الصناعية في غضون عقود قليلة. لم يعد هناك دور للأهالي والأجداد والمرشدين القبليين في النظام التعليمي الصناعي. لم تعد البيئة التربوية معتمدةً على التدريب العائلي والقبلي. لم يبقَ التعلّم قائماً على التجارب وعلى الحركة الجسدية، وبات متمثلاً بجلوس الطالب في كرسيّه. تعلّم عدد كبير من الطلاب القراءة والكتابة بهذه الطريقة التي غدت الأسلوب التعليمي المقبول.

حاول ملايين الفتيان عبر هذه العقود أن يتأقلموا مع هذا الوضع، وكثيراً ما نجحوا في ذلك. إلاّ أنّ محاولاتهم باءت بالفشل في كثير من الأحيان. انتقل الفتيان من بيئة تعليمية تعتمد على الصيد والفلاحة وتصليح الماكينات وابتكار

أشياء تستطيع القبيلة استخدامها إلى صفوف صغيرة الحجم. لم يعد معظم الفتيان في المدارس الرسمية قادرين على التعلّم بالطرق التي كانت متبعة في السابق والتي كانت تعتمد على الصيد والفلاحة وتصليح الماكينات وابتكار أشياء تستطيع القبيلة استخدامها إلى صفوف صغيرة الحجم. لم يعد معظم الفتيان في المدارس الرسمية قادرين على التعلّم بالطرق التي كانت متبعة في السابق والتي كانت تعتمد على الجدل والنقاش الطلاّبي حول مسائل شديدة الأهمية.

لم يعد هناك في حياة الطلاب أفرادٌ من العائلة يفهمون قدراتهم الفكرية. في السابق، كان الأهالي والأقارب، إضافةً إلى القبائل، يعلّمون الفتى من خلال تجاربه في العائلة وفي البيئة التي تحيط به، التجارب التي قامت على فكرة التدريب والتوجيه. انتقلت المهمة الآن إلى عدد كبير من الطلاّب وإلى مدرّس واحد في كل صف. بات هؤلاء هم الأهل والأجداد والمرشدين والمعلّمين الذين يعملون على تنمية قدرة الفتيان الفكرية. حصل هذا التحوّل الصناعي في المدارس بشكلٍ سريع للغاية، ممّا حال دون إدراكنا لعيوب هذا النظام التعليمي الذي يفتقر أولاً إلى احترام حاجات الفتيان الفكرية وإلى أخذ ميولهم بعين الاعتبار.

من المسؤول عن تجربة الفتيان التعليمية؟

أشار أستاذٌ سابقٌ لي في حديثٍ بيننا إلى الفيلسوف بيرتراند راسيل الذي يقول إنّ ما من تجربة حياتية تضاهي حب العائلة، وإنّ ما من عملٍ قام به وأشعره بالسعادة التي تخالجه عند ممارسته لدوره كأب. لا بدّ وأنّ كلّ من لديه أطفال قد عبّر عن الفكرة نفسها، مستخدماً هذا الكلام المؤثر. كان أستاذي أباً يشارك في حياة أولاده بشغف، وقال إنّ أكثر ما كان يفرحه هو التفاته إلى تجربة أطفاله التعليمية، خصوصاً وأنّه كان يعتبرها إحدى مسؤولياته. قد ينطبق ذلك الشعور علينا أيضاً، إلاّ أنّ معظمنا بعيدين عن كونهم مدرّسين مؤهلين؛ لذا، فإنّ ذلك يتعارض والطريقة التي نتبعها حالياً في تعليمنا لأطفالنا.

هل من واجب الأهل تعليم أطفالهم؟ هل من الواقعي أن نعتبره من واجباتهم في حين أنّهم ليسوا مدرّسين؟ من المنطقي أن نعترف بأهمية دورنا في تجربة أولادنا التعليمية، إلاّ أنّ علينا الوثوق بالنظام التعليمي الذي من واجبه تحضير أطفالنا للتقنيات والمهارات المطلوبة في عالمنا المتطور. علينا الإيمان بهذا النظام، الذي ندفع الكثير من الضرائب والأقساط لتوفيره لأبنائنا، والذي نتوقع من مدارسه الخاصة والرسمية تأمين أفضل المستويات التربوية لأولادنا.

يبعد معظم الأهالي أولادهم من منازلهم ويدخلونهم المدارس المؤلفة من صفوف صغيرة الحجم، غرف فيها عدد من الكراسي والكتب. في ذلك المكان، يتعلّم أبناؤنا القراءة والكتابة والرياضيات والعلوم وبرمجة الكمبيوتر، إضافةً إلى العديد من المواد الأخرى التي يحتاجون إليها ليكونوا ناجحين. يعودون في نهاية يومهم المدرسي إلى منازلنا حيث تكمن مهماتنا الوالدية. من الممكن أنّ بعضنا قد أمضوا اليوم بأكمله يعملون خارج المنزل تماماً كالأولاد. لم يمضِ الأهل وأفراد العائلة والأجداد، إضافةً إلى الجيران والأصدقاء، الكثير من الوقت في أمكنة عملهم وهم يفكرون بواجباتهم المتعلقة بتعليم الفتيان. لم نتآمر مع المدارس لنلحق أيّ ضرر في هذا المجال، إلاّ أنّ ذلك هو الواقع.

ولكن، هل يجب أن يكون الواقع على هذا النحو؟ هل من الممكن أنّ تسليم زمام الأمور المتعلقة بتعليم أولادنا إلى نظام صناعي قد تسبّب، دون إدراكنا، بحصول الأزمة الحالية؟ هل من الممكن أنّ تنازلنا لهذا النظام قد أدّى إلى نكثنا بوعدٍ أعطيناه لأطفالنا، وعدٍ قائمٍ على الالتزام بحبهم والعناية بهم؟

الدور المفقود للعائلة في عالم التربية والتعليم:

إن نظرتم إلى تاريخ عائلتكم للاحظتم أنّ أسلافكم اعتمدوا على أفراد العائلة والأقرباء الذين تربطهم علاقة وثيقة بالطفل ليعلّموه تقنيات الحياة والعمل إضافةً إلى مختلف القيم. ينطبق ذلك على جميع العائلات في مختلف

القارات ومن كلّ العروق وعلى تلك المتحدّرة من أصول اسكندينافية وتيوتونية وإفريقية ورومانية وشرق هندية ويابانية وصينية.

اعتمد أسلافكم، أينما كانوا يقطنون، على فرقٍ من المربّين كان يتزعمها الأهالي والأمهات الرئيسات والآباء الرئيسون في القبائل. كان هؤلاء يعتبرون أنفسهم مسؤولين عن تعليم الفتى، ولم يكن يتدخل أيّ شخص غريب في تلك المسألة. كان يُنظر إلى الطفل على أنّه امتدادٌ لوالديه وأجداده وقبيلته؛ لذا فإنّ قرابة الدم هي التي كانت تحدّد هذه المسؤولية التربوية. لم يشارك أيّ شخص من خارج القبيلة في تعليم الفتى وهو في الثالثة أو الرابعة أو الخامسة من عمره بل بعد ذلك أي في سنوات المراهقة، عندما كان يتلقى التوجيه المهني من قبل مرشد غريب.

كونراد لورينز، هو عالم أحياء مختصّ بعلم الإنسان، وقد ازدادت شهرته في القرن الماضي عندما قام بدراسة الحماية التي توفرها العائلات لأطفالها. ارتبط عمله لاحقاً بدراسات خاصة بعلم الإنسان ومتعلّقة بالتبعية الإنسانية. قامت هذه الأبحاث الأحيائية بإظهار الدور الرئيس للعائلة في تعليم الأطفال. كما وأدّت نتائجها إلى التحذير من أزمة قد تنشأ إن لم تقم العائلة بمهماتها التربوية.

وضّحت الدراسات ما يشعر به معظم الأهالي وهو أنّ العائلة شديدة الأهمية في عالم التربية والتعليم. في العقدين الأخيرين، أظهر العلماء المختصّون بدراسة الروابط أنّ الأطفال شديدو الاعتماد على أهلهم وعلى أقربائهم في محاولتهم النجاح في الحياة. قام والداي د. جاي ب. (عالم اجتماع) وجوليا غوريان (عالم بعلم الإنسان) بتأليف كتاب تحت عنوان «نزعة التبعية»، وفيه جمعٌ لأبحاث لورينز ولدراسات لعلماء أحياء آخرين، إضافةً إلى براهين من علم الإنسان. يشير والداي أنّ دراسة العائلة وفقاً لعلم الأحياء تظهر أنّ العائلة لا تقتصر على كونها مجموعة حاجات عاطفية، بل إنّها مجموعة أشخاص يتأثر كلٌّ

منهم بسلامة الآخر. أمّا الدراسات القائمة على فكرة التبعية، فإنّها تتعارض والفكرة الشائعة، إذ إنّها تؤكد على أنّ الأهالي يعملون على عدم قدرة أبنائهم على الاستغناء عنهم. كما وتوصّلت هذه الأبحاث إلى أنّ الأبناء أنفسهم لا يتخلّصون، مهما أصبح عمرهم، من حاجتهم للاعتماد على أهلهم. إضافةً إلى ذلك، فإنّ الأجداد وكلّ من هم أكبر سناً لا يتخلّون عن شعورهم بالمسؤولية تجاه العائلة وجميع أفرادها.

هذه هي النظرية القائمة على علم الأحياء والأنثروبولوجيا، وهي وجهة نظر تتعارض والآراء الصناعية. إنّ هذه النظرية هي ما اعتمدنا عليه عند بدئنا بتأليف هذا الكتاب، إذ إنّها قد أظهرت فعاليتها في مختلف المدارس والمجتمعات في بلادنا. لا تقلّل هذه النظرية من شأن المدرسة، إذ إن المدرسة مسؤولة عن تعليم الطفل. إلاّ أنّ للعائلة دوراً متساوي الأهمية، خصوصاً وأنّ الطفل يرتبط دائماً بعائلته، فكرياً وعاطفياً، ممّا يجعلها مسؤولةً عن الاهتمام بقدرته الفكرية. وفقاً لهذه النظرية، تفقد العائلة الشعور بأنّها قد وفت بالمراد إن تخلّت عن دورها في العناية بفكر الطفل وإن تولّت ذلك الأمر مؤسسة تعليمية لا تعرف الولد بشكلٍ كافٍ؛ لذا، فإنّ تعليم الطفل وتنمية فكره أمران تتشارك العائلة والمدرسة في إتمامهما.

لم تؤخذ هذه النظرية القديمة الخاصة بالعائلة أثناء الثورة الصناعية. لقد أصبحت المؤسسات التعليمية مسؤولةً وحدها عن تعليم أبنائنا، وفي هذه المؤسسات أشخاص مؤهلون قد يكونون أفضل من قد يساعد أولادنا. إلاّ أنّ هؤلاء لا تربطهم بالطلاب صلة دم تحتّم عليهم الاهتمام بكل طفل ليصل إلى النجاح في حياته؛ لذلك، فإنّ علاقتهم مهنية بحتة لا تعتمد على الروابط العائلية التي هي أفضل ما قد يؤدي إلى نجاح الطفل.

هل من أهم أسباب الأزمة المدرسية التي يواجهها فتياننا أنّ أهاليهم قد

تنازلوا عن الكثير من واجباتهم للمؤسسات التعليمية؟ هل من الممكن أن يستعيد الأهل بعضاً من هذه المسؤولية للتوصّل إلى حلّ الأزمة التعليمية عند الفتيان؟

أعتقد وكاثي أنّ ذلك ممكن حتماً. إنّ أوّل خطوة يجب اتباعها لحل الأزمة التعليمية لدى الفتيان هي فهم الدور الذي فقده الأهالي والعائلات.

إنعاش دور العائلة في عالم التربية والتعليم:

علينا التوصّل إلى عالمٍ مدرسي تخلو منه العلامات المتدنية والمشكلات السلوكية وانزعاج الذكور. إنّنا لا نطلب من الأهل والأقارب إنكار دور المدارس والمعلّمين في مساعدة فتياننا على النمو. إنّنا ندعم المدرّسين كما نساند الأهل، لكنّ أملنا هو أن يتمّ إنعاش دور العائلة ليعود إلى تحمّلها، كفريقٍ مترابط، مسؤولية إنجاح تجربة الفتى التعلّمية. على العائلة التدخل بشكل عميق في تلك المسألة، ممّا يحتّم ألاّ تكون بعيدةً عن الأجواء التربوية التي تحيط ابنها.

في الفصول المتبقية من الكتاب عددٌ متساوٍ من النصائح للأهل والمدرّسين، ونأمل أن تساعد هذه الإرشادات على إنعاش المشاركة بين مدرستي الطفل الأولى والثانية، أي منزله وصفّه.

بات الآباء والأمهات يعملون بعيداً عن عائلاتهم، ولقد أدّى التقدّم الصناعي إلى انتقال العائلات بعيداً عن الأجداد والقبائل والأقارب. كما أنّ الطلاق والقيم العائلية المتغيّرة قد ولّدت ضغوطات إضافية لتحاول العائلة أن تبقى مترابطة. بسبب كلّ ذلك، فإنّ أطفالنا بحاجة فعلاً إلى ما تدعو إليه النظرية الصناعية. إنهم بحاجة إلى إشراف مكثّف بعيداً عن الأم والأب والأجداد والأقارب والمرشدين. لقد أصبح هؤلاء الأولاد معتمدين وبشكل كلي على المدرسة، ولم يكن الأمر كذلك في الماضي. لا يمكننا العودة إلى زمن القبائل التي تعلّم أسلافنا ونموا فيها.

إلاّ أنّ الأزمة التربوية الحالية تحتاج إلى أن نعيد التفكير بدور الفريق العائلي الذي ساعد الفتيان (والفتيات) في زمن أسلافنا. سنعرّف هذا الفريق بشكل أكثر تفصيلاً. يشرف الوالدان على عمل هذا الفريق الذي قد يتألف من:

- الوالدان.
- الأجداد.
- أقارب آخرون كالأعمام والأخوال والأنسباء.
- مدرسون خصوصيون.
- مدربون.
- جيران.
- أصدقاء.
- وكالات خدماتية.
- رجال دين.
- الأخوة والأخوات.
- زملاء.

على كلّ شخص ومجموعة في محيط الطفل الانضمام إلى فريق تربوي يؤسسه الأهل ويكون محوره تعليم الطفل. إن قام هذا الفريق بمهمته بشكل كامل، ستتقلّص إمكانية وقوع أية مشكلة أو أزمة تعليمية، فقد أصبح لدى الطفل حوالي عشرة أشخاص يهتمون بمساعدته خارج نطاق المدرسة.

تأسيس الفريق: أول خطوة نحو حلّ الأزمات وتفاديها:

من الممكن تكوين هذا الفريق ممّا هو متوفر في محيطكم، وما يسهّل هذه العملية هي صلات الدم. إلاّ أنّ عليكم الاستعانة بهذه الروابط الأسرية لزيادة الفريق قيمةً وليس للاعتماد عليها بشكل كلّي.

هناك بعض الأساليب التي يمكنكم اتباعها في منزلكم أو حيّكم لتنظيم عمل الفريق:

- يقطن الجدّ جورج في فلوريدا، وهو مهندس متقاعد. يواجه ابنكم في كاليفورنيا صعوبات في الرياضيات أو العلوم. يمكنكم الاتصال بالجد جورج وتحديد موعد لدرس خصوصي يعطيه لابنكم أسبوعياً عبر الهاتف أو الإنترنت.

- تطالع الجدة إيستيل الكثير من الكتب، ويبعد منزلها بضع ساعات. يواجه ابنكم صعوبات في المنهاج اللغوي. تستطيع الجدة إيستيل زيارتكم مرةً في الأسبوع لمساعدة ابنكم على القراءة والكتابة.

- يقطن ماكس، الصديق الأقرب إلى ابنكم، في حيٍّ قريب. والده مبرمج كمبيوتر، وبوسع ماكس وابنكم تمضية بعض الوقت معه أمام شاشة الكمبيوتر لتعلّم ما يحتاجان إليه.

- أنت أمٌّ لولدين أو ثلاثة، ويعاني أحدهم من مشكلة مدرسية. لربما أنّ لديك ابناً أو ابنةً أكبر سناً قد التحق أو التحقت بالجامعة. تستطيعين أن تطلبي من الأخ والأخت الأكبر سنّاً الاتصال بالأخ الأصغر مرةً في الأسبوع. يكون هدف هذا الاتصال تصحيح الفروض المنزلية أو لفت النظر إلى مواعيد تقديم البحوث أو المساعدة في تعلّم مادةٍ ما.

- إنّ الفريق الذي يرأسه الوالدان أوّل من بوسعه العمل على معالجة الأزمة التي يواجهها فتياننا. سيتابع هذا الكتاب إرشادكم حول كيفية التأكد من أنّ هذا

الفريق يقوم بمهامه بتوفير كل ما يحتاج إليه الفتيان ليتعلموا: مرشدون تربطهم بالفتيان علاقةٌ طيبة ووثيقة.

تقوم ساندرا وهي أمٌ من دير بارك، واشنطن، بتأسيس فريقها الخاص وأطلعتنا على تجربتها.

لدي خمسة أبناء. أدركت بعد ولادة الابن الخامس. إنني بحاجة إلى أن أستقيل من وظيفتي لأمنحهم أفضل مستويات التربية والتعليم. كانت مدارسهم تقوم بواجباتها على أكمل وجه، لكن أبنائي كانوا بحاجة إضافية إلى إرشادي لهم.

إنني أمضي الكثير من وقتي وأنا أساعدهم في دروسهم وأنا أقلّهم من مكان إلى آخر. كما وأنني أستغل الوقت في إصغائي إلى مشكلاتهم وفي محاولة حلّها. عندما أواجه مسألة صعبة، أمضي الكثير من الوقت محاولةً البحث عمّن قد يمدّني بالعون.

إنّ هذه الحملة الأخيرة مثيرة للاهتمام إذ إنّ ساندرا قد أسست فريقاً يستطيع مساعدة أبنائها في حلّ المشكلات التعلّمية ويشاركهم النجاحات أيضاً.

إن قمتم بتقليص ساعات عملكم أو إن استقلتم منه لتركزوا على تعليم أبنائكم، فإن المسألة الرئيسية تبقى أنّ فعالية الفريق لا تكون ممكنة دون أن تمضوا بعض الوقت في تأسيسه وتكوينه. ستنسون هذا المجهود المضني حالما تتوصلون إلى نتائج إيجابية.

بعد تأسيس الفريق، من المهم ألا تنتظروا حدوث مشكلة ما لتطلبوا اجتماع الأعضاء. من الممتع تنظيم اجتماعات دورية للاحتفال بالمراحل المهمة من حياة ابنكم.

تمتدّ فعالية هذه الفرق إلى الفتيات أيضاً، وليس هناك ما يجعل الفرق أكثر

فعالية مع الفتيان. إننا نلفت النظر إلى أهمية هذه الفرق في تعليم الذكور لأنّ أبناءنا بدأوا بمواجهة الفشل في التعلّم، بينما حصلت الفتيات على مساواة تعليمية أكبر في العقدين الأخيرين.

اقتراحات

تقويم أعضاء الفريق

هناك أسئلة عليكم أخذها بعين الاعتبار أثناء تقويمكم للأفراد الذين تفكرون بإمكانية انضمامهم إلى فريقكم التربوي:

- هل يحبّ هذا الفرد الأولاد؟ (مجرّد كون الشخص المعني فرداً من العائلة لا يعني بالضرورة أنّه يستمتع بتمضية الوقت مع الأولاد).
- هل يعي هذا الفرد ما يكفي من المعلومات الخاصة بكيفية التعامل مع الأطفال وفقاً لمراحلهم التنموية؟
- هل يستمتع ابني بالمشاركة مع هذا الفرد؟
- هل من الممكن أن يعتبر هذا الفرد المشاركة في فريقي من أهم أولوياته؟

لقد قمت وكاثي بتدريب الكثير من العائلات والمجموعات على إنشاء هذا الفريق لمساعدة أبنائهم على التعلّم. يشرّفنا أنّنا أصبحنا نشارك العائلات هذه المسؤولية والفرح عند تقدّم الفتى أكاديمياً وعند ضمان نجاحه في الحياة. أرسل لنا أحد الفرق في جورجيا رسالةً فيها النتائج التي توصل إليها.

يتكوّن هذا الفريق من خمس عائلات، لكلّ منها أبناءٌ ذكور. يعاني الفتيان في ثلاث من هذه العائلات من صعوبات في التعلّم، وفي إحدى العائلات، كانت الفتاة هي من تواجه المشكلة المدرسية. أمّا العائلة الخامسة، فالأولاد فيها قد تخرجوا من المدرسة. نشأت صداقة بين هذه العائلات الخمس عندما أصبح الأولاد أصدقاء في المدرسة الإعدادية.

عندما قرّرت هذه العائلات تطبيق فكرة الفريق التربوي، عقدت اجتماعاً للأهل والأولاد، وتحدث الجميع فيه عن طبيعة الفريق. أطلقوا عليه اسم «قبيلة التعلّم» ووزعوا المهمات وفقاً لمهارات كلّ شخص. من حسن الحظ أنّ في العائلات الخمس راشداً مختصاً بمجالٍ ما قد يساعد أحد الأولاد.

كبر الأولاد وأصبحوا في المرحلة الثانوية. أثبت الفريق فعاليته في تجربتهم التعلّمية. ابتكر الفريق شعائر خاصة سيقومون بها عند تخرّج أولادهم من المدرسة. اطّلع الأصدقاء في الحيّ على ما قام به الفريق ومدى تحسّن الأداء الأكاديمي للأولاد، ممّا أدّى إلى ازدياد شعبية هذه الفكرة واستخدامها.

لقد أنعشت هذه العائلات، إضافةً إلى ساندرا، دور الفِرَق التعليمية في حياة الشبان والشابات، وقامت بهذه الخطوة لتواجه أزمةً يعاني منها الذكور.

قد لا يتشجع الأهل للعمل على تغيير النظام التعليمي الحكومي في معظم الأحيان. يشعر الأهالي (والمدرّسون) بالإحباط وبعدم القدرة على حلّ أي من المشكلات التربوية أو على تغيير المؤسسة التعليمية. يتمحور الفصل السادس حول إرشاد الأهل إلى ما عليهم القيام به لتغيير المدارس.

لقد بدأت ساندرا وفريقها، إضافةً إلى فِرَق أخرى، بمواجهة المشكلات المدرسية من خلال أمرين: أولهما التأكد من أنّ لكل عائلة حلفاء يستطيعون مساعدتها على تخطي الشعور بعدم القدرة على تغيير الواقع المرير. إضافةً إلى ذلك، تؤمّن هذه الفِرَق لأولادها الأصدقاء الذين يستطيعون مساعدتهم على المثابرة، حتى عندما لا تكون هناك مقدرةٌ لتغيير المدارس. يزول شعور الأهالي أو الطلاّب باليأس بعد أن تصبح العائلة بأكملها بمثابة مدرسة صغيرة تستطيع القيام بخطوات كثيرة عند الحاجة.

مهما كانت المسألة التي قد تواجهونها في المدارس، فإنّ الفِرَق التعليمية تساعد على تحسين وتعزيز تجربة أبنائكم التعليمية.

الخطوة التالية:

سنقوم في الفصل التالي بخطوة ثانية وهي إلقاء النظر على طريقة تعلّم الفتيان وما يجري داخل الدماغ الذكوري. إنّ الهدف من ذلك هو اكتشاف الأسلوب الطبيعي لتعلّم الفتيان، ممّا سيساعد الأهل والمدرّسين على تغيير الطُّرق التعليمية والأساليب التوجيهية. يؤدي كل ذلك إلى الاستجابة إلى حاجات الفتيان كافةً.

أصبح من الواضح أنّ لا ضرر من استخدام كلمة «أزمة». أظهرت الدراسات في التسعينيات أنّ المدارس لا تساعد الفتيات في الرياضيات والعلوم وعلى صعيد الثقة بالنفس وفي تعلّم الكمبيوتر. لقد استطاع مجتمعنا تحديد المشكلة التي تواجهها الفتيات، ممّا ساعد على حلّها وعلى تغيير تجربة الفتيات التعلّمية بشكل أفضل.

هناك الآن أزمة أخرى تتطلّب تدخلنا لمساعدة أبنائنا. إن لم نستجب إلى ذلك، فإنّ مستقبل شبابنا ومجتمعنا معرّضٌ للخطر. لم يعد من الممكن أن يشكّل الفتيان غالبية من يرسبون في المدرسة، ولم يعد من المقبول ألاّ نقوم بأيّة خطوة لإنهاء تلك المسألة.

عند وصول الأب والأم إلى المدرسة مع ابنهم الذي يبلغ من العمر الثلاث سنوات، كان في داخلهم الكثير من الآمال والطموحات. افترض الوالدان أنّ المدرّسين في هذه المدرسة التمهيدية، وفي جميع المدارس، سيدركون ماهية قدرة ابنهما الفكرية. لذا، فإنّهما اعتقدا أنّ هؤلاء المعلّمين قادرون على تعليم ابنهما بشكل فعّال وبطريقة تتناسب وطاقته وقدرته الفكرية.

هل يعرف المدرّسون طريقة تعلّم الفتيان؟ هل يعرف الأهالي ذلك؟ ماذا يحصل إن كان الجميع على معرفة بطريقة تعلّم الذكور؟ هل يؤدي ذلك إلى تعلّم أبنائنا بشكل أفضل؟

فلنكتشف ذلك.

الفصل الثاني

كيفية تعلّم الفتيان

من المهم احترام طيش الفتيان ونشاطهم وحركتهم تماماً كما يحترم المرء الطبيعة بما فيها من أعاصير عنيفة وشلالات متدفّقة.

سارة راديك، كاتبة وأم

هل سبق واصطحبتم أولادكم إلى ملعب وراقبتم تفاعل الأطفال وكيفية لعبهم مع بعضهم؟ سنحت لي الفرصة أن أقوم بذلك مرات عدّة عندما كانت ابنتاي صغيرتين. كنت أستمتع بمشاهدتهما وهما تتسلّقان الجدران وتقفزان وتستكشفان ما حولهما. في بعض الأحيان، كنت أجلس على مقعدي وأقرأ كتابي، وفي مرّاتٍ أخرى، كنت أشاركهما اللعب.

كانتا تطلبان مني أن ألعب دور الوحش.

فهمت بسرعة، تماماً كالكثير من الآباء، أنّ ذلك هو أحد الأدوار التي يتوقع الأولاد أن نلعبها. لذا، كنت أطاردهما وذراعيَ مفتوحتين إلى أن وجدا أمكنةً آمنة يختبئون فيها.

لديّ ابنتان، لذا فإنّ تجربتي في الملاعب اختلفت عمّا كان يحصل في صغري. لابنتي شخصيات تأثرتا بشدّة بها كيلبيري فين وتوم سوبير وهاري بوتر. إلاّ أنني لطالما كنت مدركاً أثناء تربيتي لابنتيّ أنّ ليس لدي أبناء. كثيراً ما قمت

وكاثي بمقارنة ما لاحظه كلٌّ منّا في الملاعب. بما أنّها أمٌّ لابنين، كانت تشاركهما اللعب في صغرهما تماماً مثلي. إلاّ أنّها بدأت بعدها بالجلوس والاكتفاء بمراقبتهما وهما يلعبان. لم تكن طبيعة لعبهما مماثلة لتلك الخاصة بالفتيات.

هل لاحظتم في حياتكم الفرق بين الفتيان والفتيات؟ هل وقفتم في ملعب ما أو راقبتم الأولاد في الشارع ولاحظتم الاختلاف في الطاقة بين الذكور والإناث؟ هل تساءلتم إن كانت ملاحظاتكم دقيقة وإن كان هناك اختلاف حقاً؟ هل كانت غريزتكم تدلّكم على أنّ هذا الفرق موجودٌ حقاً؟ هل حاولتم فهم سبب هذا الاختلاف وإن كان جزءاً من الطبيعة الإنسانية أو نتيجةً للعوامل الاجتماعية؟ هل تساءلتم إن كان التفاعل بين هذين العاملين هو ما يؤدي إلى التباين؟

يقوم العلماء والمفكرون الاجتماعيون منذ عدة عقود بدراسة كيفية تعلّم الفتيان والفتيات من خلال مراقبة تفاعلهم الاجتماعي وحوافزهم الشخصية. كما ويدرس هؤلاء النموّ النفسي للفتيان والفتيات، إضافةً إلى علاقاتهم الاجتماعية ومهامهم التي يحددها جنسهم. إنّ هذه الدراسات البيداغوجية والاجتماعية والنفسية قد زودتنا بمعلومات عن الاختلاف في تأثير المجتمع الغربي على الفتيان والفتيات.

إلاّ أنّ العقدين الأخيرين شهدا طريقةً جديدة لفهم نمو الأولاد وتعلّمهم، وهي طريقةٌ علمية بحتة. يعتمد هذا الأسلوب الحديث على دراسة ما يحدث داخل دماغ الأولاد وأجسامهم أثناء عملية النمو الجسدي والكيميديوي والعصبي.

تمّ العمل في العقد الأخير بشكل خاص على تطبيق العلوم المتعلّقة بالدماغ لفهم كيفية تعلّم الفتيان والفتيات، وقام بذلك العلماء والمفكرون الاجتماعيون، إضافةً إلى الأهل والمدرّسين. تركّزت دراسات هؤلاء على تحديد الاختلاف التعلّمي بين الجنسين، خصوصاً وأنّ الأبحاث الحديثة درست الدماغ وأظهرت أنّ هناك اختلافاً بيولوجياً بين الفتيان والفتيات؛ لذا، فإنّ ما توصّلت إليه الدراسات

يؤيد ما لاحظتموه غرائزياً في الملاعب، خصوصاً وأنّها برهنت وجود فروقات جوهرية بين الجنسين، وبالتحديد في تفاعل أجزاء الدماغ مع بعضها وفي النمو العصبي والكيميديوي إضافةً إلى التركيب البنيوي للدماغ.

يهدف هذا الفصل إلى إرشادكم إلى ما يجري داخل عقول الفتيان. إننا نحاول توضيح ذلك، لا لأنّه أمرٌ مثيرٌ للاهتمام فحسب، بل لغايةٍ ثانية: حثّكم على استخدام ما توصلت إليه العلوم الخاصة بالدماغ لإعادة النظر في ما يجري في مدارسنا ومنازلنا وأحيائنا وملاعبنا. نودّ أن تلتفتوا إلى مدى احترام هذه الأماكن لدماغ الفتيان ولقدرتكم الفكرية، آملين أن تغيّروا ما يجب تعديله. إن كان الهدف منح أبنائنا أعلى مستويات التعليم والتربية، فإنّه لمن المهم أن يتمّ فهم طبيعة العقل الذكوري من قبل الأهل والأقارب، إضافةً إلى المدرسين وإلى أيّ شخص يهمّه مستقبل المجتمع.

علم جديد:

هناك علمٌ جديد في مجتمعاتنا وهو علمٌ يستكشف الاختلافات بين الجنسين. يعتبر بعض العلماء أنّ أساس هذا التباين اجتماعي، بينما يظن بعضهم الآخر أنّه بيولوجي. نعتقد أن الأساس هو تفاعل العاملين مع بعضهما، إلاّ أننا نركّز بشكل أكبر على العامل البيولوجي. إنّنا لا نعتمد على العلوم البيولوجية فحسب، بل نحاول معرفة ما تؤول إليه الأبحاث الأنثروبولوجية والنفسية والاجتماعية. لذا، فإنّ بحوثنا تتمحور حول جميع العلوم الخاصة بالإنسان وبطبيعته. عندما تكون لدينا تساؤلات عن كيفية تعلّم الإنسان، نبدأ بحثنا عن التوضيحات المتعلقة بذلك من خلال الاطلاع على نتائج الدراسات البيولوجية. نعتقد أنّ أساس أيّ حوار متعلّق بالأولاد هو استيعاب طبيعتهم عوضاً عن مجرّد التفكير بتأثير البيئة عليهم. بعد أن نصل إلى درحة مقبولة من

فهمنا لتكوين الدماغ ولما يجري فيه عند الجنسين، نستنجد عندها بالعلوم الاجتماعية. يعتمد عملنا على العلوم البيولوجية إلاّ أنّه لا يقتصر عليها.

لم تكن النظريات المعتمدة على الطبيعة الإنسانية أمراً ممكناً في الماضي. منذ حوالى الأربعة أو ستة عقود والنظريات التربوية تعتمد على الدراسات الاجتماعية، وإن هذه الأبحاث هي ما ارتكزت عليه الأنظمة المدرسية والأساليب التعليمية. لم تكن صور الأشعة أمراً ممكناً في الخمسينات والستينات والسبعينات، ممّا أجبر المفكرين الاجتماعيين على محاولة تفسير كيفية تعلّم الأطفال دون وجود أيّة براهين علمية. لم يكن باستطاعتهم رؤية ما يجري داخل الدماغ ولم يقدروا ملاحظة الفرق بين تكوين العقلين الذكوري والأنثوي. لذلك، كانت دراساتهم قائمةً على النظريات الاجتماعية وليس على تلك التي تغوص في عالم الطبيعة الإنسانية. اضطر هؤلاء المفكرون إلى التشديد على تأثير المجتمع والبيئة بسبب عدم توفّر الدراسات الخاصة بطبيعة الذكور والإناث.

كانت بعض المعلومات التي توصّلت إليها أبحاثهم دقيقة وواضحة. إنّ لأنظمتنا المدرسية إيجابياتٍ عديدة، إلاّ أنّ الدراسات الحديثة الخاصة بالجنسين تنفي بعض ما أظهرته الأبحاث في القرن الماضي. منذ حوالي الثلاثين سنة، كانت هناك فكرة خاطئة تقوم على أنّ الفتيان والفتيات يتعلمون بالطريقة نفسها. وفقاً لتلك النظرية، إن التعلّم لا يتأثر بجنس الطفل، أي أنّها لم تعتبر أنّ هناك أيّ اختلاف في تكوين الدماغ بين الجنسين. كان الدماغ بالنسبة إلى المفكرين مجرّد صفحة بيضاء تتأثر في ما بعد بالبيئة التي تؤدي إلى كون الطفل ذكراً أم أنثى.

تعتمد النظريات الجديدة على العلوم البيولوجية والاجتماعية معاً، ولا تقوم على فكرة أنّ القدرة الفكرية تتشكّل نتيجةً للمجتمع. ما تشدّد عليه النظريات الحديثة هو التفاعل بين العوامل البيولوجية والاجتماعية، ممّا يؤدي إلى تحديد

القـدرة الفكريـة عند الأولاد. يعـتـمـد هـذا الكتـاب علـى هذه الفـكرة في مـجـمل أجزائه، لذا فإنكم ستلاحظون تأكيدنا المستمر على أهمية التفاعل بين الطبيعة والبيئة في القدرات الفكرية. إننا مدركون بأنّ هناك الكثير من الأمور الخاصة بالدماغ التي لم يتمّ اكتشـافهـا حتى اليوم. إلاّ أننا متأكدون من أنّ المعرفة الحالية، التي توصّلنا إليها من خلال الدراسات المختلفة، تساعد على إعادة هندسة البيئة التعليمية بطرقٍ تدعم أبناءنا وبناتنا وتوصلهم إلى النجاح.

يستطيع المدرّسون والأهل أن يعتمدوا على هذه الدراسات الحديثة لابتكار أساليب جديدة لتعليم الفتيان (والفتيات) اللغات والقراءة والكتابة والرياضيات والعلوم والرياضة والفنون. إن هذه النظريات تساعد على توفير الرعاية اللازمة للفتيان (والفتيات) الحسّاسين أو الذين يفتقرون إلى الحوافز التعليمية أو الذين يعانون من صعوبات تعلّمية. أصبح من الممكن أن يدرك الأهل التحديات التي يواجهونها في تربيتهم لأبنائهم وبناتهم.

في معظم الأحيان، تُظهر الاستراتيجيات والنظريات المتأتية من هذه الدراسات أنّ هناك اختلافاً بين الجنسين في التفكير والأحاسيس والتعلّم. يتمتع الفتيان بطاقة تعلّمية خاصة ترسم الدرب الذي يوصلهم إلى النجاح الأكاديمي، وتظهر هذه الطاقة قبل ولادتهم. عندما نفهم هذه الطاقة الذكورية، نكتشف وسائل جديدة لتعليم الفتيان ولتنمية قدراتهم الفكرية.

طاقة الذكور:

«نذالة الفتيان» كتابٌ فيه مجموعة من التجارب التي يتحدث عنها رجال في العقدين الرابع والخامس من عمرهم. يتمحور ما كتبه هؤلاء الرجال حول تجاربهم التعلّمية في الصغر، ومنها تجربة تشارلي الذي وُلد في نيويورك في العام 1960:

«عندما كنت في الثالثة عشرة من عمري، كنت أشارك أصدقائي بلعبة من ابتكارنا. كنّا ننزل إلى الطابق السفلي حيث يعمّ الظلام المكان. كانت بداية اللعبة قائمةً على إضاءة المكان من قبل أحدنا ومن ثم رمي الأسهم المريَّشة على بعضنا. كنّا نختبئ إلى أن سمعنا حركةً ما، فنندفع إلى الخروج من مخبئنا ونرمي الأسهم. بعد فترة من الهدوء، كان أحدنا يصرخ من شدّة ألمه، وعند إنارة المكان، كنا نرى من أصيب بالسهم. في إحدى المرات، وجدنا أن أحدنا أصيب على خدّه وعلى مقربةٍ من عينيه. بعد هذه الحادثة، بتنا نضع النظارات الواقية على أعيننا».

عندما أعرض هذه التجربة في جلساتي التدريبية، كثيراً ما أقول مازحاً: «أليست هذه لعبة تقليدية عند الفتيان؟» في معظم الأحيان، يعبّر أحد الأهالي أو المدرّسين عن رفضه لما قلته، خصوصاً وأنّ ما كان يجب القيام به، بعد إصابة الفتى على خدّه، هو التوقف عن اللعب.

من المنطقي قول ذلك، إلاّ أنّ الجميع، وبعد نهاية الجلسة التدريبية، يتفقون على أنّ النشاطات الذكورية تشير إلى تمتع الفتيان بطاقة متمثلة بالحركة الجسدية. حتى عند قيامهم بالمطالعة، يقوم الفتى بتحريك ساقيه أو بقضم أظافره أو بمراقبة ما يجري من حوله. إنّ طاقة الذكور تجعل من تجربتهم التعلّمية قائمة على المجازفة مثل وضع النظارات الواقية والاستمرار باللعب، وإن كانت اللعبة خطرة. تتمثل هذه الطاقة بكثير من الحركة الجسدية ومن تحريك مختلف الأغراض. قد تكون هذه الطاقة تنافسية، ولكنّ ذلك ليس أمراً ضرورياً. تتطلّب هذه الطاقة في بعض الأحيان التفوّه ببعض الكلمات ولكنّها تعتمد على السكوت في معظم الأوقات. يتعلّم الفتيان عادةً وهم يثيرون الفوضى في المكان مثل اللعب في الظلام أو رمي الأسهم. كثيراً ما تعتمد الطاقة لدى الفتيان على القيام بعمل واحد وليس بعدة أعمال في الوقت نفسه.

إنْ وصلنا إلى إجماع بأنّ الطاقة هذه تسمّى بطاقة الفتيان، يسعنا عندها أن نتفق على أنّها إحدى أهمّ مصادر القوة في أيّة حضارة. يتمّ تشييد منازلنا وأبنيتنا من خلال هذه الطاقة التي تنشأ منها شوارعنا وتنطلق مركباتنا الصاروخية بسببها. إنّ فتياننا هم ممن يستخدمون ألعاب الفيديو التي تعتمد على الحركة كأساس لها. بعض هؤلاء الفتيان هم من يصبحون في ما بعد المتسابقون في حلبات السيارات التي نستمتع بمشاهدتها وعلماء الفضاء الذين يتحدّون الزمن والمساحات الكونية. هؤلاء الفتيان هم من سيصبح منهم الجندي الذي يحمينا والمعلّم وعامل البناء وصاحب المتجر والكاتب. يتعلم الفتيان من تجاربهم التي قد تبوء بالفشل أحياناً، إلاّ أنّ أخطاءهم هذه هي التي تجعل منهم رجالاً ناجحين في المحاماة والرياضة والإدارة وفي مختلف المجالات التي تنشر التجديد وروح الشباب في مجتمعاتنا.

إنّ الفتيان محصّنون بقوّة جسدية وبعزم يؤهلانهم لمواجهة الحياة وصعوباتها. يكتسب الفتيان هذه القوّة، التي لا تعني عدم تمتّعهم بالحنان والرقة، وذلك من خلال التجارب القاسية التي يمرّون بها والتي قد لا يراها البعض أو قد يتجنبها ويخاف منها. إنّ محور حركة الفتيان وإنّ أساس كل ما يقومون به هو عقولهم.

هل ينطبق الأمر نفسه على الفتيات؟ إنّ عقولهن هي المحرك الرئيس للكثير من تفاصيلهن الحياتية، فالفتيات قادرات على التألّق في عالم الرياضة، كما وأنهنّ يصبحن نساءً يقدن الطائرات ويقمن بمختلف الاكتشافات، نساءً يحترمن القيم ويحافظن عليها في مجتمعاتهن وبلادهن. يدخل بعض هذه الفتيات عالم المحاماة أو الطب أو الهندسة. كل هذه الأمور صحيحة وعالية الدقّة، إذ إن التركيز على طاقة الفتيان لا يعني التقليل من قدرة الفتيات والنساء أو التشكيك في حياتهن ونجاحاتهن. إلاّ أنّ هذا الاهتمام بطاقة الذكور هو بمثابة النظر إلى

مرآة مقعّرة. بالرغم من محاولاتنا المستمرة للوصول إلى التساوي بين الجنسين، فإنّ دراستنا لقدرة الفتيات الفكرية تجعلنا، وبشكل مباشر أو غير مباشر، نقارنها بالفتيان، خصوصاً وأنّ الاختلاف بين الجنسين واضح. أحسست بهذا الاختلاف عندما كنت ألعب مع بناتي، كما وشعرت به عندما لم تستطع كاثي اللعب مع أبنائها بالخشونة نفسها التي كانت تتمتع بها حركات أجسامهم. إنّ هذا الاختلاف لا يقلّل من حبّ الأهل لأطفالهم ولا يؤثر على رغبة المدرّس أو المدرّسة بالتعليم، إلاّ أنه واقع نلتمسه كلّ يوم.

إن هذه الطاقة تبرز في أيّ عمل يقوم به الفتيان، وإن كان لغوياً كالقراءة والكتابة وإلقاء الخطابات، وهناك القليل من الفتيات اللواتي لا يلاحظن هذه الطاقة. هناك عدد قليل من الأمهات اللواتي لا يدركن أن لدى أولادهن موهبة ملفتة للنظر كلّما تعلّق الأمر بالتعلّم وبفهم العالم من خلال اللعب مع الآخرين. يبرع الفتيان في التعلّم في مجموعات تقوم بتسلّق الجدران أو بالتعلّم في جوّ يملؤه الصخب والحركة والمتعة التي تخلو من الحساسيّة المفرطة والشجار. يتحمّل الفتيان الخسارة ويواجهون الفشل بالمحاولات المستمرة، وأكثر ما يسعدهم هو تلقّي الثناء عند ابتكارهم فكرة جديدة وناجحة. يتوق الفتيان إلى سماحنا لهم بالتحرّك بحريّة وكأنّهم مخلوقات بدائية، كما ويعشقون التعلّم في أماكن مظلمة. إن طبيعة الفتيان هذه تظهر وبشكل واضح في أشعار مارك ستراند الذي يعتبر أنّ الأولاد لا يتحرّكون بهدف كسر الأغراض التي تعترض طريقهم بل بغية الحفاظ عليها كأجسام متكاملة.

يشعر جميعنا بهذه الطاقة لكن أصبح بوسعنا الآن فهمها بشكل علمي. لم يدرك تشارلي وأصدقاؤه بأنهم سيصبحون أساساً لعلم جديد، إلاّ أنّ ذلك هو ما حصل بالفعل، إذ إنّهم يوضحون مدى تأثير طاقة الفتيان على قدرتهم الفكرية وعلى أدائهم في المدرسة (تجدون في لائحة المراجع في نهاية الكتاب عدداً من

الكتب والمصادر الأخرى التي يمكنها إطلاعكم بشكل أشمل على نتائج الفحوصات والأشعة التي ساعدتنا على دراسة عقول الأولاد).

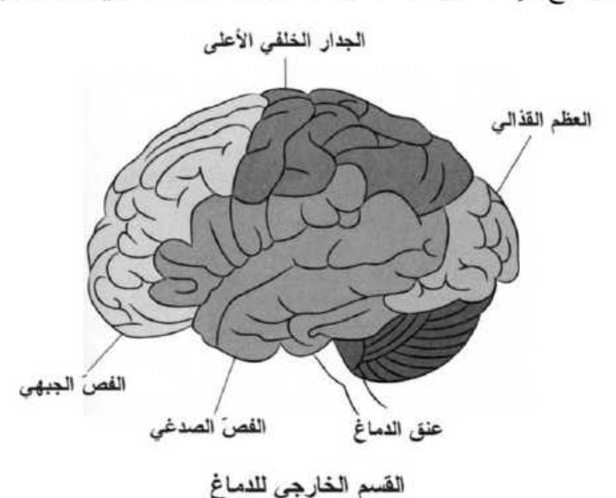
الدماغ عند الذكور:

إنّ الأساليب الحديثة المتّبعة في عالم الأشعة تمكّننا من رؤية الاختلافات التركيبية والوظيفية بين عقول الفتيان والفتيات. إنّ دراسة أية صورة أخذت بواسطة الأشعة لأدمغة الإناث والذكور أثناء القيام بأي عمل تظهر اختلافات في حركة أجزاء هذه الأدمغة وفي مستوى الحركة الدماغية في هذه الأقسام القشرية. إنّ هذه الدراسات هي أساس عملنا، إذ أنها جعلت من الممكن تحديد اختلاف طبيعة الفتيان وطريقتهم في التعلّم.

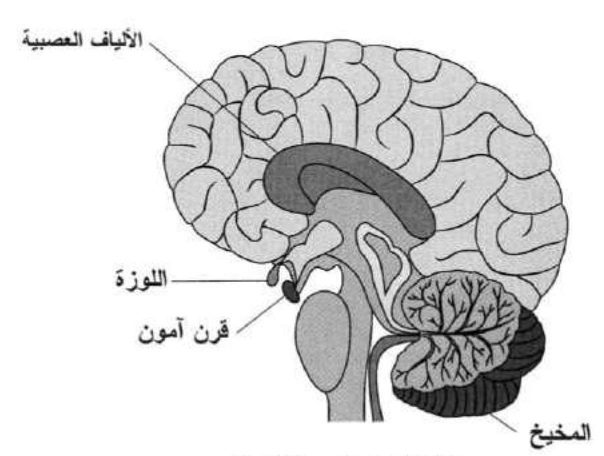
أعلنت نانسي فورجير مؤخراً من مكان عملها في جامعة ماسيتشوستس في منطقة آمهيرست أنّه قد تمّ تحديد ما لا يقل عن مئة اختلاف بين أدمغة الإناث والذكور. تتعاون نانسي مع باحثين آخرين ستتعرفون إليهم في هذا الكتاب مثل جيل غولدشتاين وهي أستاذة محاضرة لمادة الطب النفسي في كلية الطب في جامعة هارفرد. تقوم جيل بدراسة الاختلافات الدماغية بين الذكور والإناث وذلك بحثاً عن علاجات جديدة لأمراض تصيب الجنسين. إنّ نتائج هذه الأبحاث العلمية هي ما نعتمد عليه، كاثي وأنا، في محاولتنا لابتكار استراتيجيات جديدة تساعد الأهل والمدرّسين في عملهم مع الفتيان والفتيات.

نذكر في «هل كنت تعلم» بعض ما توصلنا إلى رؤيته من خلال دراستنا البيولوجية لما يجري داخل الدماغ لدى الذكور. يمكنكم رؤية أقسام الدماغ المختلفة من خلال الرسوم التي تظهر لكم شكل الدماغ، كما وتستطيعون الانتباه إلى الاختلافات في الدماغ بين الذكور والإناث من خلال صور الأشعة التي أضفناها إلى كتابنا هذا.

كلّما كان استعمال المعلّمة للكلمات وللوصف أقلّ كثافةً، اصبحت مسألة الاختلاف في الدماغ أكثر أهمية. بشكلٍ عام، يعتمد الدماغ عند الذكور على العناصر المكانية والمتحرّكة أكثر من الدماغ عند الإناث. لذا، فإنّ الذكور يتأثرون بشكل أكبر بالرسوم البيانية والصور والأشياء المتحركة أكثر من تأثرهم بالكلمات وبرتابتها. إن استخدمت المعلمة الكثير من الكلمات، فإنّ ذلك يؤدي إلى ملل الذكور وعدم تركيزهم على ما تقوله أو حتى إلى استغراقهم في النوم. إنّ هذا الأمر لا يحصل مع الإناث، وما هذا إلاّ أحد الاختلافات بين الجنسين.



القسم الخارجي للدماغ



مقطع عرضي للدماغ
أشرف على هذه الرسومات كيفن رو وريتشارد شيبيرد

هل كنت تعلم؟

● يقوم الفتيـان بعدد أكبـر من الأفعال المندفعة والمجـازفة بسبب ارتفاع مستوى الدوبامين في الدم. يؤدي هذا الأمر إلى تدفق المزيد من الدم إلى المخيخ (يتحـول الـ L-dopa وهو حـامض أميني في الدمـاغ إلى دوبامين). تسـاهم هذه العوامل في جعل الفتيـان يتمتعون بقدرة تعلّمية أقل من قدرة الفتيات عندما يجلسون بهدوء في أماكنهم. يحتاج الفتيان إلى الحركة للتعلّم بشكل أفضل، إذ إن هذه الحركة ضرورية لتعمل الوظائف الذهنية لديهم بشكل أكثر سلاسةً.

● إن الألياف العصبية في دماغ الفتيان أكبر حجماً من نظيراتها في دماغ الفتيات (قد يصل الفرق إلى 25 بالمئة). أظهرت الدراسات أنّ الألياف الأنثوية تسمح للتواصل بين النصفين الدماغيين، ممّا يؤدي إلى قدرة الفتيـات على الانتقال من وظيفة إلى أخرى بشكل أكثر سهولة من الفتيان.

● في الفصّ الصدغي الأنثوي أعصاب أكثر قوة من تلك الموجودة عند الذكور. تعمل هذه الأعصاب على تعزيز الذاكرة الحسّية والقدرة السمعية. يلتقط الفتيان عادةً عدداً أقل من التفاصيل التي يتفوّه بها الآخرون، ويحتاجون إلى عدد أكبر من التجارب الحركية لضمان التعلّم.

● تعمل الذاكرة بشكل مختلف عند الجنسين. يحتاج الفتيان إلى مزيد من الوقت لتخزين المعلومات التي يحصلون عليها في الصف وخاصةً ما يكتب منها. إلاّ أنّ الذاكرة الذكورية تسهّل عملية تخزين المعلومات على شكل لوائح. لذلك، فإنّ المعلومات التي تُعطى للفتيان بهذا الشكل الذي يعتمد على التصنيف يسهّل عملية التخزين.

● يكثر نشاط الفصّ الصدغي عند الإناث وينمو بشكل أسرع مقارنةً بالذكور. لذلك، تتخذ الفتيات عدداً أقل من القرارات المندفعة. كان هذا الاندفاع

أكثر أهمية في الماضي عندما كانت التجربة التربوية تعتمد على الطبيعة وعلى العمل المنفرد.

● تنمو الأقسام الدماغية المسؤولة عن اللغة بشكل أسرع عند الفتيات. في الدماغ الأنثوي استخدام أكبر لهذه المراكز اللغوية المسؤولة عن الكلمات والتعابير.

● لدى الفتيات كميات أكبر من الأستروجين والأوكسيتوسين، ولهذه المواد تأثير مباشر على الكلمات واستخدامها. لدى الفتيان كمية أكبر من التوستسترون المتعلّق بالجنس والعنف بشكل مباشر. يرتفع مستوى الأوكسيتوسين عند الإناث عند تواصلهن الشفهي مع الآخرين. لدى الفتيان كمية أقل من الأوكسيتوسين وقدرة لغوية أقل، ممّا يؤدي إلى عدم تعلّمهم بالشكل نفسه عند الجلوس والتحدث. لا يميل الفتيان إلى ذلك بسبب طبيعتهم الفطرية، ويتعلّمون بشكل أفضل عند قيامهم بحركات مختلفة أو بنشاطات تنافسية أو بأفعال عنيفة (سيتعرض الفصل الرابع إلى هذه المسألة).

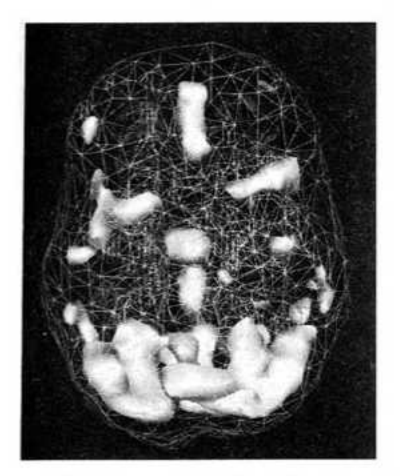
● يستخدم الفتيان مساحة أقل من الدماغ بسبب تقسيمهم له إلى أجزاء مختلفة. يعمل الدماغ الذكوري بكمية دماء تقل بنسبة 15٪ عن الدماغ الأنثوي. كما لا يعتمد تعلّم الفتيان على القيام بعدد كبير من الوظائف في الوقت نفسه. لذلك، فإنّ أداء الفتيان يصبح أفضل عندما يعطون اهتمامهم الكامل إلى وظيفة واحدة. يسوء أداؤهم عندما ينتقلون من وظيفة إلى أخرى بشكل سريع، خصوصاً وأنّ ذلك يؤدي إلى شعورهم بالإحباط. إنّ الإحباط يرفع مستوى الكورتيزول المعزّز للضغط النفسي ويزيد من الأدرينالين في الدم. لذلك، فمن غير المفاجئ أن يتسبب الذكور بعدد أكبر من المشكلات السلوكية في الصفوف.

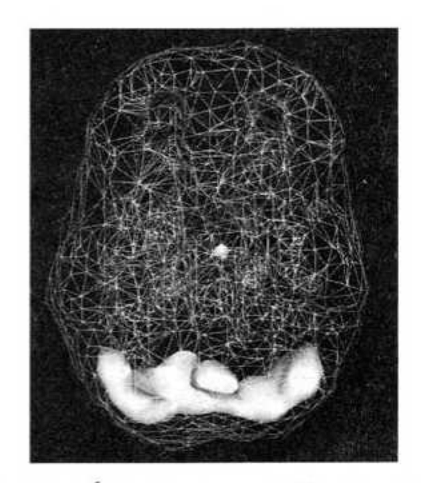
● تعمل الأبحاث على دراسة جنس الطفل وعلاقته بالأقسام الدماغية، بما في ذلك القسم القذالي (المسؤول عن الوظائف البصرية) والقسم الجداري

(المسؤول عن الحركة والرياضيات) وعنق الدماغ (المسؤول عن الحركة اللاإرادية وعن الوظائف الجسدية الضرورية كدقات القلب والتنفس والحرارة).

● إنّ تكوين الدماغ الذكوري يجعله قادراً على تجديد نفسه وإنعاشها من خلال الاعتماد على أوقات مخصصة للراحة، وفقاً للعالم روبين جار المتخصّص بالأعصاب. إنّ هذا التشديد على الراحة يؤدي إلى شعور الفتيان بالنعاس في الصف وإلى استغراق الرجل في النوم أثناء مشاهدته للتلفاز بعد يوم شاق. تظهر صور الأشعة ضرورة أوقات الراحة هذه، ولكنّها تتسبّب بالكثير من المشكلات في الصف. يشكّل الفتيان أكبر نسبة من الطلاب الذين تتشتّت أفكارهم وهم ينجزون فروضهم والذين ينامون أثناء المحاضرة أو الذين يتململون ويحاولون إبقاء أنفسهم على درجة معينة من التركيز بواسطة ضرب الأقلام على الطاولات.

● في دماغ الفتيات تدفق أكبر للدم ممّا يجعلهن أكثر قدرة على التركيز. قد تشعر الفتاة بالملل أثناء محاضرة ما، ولكنّها تستطيع أن تبقى متيقظة وأن تدوّن الملاحظات. توصل روبن جار إلى أنّ في الدماغ الأنثوي وفي حالة الركود عدداً متساوياً من الوظائف التي وجدها في العقل الذكوري أثناء محاولة حلّ المسائل الحسابية. لذلك، فإنّ الراحة الذهنية تختلف بين الجنسين، خصوصاً وأنّ الدم يتدفق بالكمية نفسها في دماغ الإناث حتى في أوقات الراحة. أمّا تدفق الدماء في دماغ الذكور، فإنّه يتقلّص في هذه الحالة.





في الجهة اليسرى صورة أشعة لدماغ فتاة، وفي الجهة اليمنى دماغ فتى. إن الدماغين في حالة ركود. لاحظوا العدد الأكبر من الوظائف في دماغ الأنثى. (أخذت هذه الصورة من قبل د. دانييل آيمين)

الفتيان والتفاوت في القراءة والكتابة:

ما هذه الاختلافات إلاّ أبسطها، لكنّ الانتباه إليها يساعد المدرّسين بشكل كبير وفوري ليفهموا بعض الأمور التي يختبرونها في المنازل وفي المدرسة. لعلّ أهم هذه الظواهر هو السبب الذي يجعل من الفتيات متقدّمات على الفتيان بحوالي سنة أو سنة ونصف في قدراتهنّ اللغوية أي القراءة والكتابة. إنّ هذا التفاوت يمتدّ من السنوات المدرسية التمهيدية إلى الصفوف المتقدّمة وذلك وفقاً لوزارة التربية الكندية وللدراسة التي أجرتها جمعية التعاون الاقتصادي في 35 بلداً صناعياً أخرى (كما ذكر في الفصل الأول). إنّ أدمغة الفتيان غير مركّبة بالطريقة نفسها التي تجعل من الفتيات متفوقات في المواد التي ترتكز على القراءة والكتابة وتركيب الجمل. لذا، فإنّ أي مجتمع يشدّد على هذه القدرات اللغوية هو مجتمع تكثر فيه المشكلات عند الفتيان والشبّان. الفتيات قادرات على التعامل مع صعوبات القراءة والكتابة وذلك بسبب تكوين أدمغتهن التي تتألف من أقسام كثيرة مهمتها الرئيسة هي الوظائف اللغوية التي تتمحور حول حفظ

المعلومات بشكل سريع، والتركيز والإصغاء إلى الآخرين مطوّلاً، إضافةً إلى القدرة على القيام بعدّة وظائف كلامية في الوقت نفسه.

التعارض بين الفتيان وأساليب التعليم التقليدية:

لقد سبق ولّمحنا إلى هذا التعارض، إلاّ وأنّه أصبح بإمكان الأهل والمدرّسين، وبعد أن شرحنا تكوين الدماغ عند الذكور، أن يواجهوا مشكلة عدم توافق مدارسنا وأنظمتنا الأكاديمية مع قدرة الفتيان على التعلّم.

هناك عدد هائل من الفتيان الراسبين الذين لا يبذلون أيّ جهد في صفوفهم والذين يعانون من مشكلات سلوكية. من الضروري أخذ هذا الواقع بعين الاعتبار مع محاولة عدم حصر التفكير بالتفاوت اللغوي بالرغم من أنّ ذلك يشير بمفرده إلى سبب الاختلاف بين الجنسين. إن فكرنا بذلك الواقع، يمكننا أن نلاحظ العديد من العناصر الذكورية التي تشكّل تضارباً بين الفتيان والنظام التعليمي التقليدي، ومنها:

- لقد كان النظام التعليمي في السابق يعتمد على أساليب تحثّ الطالب على التعاون، ممّا ينشئ علاقات وثيقة مع الآخرين. بينما كانت الصفوف تعتمد على التدرّب والإرشاد والتمرّن اليدوي، أصبحت الآن مرتكزةً على أسلوب واحد يعتمد على التعلّم في مجموعات تقوم بأعمال لغوية لا تتطلّب أي مجهود جسدي.

- لم يعد التعليم يعتمد على الحضور إلى المزارع أو في الأسواق أو على الذهاب في رحلات تثقيفية. أصبحت وسيلة التعليم الرئيسة هي الكتاب.

- أصبحت الحركة الجسدية عائقاً بعدما كانت في الماضي إثباتاً على طاقة الطالب وحيويته ورغبته بالذهاب إلى أيّ مكان بغية التعلّم.

لقد أصبح الطالب مجرّد شخص يقرأ في كرّاسه المدرسي، وأصبح النظام التعليمي مرتكزاً على ذلك وخصوصاً في السنوات الخمسين الأخيرة. ليس ذلك

أمراً سيئاً للغاية إلاّ أنّ ذلك لا يتوافق كلّياً مع قدرة الفتيان الفكرية. لا بدّ وأنّكم التمستم هذا التعارض بين النظام التعليمي والفتيان في منازلكم وفي المدارس. إنّ الفتيان يحاولون بصعوبة التعلّم بالطرق المتوفرة لديهم، ممّا يحبط المدرسين والعائلات ويتسبّب باعتبار الفتيان طلاباً فاشلين يصعب عليهم التعلّم الأمر الذي يؤثر على ثقتهم بأنفسهم.

في جلسة تدريب نُظمت مؤخراً في مركز غوريان تحوّل الحديث عن طاقة الفتيان وقدرتهم الفكرية إلى مناقشة عن المشكلات التي تواجه أبناءنا. طرح أحد المدرّسين الموجودين سؤالاً بالغ الأهمية يتمّ التطرّق إليه في أية جلسة تتمحور حول طبيعة الإنسان: «هل علينا الاستمرار في محاولة تغيير فتياننا وطاقتهم؟ أم هل علينا تغيير النظام التعليمي؟» توسعت مدرسة أخرى في المسألة وسألت إن كانت مسألةً بيداغوجية بحتة أم هاجساً أخلاقياً ومعنوياً.

علينا الإجابة على هذه الأسئلة، خصوصاً ونحن محصّنون بمعلومات علمية عن طبيعة أبنائنا.

إن كنتم تتفقون مع الأفكار التي تمّ عرضها في الفصل الأول ـ أي أنّ هناك مشكلة تعليمية تواجه الفتيان بالرغم من أنّ الكثير منهم ناجحون ـ وإن كنتم توافقون على أنّ العلوم الحديثة قادرة على إظهار المسار التعليمي للفتيان، المسار الذي يتعارض ومعظم الأساليب التعليمية المستخدمة في يومنا هذا... إن كانت تلك هي وجهة نظركم، فلا بدّ أنّكم تودّون تفسير مشكلة الفتيان وانسحابهم من المدرسة ورسوبهم وأخذهم جرعات من الريتالين وشعورهم بالخلل التعليمي. هل كل هذه الأمور مجتمعةً تشكّل مشكلة أخلاقية ومعنوية تواجهها مجتمعاتنا؟

ما نعتقده، كاثي وأنا، هو أنّ المسألة تكون أخلاقية في كل مرة يحاول المدرّسون فهم السبب الذي يدفع الفتيان إلى خلق المشكلات السلوكية في الصف. يحاول المدرّسون إيجاد تفسير لهذه المسألة في كلّ مرة يناقشون السبب

الذي يجعل المعدّل العام للامتحانات منخفضاً تحت تاثير علامات الفتيان المتدنّية. كما ويطرح الأهل السؤال نفسه عندما يتعذّبون لاتخاذ القرار المتعلّق بإعطاء أبنائهم جرعات من الدواء لحلّ المشكلة، المشكلة التي يدركها الفتيان أنفسهم كلّما شعروا أنّ هناك زملاء لهم يتعلّمون بشكل أسهل خالٍ من العوائق.

«هل علينا الاستمرار في محاولة تغيير فتياننا وطاقتهم؟ أم هل علينا تغيير النظام التعليمي؟».

للإجابة عن هذا السؤال، على المدرّسين والأهل والمدرسة أن يقرروا ما يجب تغييره في المنازل والصفوف والمجتمع. عليهم أن يحدّدوا ما يجب تطويره في طبيعة الأولاد أو في طريقة تعلّمهم وتعليمهم، إضافةً إلى ما في المجتمع من عناصر يجب تحسينها. كما عليهم اختيار ما لا يجب العبث به وما لا يمكن لأحد المساس به إن كانت الغاية هي الوصول إلى وضعٍ تعليمي أفضل. من خلال تحديد كل هذه التفاصيل، تتمّ الإجابة، بشكل مباشر أو غير مباشر، على الأسئلة التالية:

- كم تسهل عملية تغيير طبيعة الذكور وقدرتهم الفكرية لتتماشى والنظام التعليمي في البلاد الصناعية؟

- كيف يمكننا تحسين النظام والوصول إلى نتائج أفضل تضمن نجاح الفتيان أكاديمياً؟

- كيف يمكن تغيير النظام التعليمي الحالي ليتوافق مع أدمغة الذكور ولنصل إلى أفضل النتائج التي نرغب بأن يحصدها أبناؤنا؟

أتمنى أن تكون هذه الأسئلة قد قامت بحثّكم لمحاولة حلّ المشكلة ولقراءة الصفحات التالية. إنّ المنطق المستخدم في إجاباتنا عن هذه الأسئلة مبنيٌّ على أبحاث علمية تساعدنا على حلّ الأزمة التي نعاني منها.

تصحيح فكرة تعليمية خاطئة:

قامت جانيس كونداي وهي أمٌّ لثلاثة فتيان بمشاركتنا تجربتها التالية:

قبل تقاعدي، كنت مدرّسة للّغة الإنكليزية ومستشارة مدرسية. قمت بتربية أبنائي جميعهم بالطريقة نفسها، معتمدةً على أن أقرأ معهم من اليوم الأول، أتحدث معهم، أضمّهم وأمنحهم ما يحتاجون إليه من حنان ورعاية. كانت إحدى أولوياتي التأكّد من تربيتي لفتيان حسّاسين يحبّون القراءة ويعبّرون عن أحاسيسهم عبر البكاء، غير آبهين بنظرة المجتمع المقولبة. كنت أرغب بأن يكبر أولادي ويصبحوا أزواجاً مهذّبين ومحترمين يتبادلون الآراء ويتحدثون مع زوجاتهم.

كبر أبنائي وأصبحوا شبّاناً فاضلين إلاّ أنّ ذلك لم يتمّ بالشكل الذي خططت له. كبر أحدهم وفي داخله حبّ عميق للمعرفة ولتغذية روحه وذلك من خلال عمله كصحافي ومن خلال حبّه للقراءة، هذا الحبّ الذي لطالما أظهرته أمامه وزرعته فيه منذ الصغر. لطالما كان قارئاً ماهراً، إلاّ أنّ ابنيّ الآخرين اكتفيا بما كان تعلّم اللغة الإنكليزية يتطلّبه، دون القيام بأي مجهود إضافي. صدمني هذا الواقع في بداية الأمر. مهما حاولت وبالرغم من محاولتي الدائمة للتأثير عليهما، لطالما واجهت الفشل برفضهم لوالدتهم - معلّمة اللغة الإنكليزية - حتّى أنّهما كبرا وهما يفتقدان إلى حبّ تبادل الآراء والأحاسيس.

فكّرت كثيراً بأبنائي، خصوصاً خلال مطالعتي الدائمة لنتائج الأبحاث العلمية الخاصة بالدماغ. أعلم أنّ للأهل وللمدرسة تأثيراً كبيراً على الطفل، إلاّ أنّني أودّ معرفة نوع هذا التاثير. أعلم أنّ دماغ الإنسان قابلٌ للتغير، إلاّ أنّ ذلك لا يعني بالضرورة أنّنا قادرون على تغييره ليتوافق مع ما أريده أو مع ما يرغب به النظام التعليمي. لطالما قمت ومدارس أولادي ما بوسعنا لينموا بالشكل الذي رأيناه مناسباً، إلاّ أنّ أبنائي قاوموا ذلك باستمرار. من الممكن أنّنا لا نملك القدرة

على التاثير على الفتيان بالشكل الذي رسمناه لأنفسنا. قد يكون تأثيرنا عليهم مختلفاً تماماً عمّا نريده. لقد حثّني أبنائي على إعادة النظر في دور المدارس والأهل في جعل الفتيان يتعلّمون بالطريقة التي يرونها مناسبة.

إنّ وجهة النظر التي عبّرت عنها جانيس بغاية الأهمية خصوصاً وأنّ هدفنا هو تطوير النظام التعليمي وتغيير الأساليب المتّبعة في مجتمعاتنا لتعليم الفتيان. إنّ إحساسها بعدم تأثر عقول الفتيان بالمجتمع وبما يحاول فرضه عليهم هو أمر يحثّنا على التفكير بالمسألة. هذا الشعور نفسه الذي عبّرت عنه جانيس هو ما دفع الأساتذة المشاركين في ورشة العمل إلى طرح السؤال حول إمكانية تغيير الفتيان أو وجوبيته.

هل يمكننا تغيير فتياننا؟

لقد تلقّنت جانيس، كما لقّن المجتمع جميعنا، أنّ قدرة الأطفال الفكرية تتأثر بالبيئة المتواجدة فيها لدرجة أنها بمثابة صفحة بيضاء تمتلئ مع الوقت. لذا، فإنّ طريقة تفكير هذا الطفل تغدو ذكورية أم أنثوية نتيجةً للتأثيرات الاجتماعية. من هذا المنطلق، ولأنّ المجتمع هو ما يؤثر على جنس الطفل وليس طبيعته عند الولادة، فإنه من الممكن الاستنتاج بأنّ طريقة تفكير الفتى (أو الفتاة) تتبلور بالطريقة التي نريدها والتي يحدّدها النظام التعليمي في الدول الصناعية.

عندما أمعنت جانيس التفكير بأبنائها وكيف غدوا، شعرت بأنّ عليها إعادة النظر في آرائها وأفكارها. أدركت أنّ هناك أموراً أساسية يتمتع بها أبناؤها ولم تستطع هي أو المدرسة تغييرها.

وصلت جانيس إلى استنتاجاتها عن عقل الذكور معتمدةً على تجربتها كأم وكمعلّمة، إلاّ أنّه اطّلعت أيضاً على الأبحاث التي نشاطرها وإياكم في هذا الكتاب. من الضروري الاستعانة بما تظهره صور الأشعة عن الدماغ، خصوصاً

عندما يكون الهدف هو دراسة أسباب المشكلات التي يواجهها الفتيان في مدارسهم والوصول إلى حلول مناسبة تتوافق وطبيعة هؤلاء الفتيان.

إنّ المثير للاهتمام في هذه المسألة هو أنّ جانيس لم تعد مضطرة إلى تقييم استنتاجاتها المبنية على تجربتها الخاصة. فإنّ صور الأشعة للدماغ تظهر طبيعة طاقة الفتيان، وهي ما يجب أن نتسلّح به لنفرض التغيير على مجتمعاتنا ولنصحّح الأفكار التعليمية الخاطئة. لم يعد من المقبول التفكير بأنّ عقول الفتيان مرنة ويمكن العبث بها وتغييرها، غير آبهين بطبيعة أبنائنا وطاقاتهم وأساليبهم في التعلّم.

أصبح من الواضح أنّ تفكير الأطفال يميل إلى تفكير الذكور أم الإناث وفقاً لتكوين الدماغ، ممّا ينفي الفكرة الخاطئة التي تعتبر أنّ الإنسان قادرٌ على أو يحتاج إلى إعادة هندسة العقل ليتماشى مع النظام التعليمي الحالي أو مع النظريات السائدة.

كيف يتم تحديد الجنس في الدماغ:

يتمّ تحديد الجنس في الدماغ عبر ثلاث مراحل تمّ شرح أولها من خلال الدراسات الوراثية. أمّا المرحلة الثانية، فقد توصّلت إليها الأبحاث الهرمونية الخاصة بعلم الغدد. أخيراً، تم تفسير ما يجري في المرحلة الثالثة من قبل البحوث النفسية والاجتماعية.

المرحلة الأولى: عندما يتمّ الحمل، تتكوّن الكروموسومات التي تشير إلى جنس الجنين. لقد قام الباحثون في جامعة كاليفورنيا بتحديد هذه الكروموسومات التي تتشكّل في دماغ الجنين والتي تؤدي إلى نموّ الذكر أو الأنثى.

المرحلة الثانية: تقوم هذه الكروموسومات بإفراز كميات كبيرة من الهرمونات الذكورية والأنثوية، ويتمّ ذلك في رحم المرأة، ممّا يؤدي إلى تكوين الدماغ على

الشكل الأنثوي XX أو الذكوري XY بين الشهرين الثاني والخامس، يتمّ إفراز أكبر كمية من الهرمونات في الرحم وبشكل متكرر. يتمّ تحديد جنس الجنين، ويتكوّن الدماغ وفقاً لذلك، بعد أن يتمّ إفراز التوستسترون وغيره من الهرمونات. توصّل الباحثون إلى ذلك عبر دراساتهم في مختلف الجامعات حول العالم، ومنها: جامعة لندن، وجامعة ماكماستر في كندا، وجامعة كاليفورنيا وجامعة بينسيلفانيا.

المرحلة الثالثة: يولد الطفل ذكراً أو أنثى ويظهر جنسه لوالديه وللمجتمع من خلال تصرّفاته وكلامه في ما بعد. ما يؤدّي إلى كون هذه الحركات والكلمات ذكورية أو أنثوية هو التكوين البيولوجي للدماغ الذي يعتمد على عوامل وراثية. يقوم من حول الطفل بترجمة هذه الإشارات والصفات، ويشمل ذلك والديه وأقاربه ومن ثمّ مدرّسيه والطاقم المدرسي وأفراد المجتمع الذي ينتمي إليه. لذا، فإننا ندرك جنس الطفل من خلال هذه التصرفات ومن خلال ما يقوله الطفل في ما بعد. أصبح من الممكن دراسة ما يجري داخل الدماغ بواسطة النظريات القائمة على صور الأشعة، وتتمّ هذه الدراسات في مختلف أقطار العالم، بما في ذلك جامعة دينفر وجامعة هارفرد.

من المهم التذكّر أنّ هذه الدراسات لا تعتمد على عامل واحد دون سواه، أي أنّها تدرك أهمية التفاعل بين عاملي الطبيعة والبيئة في تحديد الجنس. كما وأنّ الباحثين يقومون بدراسة القوى الوراثية والهرمونية والعصبية والاجتماعية في محاولتهم لمعرفة كيف يتمّ تكوين الدماغ على الشكل الأنثوي أو الذكوري.

كما وأنّ الباحثين يدركون أنّنا نولد ذكوراً أو إناثاً. منذ حوالي الثلاثين سنة، كان المفهوم الشائع يقوم على أنّ تحديد الجنس أمرٌ منوطٌ بالمجتمع وبتأثير البيئة على الطفل، إلاّ أنّ الأبحاث العلمية الحالية وضعت حدّاً لهذه الفكرة. إنّ جنس الطفل مسألة فطرية، إلاّ أنّها تتأثر بعد ذلك بالمجتمعات.

لماذا يكون التكوين الفطري للكروموسومات وللدماغ ذكورياً أو أنثوياً؟ لا يستطيع أي باحث إعطاء إجابة مؤكدة. يجيب مَنْ يعتبر الدين مرجعاً له في جميع المسائل، بما في ذلك طبيعة الإنسان، قائلاً إنّ الله خلقنا كذلك. تحاول الأبحاث العلمية في علم الأحياء التطوّري تفسير المسألة معتبرةً أنّ الاحتمال الأكبر هو أنّ الاختلافات بين الجنسين قد نشأت بسبب ملايين السنوات التي حصل فيها تطوّر الإنسان بعدما كان يعتمد على الصيد وعلى القبائل التي ينتمي إليها.

بما أنّ الذكور كانوا يصطادون الحيوانات، فإنّهم كانوا بحاجة إلى قدرة فكرية قوامها المهارات الحركية والهندسية. كان من المهم أن يروا ما حولهم بوضوح، إلاّ أنّهم لم يكونوا بأمسّ الحاجة إلى القدرة على الانتباه إلى التفاصيل. أمّا الإناث، فإنّ هذه المهارة من أهم ما اعتمدت عليه للعناية بأطفالهن بالشكل المطلوب. لذا، فإنّ دماغ الذكور كان مكوّناً بطريقة تضمن القدرة على الحركة الجسدية، فالدم يتدفق إلى القسم المسؤول عن هذه المهارة عند الذكور أكثر من الإناث. لم يكن من الضروري أن يتمّ تشغيل الأقسام الخاصة بالمهارات اللغوية، خصوصاً وأنّ تلك القدرات لم تكن مطلوبة أثناء عملية الصيد.

مهما كان مفهومكم، دينياً أو علمياً، فإنّ التقنيات الحديثة تسمح لنا برؤية الاختلاف بين الجنسين في تكوين الدماغ. لا يملك أيٌّ منا آلات لتصوير الدماغ بواسطة الأشعة، إلاّ أنّنا قادرون على الاطلاع على ما توصل إليه العلماء المختصون بعلم الوراثة أو الأحياء أو الاجتماع.

طبيعة الفتيان والفتيات في المنازل:

لن نحصر كلامنا بالدراسات الكروموسومية والهرمونية، لذا فإننا نطلب منكم التفكير بأبنائكم. هل تلاحظون تمتعهم بمهارات فطرية؟ هناك اختلاف بين

الأطفال وليست هناك صفات تنطبق على جميع الفتيات أو على كل الفتيان. إلاّ أنّ الأهل يلاحظون عادةً بعض النقاط المذكورة في «هل كنت تعلم؟»

التخلّي عن فكرة تعليم الجنسين بشكل موحد ودعم الطريقة الفعلية لتعلّم الفتيان

لقد اطلعتم على الأبحاث البيولوجية والاجتماعية التي تشدّد على الاختلاف في الدماغ بين الجنسين. هل من الممكن أن يغيّر المجتمع، المتمثل بالمدرسة أو العائلة أو البيئة ككل، تكوين الدماغ الذي يحدّده جنس الفتى؟ هل تستطيع الأمّ مثال جانيس تطوير الأقسام اللغوية في دماغه من خلال التحدث إليه أو بواسطة قراءتها للكتب أمامه؟ هل يجب أن تقوم المدرسة بإجبار الفتى على التعلّم بالطرق التي يعتبرها المدرّسون أقل تعقيداً؟

هل كنت تعلم؟

- منذ اليوم الرابع بعد الولادة، تبدأ الإناث بتمضية ضعف الوقت الذي يمضيه الذكور في النظر إلى عيون الراشدين. يظهر الاختلاف بين الجنسين في توثيق العلاقات وفي القسم الدماغي الخاص بالنظر منذ عمر الأربع سنوات.
- منذ عمر الأربعة أشهر، تتفوق الإناث على الذكور في معرفة الأشخاص الغرباء والقريبين. يبدأ الاختلاف في وظائف الذاكرة والحركة بين الجنسين منذ هذا العمر. يمضي الأطفال الذكور وقتاً أطول بالنظر إلى الأغراض المتحركة حولهم، بينما تميل الإناث إلى النظر إلى أولياء أمورهن بشكل مباشر.
- تنتبه الفتيات إلى الكلمات التي يتفوه بها أولياء أمورهنّ. تنمو الأقسام الدماغية اللغوية عند الفتيات بشكل أسرع من الفتيان.

• عندما يمسك الفتيان بالدمى، فإنّهم ينزعون رؤوسها أو يضربونها أو يرمونها أو يتعاملون معها بطريقة أكثر عنفاً ممّا تفعل الفتيات. أمّا الإناث، فإنهنّ يبدأن بالتحدث إلى الدمى في عمر مبكر. ينمو القسم اللغوي في دماغ الإناث بسرعة أكبر مقارنةً بالذكور، ممّا يجعل هذه المسألة غير مفاجئة. في الدماغ الأنثوي إفرازٌ لكميات أكبر من الأوكسيتوسين ممّا يحثّهن على توثيق العلاقات مع كلّ ما حولهن من أشخاص وأغراض. أمّا الذكور، فإنّهم يستخدمون الأغراض هذه كمجرّد أدوات للتعلّم من خلال الحركة.

ما هو موقفكم من هذه الأسئلة؟ إنّ العلوم الحديثة هي بمثابة تحدٍّ للأمهات والآباء والأجداد والمدرّسين وصانعي القرار، إذ إنّها توصّلت إلى خلاصةٍ تشرح العلاقة بين طبيعة الفتى وتجاربه الحياتية. نمضي بضع سنوات فقط ونحن نشرف على أطفالنا بشكل يومي ودقيق. ماذا نريد القيام به في هذه السنوات؟ ما هي الرعاية التي نرغب بمنحهم إيّاها وفقاً لطبيعتهم ولقدرتهم الفكرية المذهلة؟

إنّ الأطفال أفرادٌ يختلفون عن بعضهم وإنّ الجميع يتعلّم باستمرار مهارات وطرق تعبيرية جديدة. إلاّ أنّ الدراسات العلمية الحديثة تظهر أننا لا نستطيع تغيير القدرة الفكرية التي يحددها جنس الطفل ولا يمكننا أن نجعل الفتى جديراً في مهارةٍ ما أو في طريقة تعبيرية محدّدة ما لم تكن جزءاً من تكوينه العقلي. من المستحيل تغيير شخصية المرء ليتحوّل من إنسانٍ خجول إلى إنسان اجتماعي. ينطبق ذلك على القدرة الفكرية، إذ أننا لا نستطيع تغييرها عند الذكور ليصبحوا أكثر مهارةً في مجالات تتفوق فيها الإناث.

من المهمّ أخذ هذه المسألة بعين الاعتبار عند مناقشة وضع الذكور في نظامنا التربوي الحالي، خصوصاً وأنّ هذا النظام يقوم على مفهوم إمكانية تغيير القدرة الفكرية لدى الأطفال. بسبب هذا المفهوم الخاطئ، لا يتمّ تدريب المدرّسين

ولفت نظرهم إلى العلوم المعتمدة على فكرة الاختلاف بين الجنسين. يتمّ تجاهل هذه الناحية التنموية، ويظنّ المدرسون والأهل أنّ لا تأثير لجنس الطالب على طريقة تعلّمه وتعليمه. لذا، ينتشر مفهوم تعلّم الأولاد بالطريقة نفسها، ولا يعترف الكثير من المعلّمين وأولياء الأمور بإمكانية تعليم الأولاد وفقاً لجنسهم، الأمر الذي يؤدي حتماً إلى نتائج إيجابية.

تطالب الدراسات الحديثة بالتخلّي عن المفاهيم الخاطئة، وبذلك فإنّها تشكّل الخطوة الثانية نحو حل أزمة الفتيان التعليمية. عند تطبيق هذه الخطوة في المدارس، يُطلب من المدرّسين الاطلاع على صور الأشعة الخاصة بالدماغ عند الجنسين. كما ويتمّ تدريبهم على فهم الواقع المتعلّق باختلاف القدرة الفكرية والتعلّمية عند الذكور الإناث.

من الممكن تحقيق ذلك من خلال تصميمكم وتعاونكم مع المدارس. أصبح من الممكن الاعتماد على صور الأشعة لفهم التكوين الكروموسومي ولإدراك الاختلاف بين الجنسين في ما يتعلّق بدماغهم وبقدراتهم الفكرية. يمكنكم نشر هذه المعلومات في منازلكم ومدارسكم ومجتمعاتكم، إضافةً إلى جامعاتكم ومعاهدكم. بوسعكم لفت نظر المجتمع إلى عدم دقة المفهوم القائم على إمكانية تغيير القدرة الفكرية، كما وعليكم إظهار التاثير السلبي لهذه الفكرة على تجربة الفتيان التربوية. عندما تلتقون بذكور يعانون من مشكلات تعلّمية، يمكنكم تفسيرها بأنّ نظامنا التربوي لا يتماشى وقدرات الفتيان الفكرية. يعتبر هذا النظام أنّ هناك خللاً لدى الفتيان يمنعهم من التعلّم بطريقة سليمة. ويصرّ على أنّ هناك إمكانية لتغيير الفتيان. كما وينظر هذا النظام إلى الذكور على أنّهم أشخاصٌ لا يستطيعون تغيير أنفسهم، ممّا يعني أنّ هناك خللاً ما يتطلب أخذهم لجرعات معينة من الأدوية.

إن استمر مجتمعنا بالتركيز على المفهوم الخاطئ الخاص بإمكانية تغيير

القدرة الفكرية، فإنّ عدد الفتيان ذوي الأداء الأكاديمي السيئ سيزداد. سيستمر هؤلاء الذكور بالرسوب وبهدر السنوات دون تنمية مهاراتهم التي عليهم اكتسابها. كما وأنّ شعورنا بالإحباط بسبب عدم تغيّرهم سيبقى في نفوسنا في خضمّ هذه النزاعات والصعوبات.

مخطّط يحترم عقول الفتيان ويحميها

إن كنتم توافقوننا الرأي بأنّ النظام التربوي الحالي لا يأخذ قدرة الفتيان الفكرية وتكوين أدمغتهم بعين الاعتبار ولا يمنحهم الفرص التعلّمية المناسبة؛ وإن كنتم تعتقدون مثلنا أنّ على المدارس والمنازل بذل مجهود أقل لتغيير الفتيان ومجهود أكبر لمساعدتهم على التعلّم وفقاً لطبيعتهم، فإنّكم تستطيعون عندها أن تعتبروا أنفسكم جزءاً فعّالاً من الفرَق المدافعة عن حقوق الفتيان التربوية والمطالبة بحماية عقولهم واحترامها. يمكنكم الانضمام إلينا في عدم محاولتكم تغيير طبيعة الفتيان أو الفتيات وفي العمل لتحقيق هدفين هما:

1- التعبير عن طبيعة الطفل وتنميتها. إنّ طبيعة الطفل الفطرية هي أهم ما يؤثر على تعلّمه، وتتمحور مهمة من يساعد هذا الطفل على أن تظهر هذه الطبيعة وأن تنمو في بيئته.

2- التعويض عن المجالات التي يضعف أداء الطفل فيها بسبب طبيعته الفكرية. لا تبرز مهارة الطفل في بعضٍ من المواد بسبب طبيعته أو بيئته أو لأنّ لهذا الطفل سمات تعلّمية تختلف عمّن حوله.

يعرض الجزء الثاني من الكتاب ضرورة التعويض عن هذه المجالات التي يفتقر الطفل إلى المهارات المؤدية إلى نجاحه فيها. لذا، فإنّ الجزء التالي يقوم على الإرشاد إلى كيفية تحقيق هذين الهدفين. سنقدم المعلومات لقرائنا، ولكننا سنرفض النظريات المتمحورة حول ضرورة تغيير عقل الطفل، ذكراً كان أم أنثى،

للوصول إلى النجاح الأكاديمي. نعتقد أنّه من الخاطئ الاعتماد على أمل تغيير الطريقة الفطرية التي ينمو الطفل على أساسها كاساسٍ لتعليمه. إنّ ذلك يقلّص من حريته ويؤدي إلى الضغط على الطفل، ممّا يجعله غير مهتم بالمدرسة وممّا يعني أنّه قد يغيّر طبيعته.

من المهم أن يعبّر الطفل عن نفسه وأن يتعلّم كيفية التعويض عن ضعفه، ويكون بذلك يمارس إحدى وظائف الإنسان الطبيعية وهي التأقلم. يقوم الراشدون بحماية القدرة الفكرية للأولاد من خلال مساعدتهم على التأقلم وعلى استغلال طاقاتهم ومهاراتهم الفطرية تجاوباً مع حاجات المجتمع. إننا لا نحمي هذه العقول عندما نجعل الطالب يأخذ جرعات من الأدوية أو عندما نشاهده وهو يرسب دون أن نبذل جهدنا للحؤول دون ذلك.

ليس من السهل إلغاء المفهوم الخاطئ القائم على إمكانية تغيير القدرة الفكرية لكلّ جنس. كما وأنّ اتخاذ الخطوة الأولى من خلال تشكيل الفريق العائلي التربوي ليس أمراً بسيطاً. إلاّ أنّ تعديل المدارس والمنازل لتتماشى وحاجات أبنائنا وسيلةٌ تضمن مستقبلاً تربوياً عالي المستوى. ما قمنا به حتى اليوم لمساعدة الفتيات خير برهان على ذلك.

ما يشجعنا على مساعدة الفتيان هو النجاح الذي حقّقه مجتمعنا مع الفتيات، خصوصاً وأنّه توصل إلى نتائج باهرة في غضون عقودٍ قليلة. تمت في هذه السنوات مواجهة الكثير من أوجه المجتمع الذكوري والصناعي الذي يبرز فيه التمييز الجنسي، ممّا أدّى إلى تحسين وضع الفتيات والنساء. هناك الكثير من الخطوات الإضافية التي يجب اتخاذها، إلاّ أنّ ما حصل حتى اليوم تغييرٌ ملحوظ. خلال هذه العملية، لم يقم المجتمع بالضغط على الفتيات لتغيير قدراتهن الفكرية لينجحوا في النظام التربوي. لقد تعاون الجميع لتعديل النظام التعليمي ليتناسب وحاجات الفتيات.

لقد أضفنا الوظائف اللغوية في صفوف الرياضيات والعلوم، كما أننا قمنا بتدريب المدرّسين على استخدام الكتابة والمناقشات في هذه المواد. إضافةً إلى ذلك، فقد غيّرنا الأسلوب المتبع في الامتحانات ليشمل عدداً أكبر من الأسئلة التي تتطلّب إجاباتٍ طويلة. أخيراً، ابتكرنا طرقاً جديدة لتشجيع الفتيات في المنازل، خصوصاً وأنهنّ بحاجة فطرياً إلى التشجيع الشفهي.

لقد توصلنا إلى نتائج ملموسة متمثلة في عدم استمرار التباين بين الجنسين في الرياضيات والعلوم. أصبح أداء الفتيات في المستوى نفسه لأداء الفتيان، وهو أفضل في بعض الأحيان. تفوقت الإناث على الذكور في الرياضيات والعلوم في كاليفورنيا. كما وذكرنا في السابق، لم يعد أداء الفتيات سيئاً في معظم المدارس، بل أصبحن من المتفوقات. لقد تكلّلت محاولاتنا لتعديل النظام التربوي بالنجاح!

من المؤكد أنّ تغيير النظام ليتماشى وحاجات الفتيان أمرٌ أكثر صعوبة، خصوصاً وأنّ ما قمنا بتعديله من أجل الفتيات يزيد من المشكلات في تعليم الفتيان. في عملنا من أجل الإناث، لم نضطر إلى مواجهة المفهوم الخاطئ المتعلّق بإمكانية تغيير القدرة الفكرية. لم نعتبر يوماً أنّ الفتيات يعانين من خللٍ ما، بل لطالما اعترفنا بالعيب الموجود في النظام المدرسي. من الممكن تعديل هذا النظام لمساعدة الفتيان (دون إلحاق الضرر بالفتيان)، وهو أمرٌ يجب تحقيقه.

الوصول إلى تطبيق سليم للأبحاث

لم يكن باستطاعتنا تأليف هذا الفصل وهذا الكتاب في الثمانينات. كما لم يكن بوسعنا إظهار عدم توافق النظام التربوي مع قدرات الفتيان الفكرية لو لم تتم في العشرين سنة الماضية دراساتٍ ناجحة للدماغ ولو لم نلاحظ الاختلاف بين الفتيان والفتيات في تكوينهم وفي قدراتهم التعلّمية. بعد عشرين سنة من

الأبحاث المتعلّقة بالأزمة التي يواجهها فتياننا في المدارس، أصبح بإمكاننا إدراك مدى خطورة الوضع. بتنا قادرين على معرفة إيجابيات وسلبيات المسألة، ممّا جعل من الممكن الوصول إلى نظرياتٍ وبرامج تحمي الفتيان.

نأمل أن يكون هذا العقد عقد الفتى كما كان عقد التسعينات عقد الفتاة. نستطيع تحقيق ذلك دون إلحاق الأذى بالفتيات، وسنظهر لكم ذلك في الفصول المتبقية من الكتاب. يجب الاعتماد على هذه الفصول كأساسٍ لتعديل المجتمع وليتم اتباع طريقة حياتية جديدة تحمي الفتيان وتساعدهم على النمو والتعلّم بشكل كامل وسليم. سنعرض عليكم نتائج الأبحاث الحديثة المختصة بدماغ الذكور وبقدراتهم الفكرية، إذ إننا نسعى إلى إرشادكم إلى أساليب جديدة لمساعدة الفتيان على النمو الفكري وعلى التعلّم. نقدّم لكم في هذه الفصول استراتيجيات وتقنيات يجب الاعتماد عليها في المنازل والمدارس لتكون البيئة فيها متوافقةً وطاقات الفتيان وليتم تعليم الذكور فيها بطريقة ناجحة. تناقش هذه الفصول تحدياتٍ منهجية كالقراءة والكتابة، وتعرض الواقع الذكوري الذي تختلف المهارات فيه. هناك فتيانٌ لا يحبون الرياضة وهناك آخرون متمرّسون فيها. كما أنّ هناك من يحب القراءة ومن يكرهها، ومن يجيد الرياضيات ومن لا يجيدها.

يختلف الفتيان عن الفتيات، إلاّ أنّ هناك فرَقاً بين الذكور أنفسهم. آمل وكاثي أن تجدوا الحلول المناسبة لجميع الفتيان ولمختلف حالاتهم. نأمل أن تُشاركونا العمل للوصول إلى نتائج أفضل من خلال القيام بأدواركم في المنازل بشكل كامل، خصوصاً وأنّها المكان الذي تبدأ فيه عملية تعليم الفتيان.

الجزء الثاني

تأمين بيئة تعليمية ملائمة لعقول الفتيان

الفصل الثالث

مساعدة الفتيان على التعلّم
قبل التحاقهم بالمدرسة

إنّ أوّل من يقوم بتعليم الأطفال هما الوالدان. في قلب كلّ وليّ أمر الرغبة بتحضير الأطفال لحياتهم المدرسية. في قلب كلّ مدرّس الأمل باستجابة أولياء الأمور لهذه الرغبة.

ماريا مونتيسوري

يقطن الثنائي مارشا وستيفن في كولورادو سبرينغز، حيث يعملان في مجال الكمبيوتر. لهم ثلاثة أبناء مراهقين هم روبرت (18 عاماً)، وآدم (17 عاماً) وجوش (15 عاماً). شارك الفتيان الثلاثة في تجربة عائلية منذ سنوات. منذ ولادة روبرت ولدى مارشا وستيفن العزم بتربية أبنائهم على حبِّ التعلّم، ممّا دفعهما إلى بدء تقليدٍ عائلي متمثّلٍ باجتماع العائلة للقيام بالمطالعة. تمّ ذلك كلّ ليلة لمدة نصف ساعة، وامتدّ إلى ساعةٍ واحدة عند التحاق الفتيان بالمدرسة. قام الوالدان بقراءة القصص لأبنائهما وهم أطفالٌ يجلسون في حضنيهما، ومن ثمّ وهم أكبر سنّاً. استمتع الفتيان بالإصغاء إلى التعابير اللغوية المصحوبة بالصور الملوّنة.

تقول مارشا إنّهم كانوا يجلسون معاً على الكنبة والسعادة تغمرهم، إلاّ أنّ الفتيان تململوا إلى حدّ كبير.

مـا لفت نظـر مـارشـا وسـتـيـفـن هو أنّ روبرت كـان أوّل من بدأ بالـتـململ. لاحظت مارشا أنّ الشعور بالملل أثناء المطالعة سيطر على روبرت عندما كان في السنة والنصف من عمره.

أطلعنا ستيفن على الرغبة الشديدة بأن تستمر العائلة بالقيام بهذا النشاط القيّم، إلاّ أنّ ذلك ازداد صعوبةً، خصوصاً عندما بدأ آدم بتقليد روبرت.

قاما برمي الوسادات على بعضهما البعض وبضرب الكرات على الجدران لترتدّ إليهما. طغى التململ على روبرت وآدم وبدآ بالتذمر. لم يقبلا بالجلوس والتركيز على الكتاب والاستمتاع بالتقليد العائلي. كان روبرت عندها في السادسة من عمره، وآدم في الرابعة، وجوش في الثالثة. ماذا حلّ بالسعادة التي كانت تغمرهم في السابق؟ توصّل الوالدان إلى أنّ على هذا التقليد العائلي أن يتوقف، خصوصاً وأنّهما كانا يشعران بالإحباط من جرّاء محاولاتهما الفاشلة بإقناع الفتيان بالجلوس والإصغاء بهدوء إلى القصص. حتى وإن روبرت لم يقتنع بقراءة قصة قصيرة قبل مشاهدة البرامج التلفزيونية، ممّا أدّى إلى شعور مارشا وستيفن باليأس.

إلاّ أنّ هانك، والد ستيفن، قام بزيارتهم في ذلك الوقت، وأطلع الزوج على ما كان يجري في صغر ستيفن. كان يتصرف بالطريقة نفسها عندما كانت والدته تقرأ القصص أمامه. في إحدى المرات، حاول ستيفن أن يثني يديه ويبقيهما في مكانهما وكأنّه في كرسيّه المدرسي. إلاّ أنّه لم يستطع السيطرة على نفسه واستمر بتحريك يديه، ممّا جعله يحاول الجلوس عليهما. قررت كلير والدته في النهاية أن تسمح له بالتحرّك، وبات يصغي إليها بشكل جيد.

لم يتذكر ستيفن حصول ذلك في صغره، إلاّ أنّه ومارشا لاحظا أنّ ذلك قد حصل فعلاً مع أبنائهما.

كان والد ستيفن محقاً، إذ إنّ أحد الفتيان كان دائم الحركة في معظم الأحيان.

قام ستيفن ومارشا بتعديل التقليد العائلي على الفور. سمحا لأولادهما بالقيام بأمور أخرى بينما كانوا يصغون إلى القصص. كان بوسعهم الاستمتاع بألعابهم المختلفة أو الرسم أو اللعب بواسطة الكرة، وكلّ ذلك كان مسموحاً لهم أثناء جلوسهم في الكرسي أو استلقائهم على الأرض. بعد هذا التعديل، استعاد التقليد العائلي فعاليته.

يستمر فخر مارشا وستيفن بهذا الطقس العائلي التعليمي، حتى الآن وقد كبر أبناؤهما.

كان الفتيان يستمعون إلى القصص في صغرهم ومن ثمّ بدؤوا بمطالعة الكتب بأنفسهم، وتعبّر مارشا عن مدى تأثير سنوات المطالعة على حياة أبنائها. استخدموا وقائع من القصص في أوقات اللعب وفي أحاديثهم، وساهموا في سرد هذه الوقائع في اليوم التالي لقراءة القصة. عندما بدؤوا بمطالعة كتب أطول، ازدادت قدرتهم على تذكّر الأفكار والصور، حتّى عندما كانت القصص معقّدة ومركّبة. إنّ أكثر ما يسعد مارشا وستيفن هو إصرارهما على عدم التخلّي عن هذا التقليد العائلي بالرغم من المصاعب. كما وأنّهما مسروران بإيجادهما للأساليب التي أدّت إلى فعالية هذا التقليد وتأثيره الإيجابي على أبنائهما.

يشدّد الثنائي أنّ أبناءهما قاموا بتكوين شخصياتهم بأنفسهم، ولم يكن لهما تأثير على ذلك. أصبحوا اليوم شبّاناً لكلٍّ منهم شخصيته المنفردة. لا تزال الحركة من أهمّ عناصر الحياة الذكورية، فإنّهم دائمو التململ وشديدو الولع بألعاب الفيديو. لم يغير تقليد القراءة العائلي طبيعة الفتيان أو تكوين أدمغتهم. إلاّ أنّ هذا النشاط العائلي الذي ابتكرته الفِرَق التربوية حضّر الفتيان للتعلّم قبل

التحاقهم بالمدرسة. إنّنا نسعى في هذا الفصل إلى تعزيز هذه النشاطات، خصوصاً وأنّ الموضوع الرئيسي هو ما يحتاج إليه الفتى قبل أن يصبح طالباً.

حماية وإمكانية التعلّم عند الصغار

يترأس الثنائي مارشا وستيفن فريقاً تعليمياً، ومن خلال ذلك، اكتشفا ما تبرهنه الدراسات الحديثة الخاصة بالدماغ والقدرة التعلّمية: يتعلّم الأطفال بشكل أفضل إذا وجدوا في بيئة تشدّد على التعلّم وتغلب عليها العلاقات الوثيقة. لدى جميع الأطفال القدرة على التعلّم المتمثّل بتحويل التجارب الحسيّة إلى معرفة وتعبير. بوسع أيّ إنسان التعلّم، في أقسى الظروف كسوء المعاملة والجوع والعزلة. الدماغ هو العضو الوحيد الذي ينمّي نفسه باستمرار، ومن المذهل أنّ التفكير عمليةٌ مستمرة.

إلاّ أنّ الدماغ، كأيّ عضو آخر، قد يكون ناجحاً أو فاشلاً. هناك مؤثرات تجعله أكثر فعالية من خلال تطوير المعرفة والتعبير، وإن افتقرت البيئة إلى هذه المؤثرات، يكون الدماغ عندها عضواً غير فعّال. يشدّد ستيفن ومارشا على أنّ الأطفال قادرون على النجاح في مجتمعاتهم بمجرّد كون أهاليهم أشخاصاً محبّين. ما يضيف نسبة النجاح في حياة الأطفال وما يجعلهم يتفوقون هو التشديد على التقاليد التعليمية التي يبتكرها أولياء الأمر بدافع رعاية أبنائهم ومنحهم ما يكفي من الحبّ.

تغلب على تقليد القراءة العائلي الكلمات المتنوعة التي تزيد من قدرات الفتيان اللغوية. من الطبيعي أن تتكوّن هذه المهارات اللغوية في عقول الفتيان، إلاّ أنّ الطقس التعليمي هذا يجعلهم يكتسبونها بشكل أسرع وأكثر فعالية. من خلال ربط الكلمات والصور، تقوم القصص بربط نصفي كرة الدماغ الأيمن والأيسر. كما وأنّها تساعد على تخزين الصور والمعلومات بشكل أفضل، ويتمّ ذلك بأسلوبٍ أكثر فعالية من الصور السريعة التي يشاهدها الطفل على شاشة التلفاز.

يمضي هؤلاء الأطفال أوقاتهم في منازل ومدارس تشدّد على العلاقات السليمة والوثيقة وعلى المؤثرات التعليمية الفاعلة. إن ذلك يؤثّر على قدراتهم الفكرية، إذ إنّ الدماغ وأقسامه المختلفة تنمو مع التجارب التي تتمّ في هذه البيئة الداعمة للطفل ولعقله. ما يزيد هذا الأمر أهميةً هو دور الدماغ وأجزائه في تعلّم الطفل وفي وصوله إلى النجاح.

علينا التفكير بالسبل التي يمكننا من خلالها رفع مستوى تجربة الفتى التربوية، وسيبحث القسم التالي من الفصل أهمية العلاقات الوثيقة والمحبّة في المنازل والمدارس.

أهمية الروابط السليمة والوثيقة

بيتسي فلاغلير معلّمةٌ للصفوف التمهيدية في دايفيسون، كارولينا الشمالية. بعثت لنا بيتسي رسالةً وفيها أنّ كلّ طفل، قبل دخوله المدرسة وأثناء المرحلة التمهيدية، يرغب بالتعلّم، وأنّ لكلّ من يهتمّ لأمر الطفل دوراً في رسم مستقبله. من المؤكد أنّ كلّ ولي أمر يدرك هذه المسؤولية ويعرف أنّ لديه القليل من الوقت، الذي لا يزيد عن ثلاث سنوات، لزرع حبّ التعلّم في نفس الطفل.

أطلعتنا بيتسي على أنّ معظم المشكلات في مدرستها تتعلّق بالفتيان. تحاول المدرسة حلّ هذه المسائل بالتعاون مع أولياء الأمور، خصوصاً وأنّهم أوّل من يعلّم الطفل وأوّل من يتعلّق به الولد أثناء تعلّمه.

تشدّد مدرسة بيتسي على العلاقات الوثيقة بين الأطفال وذويهم، خصوصاً وأنّ الدراسات الحديثة تركّز على أهمية تلك الروابط التي تُعتبر أساساً ينطلق منه حبّ الأطفال للتعلّم. يعترف الكثير بدور هذه العلاقات الوثيقة في النموّ الجسدي والنفسي، إلاّ أنهم لا يدركون أهميتها في تكوين القدرة الفكرية والتعلّمية.

تتشكّل هذه الروابط الشديدة الأهمية بين الأهل والأولاد من لحظة لقائهم ومن أوّل مرة يلمسون فيها بعضهم ومن الوقت الذي يبدأ فيها تكوين علاقاتهم. تزداد وثاقة هذه الروابط مع مرور الزمن وكلّما استمرّت الرعاية والمحبة.

يتوق معظم الأهالي إلى الاستمتاع بهذه العلاقات الوثيقة مع أولادهم. يرغبون بالتقرّب من أبنائهم ويريدون بشدّة تكوين روابط تقوم على الشعور بالأمان وتشجع سلامة الطفل العاطفية والفكرية والجسدية. من خلال هذه العلاقات، يقوم الأهل غرائزياً بتحضير أولادهم لمستقبلٍ يعلو فيه مستوى التعلّم، ويتمّ ذلك عبر تنظيم الروابط وضمانها. لا تعتمد عملية التنظيم هذه على شخصٍ واحد أو علاقةٍ واحدة، بل على عددٍ من الأفراد الذين يشكلون الفريق التربوي المسؤول عن تنمية الطفل.

في السنوات الثلاثين الماضية، قامت جامعات مينيسوتا وهارفرد وأوكسفورد، إضافةً إلى مؤسسات تعليمية أخرى، بدراسات حول أهمية الروابط السليمة والوثيقة. تتفق جميع هذه الأبحاث على أنّ لهذه الروابط المنظمة بين الأهل وأولادهم تأثيرات إيجابية منها الثقة بالنفس، والاستمتاع بعلاقات سليمة مع الآخرين، والشعور بالمسؤولية، والفضولية. من أهمّ النتائج المتأتية من هذه الروابط هو التعلّم بشكل أكثر فعالية، وهذا ما نسعى إلى الوصول إليه من خلال هذا الكتاب. إنّ العلاقات الوثيقة بين الأولاد وذويهم تجعلهم يستفيدون من تجاربهم التعلّمية بشكل أكبر، ويحدث ذلك لسبب بيولوجي هو أنّ وظائف الدماغ العضوية المسؤولة عن التعلّم تحتاج إلى الروابط السليمة لتكتمل.

تؤثّر العلاقات الوثيقة هذه على الجهاز العصبي عند الطفل، وتقوم بتعزيز أو بتقليص نموّه النفسي والاجتماعي والفكري بشكل سليم. عندما يفتقر الطفل إلى الروابط السليمة، يتاثر الدماغ سلبياً، وقد بدا ذلك في صور الأشعة. تكون

نتيجةً هذا الخلل صعوبةً في التحكم بالعواطف وفي فهم العمليات السببية. كما وأنّ هذا الخلل يؤدي إلى عدم الثقة بالنفس وإلى زعزعة احترام الذات في المراحل المدرسية المتقدّمة.

مخطّط يضمن تكوين الروابط الوثيقة:

وفقاً لهذه الدراسات الخاصة بالدماغ وبالقدرات الفكرية، فإنّنا نشجع أولياء الأمور وفرقهم على الاعتماد على مخطط يضمن تكوين الروابط الوثيقة. على هؤلاء تطبيق هذا المخطط في سنوات الطفل الأولى، إذ إنّه يساعد العائلات على تحديد الأساليب التي يريدون اتباعها لتنظيم العلاقات وضمانها. تقوم هذه الاستراتيجيات التي يريدون استخدامها على مواهب كلٍّ منهم وعلى ميوله وشخصيته، ويكون الهدف الأساسي تنمية قدرة الطفل الفكرية.

إنّ الخطوة الأولى في هذا المخطّط هي استمتاع الوالدين بروابطهما مع الطفل. إلاّ أنّ ذلك لا يتمّ دون تكوين علاقاتٍ وثيقة مع أعضاء الفريق التربوي المتألف من الأقارب والجيران والأصدقاء وكلّ من يُعنى بالرعاية بالطفل. كثيراً ما يشعر الأهالي بضرورة توجيه هؤلاء الأفراد إلى كيفية إنشاء علاقاتٍ وثيقة مع الطفل، وتزداد أهمية ذلك في حالات الطلاق والانفصال. في الماضي، لم تكن مهمة الوالدين توعية أفراد المجتمع حول أهمية وثاقة العلاقات بينهم وبين الطفل، خصوصاً وأنّ الروابط كانت قائمةً عندها على الطبيعة القبلية للمجتمع. كان هناك، في معظم الأحيان، عدد كافٍ من الأشخاص في حياة الطفل، حتى وإن توفّت الأم اثناء عملية الولادة. كان الطفل قادراً على التعلّق بجميع هؤلاء الأفراد، ولكنّ هذا الواقع قد تغيّر. في أيامنا هذه، أصبح من واجبنا التأكد من سلامة الطفل الجسدية، وما زال علينا العمل على حصوله الدائم على الحب والأمان. علينا العمل على تكوين الروابط الوثيقة في حياة الطفل لتساعده على النموّ الفكري ولنوصله إلى مستقبل تعلّمي ناجح ومتين. باتت مدارسنا وتقنياتنا

متطلّبةً إلى حدّ كبير، ممّا يحتّم علينا التأكد من وجود أكثر من شخص يساعد الطفل وينمّي قدرته الفكرية بشكل كامل.

تكمن أهمية الفرَق التربوية في تأمين تلك البيئة الداعمة للطفل. نأمل أن يستطيع الأهل، بعد ولادة الطفل أو حتى قبل ذلك، الاجتماع مع الفريق التربوي لتحديد دور كلّ عضو في تنمية القدرة الفكرية وفي تكوين الروابط الوثيقة والسليمة. كان هذا الاجتماع جزءاً طبيعياً من حياة أسلافنا، إذ إن وجود العرّابين في حياة الأطفال كان أمراً محتّماً. ما زال بعضنا يطبّق فكرة العرّابين في أيامنا هذه، قبل ولادة الطفل أو بعدها. كما وأنّنا نستطيع الاعتماد على مخطّط لتكوين الروابط، بالتعاون مع ثلاثة أو أربعة اشخاص بوسعهم منح الطفل ما يحتاج إليه من حب ورعاية. يمكن لمن على وشك إنجاب طفل تدوين لائحة بأسماء أفرادٍ قادرين على تولّي هذه المهمة التي تقوم على ارتباط حياة كلٍّ منهم بحياة الطفل. كما وباستطاعة من لديهم أطفال تكوين فريق مماثل في أيّ وقت.

تفادي حصول خلل في الروابط:

من أوجه تنظيم الروابط تحديد الوقت الذي يجب أن يمضيه الأهل وأعضاء الفريق مع الطفل. إن كان الوالدان سيعملان لمدة تتراوح بين الثماني والعشر ساعات، فإنّ ذلك قد يؤدي إلى خلل في الروابط.

إن كان الوالدان يعملان خارج المنزل طوال اليوم، فمن الخطر عدم انضمام شخصين آخرين إلى الفريق كالمربية أو الأجداد الذين يقطنون في أماكن قريبة، أو متخصصين آخرين يستطيعون التعويض عن غياب الوالدين. هناك بعض الحالات التي يتمّ اصطحاب الطفل فيها إلى مركز رعاية بعد ولادته ببضعة أشهر. عند حصول ذلك، على الفريق التربوي إيجاد حضانةٍ تشدّد على تعزيز البيئة للعلاقات الوثيقة وللتعلّم.

يتطرق الفصل الرابع إلى المعايير الخاصة بدور الحضانة. إنّ أوّل ما عليكم التأكد من وجوده في الحضانة، قبل أن يتمّ اختيارها لأطفالكم، هو عامل اللّمس. إنّه معيار تشدّد عليه الأبحاث الحديثة القائمة على العلوم اليبولوجية. على العاملين في الحضانة إدراك أنّ الطفل، البالغ من العمر الشهرين، بأمسّ الحاجة إلى اللّمس وإلى أن يحمله الآخرون لمدة لا تقل عن ساعتين إلى أربع ساعات يومياً. لا ترتبط هذه الحاجة بمجرّد الشعور بالأمان والحنان، بل إنّها من أهمّ العوامل التي تساعد العقل على النمو المتكامل.

عند زيارتكم لدار الحضانة، تأكّدوا من أنّ عدد العاملين كافٍ لمنح جميع الأطفال الكمية اللاّزمة من اللّمس والحنان. انتبهوا إلى تفاصيل هذه الحضانة كوجود أطفالٍ يبكون في مهودهم دون تلقيهم العناية اللاّزمة أو آخرين يتمّ حملهم من قبل المربّين.

إيجابيات اللّمس:

أثناء التفكير بالمخطّط الخاص بتكوين الروابط وضمانها، قد تركّزون على أهمية أن يكون اللّمس من النوع الجيّد. من الواضح أنّ كون اللّمس جيداً يعني بطبيعة الحال ابتعاده عن النوع المؤذي الذي نحاول دوماً حماية أطفالنا منه. في تدريبنا للأهل والمدرّسين، أخصّص وكاثي جلساتٍ خاصة بمنافع اللّمس وبتأثيره الإيجابي على الروابط والقدرة الفكرية. نصرّ على التطرّق إلى هذه المسألة بسبب خوف مجتمعنا من اللّمس، الأمر الذي يحرم الأطفال من فوائده.

أطلعتني إحدى المعلّمات على قلق مديرة مدرستها من هذا الأمر، ممّا جعلها تطلب من جميع المدرّسين عدم لمس أي طفل من الجنس الآخر. حتى وأنّها منعتهم من لمس أيّ طالب على الظهر تعبيراً عن المدح أو التقدير. بات اللّمس مسألةً مثيرة للجدل في مجتمعاتنا، إلاّ أنّه يساعد الدماغ على النمو، ويزرع في الأطفال حبّ التعلّم، وفي نفوسهم المحبة.

آلان ن. شور باحثٌ وأستاذٌ محاضرٌ في جامعة كاليفورنيا ـ لوس أنجلس. إنّه أوّل متخصص بالروابط والعلاقات استعان بصور الأشعة لدراسة ما يجري في الدماغ عند عدم تلقي الطفل ما يكفي من اللّمس. لاحظ د. شور أنّ الدماغ يمتصّ جميع المعلومات وأنّ القدرة الفكرية تنمو، حتى عند الجنين في رحم أمّه. إلاّ أنّ تعلّم الجنين والطفل من خلال مراقبة ما حولهما لا يكون بمستوى التعلّم باللّمس، خصوصاً وأنّ العينين لا تكونان كاملتي التكوين أحياناً أو أنّ الرؤية لا تكون شديدة الوضوح. إنّ هذا الكلام منطقي للغاية، إذ إنّ الكلمات التي يتفوه بها الوالدان مثلاً تكون مجرّد ذبذبات صوتية لا يفهمها الطفل.

يشير د. شور إلى أنّ أكبر نسبة من نمو الدماغ عند الأطفال في صغرهم تتمّ نتيجةً للّمس. إنّ متقبّلات الجلد واللّمس عند الأطفال شديدة الحساسية، ممّا يجعلها ترسل إشاراتٍ مباشرة للدماغ تجعل الطفل متلهفاً لأن يتمّ حمله أو عناقه أو لمسه. لذلك، يطالب د. شور، وأمثاله من المتخصّصين بعلم الأعصاب عند الأطفال، بأن نحمل أطفالنا أكثر ممّا يفعل العديد منّا حالياً.

عند التفكير بأسلافنا، نلاحظ أنّ اللّمس ونموّ الدماغ لم يكن بالصعوبة الحالية. كان من الطبيعي في العديد من المجتمعات قبل الثورة الصناعية أن يتمّ لمس الأطفال وأن يكون ذلك أساساً للعلاقات ولوثاقتها. اعتنت الأمهات والجدّات والخالات والعمّات بالأطفال من خلال حملهم على الأوراك أو الظهر أو الصدر أو الجانب، بينما كنّ يعملن في الحقول أو الأسواق طوال اليوم. في عالمنا الصاخب، لا يزال الأهالي والمربّون يحبّون أولادهم تماماً كاسلافنا. إلاّ أنّ كثرة العمل بعيداً عن الأطفال أدّت إلى عدم حملهم كما كان يتمّ في الماضي.

قد يكون أثر تلك المسألة شديد الخطورة على حياة أولادنا. يعاني بعضهم من المشكلات النفسية التي تؤدّي إلى صعوبات تعلّمية، ممّا دفع بعلماء الأعصاب إلى مطالبة الأهالي بتذكر مسبّبات هذه الاضطرابات عند الأطفال. توجد هذه

العوامل المسبّبة للصعوبات النفسية والتعلّمية من الدماغ، الذي لم يستمتع بما يكفي من اللّمس في السنوات الأولى من حياة الطفل. روبين كار موريس، مؤلفة كتاب «أشباح من دار الحضانة»، هي أحد المتخصّصين في الروابط الذين يشيرون إلى أنّ عدم وثاقة العلاقات في السنوات الثلاث الأولى من حياة الطفل قد تؤدي في ما بعد إلى إجرائه أو إلى كون أدائه الأكاديمي سيّئاً. يلعب جنس الطفل دوراً في هذه المسألة، تماماً كجميع ما تطرقت إليه الأبحاث الحديثة الخاصة بالدماغ والقدرة الفكرية.

الفتيان والروابط

إنّ الافتقار إلى اللّمس وإلى الروابط الوثيقة أمرٌ يؤثر سلبياً على جميع الأولاد، إلاّ أنّ هناك اختلافاً بين الجنسين في ردة فعل الدماغ على عدم وجود هذه العلاقات. تشكّل الفتيات النسبة الأكبر من حالات فقد الشهوة إلى الطعام أو الشره المرضي أو الاكتئاب. أمّا الفتيان، فإنّ التأثير يمتدّ إلى التعلّم، خصوصاً وأنّهم يستعملون عادةً عدداً أقل من الكلمات، مقارنةً بالفتيات. ت. باري برايزلتون هو متخصّصٌ بطب الأطفال وبالرضّع بشكل خاص. يشير برايزلتون إلى مسألة تثير الاهتمام، وهي أنّ مدة نظر الفتيان إلى أهاليهم ومربّيهم أقل من تلك الخاصة بالفتيات. لذا، فإنّ الذكور معرّضون بشكل أكبر إلى عدم اللّمس أو العناق أو الاتصال الجسدي.

إنّ ما يقوله برايزلتون أمر منطقي، إذ إنّ الفتيان يتململون ويبتعدون عمّن حولهم أكثر من الفتيات. كما وأنّ لديهم فضولاً أكبر لاستكشاف ما حولهم. قد يؤدي ذلك إلى ألاّ يبذل الأهل والمربّون مجهوداً كبيراً لحمل الفتيان أو لمسهم كما يفعلون مع الفتيات. لذلك، فإنّ الذكور يحصلون على نسبة أقل من اللمس وعلى علاقات أقل وثاقةً، ممّا قد يؤثر على التعلّم فيما بعد. قد يبتعد الطفل عمّن

حوله وقد يعبّر عن عدم رغبته بالتقرّب الجسدي، كما وأنّه قد لا ينظر إلى أهله ومربّيه لمدّة طويلة. إلاّ أنّ ذلك لا يلغي حاجته إلى الكثير من اللّمس والحنان.

قامت نانسي بايلي بدراسة في جامعة كاليفورنيا، وقد أظهرت أبحاثها أنّ هناك صلة بين الصعوبات التعلّمية وعدم حصول الطفل على روابط متينة ووثيقة في صغره. إلاّ أنّ بايلي توصّلت إلى أنّ هذه الصلة بين المسألتين تكون أكثر بروزاً عند الفتيان. من خلال دراستها، وجدت بايلي أنّ هؤلاء الفتيان تمتعوا بعدد أقل من المهارات الفكرية في مراهقتهم، وكان هذا التاثير واضحاً عندهم أكثر من الفتيات. بالرغم من أنّ الإناث قد يعانين من مشكلات حادة أو من اضطرابات خطرة، إلاّ أنّ تأثيرات عدم وجود روابط وثيقة في مرحلة الطفولة أكثر وقعاً على الفتيان وعلى قدراتهم الفكرية. هذا مثال آخر يظهر الاختلاف بين الجنسين مع التشديد على حساسيّة الذكور ومع عدم إنكار وجود تلك الحساسيّة عند الإناث.

عشر استراتيجيات لتوثيق الروابط

تكمن مسؤولية الأهل وفرقهم في تكوين الروابط وتوثيقها وفي لمس الطفل بطرقٍ تساعده على النمو. هناك عشر استراتيجيات من الممكن تطبيقها مع الفتيان منذ نعومة أظفارهم. إنّ هذه التقنيات تضمن الرعاية التي يحتاج إليها الفتيان لتنمو قدراتهم الفكرية بشكل سليم. ابتكر مركز غوريان هذه الأفكار بالتعاون مع بات كرام وهو مدير مركز ميشيغان للتنمية العائلية.

1- **الاهتمام المركّز**: امنحوا ابنكم يومياً خمس فترات طويلة من الاهتمام المركّز، وقد تصل مدّة هذه الفترات إلى العديد من الدقائق. كما وعليكم القيام بذلك في عدّة أوقاتٍ متقطّعة من النهار.

2- **الكثير من الدعم**: أظهروا له أنّكم تلاحظون جهوده وتدعمونها من خلال

تعليقاتكم الشفهية وعبر مكافآت أخرى مثال معانقته، على أن تكون هذه المكافأة ملائمةً لما أنجزه.

3- **الشرح الشفهي:** قوموا بوصف ما يفعله ابنكم بشكل شفهي، مثال «تعجبني الطريقة التي تتبعها في وضع الكتب على الرفوف». أصغوا إلى الكلمات التي يستعملها ابنكم وكرّروا ما يقوله، مثل «إنّك محق. إنّها سيارة كبيرة الحجم».

4- **الألعاب الجسدية:** يعتبر اللعب وقتاً ممتازاً يقوم فيه الفتى بالتحرك والتفكير في الوقت نفسه. لذا، فمن المهم أن تتشاركوا وابنكم عدة مراتٍ في اليوم في ألعاب جسدية تنمّي جسمه وقدرته العقلية.

5- **إدارة الطفل للنشاطات:** أثناء مشاركتكم الطفل في ألعابٍ ونشاطاتٍ أخرى، اسمحوا له بأن يدير الأمور مثلكم. قوموا بتقليده ممّا يظهر أنّكم تتّبعون تعليماته. دعوه يقلّدكم.

6- **الحماسة:** فليكن تفاعلكم مع الطفل مليئاً بالسعادة والحماسة وبجوّ من الاستمتاع بوجودكم سوياً. ابحثوا عمّا يمكنكم القيام به سوياً على أن يبعث ذلك شعوراً بالحماسة والسعادة في نفسه. يصدر هذا الشعور من الدماغ، لذا فإنّ تنميته تؤدي إلى استمتاع الفتى بالتعلّم في المستقبل.

7- **الثبات:** فلتكن هناك حدودٌ واضحة ومهماتٌ ثابتة (سنشرح هذه المسألة لاحقاً). يعزز ثبات الوظائف شعور الصغار بالروابط الوثيقة.

8- **السيطرة على النفس:** قوموا بتطبيق استراتيجيات سلوكية خاصة بالسيطرة على النفس، على أن تكون ملائمةً لمرحلة نمو ابنكم. من غير المناسب أن تتوقعوا ممّن يبلغ الثالثة من عمره أن يعبّر عن غضبه شفهياً. قد يكون بحاجة عندها إلى الصراخ أو إلى ضرب الأرض بواسطة قبضتيه إلى أن يزول غضبه.

9- **القيام بالخيارات:** علّموا ابنكم كيفية القيام بخيارات مقبولة، الأمر الذي ينمّي القسم الأمامي من الدماغ. ساعدوه في اتخاذ القرارات عندما تسنح الفرصة لذلك، مع تشديدكم على أن يقوم بمفرده بما بوسعه.

10- **النظام السلوكي المناسب:** تفادوا استخدام تقنيات تهذيبية قد تخيف ابنكم. لا تقوموا، في صغره، بالصراخ في وجهه أو بشتمه أو بضربه على المؤخرة. إنّ ذلك يؤذيه ويؤثّر على شخصيته بشكل سلبي ولا يساعد القدرة الفكرية على النمو. قبل بلوغه الثمانية عشر شهراً، لا يكون عقل الفتى قد نما بشكلٍ يسمح له بأن يفهم ما يقصده الأهل الصارمون.

أهميّة المشاعر في الفترة التعليمية المبكرة

في حديثنا عن أهمية الروابط وتنظيمها في حياة الفتى، ناقشنا حتى الآن دور الأفراد والخطوات التي يجب اتباعها لحماية نموّه الفكري المبكر. كما وأشرنا إلى ما توصلت إليه الأبحاث من براهين على ارتباط المحبة الإنسانية بالتعلّم. لاحظنا أهمية إدراك الأهالي وفرقهم لدور اللمس، وأطلعناكم على وسائل يمكنكم اتباعها لتكوين روابط وثيقة مع الطفل. كان الهدف من كلّ ذلك التأكد من أن تعلّم الفتى في المستقبل في المدرسة وفي العالم، سيكون قائماً على أساس متين وصالح. لم نقم حتى الآن بالتطرّق إلى المشاعر بشكل واضح. إلاّ أنّ للمشاعر علاقةً بكلّ ما ناقشناه في الفصول السابقة. سيتمحور هذا القسم من الفصل على المشاعر المبكرة في حياة الفتى.

إنّ الفتيان أشخاصٌ عاطفيون بشكلٍ فريدٍ من نوعه. تختلف طبيعتهم عن طبيعة الفتيات، ممّا يؤدي إلى عدم ارتباط تجاربهم بالأحاسيس، خصوصاً وأنّ أولوياتهم الفكرية لا تنصبّ على المشاعر وفهمها. بالرغم من ذلك، إلاّ أنّ الفتيان شديدو الحساسية في ردود فعلهم ومشاعرهم حيال كلّ ما حولهم.

في جميع فصول هذا الكتاب، سنقوم بدراسة حياة الفتيان العاطفية من زواياها المختلفة، وسنركّز بشكلٍ خاص على الصلة بين أحاسيسهم وتعلّمهم. سنظهر لكم أنّ الشعور اذي يخالج الفتى في لحظةٍ ما من تجربته التعلّمية يؤثّر على قدرته على التعلّم. كما وسنشير إلى كيفية تنمية المعرفة العاطفية عند الفتيان.

يبدأ هذا الفصل بمناقشة الموضوع من خلال مقارنة التجارب التي يمرّ بها الفتيان أثناء استكشافهم للحياة وللعالم، إذ أنّ منها ما تغلب عليها الضغوطات الإيجابية التي تفيد الذكور، ومنها ما تسيطر عليها العوامل السلبية التي تضغط على الأفراد وتضرّهم.

مخاطر الأجواء المنزلية الضاغطة:

قامت سوزان، وهي أمٌّ لولدين، بإطلاع كاثي على تجربتها، وذلك أثناء ورشة عمل في فلوريدا. بعد بلوغ ابنها جايك السنة من عمره وعندما بدأ بالمشي، وضعت سوزان بعضاً من ألعابه على الطاولة في غرفة الجلوس ليلعب بها، بينما كانت في المطبخ المجاور للغرفة. كانت هناك أغراض أخرى على الطاولة نفسها وعلى طاولات أخرى في غرفة الجلوس. لم ترغب سوزان بأن يلمس ابنها هذه الأغراض التي منها الثمين ومنها ما يسهل تعرّضه للكسر كالمصابيح وما شابه ذلك. طلبت من جايك ألاّ يمسّ هذه الأغراض وأن يلعب بأغراضه فقط.

لسوء الحظ أنّ هذه المسألة أصبحت تثير جواً من التوتر بين سوزان وجايك. كثيراً ما لم يلتزم جايك بما طلبته والدته، إذ إنّه كان يحاول حمل الأغراض الثمينة والسهلة الكسر. قامت سوزان عندها بتوبيخه، ممّا ولّد فيه شعوراً بالإحباط والخوف. عندها، كانت سوزان تقوم بتهدئته من خلال التكلّم معه أو تحمّل نوبة غضبه. في بعض الأحيان، كانت تعاقبه بعدم التحدث إليه لبعض الوقت.

من الواضح أنّ مجرد الطلب من جايك ألاّ يلمس بعض الأغراض وأن يقتصر ذلك على ألعابه الخاصة أمرٌ غير نافع، إذ إنّ مرحلة النمو في هذا العمر لا تسمح باستيعاب ذلك. ناقشت سوزان المسألة مع والدةٍ ذات خبرة أوسع مع الأطفال، وقررت عندها تغيير أسلوبها. للتأكد من عدم فشل جايك في تنفيذ طلبها، أبعدت سوزان جميع الأغراض الثمينة والسهلة الكسر عن متناول يد جايك. ما تبقّى في غرفة الجلوس كان أغراضاً لم تقلق سوزان من تعرّضها للضرر، فتركتها على الطاولة ليلعب بها جايك كما يريد. لقد مرّ معظم الأهل في بداية تعاطيهم مع أطفالهم بهذه التجربة التي أجبرتهم على التأقلم مع أولادهم ومع محاولاتهم التعلّمية. اضطرت سوزان إلى تعديل أسلوبها مع ابنها لأنّ كونها أمّاً حريصة جعلها تلاحظ تعرُّض ابنها إلى ضغوطاتٍ كثيرة ومضرّة لمشاعره.

محاسن الأجواء المنزلية الخالية من الضغوطات:

من المفيد لنمو القدرة التعلّمية عند الأطفال هو القيام بخيارات صحيحة ومناسبة لمراحل نموّهم، إذ إنّ ذلك يساعد نمو الدماغ بشكل عام، وأقسامه الأمامية، بشكل خاص. يؤدي تعرّض الدماغ لكثيرٍ من الضغط، المتمثل بالفشل أو بالأذى الجسدي، إلى تعلّم الطفل لمهاراتٍ تأقلمية كالهرب أو تهدئة النفس أو لمس الأغراض في غرفة الجلوس. إلاّ أنّ هذا الضغط يؤدي إلى توقف عمل بعض أقسام الدماغ التي تعزّز التعلّم، نتيجةً لضطرار الطفل إلى مواجهة الضغط النفسي.

في هذه الحالات التي يغلب عليها عامل الضغط النفسي، تسيطر الأحاسيس على الوظائف الفكرية بسبب ارتفاع نسبة الكورتيزول في الدماغ. تزداد عندها العمليات الهادفة إلى البقاء كإفرازات الغدد، وتقلّ تلك التي تتطلب جهداً فكرياً عالياً. بما أنّ النمو الفكري للطفل يتطلّب قيامه بوظائف فكرية

معقّدة عوضاً عن تلك الأكثر بساطةً، فإنّ الأجواء الخالية من الضغوطات تساعد هذا النموّ الذي يعيقه الضغط الجسدي.

قامت سوزان في البداية بالضغط على ابنها، ولم يستطع هذا الطفل، البالغ من العمر السنة الواحدة، استيعاب ما طلبته منه. إلاّ أنّ التعديل الذي قامت به سوزان في ما بعد أدّى إلى نتائج أفضل. في هذا العمر، بدأ عند ابنها نموّ القدرة على اختيار الأغراض عوضاً عن لمس كل ما كان بمتناول يده. عندها طبَّقت سوزان استراتيجية إزالة الأغراض الثمينة والسهل كسرها، أصبح باستطاعة ابنها اختيار ما يريده من ألعابه. سمح ذلك لابنها بالإحساس بالنجاح دون تعرّضه لأيّ ضغط نفسي.

إنّ العالم التعلّمي المبكر الخاص بالأطفال هو بمثابة نموذج مصغَّر للعالم المستقبلي الضخم. لذلك، فإنّ السماح للطفل في هذه المرحلة باتخاذ القرارات وبالاختيار أمرٌ يؤدّي إلى فهم عالمه التربوي المستقبلي في منزله. في هذا العالم الذي يتمّ فيه نمو الطفل الفكري والاجتماعي، يعتبر القيام بالخيارات من أهمّ ما بوسع الطفل تعلّمه.

أهميّة الاختيار

في السنوات المدرسية، يحتاج الطالب إلى القيام بالكثير من الخيارات. أثناء تنفيذ فروضه المنزلية، يسأل الولد زميله إن كانت الإجابة 23 أو 24. كما ويحاول الطالب في صف اللغة معرفة المعاني التي تحملها التعابير والكلمات المستخدمة في القصص والروايات. أما حصص التاريخ، فيقوم فيها الطلاّب بتقييم الخيارات التي قام بها الزعماء.

إنّ الخيارات جزء أساسي من حياة الإنسان، والقيام بها مهارةٌ لا يتمّ التعلّم من دونها. إنّ القسم الأمامي من الدماغ هو المسؤول عن هذه الوظيفة الفكرية،

والفَصّ الجبهي عند الفتيان ينمو بشكل أبطأ من نموّه عند الفتيات. لذلك، فإنّ الخيارات أمرٌ أساسي على الذكور تعلّمه. من الضروري مساعدة الفتيان على الاختيار من بين الأفكار والأغراض والأحاسيس، إذ إنّ ذلك يعزّز نمو الفَصّ الجبهي. يتمّ ذلك بشكل أكثر فعالية عندما يكون الخيار متوافقاً ومرحلة النموّ عند الطفل. على سبيل المثال، فإنّ الطلب من الفتى البالغ من العمر الأربع سنوات اختيار الطعام الذي يرغب بتناوله خيارٌ لا يتناسب ومرحلة نموّه. من الأفضل في بعض الأحيان ألاّ يُطلب من الطفل الاختيار وأن يلتزم بالخيار المتوفر له. إلاّ أنّ ذلك يعزّز القدرة الفكرية عندما يكون قد وصل إلى مرحلة نموّ معينة.

عندما يسمح عمر الطفل بفهم اللغة، يجب على الأهالي وفرقهم أن يطلبوا منه، وبشكلٍ شفهي، القيام بخيارات لا تشكّل أيّ ضغط نفسي عليه.

- هل تودّ تحضير الجزر أو البازيلا في طبق العشاء؟

- هل تريد تقطيع شطيرتك إلى نصفين أو إلى أربعة أجزاء؟

- هل تريد المربى أو زبدة الفستق في شطيرتك؟

- إنّ قيامكم بهذه الخيارات بالنيابة عنه لا يساعد نموّ الفصّ الجبهي كما يحصل عندما تكون هذه الاختيارات من مسؤوليته. عند تولّيه هذه المهمة، يتركّز عمل الوظائف الفكرية على ذلك الأمر، ممّا يؤدّي إلى نموّها بشكل سليم. يمكنكم استخدام الأسئلة والتجارب الأخرى التي تعزّز نمو أقسام أخرى من الدماغ، منها المسؤول عن العمليات الحسيّة أو العلمية أو الحسابية.

على سبيل المثال، يمكنكم أن تسألوا الفتى عن لون الجزر وعن لون البازيلا. لا يقوم الفتيان بتمييز الألوان كما يجب استخدامها في المواضيع الإنشائية في ما بعد. لذا، فإنّ تشجيع الفتى على التفكير بالألوان في سنواته المبكرة يساعده في استعماله للوصف في المستقبل.

يمكنهم سؤاله عن عدد أقسام الشطيرة في صحنه. يخزّن دماغ الذكور عادةً رسماً صورياً لما تختبره حواسه، كما ويقومون بلوائح ذهنية ويعتمدون على العدّ. لذا، فإنّ السؤال المتعلّق بأجزاء الشطيرة يعزّز عمل الدماغ، فيقوم الفتى عندها بربط الكلمات والعمليات الذهنية. من المهم أن تنمو القدرة على ربط الكلمات بالتجارب الشخصية، إذ إنّ ذلك يؤدي إلى مزيد من النجاح الأكاديمي في المستقبل. إنّ الفتيان هم أكثر من يستفيدون من هذه المهارة وتنميتها، خصوصاً وأنّهم يستخدمون عدداً أقل من الكلمات مقارنةً بالفتيات.

بوسعكم أن تسألوه عمّا يحصل للخبز داخل آلة التحميص. تثير الفيزياء اهتمام الفتيان وفضولهم ممّا يجعلهم يستمتعون (كالعديد من الفتيات) بمحاولة الإجابة على أسئلة وظائفية. لذلك، فإنّ الأهل قادرون على استغلال هذا الفضول من خلال طرح أسئلة عن التحميص والحرق ودور الأوكسجين في الحرارة. تنمو عند الفتى القدرة على استخدام الكلمات بشكل أفضل عندما يقوم الأهل في صغره بطرح الأسئلة التي تربط العبارات اللغوية بفضوله الفطري.

هناك قاعدة أساسية في الخيارات وفي نمو الفصّ الجبهي وهي ألاّ يطلب الأهالي من الطفل القيام باختيارات على إدراك بأنّها لا تعجبهم وبأنّهم يرفضونها.

على سبيل المثال، إن كان هدفكم أن يشرب ابنكم الحليب أثناء تناوله وجبة الغداء، لا تسألوه إن كان يرغب بذلك. قد يعبّر عن عدم رغبته بشرب الحليب، وهذا أمرٌ لا تريدونه وقد يؤدي إلى خلافٍ لا حاجة له. في هذه الحالة، من الأفضل أن تسألوه إن كان يريد نصف كوب أو كوباً كاملاً من الحليب. لا ينحرم الطفل عندها من حقّ الاختيار وتزداد إمكانية وصولكم إلى الغاية المبتغاة. يستخدم الطفل في هذه الحالة وظائفه الفكرية دون تعرّضه إلى أيّ ضغط نفسي يتأتّى من نزاعه مع والديه.

من مسؤولياتكم الوالدية تعزيز النمو المبكر لفكر الطفل قبل التحاقه بالنظام المدرسي الذي يعتمد على التعلّم المنزلي المبكر كأساسٍ له في مراحل متقدّمة. من الممكن استخدام استراتيجية الخيار وتنمية قدرات الفتى الفكرية من خلال تفاعلكم معه. يتمّ هذا التواصل عبر حوارات ونقاشات تتطلّب قيام الفتى بخيارات مختلفة وتزيد من استخدامه للكلمات.

يعرض القسم التالي أموراً أخرى تستطيعون القيام بها في صغر ابنكم ليتمّ تحضيره للتعبير عن نفسه عند التحاقه بالمدرسة.

تنمية قدرة الفتيان على التعبير اللغوي

تظهر الأبحاث أنّ الفتيات يتفوقن على الفتيان على الصعيد اللغوي، وعند الالتحاق بالمدرسة، بحوالي السنة والنصف. يشمل ذلك المهارات اللغوية الخاصة بالقراءة والكتابة وملَكة الكلام. بالرغم من أنّ الفتيان يجيدون هذه المهارات فطرياً، إلاّ أنّ في الدماغ الذكوري عدداً أقل من الأقسام المسؤولة عن اللغة والقراءة والكتابة.

بما أنّ المرحلة الإعدادية تقوم على تنمية المهارات اللغوية، فإنّ طبيعة الفتيان الفكرية تؤدي إلى عدم تفوّقهم الأكاديمي في هذه المواد. عليكم استغلال جميع الفرص، تماماً كما فعل ستيفين ومارشا، لتساعدوا أبناءكم على تحسين أدائهم الأكاديمي. لقد أصبحت القراءة والكتابة والمهارات اللغوية مسبّباتٍ للضغط النفسي الذي يصيب فتياننا في نظامنا التعليمي. سنطلعكم على وسائل تستطيعون من خلالها الحؤول دون وقوع هذه المشكلة وحلّها بسرعة وفعالية إن وُجدت في منازلكم.

تتركز هذه الاستراتيجيات على تنمية الأقسام اللغوية في الدماغ، أي تلك المسؤولة عن القراءة والكتابة:

• عندما يطرح ابنكم الأسئلة عليكم وعندما تجيبونه بأسئلةٍ جديدة، أصغوا إلى أجوبته، ومن ثمّ ردّوا عليه مستخدمين بعض العبارات والكلمات الأساسية في ما قاله. إنّ إعادة صياغة كلامه تساعده على تنمية مهاراته اللغوية. ننصح بتدريب ما لا يقل عن شخصٍ آخر من الفريق لتطبيق هذه التقنية مع الطفل.

ولي الأمر: ماذا يحدث للخبز في آلة التحميص؟

الابن: يصبح ساخناً.

ولي الأمر: ذلك صحيح. إنّه يصبح ساخناً. ماذا يحصل أيضاً؟

الابن: يحترق الخبز في بعض الأحيان.

ولي الأمر: إنّك محق، فإنّه يحترق أحياناً. لماذا يحصل ذلك برأيك؟

إن تكراركم للعبارات يساعد الفتى على النموّ الفكري، إذ إنّه يسمع الكلام مجدّداً، ممّا يرسّخه في عقله.

• **اسألوا ابنكم عن تجاربه اليومية.** قد يتحوّل أيّ سؤالٍ إلى حوار.

ولي الأمر: بني، هل تريد البازيلا أو الجزر؟

الابن: الجزر.

ولي الأمر: هل تحبّ الجزر أكثر من البازيلا؟

الابن: لا، لكنني أرغب بتناول الجزر.

ولي الأمر: لماذا؟

الابن: لا أعلم. إنني أحبّ الجزر فحسب.

إنّ هذه الأحاديث القصيرة تعزّز نمو الأقسام اللغوية في الدماغ، كما وأنّها تصبح أحاديث أطول مع الوقت.

● **انظروا إلى ابنكم عند حديثه معكم وشجعوه على النظر إليكم.** يشعر الفتيان عادةً بعدم الراحة عند تبادل النظرات، ويختلف الأمر عند الفتيات. قد يحتاج الذكور إلى التمرين ليشعروا براحة أكبر عند تبادل النظرات في المرحلة التمهيدية. يساهم النظر إلى الآخرين في تسهيل التفاعل اللغوي في المستقبل. ينبغي توخي الحذر من مسألة مهمة وهي أن إجبار الفتى على النظر إليكم قد يؤدي إلى تمرّده. لذا، عليكم ألاّ تؤثر غايتكم الاجتماعية على نفسيته وعلى إحساسه بالراحة.

● **حوّلوا استخدام الكلمات إلى لعبة.** في نفوس الكثير من الفتيان روح التنافس الفطري، ومن عادتهم استخدام الصور للتعلم. لذلك ننصحكم باستغلال هذين العاملين لإضافة عنصر التسلية إلى تعليم المهارات اللغوية.

في قسم الاقتراحات التالي تمرين يهدف إلى ربط الكلمات واللغة بالتجارب الحركية. تغلب على الدماغ الذكوري في معظم الأحيان الوظائف المكانية المعتمدة على الحركة. لذلك، يتفاعل الفتى عادةً مع البيئة بواسطة جسده ويتعلّم من خلال تخزين الصور الناتجة عن هذا التفاعل. من خلال تطبيق الاستراتيجيات التي قمنا باقتراحها عليكم، تساعدونه على ربط هذه التجارب الحسية مع المراكز اللغوية في الدماغ. تكمن أهمية ذلك في أنّ نموّ هذه الأقسام الذهنية يكون بطيئاً في معظم الأحيان، إضافةً إلى أنّ عليه استخدام هذه الأجزاء لينجح أكاديمياً.

إنكم لا تحاولون من خلال ذلك تغيير طبيعته القائمة على ولعه باختبار العالم. إلاّ أنّكم تساعدونه على استكشافه وفقاً لميوله الخاصة مع تشديدكم على أن يربط تجاربه مع اللغة التي ستستحوذ الكثير من حياته في المستقبل.

اقتراحات

اقطعوا مستطيلات من الكرتون على أن يكون حجمها بين الأربعة والستة إنشات. قصّوا بعض الصور من المجلات والصحف، على أن تظهر أغراضاً موجودة عادةً في المنزل مثال الثلاجة والسرير والخزانة وسلة المهملات والأريكة والكرسي. (إن كانت لديكم آلة تصوير، تستطيعون التقاط الصور لهذه الأغراض). الصقوا الصور على البطاقات. أعطوا ابنكم كلّ بطاقة على حدة وساعدوه على البحث في أرجاء المنزل على الغرض الذي يشبه الصورة. إن كنتم تحاولون تدريب ابنكم على دخول الحمام وعلى النظافة، يمكنكم استخدام صور الحمام وحوض الاستحمام.

عندما يجد الفتى الغرض الموجود في الصورة ساعدوه على قول اسمه. شجّعوه على التحدث عن الغرض من خلال طرح الأسئلة. يمكنكم أن تسألوه عن غاية هذا الغرض أو عمّا يفعله به. إن بدأتم حديثاً عن الثلاجة، بإمكانكم أن تفتحوها وتسمّوا بعض ما فيها. أغلقوا بابها واسألوه عمّا رآه داخل الثلاجة. يمكنكم استخدام هذه الاستراتيجية بأشكال مختلفة.

التوازن بين النموّ الحركي البسيط والمتقدّم

أرسل لنا أحد الآباء تساؤله عن السبب الذي يجعل خطّ الفتيات أجمل من كتابة الفتيان. سألنا إن كان لذلك علاقة بما يجري في الدماغ من وظائف. أضاف هذا الأب أنّ خطّه لا يزال سيّئاً وأنّ ابنه يكتب بالرداءة نفسها، ممّا دفعه إلى التفكير بأنّ ذلك قد يكون ظاهرةً ذكورية.

يتّسم خطّ العديد من الفتيان بالوضوح، إلاّ أنّ هذا الوالد لاحظ فرقاً في هذه المسألة بين الجنسين، وهو اختلاف من المهم الإشارة إليه. تتطلّب التجربة المدرسية أن تنمو المهارات الحركية البسيطة لدى الفتى، خصوصاً وأنّه

سيستخدمها للقيام بوظائف عديدة منها الكتابة. بوسع الكثير من الفتيان والفتيات تنمية هذه المهارات دون أيّ تشجيع. إلاّ أنّ في الدماغ الأنثوي عدداً أكبر من المراكز المسؤولة عن هذه المهارات الحركية، بينما يعتمد الذكور على عدد أكبر من المراكز الخاصة بالمهارات العامة. تتفوّق الفتيات على الفتيان في مسكهن للأقلام أو في الكتابة بخطٍّ مقروء منذ صغر سنّهنّ. يعود ذلك إلى أنّ الدماغ الأنثوي يربط المهارات الدقيقة بالوظائف اللغوية بشكل أفضل من الذكور.

على الأهل والأشخاص المحيطين بالأطفال تنمية مهاراتهم اللغوية، إلاّ أنّ هذه المهمة تمتدّ إلى حماية القدرات الفكرية لدى الأطفال من خلال مساعدتهم وتشجيعهم على تنمية المهارات الدقيقة التي يحتاجون إليها في المستقبل. تستطيعون وفرقكم القيام بذلك من خلال منح الفتى فرصاً لاستخدام يديه في وظائف حركية دقيقة تعمل على تشغيل العضلات الصغيرة. من هذه الوظائف:

ـ سَلْك الخرز (مع التأكد من أنّ حجمها يتناسب وعمر الفتى).

ـ الألعاب المعتمدة على بناء أشكال مختلفة.

ـ الألعاب المعتمدة على جمع الأجزاء لتشكيل صورةٍ معينة مع زيادة عدد الأجزاء كلّما تقدّمت مرحلة النمو.

ـ الصور المركّبة من مختلف أشكال وأحجام الفاصوليا والبازيلا والمعكرونة أو من أغراضٍ وأحرف صغيرة الحجم (مع التأكد من تناسب الأحجام وعمر الفتى).

ـ الحياكة.

على الأهل الالتفات إلى المهارات الحركية الدقيقة مع عدم تجاهل المهارات العامة كالركض والقفز والتسلّق وركل الكرة وركوب الدراجة والتأرجح. إنّ هذه المهارات الحركية تقوم بتمرين العضلات الأكبر حجماً، وذلك أمرٌ يحتاج إليه

الجسم والعقل. في الواقع، يجيد الفتيان الكلام والقراءة والكتابة بشكل أفضل بعدما يكتسبون هذه المهارات العامة. يعمل الدماغ الذكوري بشكل أكثر فعالية عندما يكون الجسم قد تحرّك وأثّر على مختلف أجزاء الدماغ. من المهم أن يقوم الفريق التربوي بتوجيه الطاقة الذكورية وبتشجيع الفتيان على استخدامها في البيئة المحيطة بهم. لعلّ أهم عناصر هذا الدعم هو حثّ الذكور على القيام بالوظائف الحركية الدقيقة والعامة، إذ أنّ تجاهل المهارات الدقيقة يؤدّي إلى عدم تمرّن الفتيان كما يجب وإلى احتمال عدم النجاح التعلّمي في المستقبل.

للتأكد من أنّ العائلة تهتم بالمهارات الحركية الدقيقة والعامة بشكل متوازن، يمكنها الاعتماد على جدول أسبوعي يذكر الوظائف التي يقوم بها الفتى. يُظهِر هذا الجدول إن كان عدد المهارات الدقيقة والعامة متساوياً، ممّا يسمح للعائلة بالتخطي لنشاطات تعزّز التوازن بين نوعي المهارات. إن كان الفتى قد بلغ السنتين والنصف من عمره، يمكنكم العمل على جعل البيئة المنزلية معتمدةً، بنسبة عشرين بالمئة، على الوظائف الحركية الدقيقة. إنّ هذه النسبة تضمن أنّ الفتى سيكتسب المهارات الضرورية التي يحتاج إليها في الوظائف المستقبلية، ولعلّ أهمّ وظيفتين تتأثران بهذا الأمر هما القراءة والكتابة.

السيطرة على العوامل الخفية الضاغطة على الفتيان

من خلال اعتماد مارشا وستيفن على عادة القراءة الليلية، منحا أبناءهم وقتاً هادئاً ينمّي قدراتهم الفكرية ويجعلهم ينسون أيّ عوامل تضغط عليهم نفسياً في المنزل وفي حياتهم بشكل عام. في حياة الطفل الكثير من العوامل الضاغطة ومن المؤثرات المتنوعة، لذا فإنّه يحتاج إلى بعض الهدوء. إنّ التقليد العائلي القائم على المطالعة يشكّل أفضل فرصة للاستمتاع بهذه السكينة.

آمل وكاثي أن تكون الاقتراحات المطروحة في هذا الفصل قد ساعدتكم على السيطرة على المؤثّرات المحيطة بالطفل. كما ونأمل أن تبتكروا بعض

التقاليد العائلية كتلك التي اعتمد عليها ستيفن ومارشا. نقترح تخصيص بعض الوقت العائلي للقراءة أو لتناول العشاء أو للذهاب في نزهة في الطبيعة أو حتّى للصلاة. بوسع هذه النشاطات أن تكون الوقت الهادئ الذي يجعل الأطفال ينسون المؤثّرات التي تضغط على نفسيتهم أثناء النهار.

هناك مئات النشاطات التي يستطيع الأهل الاعتماد عليها، ومن المستحيل تنفيذ كلّ ما ينصح به الخبراء. إلاّ أننا نأمل أن تساعدكم اقتراحاتنا وإرشاداتنا على اختيار بعض الأفكار التي قد تنفذوها في منازلكم. عليكم ألاّ تنسوا أنّ البيئة المنزلية هي المدرسة الأولى التي يكتسب فيها الطفل المهارات الأساسية من خلال توجيهكم لهم.

لقد قمنا بالتركيز على الاستراتيجيات التي تنمّي الفَصّ الجبهي، لأننا نعتقد أنّ هذا الجزء من الدماغ هو ما يسمح للطفل بالاستمتاع بالأوقات الساكنة. من خلال التأثير على هذا القسم الذهني، تتمّ تنمية القدرات الفكرية من خلال تطوير المهارات اللغوية والسماح للطفل بالقيام بخيارات مختلفة. كما وتعتمد تنمية الفصّ الجبهي على العلاقات الوثيقة وعلى فهم الطفل للتفاصيل الحسية كالألوان، ولا يمكننا تجاهل أهمية المهارات الحركية العامة والدقيقة. تكمن أهمية هذه الوظائف المختلفة في أنّها تتمّ عبر أهم أجزاء الدماغ على الصعيد التعلّمي، وهو الفصّ الجبهي.

مهما كانت وظيفة الفتى المستقبلية، فإنّ البيئة المنزلية تعتبر أساساً للوصول إلى تنمية كاملة للعقل الذكوري. سنتطرّق في الفصل التالي إلى البيئة التي ستحيط بالطفل بعد الالتحاق بالمدرسة. سنركّز على المعايير التي على أيّة حضانة ومدرسة تمهيدية التفكير بها إن كان هدفها الأساسي مساعدة الفتى على التعلّم بأفضل شكلٍ ممكن. على هذه البيئة المدرسية منح الفتيان جوّاً يغلب عليه الهدوء، الأمر الذي يسعى إليه كلّ طفل.

الفصل الرابع

البيئة المناسبة لتعليم الفتيان في المراحل المبكرة

لعلّ الهدف التربوي الأساسي هو تعليم الصغار القدرة على تنمية قدراتهم الفكرية بأنفسهم.

إليون و. آيزنير، أستاذ محاضر في كلية التربية في جامعة ستانفورد

منذ أربع سنوات وتدير نانسي شيريدان مركز العناية والتربية المبكرة في ويسكونسين، في المركز اثنان وسبعون طفلاً، وقد تمّ تقسيمهم إلى مجموعات مختلفة وفقاً لأعمارهم (سنتان أو ثلاث أو أربع سنوات). يصل العديد من الفتيان والفتيات في السادسة والنصف صباحاً، ويقلّهم إلى المركز أهاليهم وهم في طريقهم إلى أماكن عملهم. لا يغادر هؤلاء الأطفال المركز قبل السادسة إلاّ ربعاً من مساء كل يوم. لكلّ مجموعة من الأطفال شخصٌ مسؤول يصل عند السابعة والنصف صباحاً ويبقى معهم حتى الرابعة من بعد ظهر كل يوم، من الاثنين وحتى الجمعة. يمضي المدرّس، بمساعدة شخص آخر، حوالى 45 ساعة أسبوعياً وهو يقوم بالاهتمام بالأطفال وبالتأكد من جميع التفاصيل (الوجبات، التعلّم والراحة). تركّز مدرسة نانسي على أن يكون في كل صف عددٌ كافٍ من الراشدين ليستطيعوا الاهتمام بجميع الأطفال، ويتمحور العمل في هذا المركز على الفتيان وحاجاتهم. أرسلت لنا نانسي رسالةً تتحدث فيها عن تجربتها، وفيها:

«اخترت مهنة التعليم في الصفوف التمهيدية لأنني مولعةٌ بالأطفال. إلاّ أنني لم أكن مؤهلة بشكلٍ كافٍ للعمل مع الكثير من الفتيان، خصوصاً وأنّهم أكثر حركةً من الفتيات. كما وأنّهم لم يقبلوا الجلوس بهدوء أو الإصغاء إلى قراءتي للقصص، ولم يكملوا التمارين الخاصة بالحروف أو الأرقام. كان اهتمامهم منصبّاً على اللعب، وكانت جميع الألعاب صاخبة. أمّا الفتيات، فكنّ يمضين الوقت في الأقسام المخصّصة للتدبير المنزلي أو لاختيار الملابس المناسبة للدمى. كانت الفتيات هادئات في معظم الأحيان، بينما كان الفتيان يركضون في مختلف أرجاء الصف وهم يبنون الأشكال الهندسية ويهدمونها. تنجح بعض المعلّمات في السيطرة على الفتيان، إلاّ أنني أعتقد أنّ جميعنا غير قادر على إنجاز تلك المهمة على أكمل وجه. بدأنا الآن الإدراك بأنّنا نحتاج إلى بعض المساعدة لنفهم كيفية منح الفتيان ما يحتاجون إليه».

من الممكن أن يجزم بعض من يقرأ رسالة نانسي أنّ مدرستها ليست بالمستوى الأكاديمي المطلوب. إلاّ أنّ ذلك غير صحيح، إذ إنّ طاقم المدرسة يقوم على عناصر مؤهّلة. إلاّ أنّ القليل منها، ولسوء الحظ، قد تلقّى التدريب المناسب في الجامعة لاستيعاب الفروقات التعلّمية بين الجنسين.

بيتسي فلاغلير معلمة في إحدى المدارس التمهيدية في دايفيدسون، كارولينا الشمالية. لاحظت بيتسي مشكلةً في مدرستها، وهي أنّ المدرّسين يظنّون أنّ الأطفال في هذه المرحلة لا يفشلون، نظراً إلى صغر سنّهم. إلاّ أنّها أشارت إلى أنّ عدم إدراك المعلّمين للأسلوب التعلّمي لدى الذكور سيؤدّي في ما بعد إلى فشلهم.

يعتبر المدرّسون في هذه المرحلة المبكرة بمثابة حلفاء للأهالي. يتمحور هذا الفصل حول الإجابة على سؤال يطرحه المدرّسون في المرحلة التمهيدية وفي دور الحضانة وهو: ما هي البيئة التعليمية المناسبة التي تسمح للفتيان، في هذه

المرحلة المبكرة، أن ينموا اجتماعياً وعاطفياً وفكرياً لتتكلّل تجربتهم الأكاديمية بالنجاح؟ سيثير محتوى هذا الفصل اهتمام الأهل الذين يحاولون اختيار المدرسة المناسبة لطفلهم، كما ومن الممكن تطبيق ما يقترحه هذا الفصل في جميع المراحل المدرسية من الحضانة وحتى المرحلة الثانوية. لكنّ الجزأين الثالث والرابع يهدفان إلى إعطاء النصائح الخاصة بالفتيان في المراحل الإعدادية والتكميلية والثانوية. يتوجه هذا الفصل إلى كلّ من يشارك في تربية وتعليم الصغار.

على مرّ السنين، وصلني وكاثي الكثير من الرسائل من مدرّسين في المرحلة التمهيدية وفي دور الحضانة. يغلب على هذه الرسائل عادةً الشعور بالإحباط والحزن من جرّاء الصعوبات التي يواجهها الفتيان في هذه المراحل المبكرة. يعتبر المدرّسون في هذه المرحلة أوّل من يقوم بتعليم الفتيان، ولذلك، فإنّ الأهالي يحمّلونهم المسؤولية الأهمّ في تجربة الذكور التعلّمية.

لاحظنا من خلال عملنا مع مدرّسي هذه المرحلة المبكرة أنّ فهم القدرة الفكرية الذكورية يؤدّي إلى معرفة الوسائل التي تجعل العمل مع الطلاّب أكثر متعة. كما وتقوم هذه المعرفة بتعزيز الثقة بين الأهالي والمدرّسين. عندما يدرك المعلّم الأسلوب التعلّمي عند الذكور، يصبح مؤهلاً لخلق بيئةٍ مناسبة للفتيان. كما ويغدو قادراً على إسداء النصائح للأهالي وللأفراد المهتمين بسلامة الفتيان التعلّمية والفكرية.

منح الفتيان بيئة تعليمية تتناسب وعقولهم

ما هي عناصر البيئة التعليمية المناسبة للقدرة الفكرية عند الذكور؟ في أيّة بيئة يستطيع الفتى تنمية عقله بنفسه؟

لعلّ أهمّ مظاهر هذه البيئة المتوافقة والفكر الذكوري هي المساحة.

الصّف:

يمضي الفتى معظم حياته المبكرة وهو يلعب ويقوم بوظائف صغيرة تنمّي قدرته الفكرية وتعلّمه ما يحتاج إلى اكتسابه. يعتبر اللّعب أهم العوامل التعليمية في هذه المرحلة ويحتاج الفتى إلى القيام بذلك في مكانٍ ذي مساحة ملائمة وكافية.

يحتاج الكثير من الفتيان إلى أماكن واسعة، خصوصاً وأنّهم يكتسبون المعرفة من خلال اللعب والحركة الجسدية. بينما تكتفي الفتيات بمساحة صغيرة، يشعر الفتيان فيها بالتململ وبالانزعاج، ممّا يولّد مشكلاتٍ سلوكية. إنّ الوظائف اللغوية تتطلّب مساحة صغيرةً، إذ أنّها لا تعتمد على الحركة. إلاّ أن الوظائف التي تشغّل الأقسام الحركية من الدماغ تحتاج بطبيعتها إلى مساحة واسعة، ويطالب الفتيان بهذه المساحة وقد يقومون بذلك من خلال السلوك الرديء.

إن كنتم تودّون فهم الاختلاف بين الفتيان والفتيات في استخدامهم للمساحة التي حولهم، راقبوا ما يجري في مدرسة ابنكم. لا تحتاجون إلى أكثر من عشرين دقيقة لتلاحظوا استغلال كل طفل لهذه المساحة. قوموا بذلك لعدة مراتٍ يومياً على مدار ثلاثة أيام، ودوّنوا كل ما يلفت نظركم. بعد بضعة أيام، ستتوصّلون إلى معرفة لا بأس بها عن الطلاّب في المرحلة التمهيدية. مقارنةً بالفتيات، يستخدم الفتيان مساحةً أوسع من الأرض والجدران والطاولات.

إنّ ملاحظة هذه المسألة أمرٌ مهم للغاية إذ إنّ الكثير من المدارس التي عملنا معها قد وسّعت الأماكن التعليمية بعدما اطلعت على ضرورتها. أدّى هذا التعديل في المساحة إلى انخفاض عدد المشكلات السلوكية.

هناك مسائل أخرى عليكم الالتفات إليها في المساحة التعليمية. على سبيل المثال، هناك اختلاف في استخدام الجنسين للطاولات، إذ أنّ الذكور بحاجةٍ إلى

طاولات أكبر. يحبّ الفتيان أن ينشروا أغراضهم على الطاولة، إذ إنّهم يتعلمون من خلال ذلك كيفية تنظيم الأمور وتحليلها.

نقترح أن تنتبه المدارس التمهيدية إلى كيفية استخدام الألواح التي تنشر عليها مختلف الأوراق. إنّها وسيلة تعليمية مفيدة لجميع الأطفال، وتكمن أهميتها عند الفتيان في سعادتهم الشديدة إن قاموا بتعليق كتاباتهم ورسوماتهم. من المفضّل ألاّ تكون هذه الألواح عاليةً مما لا يسمح للفتى بتعليق الأوراق بنفسه وبتغييرها كلّما أراد ذلك.

الكتب والألعاب والكاراتيه:

يحتاج جميع الأطفال إلى الكتب، والفتيان يحتاجون بشكل خاص إلى رؤية الكتب في البيئة المحيطة بهم. يجب أن تكون هذه الكتب مليئةً بالصور أو أن تقوم على تقطيع الأوراق وإلصاقها بأشكال مختلفة يمكن قياسها. كما ويحبّ الفتيان قراءة الكتب التي تشرح مختلف العمليات أو التي تصف نموّ الأشياء، إضافةً إلى تلك التي تتكلم عن الأبطال. من أهمّ عناصر الكتب التي تثير اهتمام الفتيان هو حثّها إيّاهم على الإبداع أو على التساؤل.

كما ويحتاج الذكور إلى قطع من مختلف الأحجام على أن يستطيعوا استخدامها لتركيب أشكال مختلفة بوسعهم فكّها بعد ذلك وتشكيلها مرّةً أخرى.

توافق معظم المدارس التمهيدية أو كلّها على أهمية الكتب والقطع المختلفة. إلاّ أنّنا لاحظنا عدم ارتياح معظم المدرّسين في هذه المرحلة تجاه استخدام الكاراتيه في الصف.

بدأتُ وكاثي بالتطرّق إلى هذه المسألة في العام 2001 بعدما وصلتنا رسالة عن عدم سماح إحدى دور الحضانة للكاراتيه في الصف وخارجه.

في الرسالة تشديد على أنّ المسؤولة عن الحضانة لم تقبل بذلك، إذ إنّه

شكل من أشكال العنف. تحاورنا وهذه المعلّمة وقمنا بزيارتها. لاحظنا وجود الكثير من الكتب والقطع المختلفة في المكان إلاّ أنّ أكثر ما لفت نظرنا هو إصرارها على عدم السماح بأيّة حركات جسدية عنيفة.

من الشائع وجود هذا الرفض في المدارس التمهيدية وفي دور الحضانة. هناك حاجةٌ لدى العاملين في هذه المؤسسات التعليمية، وتقوم هذه الحاجة على الحفاظ على السلوك الصالح للطلاّب والحؤول دون تعرّضهم إلى أية إصابات. كما وفي هذه الصفوف انتشارٌ للفكرة التي تحتّم ازدياد العنف عند الفتيان إن سُمح لهم بالقيام بحركات جسدية عنيفة.

لكنّ معظم الفتيان يودّون التواصل مع بعضهم البعض من خلال هذه الحركات الجسدية العنيفة. كثيراً ما يقومون بركل بعضهم أو بدفع الآخرين، ويعتمدون في معظم الأحيان على المصارعة أو على ضرب بعضهم البعض بواسطة الكرات. يشعرون بالسعادة عند قيامهم بهذه النشاطات الجسدية العنيفة ويستمتعون بهذا النوع من التفاعل الجسدي.

في العام 1996، بدأت بالتحدّث عن الحركات الجسدية العنيفة، وتمحور كلامي على أنّ الفتيان، الذين لا يجيدون استخدام الكلمات للتعبير عن المشاعر الحميمة، يعتمدون على النشاطات والحركات العنيفة للقيام بذلك. إنّ طبيعة الذكور وهرموناتهم تجعلهم يعبّرون عن مشاعرهم تجاه الآخرين عبر هذه الحركات العنيفة، بينما تعتمد الإناث على عناق الآخرين لتوثيق العلاقات. تعزّز هذه الحركات الجسدية الثقة بين الذكور ويتنافسون فيما بينهم عبر هذا النوع من العنف الذي يظهر من الأقوى. يعتمد الفتيان على هذا النوع من الحركات كوسيلة آمنة وغير مؤذية لتوثيق الروابط مع الآخرين، وهناك بعض الفتيات اللواتي يلجأن إلى هذه الطريقة نفسها للتعبير عن المشاعر الطيبة. إن قام فتيان

بدفع بعضهما والضحك حيال ذلك، فإنّ هذه الحركة الجسدية تحمل الحبّ نفسه الذي نشعر به بين فتاتين تتحدثان معاً.

هل توافقون على ذلك؟ هل سبق وأحسستم بهذه المسألة في مدارسكم؟ من الممكن تقييم فعالية هذه الحركات العنيفة في المدارس التمهيدية وفي دور الحضانة. تشكل هذه المؤسسات التعليمية أفضل الأماكن ليتمّ فيها تحديد ما يجب القيام به لإدارة الحركات العنيفة بين الفتيات كي لا يصاب أحد بأيّ أذى.

إن أحسستم برغبةٍ عند الفتيان باستعمال الكاراتيه والحركات الجسدية العنيفة، يمكنكم تدوين ملاحظاتٍ مختلفة عن مدى استخدام الذكور في مدرستكم لهذه الحركات. كما وتستطيعون تحديد تأثير هذه الحركات الجسدية العنيفة على الروابط، وإن كانت تقوم بتعزيز الصداقات بين الفتيان. انتبهوا إلى تواصل الذكور مع بعضهم البعض وإلى ما يقومون به أثناء تفاعلهم. قد تكون بعض الحركات التي يقومون بها عنيفةً للغاية، وقد لا يكون بعضها متوافقاً والمساحة الصغيرة التي يتواجد فيها الفتيان. ستلاحظون أنّ بعض الحركات الجسدية مؤذية إلى حدّ كبير. إلاّ أنّ ذلك لا ينفي أنّ هذا النوع من العنف يساعد الذكور على النموّ على الصعيدين الجسدي والعاطفي.

تكمن مهمة الأهل والمدرّسين، على حدّ سواء، في مساعدة الفتيان على التعبير عن الحبّ من خلال حركاتهم الجسدية. إن كانت المدرسة وسياستها تسمح باستخدام الكتب والقطع المختلفة وتمنع الحركات الجسدية العنيفة، فعليكم عندها تنظيم اجتماعات على المستويين المدرسي والمحلّي لتفسير أهمية هذا النوع الآمن من العنف. عليكم تنوير الأهل حول المسألة من خلال شرح الميول الذكورية ومن خلال اقتراح أساليب إدارية من الممكن اتباعها للإشراف على هذه الحركات الجسدية. تستطيع أية مؤسسة تعليمية السماح بهذه الوسيلة التعبيرية السائدة بين الذكور، مع تشديدها على قوانين معينة وعلى تواجد بعض

المتطوعين من الأهالي في المدرسة أثناء أوقات اللعب. من المهم أن يدرك الجميع أهمية الحركات الجسدية العنيفة، إذ أنّ ذلك يساعد الفتيان على النموّ وعلى توثيق الروابط مع الآخرين.

الإضاءة:

لا يختبر الجنسان الإضاءة بالطريقة نفسها. يستفيد جميع الأطفال من الإضاءة، إلاّ أنّ الفتيان يرون بشكلٍ أفضل عندما يكون الضوء قوياً. لذا، فإنّهم يحتاجون إلى الكثير من الأضواء عند قيامهم بالقراءة واللعب والتعلّم. للإضاءة تأثير على أداء الفتيان الأكاديمي وعلى نفسيتهم. يؤثر الضوء الخافت على مستوى السيروتونين في الدماغ، ممّا يجعل التعلّم أمراً شديد الصعوبة. في هذا الجو المظلم نوعاً ما، تكثر المشكلات السلوكية عند الذكور.

في جامعة بينسلفانيا، قام روبين غور بدراسة مثيرة للاهتمام عمّا يجري داخل الدماغ الذكوري مادة بيضاء أكثر من الدماغ الأنثوي، وتتأثر هذه المادة عند الفتيان بشكل أسرع عند تعرض العيون وأعصابها للضوء. لذلك، فإنّ الذكور شديدو التاثر بالإضاءة، خصوصاً وأنّ النظر هو أقوى الحواس لديهم وأكثر ما يساعدهم على اكتساب المعلومات الجديدة. تعتمد الفتيات على الحواس ألأخرى للتعلّم. لذلك، فإنّ الإضاءة شديدة الأهمية عند الذكور الذين يتعلّمون بواسطة القسم المسؤول عن النظر في الدماغ. من المهم أن تكون المدرسة التمهيدية مضاءةً بشكل جيد، وتشتدّ مسؤولية المدرّسين والأهالي في تأكيد هذه المسألة في الشتاء عندما يمضي الطلاّب معظم أوقاتهم داخل الصفوف.

المسؤولية الشخصيّة:

من المفيد للنمو الفكري السماح للفتى بالقيام بالخيارات المختلفة في منزله وفي مدرسته التمهيدية. إنّ مواعيد تناول الوجبات هي أكثر الأوقات أهميةً في

تنمية المسؤولية الشخصية لدى الفتيان. عند وصولهم إلى العمر المناسب، يمكنكم أن تطلبوا من الذكور تحضير الطاولة لتناول الطعام، بعد أن تعلّموهم كيفية إنجاز ذلك. جانيت ريدجواي هي والدةٌ لولدين تقوم بالرعاية بالأطفال في منزلها. تستخدم جانيت مواعيد تناول الطعام لمساعدة ابنيها، البالغين الثالثة والسابعة من عمريهما، ليتعلّما الرياضيات والأرقام. أطلعتنا جانيت على تجربتها في رسالتها التالية:

«على امتداد بضعة أسابيع، لاحظت أنّ الفتيات مهتمات بتحضير الطاولة أكثر من الفتيان. قررت تغيير ذلك الواقع. أشجع الفتيان على تحضير الطاولة حالما يسمح طولهم بذلك، وأعتمد على ذلك لتعليمهم الرياضيات. ذات مرّة، طلبت من تشاد، وهو ابني الأكبر، أن يعدّ الأواني الفضية بصوتٍ عالٍ. قام الأطفال الآخرون بمشاركته تلك المهمة. يستمتع تشاد بإعطاء أخيه الأصغر تاكير التعليمات المختلفة. عندما كبر الفتيان الأصغر سناً وعندما باتوا قادرين على الوصول إلى الطاولة، بدأ تشاد بتعليمهم كيفية عدّ الأواني الفضية».

إنّها بيئة تدعم الفتيان وتحترم قدراتهم الفكرية. يكتسب الفتيان في منزل جانيت وعياً لمسؤوليتهم الشخصية ولا يكبرون وفي رأيهم أنّ بعض المهمّات هي من واجب الفتيات فقط. كما وترتبط نشاطات الفتيان المختلفة بالرياضيات، ممّا يساعدهم على اكتساب المعرفة الحسابية.

تعلّمت جانيت الأساليب التعليمية التي قامت ماريا مونتيسوري بابتكارها، وهي متخصصة في المسائل التربوية. ابتكرت مونتيسوري الكثير من الوسائل التي تربط التعلّم بحسّ المسؤولية وبالحوافز الذاتية. في المدارس المعتمدة على مفاهيم مونتيسوري استخدامٌ للتقنيات التي تنمّي الحوافز الذاتية عند الأطفال، ومنها الاستراتيجية التي اعتمدتها جانيت في منزلها.

الفتيان والحواس

تؤثر المدارس التمهيدية أكثر من المنازل على الفتيان في تعريضهم إلى ما يكفي من التجارب الحسيّة أو في افتقارها إلى هذه التجارب. تزداد أهمية هذه المسألة لدى الفتيان الذين يواجهون مصاعب في المرحلة التمهيدية. أطلعتنا بيتسي فلاغلير على تجربتها، وهي معلّمة تكتب مقالاتٍ صحفية خاصة بتوجيه الأهالي:

«التحق تشارلي بمدرستنا وهو في الثالثة من عمره. بدأت السنة الدراسية بصعوبة، إذ أنّنا كنّا مضطرين إلى توبيخه طوال الوقت. كان عنيفاً في بعض الأحيان، لكنّه كان يهدأ بعد ذلك. كان يكره الصخب في الصف ولم يرغب بارتداء الأحذية. كما وأنّه لم يكن مدركاً للمساحة المحيطة به وأراد ارتداء بعض الملابس دون أخرى. إضافةً إلى ذلك، كانت لدى تشارلي حاجةٌ ماسة إلى أن يرتطم بالأثاث وبزملائه. كان من الصعب أن نكون داعمين له في الأوقات التي ازداد فيها عنفه أو حركته.

بعد ذلك، حضرنا جلسة تدريب عن الدماغ والحواس، واكتشفنا أنّ لدى تشارلي مشكلة في دمج الحواس. كانت هذه المعلومات مهمة للغاية بالنسبة إلينا. إننا نتعاون الآن مع والديه اللذين جعلاه يحضر جلسات علاجية في مورسفيل. كان استيعابنا وأهله لكيفية عمل دماغه أمراً نوّرنا وساعدنا على حلّ مشكلته. قمنا بعد ذلك بتعديل وسائلنا التعليمية التي نستخدمها مع تشارلي، وبتنا نفهم قدرته الفكرية وحواسه وتصرفه. أصبحت الأمور على أفضل ما يرام منذ ذلك الوقت.

إنّ تجربة بيتسي مع تشارلي شديدة الأهمية. في أيّ صف يحتوي على 25 طفلاً، سيكون هناك عدد من الفتيان الذين يحتاجون إلى فهمكم لعقلهم وجنسهم وحواسهم وتصرفاتهم. إنّ الذاكرة عند الراشدين كاملة النموّ، إلاّ أنّها تستطيع

تخـزين عـدد أقل من المعلومـات عنـد الأطفـال. لذلك، فـإنّ حيـاة الفتـى الصغيـر تتمحور حول ما يجري الآن ومع ما تختبره حواسه في الوقت الحالي.

هناك الكثيـر من الحلـول التي يمكن اتبـاعهـا لإنهـاء المشكلات المختلفـة في المرحلة التمهيدية، ومنها ما يذكره قسم الاقتراحات التالي.

من خلال مراقبة الصف، يمكنكم الانتباه إلى ما يؤثر فيه على الأطفال وإلى ما يثير الحواس بطرقٍ تفيد التعلّم أو تعيقه. نأمل أن تستمتعوا في مراقبتكم للصف وفي إدراك ما يساعد الفتيان والفتيات على التعلّم. إضافةً إلى ذلك، نأمل أن تتمكنوا من تحديد ما يمكنكم تعديله لتصبح البيئة التعليمية أكثر توافقاً والفتيان وقدراتهم الفكرية. كما ونتمنى أنّكم ستقدرون، من خلال مراقبة الصف، أن تاخذوا بعين الاعتبار أنّ هناك أطفالاً ذوي حواس شديدة التأثر في الصف.

عند قراءة الملاحظات التي قمتم بتدوينها أثناء مراقبتكم للصف، قد تقومون بعدّة تعديلات فيه. سنطلعكم على بعض ما يمكنكم القيام به لحلّ المشكلات الحسيّة التي يواجهها بعض الفتيان:

ـ تتفوّق الفتيات على الفتيان في القدرة السمعية. لذلك، عليكم تعديل نبرة صوتكم لتضمنوا أنّ الفتيان قد سمعوا تعليماتكم بشكل كامل. يمكنكم أن تطلبوا من الفتيان تكرار ما طلبتموه منهم للتأكد من أنّهم سمعوكم جيداً.

ـ لا يتأثر الفتيان بلمسكم إيّاهم بشكل رقيق. لذلك، قد لا يكون من الكافي أن تلمسوا الذراع ليعيركم الفتى اهتمامه. لذا، بوسعكم النظر إليه وتوجيه الكلام إليه عند لمسكم لذراعه، ممّا يعني أنّكم ستؤثرون على ثلاث حواس في الوقت نفسه. إنّ هذا التواصل المتعدّد الاتجاهات يضمن استيعاب الفتى لما تريدونه منه.

اقتراحات

اجلسوا في أحد كراسي الأطفال الموجودة بقرب باب الصف.

- ما أوّل ما يلفت انتباهكم؟ كم يستحوذ هذا الغرض على اهتمامكم؟
- ما هي الأغراض التي تلهيكم عن الدرس؟
- كم من الوقت يحتاج دماغكم للانتقال من غرض إلى غرض؟
- هل هناك لون طاغٍ يثير اهتمامكم؟ ما هي الألوان الأقل أهمية؟
- هل الغرفة مكتظّة بالأغراض؟ اعتمدوا على حواسكم للإجابة على هذا السؤال.
- حدّدوا الأصوات التي تسمعونها في الصف. التفتوا إلى عددها ومن ثم انظروا إلى الأطفال، خصوصاً وأنّ الدماغ الطفولي ينجذب عادةً إلى المؤثّرات السمعية أكثر من دماغ الراشدين.
- كيف ترون مختلف أقسام الصف من حيث أنتم؟ هل هي متوافقة وحاجات الفتيان وميولهم؟ هل هناك طاولات كبيرة الحجم وصور يستطيع الصغار الوصول إليها؟ هل هناك ما يكفي من المساحة في الصف؟

ـ لا ينظر الفتيان إلى الآخرين عند التكلّم معهم. لذلك، لا تتوقعوا من أيّ فتى أن يقوم بتبادل النظرات معكم. إن ذلك سيؤثر عليه وعلى نفسيته، ممّا قد يرفع مستوى الكورتيزول ويقلّص من تركيزه على العمل الذي يقوم به. إن أخذتم هذه المسألة بعين الاعتبار، قد يزداد إحساس الفتى بالراحة في صفكم.

ـ لا ينتقل الفتيان من عملٍ إلى آخر بسرعة انتقال الفتيات، إذ أنّهم بحاجة إلى بعض الوقت بين العملين. يولّد ذلك بعض المشكلات السلوكية لأنّ المدرسين والأهل سيطلبون من الفتى إنهاء العمل السابق والبدء بالجديد. إلاّ أنّه لن يقوم

بذلك في الوقت الذي يحدّده الشخص الراشد. من المفضّل الانتظار حوالى ستين ثانية (أو أكثر) بين العملين.

- يعتمد الفتيان على حاسة النظر، لذا يجب على المدرّسين التأكد من تعليق الكثير من المساعدات البصرية على الجدران. إنّ ذلك يضمن استيعاب الفتيان للمعلومات ويساعدهم على التعلّم. تظهر الدراسات أنّ الإنسان قادر على تذكر عدد غير محدد من الصور بالرغم من عدم قدرته على تخزين الكثير من الكلمات في آنٍ واحد. ينطبق ذلك على جميع الأطفال، إلاّ أنّه من المفيد مساعدة الفتيان على التعلّم بواسطة استخدام الصور والبيانات والتصاميم. تكمن أهمية ذلك في أنّ الدماغ الذكوري يربط المؤثرات البصرية والذاكرة.

- إنّ التكرار وسيلةٌ فعّالة اثناء تعليم جميع الأطفال، إلاَّ أنّ جعل الفتيان يكررون تعليماتكم ثلاث مراتٍ على الأقل أمرٌ قد أثبت فعاليته. يستطيع الفتى تكرار التعليمات بصوتٍ عالٍ أو بشكل ذهني. على الأهالي والمدرّسين تكرار الأمور للأطفال بشكل مستمر، إلاَّ أن عليهم تعليم الفتى تكرارها، ممّا يساعده على توجيه نفسه نحو الهدف. تزداد أهمية ذلك عندما يكون الطالب شخصاً يتعلّم بشكل أفضل عند سماع المعلومات عوضاً عن رؤيتها.

النشاطات القصيرة

هناك نشاطات قصيرة تساعد على التخفيف من وطأة الضغط المدرسي على الطفل. من نتائج الدراسات المثيرة للاهتمام أنّ العقل الذكوري يحاول تخزين المعلومات في أوقات التعلّم التي تكثر فيها المؤثّرات وفي تلك التي يغلب عليها الهدوء والراحة. إنّ سرعة العمل الذهني عند بعض الفتيان تعيق عملية تنظيم الأفكار. أمّا الآخرون، فقد يكونون في فترة يغلب عليها الشعور بالملل وعدم الانتباه. قد تتعرّض الفتيات أيضاً إلى هاتين التجربتين.

في كلتا الحالتين، من المفيد الاعتماد على نشاطاتٍ قصيرة هي بمثابة استراحة للعمل الذهني. لكنّ عدداً كبيراً من هذه الاستراحات قد يؤدي إلى عدم التركيز إلى زيادة المشكلات. لذلك، يجب استخدامها بطريقة مناسبة للتخفيف من الضغط الأكاديمي ولتقليص المشكلات السلوكية.

في قسم الاقتراحات التالي نشاط يمكن تطبيقه في الصفوف بشكل منتظم أي في وقت محدد من كل يوم أو عندما يلاحظ المدرّس حالةً من التململ أو الانزعاج.

يعمّ الصف جوّ من الضحك أثناء هذه النشاطات، ممّا قد يخفض حدّة الضغط لدى الأطفال الذين يعانون من صعوبات تعلّمية. في غضون عدّة دقائق، ينخفض الضغط النفسي ويقلّ التململ ويصبح الأولاد أكثر قدرةً على العمل والتركيز. إنّ هذه الوسيلة فعّالةٌ مع الفتيان الذين لا يميلون إلى الدروس اللغوية، إذ أنّها تساعدهم على التركيز مباشرةً قبل النشاط القائم على القراءة أو التهجئة أو أية مهارة لغوية أخرى. في فترة ما بعد الغداء، يغلب على الأطفال الشعور بالنعاس، ويمكنكم عندها استخدام تقنية الاستراحة الذهنية، التي توقظ الذهن وتشكل نوعاً من حافز للتعلّم من جديد.

الموسيقى والعقل

لتكون البيئة مناسبةً للفتيان، يجب أن تمتلئ بالكتب والقطع المختلفة وبالحركة الجسدية المناسبة. كما ويجب أن تكون الإضاءة قوية وأن تكون المساعدات البصرية كثيرة. من المهم أن تكون في هذه البيئة فرصٌ عديدة لتوثيق العلاقات وللشعور بالمسؤولية الشخصية. على هذه البيئة أن تنمّي المهارات الحركية الدقيقة والعامة وأن تسمح بالتحرّك المستمر، خصوصاً وأنّ الأطفال يحتاجون إلى الحرية في التحرّك كما يحلو لهم ليتعلموا بشكل أفضل. في هذه

البيئة فرصٌ عديدة تسمح للطلاب بالقيام بالخيارات المختلفة. على المشرفين على هذه البيئة إدراك الصعوبات الحسيّة الذكورية، وعليهم احترام قدرة العقل على التركيز لفترات معينة وحاجته إلى الاستراحة.

اقتراحات

اللجوء إلى الاستراحات الذهنية

اطلبوا من الأولاد الوقوف خلف كراسيهم مع الانتباه إلى أن تكون هناك مساحة كافية لتحريك الذراعين والساقين. ضعوا بعض الموسيقى التي تدفع إلى الحركة واجعلوا الطلاب يصفقون وهم يمدّون أياديهم إلى الأمام، ثم إلى الشمال ثم إلى اليمين. بعدها، اطلبوا منهم التصفيق في أسفل الجسم قرب الأرجل. قفوا وصفقوا ثم اطلبوا من أحد الطلاّب أن يقوم بالتوجيه الحركي. شجعوا الطلاب على ابتكار حركات جسدية جديدة من الممكن القيام بها في المساحة المتوفرة؟ اطلبوا من كل طالب توجيه زميل له لمدة تتراوح بين الدقيقتين والأربع دقائق. من خلال ذلك، تتأكدون من أنّ كل طالب استطاع القيام بالتوجيه لبعض الوقت. دوّنوا أسماء من وجّه الصف بأكمله لتسمحوا للآخرين في اليوم التالي بتولّي هذه المهمة. من خلال ذلك، يصبح بوسع كل الطلاب القيام بذلك في أيام مختلفة.

إضافةً إلى كل تلك الأمور، على البيئة التعليمية أن تقوم على عنصر الموسيقى. هناك صلة وثيقة بين الموسيقى والتعلّم، وإنّها مسألة لا نعيها دوماً. يعتبر الباحثون أنّ الموسيقى تؤثر على جميع الحواس أي على مختلف أجزاء الدماغ في قسميه الأيمن والأيسر. لذلك، بإمكانكم استخدام الموسيقى في طرقٍ مختلفة. سنطلعكم في الفصول التالية على تقنيات تعتمد على الفنون ومنها الموسيقى. تزداد أهمية الموسيقى في المرحلة التمهيدية، إذ أنّها بمثابة اللغة الثانية للطفل.

من الممكن أن تعمّ الموسيقى في المدرسة أثناء وصول الطلاب إليها، ممّا يحضّر الدماغ للنشاطات المختلفة وممّا يساعد على إفراز مواد ذهنية تهدّئ الأطفال. من المهم أن تكون في المدرسة التمهيدية مكتبة مليئة بمختلف أنواع الأسطوانات الموسيقية ـ الكلاسيكية والحديثة والجاز والفولكلور. تحتاج المدرسة إلى موسيقى تحثّ الطلاب على الرقص وأخرى تتوافق وحصص الرسم أو فترات الاستراحة. هناك مجموعات مذهلة لموسيقى من مختلف الثقافات، ومن الممكن استخدامها في الصف.

إضافةً إلى الموسيقى المسجّلة، من الممكن أن تسمح المدرسة للطلاب بتلحين موسيقاهم الخاصة وبكتابة الأغاني المختلفة. من المهم استخدام ذلك مع الفتيان، إذ أنّ ذهنهم يخزن عدداً أقل من الكلمات. لذا، فإنّ ربط الكلمات بالموسيقى يساعدهم على حفظها واستخدامها في ما بعد.

في الدين الإسلامي، يحفظ المسلمون الكثير من الأفكار وآلاف الكلمات عبر تجويد القرآن. أمّا الكاثوليكية، فإنّها تعتمد على التراتيل التي تساعد على حفظ الأفكار الدينية. من الممكن مساعدة الطلاب على تخزين الكلمات وحفظها من خلال الأغاني والمسرحيات الغنائية.

في الطبيعة موسيقى يستفيد الأطفال منها إلى حدّ كبير. فهناك صوت المطر والرياح وحفيف الأغصان في الملاعب. إنّ ذلك مفيدٌ للغاية وفي طرق مختلفة. تعتبر العلاجات القائمة على الطبيعة أنّ هذه الأصوات تهدّئ النفوس. إنّ الإصغاء إلى المياه وهي تتدفق على الصخور يعمل على إفراز مواد كيميائية مهدّئة في الدماغ. قد يفيد ذلك الفتيان ذوي الحركة المفرطة في الصف.

يمكن للمدرسة التمهيدية السماح للأهل والأقارب مشاركة الطلاب في النشاطات الموسيقية عبر تعليق ورقةٍ على باب الصف. يستطيع الأشخاص

المهـتـمـون تدوين أسـمـائهم، وقـد يكون هؤلاء أجـداد الطلاب أو إخـوانهم أو أصدقـاءهم، إضافةً إلى أهاليهم. بوسع المتطوعين العزف على آلة ما أو مشاركة الأطفال الغناء. يمكنهم أيضاً قراءة القصص للأولاد بينما يتمّ تشغيل المسجّلة. قد يقرأ أحد أولياء الأمور القصة بينما يعزف آخر على آلته.

تفيد الموسيقى الطلاب الذين يواجهون مشكلات سلوكية أو تعلّمية. أطلعتنا إحدى المعلمات على تجربتها مع فتى يبلغ من العمر الأربع سنوات ونصف السنة. كانت هذه المعلمة تواجه الكثير من الصعوبات في السيطرة على هذا الفتى، وكانت على وشك إخبار الوالدين أنّ ابنهما لا يستطيع الاستمرار في حضور صفها. بعد حضورها لجلسة تدريب حول القدرة الفكرية عند الذكور، قررت إحدى المعلمات استخدام الموسيقى والعلاج الطبيعي مع الطالب. ساعدته على تركيب آلة موسيقية بواسطة الخشب والرز. تحسّن سلوك الفتى وسُمح له بالبقاء في المدرسة.

الصف الخارجي في رحاب الطبيعة

أطلعتنا بيتسي فلاغلير على قصة مذهلة عن دودة:

«ذات يوم، قامت مستشارةٌ بزيارة مدرستنا. كانت مهتمة بمراقبتنا والطلاب لتعرف إن كنّا ننجز مهمتنا كمدرسة وإن كنّا ننفذ الأهداف التي كنّا قد حدّدناها في السابق. حصلت حادثة أثناء تواجد الطلاب خارج الصف. تحدثت المستشارة إلى بعض الطلاّب، ممّا أدّى إلى تشتّت أفكار مجموعة من الفتيان، وأثّر ذلك على تركيزها أيضاً. استمرّت في محاولة حثّ الفتيان على الانتباه. بقيت الفتيات على المستوى نفسه من التركيز إلاّ أنّ عدد الفتيان الذين توقفوا عن الانتباه ازداد. خرجت لأرى ما يجري وعند وصولي إلى موقع الفتيان، وجدت المجرمة وهي دودة كبيرة الحجم. حاولت المستشارة باستمرار أن تجعل الفتيان يعيرونها اهتمامهم، لكنّهم أرادوا اللعب بالدودة ومراقبتها.

أحسست بتفاقم المشكلة وفكرت بتحويل اهتمام الجميع إلى الدودة، ممّا قد يشكّل درساً جديداً ومحمّساً. حصل ذلك واستمتع الجميع بالدرس، وارتاحت المستشارة بعد معاناتها من التوتر. في ذلك اليوم، طلبنا من الطلاّب كتابة بحث عن الديدان».

كما لاحظت بيتسي، فإنّ أصغر تفاصيل الطبيعة قد يثير اهتمام الطلاب ويعلّمهم أكثر من المنهاج الأكاديمي المقرّر. إنّ الدماغ الإنساني يميل نحو التعلّم في الطبيعة، ممّا يجعل الأطفال مولعين بالبيئة التعليمية الخارجية، وينطبق ذلك على الفتيان والفتيات. تكمن أهمية تجربة بيتسي في أنّ العقل الذكوري يميل إلى التعلّم في الخارج بشكل مذهل، نظراً إلى أنّ الفتيان والرجال يهوون الصيد والطبيعة. إنّ الدماغ الذكوري يؤهلهم لاستكشاف ما يحيط بهم أكثر من الإصغاء إلى الكلمات. بالرغم من أنّهم يتعلمون من التعليمات والكلمات والتعابير، إلاّ أنّ الذكور لا يميلون كالإناث إلى الأصوات المسموعة. إن توفر للفتيان بيئة تعليمية قائمة على الطبيعة، فإنّهم يسعون إلى التواجد فيها والاستمتاع بكلّ دقيقة من هذه التجربة.

بوسع المدارس التمهيدية الاعتماد على الطبيعة لتعليم الطلاب. لا يجب أن يقتصر عنصر الطبيعة على اللعب أو الحركة الجسدية، بل بإمكانها أن تمتد لتشمل الدروس التطبيقية المختلفة. قد يمضي الطلاب ساعةً واحدة في الطبيعة في الشتاء. إلاّ أنّ تلك المدة تطول في الربيع والصيف والخريف وقد تصل إلى ساعتين أو أكثر من النشاطات الخارجية. كما ويستطيع المدرسون الاستفادة من العناصر الطبيعية داخل الصف كالحيوانات الأليفة والنباتات. من الممكن استخدام الكتب التي تتحدث عن الطبيعة، كما وبوسع المتطوعين إحضار حيواناتهم إلى الصف للتحدث عنها وعن الحيوانات الأخرى.

هل استعمال الكلمات برهان على التفكير السليم؟

أطلعتنا معلّمة من مدرسة برينستون على تجربتها في صفها المعتمد على نظرية مونتيسوري، وذلك بعد حضورها لحلبة تدريب حول تعلُّم الفتيان:

«تعتمد مدرستنا على حثّ الطلاّب على استعمال الكلمات. إنّ ذلك أنثوي للغاية، أليس كذلك؟ ليس من السيّىء أن يستخدم الفتيان الكلمات، وما زلت أعتقد أنّه من الجيد أن تشجع مدرستي على ذلك الأمر. لكن بعدما استمعت إلى مناقشات الجلسة التدريبية، بدأت أتساءل عن دور الكلمات في حياة الفتيان. هل تشديدنا على استخدام الكلمات في مدرستنا يؤدي إلى تخلّف بعض الفتيان عن غيرهم؟».

إنّ هذه المعلمة تطرح سؤالاً يطالنا جميعاً. إنّنا أشخاص نميل إلى التعلّم والعمل عبر استخدام الكلمات. كما وأننا أولياء أمور ومدّرسون وطلاب نشدّد على هذه المسألة. إنّنا حضارة قائمة على الكلمة، وما يفرّق الإنسان عن غيره من الكائنات هو اعتماده على الكلمات.

إلاّ أنّ هناك مبالغة في استخدام الكلمات في تعليم الأطفال وفي مراحلهم المبكرة. توصلت الدراسات الخاصة بالاختلافات الفكرية بين الجنسين إلى أنّ الكلمات لا تؤدّي إلى النتائج التي نريدها وخاصةً مع الفتيان. نأمل أن تتغير المدارس وأن يقلّ اعتمادها على الكلمات في تعليمها للذكور. نأمل أن تقوم الفرق التربوية بالاجتماع لمناقشة ما يمكن تنفيذه في الصفوف والمنازل من الاقتراحات التي قدّمناها لكم ومن الأفكار المختلفة التي قد توصل إليها الكثير من الأهالي والباحثين.

إن كان المدرّسون والأهالي يعتمدون على الكلمات ويحثّون الفتيان على استخدامها، وإن كان ذلك يزعجكم، نأمل أن تراقبوا ما يجري وأن تدوّنوا

الملاحظات. إنّ أسبوعاً من وقتكم قد يؤدي إلى معرفة الوسائل التي يمكن اتباعها لمساعدة الفتيان والفتيات على تحفيز أنفسهم للتعلّم.

حضرت إيفيت كيل جلسة تدريب عن الدماغ الذكوري. قامت كيل بعد ذلك، وبصفتها نائب مدير مدرسة في جورجيا، بتقييم صفوفها وأطلعتنا على ما توصلت إليه من أفكار:

«يغلب على الصفوف التي تتألف من الذكور أو التي يحضرها بعض الفتيان الكثير من الصخب والحركة. قبل استيعابي لما يجري حقاً، كنت أظن أنّ الفتيان لا يقومون بأعمالهم الأكاديمية على أكمل وجه. في نظري، لم يكن من الممكن إتمام هذه المهمات وهم يثيرون هذا الكمّ من الضجة. إلاّ أنني فهمت الآن أنّهم ينجزون كل شيء وبشكل كامل. إنّهم يشاركون في الصف ويتعلمون باستمتاع شديد. كان ذلك بمثابة مفاجأة، وتعلّمت الكثير ممّا سمعته في الجلسة التدريبية. أصبحت اليوم أستمتع بحماسهم. أجلس إلى الطاولة وأطرح بعض الأسئلة ومن ثمّ أشاركهم الحماس نفسه.

إنّ هؤلاء الفتيان مذهلون. قد لا يعبّرون عن حكمتهم من خلال استخدامهم للكلمات. إلاّ أنني غدوت قادرةً على الإحساس بهذه الحكمة وبفضوليتهم وحبّهم للتعلّم، وأصبح ذلك ممكناً بعدما بتّ أعي أنّ لديهم مواهب ومهارات أخرى. من المؤسف أنّ النظام التعليمي الحديث لا يلتفت إلى الكثير من هذه القدرات المذهلة التي يتمتع بها الذكور».

الفصل الخامس

إزالة العوامل البيئية الضاغطة من حياة الأولاد

لكل مـا نقـوم بـه مع أطفـالنا وحـولهم تأثيـر إيجـابي أو سلبي على طريقـة تفكيـرهم. إنّ عقـولهم شديدة التأثر بجميـع ما يأكلونه أو يشـربونه أو يشاهدونه على شاشة التلفاز أو يلمسونه أو يسمعونه.

دانييل آيمين، مؤلف كتاب «غيّر طريقة تفكيرك لتتغيّر حياتك»

أذكر المرة الأولى التي قرأت فيـها كتـاباً عن الدماغ في العام 1981. كان كـتاباً عن علم الأعصـاب فيـه شـرح عن وظائف الدمـاغ وأجزائه وقشـرته وعن تطوّره عبـر مـلايين السنين. احتـوى الكتـاب على مواضـيع كانت يومها غـامضـةً بالنسبة لي ـ تكوين الدماغ من عدد كبير من الأعصاب كعدد النجمات في المجرّة؛ كون الدمـاغ العضـو الوحيـد في جسـم الإنسـان القـادر على إلحـاق الأذى بنفسـه؛ تفاعل أدمغتنا مع الكون ومع العالم الخارجي وتأثيـرهما على بعضهما البعض من خلال مـا نقوم ونشـعر ونفكر به. بالنسبـة إلى طالب جامعي مثلي يدرس الفلسـفة والأدب وعلم النفس، كان الدمـاغ أكثـر مـا أدهشنـي في الإنسـان ممّا جعلني أقيّم كلّ مـا تعلّمـتـه في العـقـدين التـاليين وفـقـاً إلى تماشـيـه مع ما تعلّمـتـه عن دمـاغ الإنسان.

تذكرت ذلك الكتـاب الأوّل الذي قـرأته عن علم الأعصـاب وتـذكّرت الشـغف

الذي ولّده في داخلي خلال جلستي الأخيرة مع دانييل آيمين، وهو طبيب متخصص بالأمراض النفسية والعصبية. يعالج آيمين الأطفال والبالغين ويزيل الضواغط من حياتهم بشكل ناجح وفعّال من خلال اعتماده على صور الأشعة التي تظهر الصحة الفيزيولوجية لأدمغة المرضى. تكوّنت بيني وبين دانييل، خلال السنتين الماضيتين، معرفة مهنية، وذلك عبر تواصلنا على شبكة الإنترنت وعلى الهاتف. التقينا أخيراً على مائدة غداء في مطعم في سبوكاين.

قال لي دانييل إنّه لا يعالج أي مريض يعاني من اعتلال في الدماغ دون تصويره بالأشعة. أعتقد أنّ هذا المبدأ شديد الأهمية وقد بدأنا القرن الواحد والعشرين. تعتمد عيادات آيمين على هذا المبدأ للتأكد من دقّة ووضوح أيّ تشخيص اعتلالات الدّماغ. (سنعطي شرحاً مفصّلاً عن اعتلالات الدماغ لدى الأطفال في الفصل التاسع). خلال محادثتنا، أطلعني دانييل على النتائج الإيجابية الكثيرة التي وصلت إليها عياداته الأربع المنتشرة حول الولايات المتحدة، وذلك في ما يختص بالاستراتيجيات التي يجب الاعتماد عليها للوصول إلى صحة الدماغ. كما وأخبرته عن النتائج التي وصلنا إليها في مركز غوريان للأبحاث لتوفير البيئة الأفضل في المنزل وفي المدرسة، وذلك من خلال أبحاثنا العملية التي تتشابه والأبحاث التي يقوم بها هو وغيره والتي سنطلعكم عليها في هذا الكتاب.

تذكرت ودانييل أوّل كتاب عن علم الأعصاب قرأه كلٌّ منّا هو في كلية الطب، وأنا أثناء القيام بأبحاثي العلمية. شمل هذان الكتابان معلومات مهمة، إلاّ أن دانييل وافقني الرأي بأنّ معظم كتب علم الأعصاب لا تدرّب القرّاء على كيفية حماية صحة الدفاع عند الأطفال. أشار دانييل إلى أهم عناصر صحة الدماغ التي لا تتحدث عنها الكتب وهي العلاقات الوثيقة مع الآخرين والحاجة إلى حماية الأطفال من أية إساءة. أطلعته على ما توصلت إليه وهو أن أهم كتابين في

عـالم علم النفس التـربوي لا يتطـرقـان إلى أي تحليل عن مـدى تاثيـر البـيـئـة التعليميـة على صحـة دمـاغ الفتيـات والفتيـان، وعن اختـلاف هذا التـأثيـر بين الجنسين. كما وكان لنا الرأي نفسه بما يتعلّق بالطعام والبرامج التلفزيونية وعدم تطرّق معظم الكتب إلى تأثيرهما على صحة الدماغ.

يعتقد دانييل أنّه من الصعب الاهتمام بصحة دماغ الطفل، فتىً كان أم فتاة، إن استمرت كتبنا بعدم التركيز على كثير ممّا يواجهه دماغ الأطفال من عوامل ضاغطة. أضاف دانييل: إنّ على الأهل والمدرّسين الانتباه بشكل أكبر إلى هذه العوامل التي تضغط على الدماغ والتي تتواجد في المنازل والمدارس. نأمل أن يمنحكم كتاب دانييل «غيّر طريقة تفكيرك لتتغيّر حياتك»، إضافةً إلى الكتاب هذا، معرفة أكاديمية عن الدماغ، خصوصاً وأنّ هذه المعرفة ضرورية ومبنية على أحدث الأبحاث المتعلّقة بصحة الدماغ عند الأطفال.

تعزيز الصحة العقلية والفكرية

لقد قمنا في الفصول الأربعة السابقة بمناقشة الصحة العقلية والفكرية دون استخدام عبارات علمية دقيقة أو تفاصيل واضحة. تحدّثنا حتى الآن عن العناصر البيئية التي تحمي عقل الفتيان وقدرتهم التعليمية. تطرّقنا إلى إمكانية التأثير على وظائف الدماغ من خلال توثيق العلاقات الإنسانية، الحماية من أية إساءة قد يتعرض لها الفتى، تأمين بيئة تعليمية تتوافق واحتياجات الفتيان، إضافةً إلى الانتباه إلى اختلاف الدماغ بين الجنسين. ما لم نقم به حتى الآن هو تحديد أجزاء الدماغ التي تؤثر بشكل سلبي أو إيجابي على قدرة الفتى على التعلّم. لقد حان الوقت لمناقشة هذا الموضوع بشكل مفصّل.

لقد قام مركز غوريان للأبحاث بتدريب المدارس والأفراد ولفت نظرهم إلى تأثير اثنين من العوامل التي تضغط على دماغ الفتيان وتؤثر على وظائفهم

اليومية، وهما التغذية وما يشاهدونه من برامج تلفزيونية وألعاب فيديو وأفلام وبرامج كمبيوتر. أضاف د. دانييل آيمين إلى هذين العاملين عاملاً ثالثاً، نشكره على لفت نظرنا إليه.

الإصابات التي يتعرض لها الدماغ

إنّ العامل الذي أضافه آيمين وعياداته إلى لائحة العوامل الضاغطة على النمو الفكري والعقلي عند الأولاد هو انتشار الإصابات التي يتعرض لها الدماغ. يقوم آيمين وفريق عمله بتصوير أدمغة الفتيان بواسطة الأشعة وإيجاد الكثير من الإصابات المذهلة التي يعتبرونها أساساً للكثير من المشكلات التعليمية والسلوكية التي تعاني منها العائلات والمدارس مع الأطفال. يعتبر آيمين أنّه من المنطقي أن يكون الفتيان أكثر عرضةً لهذه الإصابات من الفتيات، خصوصاً وأنّهم أكثر حركةً منهنّ، ممّا يزيد من نسبة تعرّضهم إلى حوادث جسدية كتلك التي تصيب الرأس. إنّ طبيعة معظم الرياضات التي يقوم بها الفتيان والتي تميل إلى العنف تزيد من احتمال تعرّضهم إلى إصابات كهذه.

شرح لي آيمين تغيّر عملية التشخيص التي تتمّ في عياداته وذلك نتيجةً للمعلومات الجديدة التي يتوصلون إليها عبر دراستهم للدماغ وللإصابات التي يتعرّض إليها:

منذ حوالى عشر سنوات، وعند معاينة أيّ ولد يعاني من نوبات غضب أو من اضطرابات أخرى، كان أوّل ما ينصبّ اهتمامنا عليه هو عائلته وأفرادها. على سبيل المثال، إن واجهتنا حالة ولد يتصرّف بعنف، كنّا نطلب من أفراد عائلته حضور جلسات علاجية خاصة. لم يكن ذلك أمراً سيئاً أو من دون فائدة، إلاّ أنّنا الآن، وبعد استعانتنا بصور الأشعة، بدأنا نكتشف أنّ بعض هؤلاء الأولاد يعاني من إصابات في الدماغ. لذا، لم تعد الأمور غامضة كما كانت سابقاً وأصبح كل

شيء واضحاً بسبب هذه الصور. أصبحنا قادرين على معرفة إن كان الولد قد تعرّض لإصابة في الدماغ وذلك بعد بضعة ساعات من وصوله إلى عياداتنا. بعد رؤية الإصابة، لم يعد علينا محاولة حلّ المشكلة مع العائلة لمدة سنة أو سنتين قبل معرفة إن كان الولد وعائلته يعانون من خلل مسبّب لاضطرابات الابن. أصبحنا الآن مسلّحين بصورة الأشعة التي حوّلت مهمتنا من مهمة نفسية علاجية إلى مهمة محورها الإصابة.

استناداً إلى آيمين، هناك مليونا أميركي يعانون من إصابات في الدماغ، ومعظمهم لا يدري بوجودها. إن كان الولد يتصرّف بشكل غريب في المنزل أو في الصف، وإن لاحظتم تغيّراً في تصرفاته، فقد يكون ذلك دلالةً على وجود إصابة في الدماغ. إن كان الولد يعاني من مشكلة في التعلّم (سنتطرق إلى الصعوبات التعلّمية في الفصل التاسع)، فقد يكون السبب إصابةً في الدماغ. الأمر نفسه ينطبق على الولد الذي يستمرّ بالتحرّك في الصف وبافتعال المشكلات مع الآخرين. الإصابة المسببة لهذه الاضطرابات قد تكون نتيجة لضربة قوية أو خفيفة تعرض لها الرأس خلال حوادث مختلفة نذكر منها:

- سقوط الولد من على أرجوحة أو شجرة ممّا تسبب بضربة على الرأس أو على العنق.
- تعرّضه للضّرب على رأسه من قبل شخص ما.
- تعرّضه لحادث سيارة أو درّاجة نارية.

في ظروف كهذه، تتأثر صحة دماغ الولد بقوّة الضربة التي تسبّب بها الحادث، ممّا يؤدي إلى مشكلات تعلّمية. من الممكن التفكير باحتمالٍ لوجود إصابة في الدماغ من خلال التحدث عن السنوات الأولى في حياة الابن وذلك مع الأهل أو المربّين أو مع الولد نفسه إن كان بعمر يسمح له بالتعبير عن أفكاره

بشكل واضح ودقيق. إن اكتشف الأهل أن هناك احتمالاً لوجود إصابة، فينبغي مراجعة شركة التأمين لتوافق على تغطية تكاليف صور الأشعة الخاصة بالدماغ، ذلك إن لم تكن العائلة قادرة على تحمّل المصاريف.

من الممكن تجنّب التعرّض للإصابة في معظم الأحيان كتلك الناتجة عن العنف. إلاّ أنّ ذلك غير ممكن في جميع الحالات، خصوصاً وأنّنا لا نستطيع منع الأطفال من اللعب والركض وركوب الدراجة الهوائية. يمكننا أن نحاول حماية الأطفال ولكننا لا نستطيع منع جميع الحوادث من الوقوع. في الكثير من الأحيان، لا يكون بمقدرتنا الحفاظ على درجة معيّنة من الأمان تضمن عدم حدوث الإصابات. كلّ ما يمكننا القيام به هو التوصل إلى تشخيص دقيق والتصرف على أساسه لإيجاد الحلول المناسبة.

إلاّ أننا نستطيع تجنّب مصدر واحد لإمكانية تعرض فتياننا (أو فتياتنا) للإصابات في الدماغ. قام آيمين بتشبيه الدماغ بالزبدة وبدقّة الوصول إلى درجة لزوجة معيّنة لها. من الضروري أن ندرك أن الأطفال غير متشابهين وأنّ إمكانية تعرضهم للإصابة تختلف في ما بينهم وإن كانت الظروف متشابهة. من الضروري أن نتذكّر أن الفتيات كالفتيان معرّضات للإصابة، إلاّ أنَّ الفتيان أكثر عرضةً لذلك بسبب طبيعتهم الأكثر مغامرةً وعدوانية.

عندما ناقشت وآيمين سبب ارتفاع نسبة الاضطرابات التعلّمية، الحركة المفرطة والنقص بالانتباه والمشكلات الفكرية الأخرى في العقدين الأخيرين، وضعنا لائحة من الأسباب (وسنتطرق إلى جميعها في مختلف أجزاء الكتاب). فاجأني أحد العوامل التي تحدث عنها آيمين وهي مسألة الإصابات الناتجة عن الحوادث الرياضية. لم ينفِ أنّه ليس من إثبات علمي بأنّ هناك صلة بين الإصابات الرياضية وزيادة الاضطرابات الفكرية، إلاّ أن باعتقاده، وبعد خبراته

التي تصل إلى حوالي ثلاثين سنة، أنّ لهذه الإصابات الرياضية وخصوصاً ضرب الكرة بالرأس أثراً كبيراً في ارتفاع نسبة الاضطرابات.

بالرغم من لجوئكم إلى الخبراء، فإنّ القرار الأخير يعود إليكم. لقد بدأنا هذا الفصل بملخّص عن آراء آيمين وخاصةً ما يختص بإصابات الدماغ. نأمل أن يكون ذلك قد ساعدكم كأهل أو كمدرّسين على الانتباه إلى الفكرتين التاليتين وذلك في تعاملكم مع أطفال يعانون من اضطرابات تعلّمية أو سلوكية.

ـ قد تساعدكم صور الأشعة على تحديد القسم الذي يعاني من خلل ما في الدماغ. كما وقد تشير هذه الصور إلى احتمال وكيفية حصول الإصابة، إلى نسبة تاثيرها على الولد وإلى ما جعلها شديدة التاثير عليه.

ـ حماية رؤوس أطفالنا هي من الأوّليات الأساسية والضرورية خصوصاً وأنّ حياتهم اليومية مليئة بالرياضة ككرة القدم التي تزداد شعبيتها يوماً بعد يوم.

بما أنني أعشق كرة القدم وأمارس هذه الرياضة مرتين أسبوعياً مع فريق مؤلف من مجموعة رجال، أستطيع الاعتراف بأنني لم أتألم عندما أضرب الكرة برأسي، خصوصاً وأنها تأتي إليّ عادةً بسرعة هائلة. أشعر عندها، والأدرينالين يتدفق في عروقي، أنني غير قادر على إيقاف نفسي من ضرب الكرة، بالرغم من شعوري بعد ذلك وكأنّ دماغي سيتناثر داخل جمجمتي. أشعر بكلّ هذا وأنا في السابعة والأربعين من عمري، لذا أستطيع أن أتخيّل ما يحصل برؤوس الأطفال وبرقابهم وعمرهم لا يزيد على الخامسة أو العاشرة.

إنّ الحذر من جميع أنواع الحوادث التي قد تصيب الرأس أمرٌ بغاية الأهمية قد ينقذ الطفل من محنة تعلّمية. تقوم الصفحتان الإلكترونيتان التاليتان بمناقشة جميع المسائل المتعلقة بكرة القدم والضربات الرأسية:

http: //www.safety-council.org/info/sport/soccer/html

http: //www.med.unc.edu/chms/projectsSH/htm

التلفاز وشرائط الفيديو وألعاب الفيديو والكمبيوتر

كنت أشاهد في صغري البرامج التلفزيونية باللونين الأبيض والأسود، وكانت هناك أربع محطات تلفزيونية فقط وهي: أن بي سي، آي بي سي، سي بي أس وبي بي أس. كان التقاط الجهاز لهذه المحطات سيئاً في معظم الأحيان ممّا تسبّب بعدم وضوح الصورة. كانت البرامج التلفزيونية، مثل «جزيرة غيليغان» و«المهمة المستحيلة» و«رجل عبر النجوم» (ستار تريك)، هي مصدر سلوتي ونشوتي التي أرى أبنائي يشعرون بها الآن عند مشاهدتهم لبرامج مماثلة. في تلك الأيام، كانت رؤية إشعاع شاشة التلفاز الأزرق في كلّ منزل ظاهرةً في مختلف أرجاء البلاد. كنت مثلكم أشاهد التلفاز لمدة ساعة أو ساعتين يومياً.

لقد تغيّر الوضع الآن. يمكنكم الاطّلاع على الإحصائيات في «هل كنت تعلم؟».

لا بدّ وأنّ الجميع قد قرأ التقارير التي تشدّد على أنّ مشاهدة التلفاز وشرائط الفيديو، إضافةً إلى استخدام الكمبيوتر، تزيد من المشكلات الصحية ومنها البدانة. لكن هناك معلومات جديدة غير متداولة بالشكل نفسه وهي تُشير إلى علاقة بين مصادر التسلية هذه وارتفاع نسبة المشكلات النفسية والتعلّمية عند الأطفال وخاصةً عند الفتيان.

العلاقة بين مصادر التسلية ونموّ الدماغ:

يشير ديميتري كريستاكيس أنّه، ومن خلال دراسته للدماغ في مستشفى الأطفال وفي المركز الطبي المحلي في سياتل، قد استنتج أنّ الدماغ بحاجة إلى اللمس والسمع والنظر والشمّ والتذوّق. إن لم يتمّ التفاعل بين الحواس الخمس والبيئة الخارجية، فإنّ أنسجة الدماغ لن تنمو بالشكل الصحيح. يضيف كريستاكيس أنّ أهم مرحلة يجب أن تتفاعل فيها هذه العناصر مع بعضها

هي السنوات الثلاث الأولى. في هذه المرحلة، تكون الوظائف التجريدية في الدماغ غير مكتملة النمو، ممّا يزيد من التاثير السلبي للتلفاز والفيديو والكمبيوتر على الأطفال. إلاّ أنّ كريستاكيس وجد من خلال أبحاثه أنّ خطورة المسألة هذه تنطبق على مختلف المراحل التي يتمّ فيها نمو الدماغ والتي تمتدّ حتى العقد الثالث من العمر.

من خلال دراستهم لنمو الدماغ ولتأثير التلفاز والفيديو والكمبيوتر عليه، أظهر كريستاكيس وباحثون آخرون أنّ مشاهدة الصور تتحرّك على الشاشة قد تؤدي إلى مشكلات تعليمية تستمرّ مدى العمر. في عدد نيسان/أبريل 2004 من مجلة طب الأطفال، قدّم د. كريستاكيس بحثاً قام فيه بمراقبة ألفين وستمائة طفل من الولادة وحتى السابعة من عمرهم. توصّل كريستاكيس في هذه الدراسة إلى أنّ احتمال إصابة الطفل بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه تزداد بنسبة عشرة بالمئة مع كل ساعة يقضيها الطفل أمام شاشة التلفاز. إنّ ذلك رقم شديد الخطورة!

لمساعدة أولادنا على النجاح في المدرسة وفي الحياة، علينا كمدرّسين وأهل وفرق عمل تربويّة أن نكون أكثر حذراً ممّا نحن الآن عند تحديدنا للوقت الذي نسمح لأولادنا فيه بمشاهدة التلفاز أو الفيديو أو باستخدام الكمبيوتر. لم تكن هذه المسألة أمراً يدعو إلى القلق في زمن أسلافنا. كان أطفالهم يتعلّمون من الطبيعة ومن لمس الأشياء واختبارها بأنفسهم. بالرغم من إيجابيات التطور الصناعي والمكننة في مجالات الترفيه والتسلية والطّب، فإنّ ذلك التطوّر قد قلّص عدد الفرص المتاحة للأطفال والتي تعمل على نمو الدماغ. يعاني بعض أطفالنا من عدم القدرة على التركيز ومن مشكلات أخرى لأنّهم لم يستخدموا حواسهم لاختبار ما حولهم ولتعلّم الأشياء بأنفسهم.

هل كنت تعلم؟

- يمضي الطفل الأميركي سنوياً حوالى 900 ساعة في المدرسة، ولكنّه يمضي 1.023 ساعة في مشاهدة البرامج التلفزيونية.
- إنّ معدّل مشاهدة التلفاز في المنازل الأميركية يصل إلى 6.7 ساعات يومياً.
- عند بلوغ ابنكم الثامنة عشرة من عمره، يكون قد أمضى 22 ألف ساعة في مشاهدة التلفاز وتلك مدة تفوق الوقت الذي يمضيه الفتى في أي نشاط آخر باستثناء النوم.
- يصل عدد أشرطة الفيديو والأفلام التي تستأجرها كل عائلة أميركية إلى ضعف عدد الكتب التي تتم مطالعتها.
- عند بلوغ ابنكم السادسة عشرة من عمره، يكون ابنكم قد شاهد مئتي ألف فعل عنيف على شاشة التلفاز، ويصل عدد جرائم القتل فيها إلى 33 ألف جريمة.
- في غرف ربع الأطفال الأميركيين (تحت عمر السنتين) جهاز تلفاز.
- يمضي ثلثا الفتيان في المرحلة التمهيدية ساعتين أو أكثر وهم يشاهدون التلفاز يومياً. ويشكل هذا الرقم ثلاثة أضعاف الوقت الذي يمضونه وهم يقومون بالمطالعة.

تظهر صور الأشعة كتلك التي تؤخذ في عيادات آيمين أنّ تحفيز الدماغ على العمل من غير حاجة الإنسان إلى الحركة تؤدي إلى نموّ خلال في الدماغ وفي مناطق النمو الأساسية فيه كتلك المسؤولة عن القدرة على التركيز. سنشرح لكم الآن كيف يتم ذلك.

إنّ مشاهدة التلفاز وشرائط الفيديو أو استخدام الكمبيوتر لا تتطلب من

الإنسان أيّ مجهود، لذا فإنّها لا تحفز وظائف الدماغ المسؤولة عن التركيز على العمل. لذا، فالدماغ غير مضطر إلى العمل عضوياً للوصول إلى درجة معيّنة من التركيز. بما أنّ الدماغ في هذه الحالة لا يكون نشيطاً ولا يتفاعل مع البيئة الخارجية، فذلك يعني أنّه لا يشعر بما يمسّ جلده، لا يسمع الأصوات التي حوله ولا يقوم بأيّة وظيفة تتطلّب درجةً معينة من التركيز. وتعتمد على عمل الحواس جميعها في الوقت نفسه. إنّ تقنيّة التلفاز تؤثر بشكل مفرط على الأعصاب وخاصةً على حاستي النظر والسمع، إلاّ أنّها لا تتطلب أية حركة جسدية. لذا فإنّ التلفاز يقوم بنصف وظيفة الدماغ، وبسبب ذلك، فإنّ الدماغ لا ينمو بشكل كامل ولا يستفيد من المؤثرات البيئية التي تساعده عادةً على النمو السليم عندما يكون عضواً فعّالاً.

تؤثر هذه المشكلة على الذكور والإناث إلاّ أنّ التأثير على الذكور أكبر، خصوصاً وأنّ نموّ الدماغ عندهم لا يتمّ بدون حركة جسدية. بما أننا نعرف الكثير عن طبيعة الدماغ الذكوري، فإنّ ذلك يجعلنا نتوقّع أن الفتيان هم أكثر من يعانون من عدم القدرة على التركيز ومن الحركة المفرطة. لا تنمو أقسام الدماغ المسؤولة عن هذه الوظائف بشكل سهل أو طبيعي كما يجري مع الفتيات، لذا فإنّهم معرّضون بشكل أكبر إلى مشكلات التركيز المرتبطة بوسائل التسلية وبالمؤثرات البيئية التي لا تتطلب أية حركة جسدية أو أيّ مجهود.

وضع حدود ملائمة:

إن كنت أباً أو أماً لولد، نأمل أن تؤخذ الإرشادات المعطاة في قسم الاقتراحات التالي.

ارتأى أحد الآباء في ورشة عمل أشرفت عليها كاثي بأنّ الاقتراحات التي نقدّمها صارمة ومتشدّدة. إنّ دعم النتائج الطبيّة والعلميّة لآرائنا لم تغيّر وجهة

نظره التي تتضارب واقتراحاتنا. إذ إنّه اعتبر أنّ تعرّض أولاده لمختلف الأمور في صغرهم يضمن وصولهم إلى درجة كبيرة من النضج والوعي. عند وصولهم إلى سنّ المراهقة، يكونون قد اكتسبوا معرفةً واسعة تشمل معظم التفاصيل الحياتية، ممّا يؤكد كونهم أشخاصاً أكثر استقلالاً ونضجاً في المستقبل.

إنّ وجهة النظر هذه هي مسألة مهمة وعميقةٌ على الأهل والمدرّسين التفكير فيها. بما أنّه قد تمّ التأكد على وجود صلة مباشرة بين وسائل التسلية وارتفاع إمكانية وقوع مشكلات تعلّمية، فإنّ التفكير في الاعتدال بات أمراً لا بدّ منه. إننا نعتقد وبشدّة بأنّ سلامة الولد العاطفية والنفسية والتعلّمية أكثر أهميةً من أي استقلال أو وعي قد يكتسبهما من مشاهدة التلفاز أو استخدام الكمبيوتر بشكل غير محدّد، وخصوصاً في صغره.

عبّر والد آخر عن تفهمه لتشدّدنا بما يختص بالتلفاز، إلاّ أنّه لم يوافقنا الرأي بما يتعلق بالكمبيوتر. قال إنّه يريد أن يكون ابنه ماهراً في استخدامه للكمبيوتر في أبكر عمر ممكن، خصوصاً وأنّ ذلك سيضمن له الأفضلية في المدرسة وأنّ هذه التكنولوجيا هي المستقبل. لم يكن هذا الأب على علم بما أظهرته العالمة النفسية جاين هيلي، من خلال دراستها التي تحمل اسم «الفشل في التواصل»، أثبتت هيلي بأنّ الولد، وإن بدأ باستخدام الكمبيوتر بعمر المراهقة، سيكتسب المهارات نفسها التي يملكها أي ولد آخر بدأ باستعمال هذه التكنولوجيا في عمر مبكر. لذا، فإنّ المهارة في هذا الجال لا تعتمد على بدء استخدام الكمبيوتر في عمر مبكر. توصلت جمعية التحالف من أجل الأطفال في دراسة قامت بها في العام 2004 إلى النتائج نفسها التي أظهرتها هيلي.

بما أنّه أصبح من الواضح أنّ للاستخدام المفرط للكمبيوتر وللتلفاز ولوسائل التسلية الأخرى تاثيرات سلبية على نموّ دماغ الأولاد، نأمل أن يأخذ جميع الأهل هذا الأمر بعين الاعتبار وأن يتخذوا التدابير الوقائية اللازمة.

منع الأولاد من مشاهدة التلفاز:

لا بدّ وأنكم سمعتم الكثيرين يقولون إنّهم بحال جيّدة بالرغم من مشاهدتهم للتلفاز في صغرهم. أمّا انا، فلقد شاهدته باعتدال في صغري وها أنا بصحة لا بأس بها. إن قرر أهلي التخلص من التلفاز وإزالته من المنزل لاشتدّ غضبي كما كان ليحصل مع أيّ ولد آخر.

ماذا يحصل فعلاً في المنازل والمدارس عندما يُزال التلفاز من حياة الأطفال؟ قرّرت إحدى الباحثات محاولة الإجابة عن هذا السؤال وهي د. باربرا بروك، وهي أستاذة محاضرة لمادة إدارة وسائل الاستجمام في جامعة واشنطن الشرقية. تطوّع خمسون طالباً من الصفين الرابع والسادس وتوقفوا عن مشاهدة التلفاز لمدة ثلاثين يوماً. (كان عدد الساعات التي كانوا يمضونها في السابق وهم يشاهدون التلفاز بين الساعتين والأربع ساعات). كانت موافقة الأهل والمدرّسين على هذه الدراسة أمراً مهمّاً حصلت عليه بروك التي أشارت أيضاً بأنّ المدرّسين طلبوا ألاّ يجلس الأولاد أمام أية شاشة كانت لمدة ثلاثين يوماً، توقف الأطفال عن مشاهدة التلفاز، استخدام الكمبيوتر واستعمال ألعاب الفيديو.

توصلت بروك إلى النتائج التالية:

من المفاجئ أنّ 75 بالمئة من المشاركين استطاعوا أن يمضوا في المسألة لمدة ثلاثين يوماً، وكانت النتائج مذهلة:

- تحسّناً ملحوظاً في الدرجات المدرسية.
- تحسّناً ملحوظاً في النوم.

اقتراحات

- تنصح المنظمة الطبية الأميركية إضافةً إلى المنظمة الأميركية للطب النفسي بعدم مشاهدة الأطفال للتلفاز قبل بلوغهم السنتين من عمرهم.
- لا تسمحوا للفتى بوضع جهاز تلفاز في غرفته في طفولته أو حتى في مراهقته.
- عندما تسمحون لابنكم باستخدام ألعاب الفيديو، حدّدوا المدة التي تقبلون بها والجؤوا إلى استعمال ساعة إن لزم الأمر.
- شاهدوا التلفاز مع ابنكم وحدّدوا البرامج التي تتناسب ونموّه. بعد ذلك، ناقشوا ما شاهدتموه مع الطفل.
- تجنّبوا استخدام أفلام الفيديو كوسائل تلهي الطفل في بعض الأحيان. إن اعتاد الفتى على ذلك، فإنّه قد يولّد لديه مشكلات أكاديمية في المستقبل.
- اعملوا على ألاّ يتعلّق الفتى بالكمبيوتر منذ صغره. تشجّع النظريات التربوية الحديثة على أن يستخدم الطفل في الثالثة من عمره الكمبيوتر لدقائق معدودة يومياً. إلاّ أنّ استخدامه له لساعة أو ساعتين قد يؤدّي إلى التأثيرات السلبية نفسها التي تتسبّب بها البرامج التلفزيونية وألعاب الفيديو. قد يحدث ذلك ضرراً في قدرة الفتى الفكرية.
- تجنّبوا اصطحاب الأطفال إلى السينما عندما يكون استيعابهم للفيلم أمراً صعباً، وخصوصاً عندما يكونون في الثانية والثالثة والرابعة من عمرهم. إن كنتم تعتبرون بعض مشاهد الفيلم عنيفة، فإنّ ذلك يعني أنّها ستكون شديدة العنف بالنسبة إلى الأطفال. عليكم الالتفات إلى أن الأطفال غير قادرين على التركيز على أية وظيفة بما في ذلك مدّة الفيلم الواحد. ليتعلّم الطفل بشكل جيد، يحتاج دماغه إلى الحركة الجسدية، ممّا يعني أنّ تعلّمه سيتوقف أثناء

مشاهدته للساعة الأخيرة من الفيلم. سيخزّن العنف ولكنّه لن يتعلّم من الفيلم إلاّ تقليد هذه الأفعال العنيفة في خياله أو حتى في حياته.

- عند بلوغ ابنكم عمراً تعتبرونه مناسباً لمشاهدة التلفاز أو أفلام الفيديو، تأكدوا من مشاهدتكم المسبقة لها. عليكم القيام بالأمر نفسه مع البرامج التلفزيونية. تحدثوا إلى أفراد الفريق التربوي أو إلى أهالٍ آخرين ومدرّسين وجيران للتأكد من أنّ ابنكم سيستفيد من مشاهدته للبرنامج. للفريق التربوي دور في الإشراف على كل ما يتعلّمه الطفل ويتعرّض إليه أثناء سنواته المبكرة.

ـ تحسّناً ملحوظاً في المزاج.

ـ زيادة ملحوظة في الوقت المخصص للمطالعة.

ـ زيادة ملحوظة في الحركة الجسدية.

ـ زيادة ملحوظة في التفاعل مع أفراد العائلة.

كما ورأت بروك بأنّ النشاطات الثلاثة البديلة للتلفاز كانت:

ـ اللعب في الخارج.

ـ التحدث مع الأصدقاء وأفراد العائلة.

ـ المطالعة والرسم والألعاب.

لاحظت بروك وفي اثنتين من النشاطات البديلة أمراً شديد الأهمية لنمو الدماغ. أمضى الأطفال الذين توقفوا عن مشاهدة التلفاز وقتاً أطول وهم يختبرون ما حولهم بحواسهم وبأجسامهم. تذكر بروك في كتابها «لا مشكلة إن اختفى التلفاز من حياتنا» دراسةً أخرى قام بها توماس روبنسون من جامعة ستانفورد في العام 2002. شارك تسعمائة طفل في دراسة روبنسون التي كان أساسها تقليص مدة مشاهدة التلفاز إلى ست ساعات أسبوعياً. بعد ستة أسابيع

من بدء الدراسة، توصلت الدراسة إلى انخفاض للعنف الكلامي والجسدي تصل نسبته إلى 25 بالمئة. وفي العام 2004، توصل الباحثون إلى نتائج إيجابية في دراسة كان محورها تقليص الوقت الذي أمضاه طلاب روضة الأطفال بمشاهدة التلفاز في الصف، وذلك في حي كوبرز في نيويورك.

في خلاصة دراسة بروك، تقول: إنّ إطفاء جهاز التلفاز طوال الوقت أمر غير معقول وإن ما لا شكّ فيه هو قيمة الكمبيوتر وأهميته والمتعة التي تمنحها ألعاب الفيديو للأطفال. إنّ الدراسات لا تطلب إجراءات متطرفة وقاسية بل تحثنا على الانتباه إلى المسألة بشكل أكبر، خصوصاً وأنّ ما يؤثر على تكوين أطفالنا وعلى كيانهم هو ما يقومون به. ينطبق هذا الأمر على ما يشاهده الأطفال من برامج تلفزيونية وعلى ما يفعلونه في أوقات فراغهم، وحتى على ما يأكلونه ويشربونه.

تأثير ما يأكله الولد ويشربه

ها نحن قد بدأنا قرناً جديداً يحمل معه تطورات صناعية كثيرة، ولكن علينا ألاّ ننسى أنّ 16 بالمئة من الأطفال الأميركيين يعانون في هذا القرن من البدانة. إنّ العنصرين اللذين يساهمان في زيادة نسبة البدانة بين الأطفال هي: (1) وسائل التسلية التي سبق وتحدثنا عنها و(2) ما يأكله الأطفال ويشربونه.

ما نعرفه الآن: طرح الأسئلة المناسبة:

كتب تيري وهو أب من يوتاه رسالةً إلى مركز غوريان للأبحاث يقول فيها إنّ كلّ مرة يذهب فيها إلى مطعم يقدّم الوجبات السريعة، يتساءل إن كان أباً صالحاً. قرأ تيري كتاباً اسمه «بلد الوجبات السريعة» فيه عرض شامل وكامل عن مدى تاثير الوجبات السريعة على بلدنا وعلى أطفالنا. في هذا الكتاب، يتحدث المؤلف عن الموضوع وكأنّنا نسمّم أطفالنا ومجتمعنا بواسطة ذلك الطعام.

بعد مطالعته لهذا الكتاب، شاهد تيري فيلماً وثائقياً عن الوجبات السريعة وأرعبه ما قدّمه هذا الفيلم. في نهاية رسالته، وبعد شرح ما يلوج في نفسه من تساؤلات، طلب تيري من مركز غوريان الإجابة على السؤال التالي: «ما هي حقيقة تأثير الطعام على الأطفال؟».

منذ عشرين عاماً، لم نكن نحمل جواباً لهذا السؤال. في صغري، كنت أجلس أمام جهاز التلفاز وأنا ألتهم البطاطس. لم يتوفر لأهلي عندها معلومات أو إرشادات واضحة. عندما كانت كاثي تساعد ابنها كارل مايكل على حلّ مشكلاته التعلّمية، لم تكن تعي أيّ جزء من نظامه الغذائي ساهم في تفاقمها.

من حسن الحظ أنّ الأبحاث المتعلّقة بالدماغ قد قامت بتوضيح تأثير الأنظمة الغذائية غير المدروسة على السلامة الفكرية وعلى القدرة التعلّمية. لقد أعلنت الجمعية الأميركية الطبية إضافةً إلى مجموعات طبية أخرى أنّ هناك صلة بين ما نأكله ونشربه من جهة وطريقة تفكيرنا من جهة أخرى.

سنقدّم لكم الآن أربعة أسئلة يطرحها الفريق في مركز غوريان على الأهل ليفكروا بها، إذ أنّ الإجابة عليها قد تغيّر تجربة الطفل التربوية.

السؤال الأول: هل يشرب ابني ما يكفي من المياه؟

تشكل المياه حوالي 80 بالمئة من تكوين الدماغ، لذا فإنّه يحتاج يومياً إلى مياه عذبة ونظيفة للوصول إلى أفضل مستويات التعلّم. بالرغم من أنّ بعض المشروبات الأخرى قد تروي عطش ابنكم، إلاّ أنّ المياه وحدها قادرة على أن تروي الدماغ! إنّ الجسم يمتصّ المشروبات الغازية والشاي المثلّج وعصير الفاكهة على أنّها أطعمة، وإن كانت هذه المشروبات تحتوي على الكافيين (كالمشروبات الغازية والكثير من أنواع الشاي)، فإنّها مدرّة للبول وتقلّص كمية المياه في الجسم.

يتسبب العطش بمشكلات تعلّمية لأنّها ترفع مستوى الكورتيزول، ممّا يوتّر الطالب. يجري الكورتيزول في الدماغ ويجعل من عملية التركيز أكثر صعوبة. من الممكن أن يتمّ خفض مستوى الكورتيزول في غضون خمس دقائق من شرب المياه.

من خلال مساعدة ابنكم ومن صغر سنّه على شرب كمية أقل من المشروبات «السيئة» وكمية أكبر من المياه، يمكن له أن يتعلم بطريقة أفضل مهما كان الموضوع الدراسي. كما وأنه يكتسب بواسطة ذلك عادات غذائية تساعد دماغه بشكل أكبر وتؤثر إيجابياً على جسمه بشكل عام عند ذهابه إلى المدرسة. شرب كمية أكبر من المياه يحثّه أيضاً على التصرف بطريقة أفضل في مختلف المراحل المدرسية إذ إن ذلك يحسّن عمل أقسام المخ المسؤولة عن تنظيم المزاج والسلوك.

يمكنكم أن تجعلوا الماء متوفراً لابنكم في المنزل حالما يصبح بعمر يسمح له بأن يمسك بالأكواب بشكل جيد، ممّا يضمن ارتواءه عند الحاجة. عند وصوله إلى عمر مناسب، يمكنكم أن تضعوا في الثلاّجة قارورة يمكنه شرب المياه الباردة منها بسهولة. عندما يبدأ الطفل بالذهاب إلى الحضانة، تأكدوا من أن يتمّ توفير المياه له بشكل منتظم. اسألوا طاقم العمل هناك عن كمية المياه التي تُعطى للأطفال مقارنةً بكميات المشروبات الأخرى، وأطلعوهم على رغبتكم بألاّ يشرب ابنكم المشروبات الغازية. كما من المستحسن أن تطلبوا منهم أن يُعطى ابنكم يومياً كوباً واحداً فقط من عصير التفاح أو من أي مشروب مماثل. إن العصائر غير الطبيعية مليئة بالمياه المحلاّة بالسكر وليس بالمياه الصافية وسنكلمكم بشكل أكثر تفصيلاً عن السكر بعد قليل. إنّ البرامج التعليمية الخاصة بالأطفال قد بدأت بالتركيز على معايير غذائية معينة تمنع مثلاً إعطاء الأطفال المشروبات الغازية، وإنّ هذه السياسة المتّبعة ستساعد كلّ أطفالنا.

السؤال الثاني: هل يتناول ابني ما يكفي من مصادر البروتين؟

إنّ الفطور التقليدي الذي يتناوله أولادنا هذه الأيام هو قطعة من الحلوى مع

كوب من العصير غير الطبيعي. بالرغم من أنّ هذا الفطور هو أسهل ما يمكن إعطاؤه للولد، إلاّ أنه قليل التأثير على جهوزيته للتعلّم. لا يحتوي فطور كهذا على مياه نقيّة بينما فيه كمية كبيرة من النشويات التي تؤخر عمله الفكري وتزيد من صعوبة التركيز خلال النهار. إنّ البروتين هو ما يزيد من قدرته على التعلّم.

لقد قامت جوديث وورتمان، وهي عالمة باحثة في قسم العلوم الفكرية والعقلية في جامعة MIT، على دراسة الطرق التي تقوم من خلالها الحوامض الأمينية في البروتين بتعزيز التعلّم في الدماغ. التريوسين هو أحد الحوامض التي ترفع القدرة على التفكير، أمّا التريبتوفان فهو أحد الحوامض المهدّئة. هناك الكثير من الحوامض الأمينية غيرهما التي تساعد على الحؤول دون حدوث تأثير سلبي للسكر الذي يتناوله الأطفال عادة بانتظام.

إنّ المجتمع الياباني يشدّد على تناول البروتين وخاصةً الحوامض الدهنية التي يحتوي عليها السمك. هناك دراسات كثيرة تتمّ في اليابان وتظهر نتائج إيجابية، ومنها دراسة تمت مؤخراً وأظهرت أنّ لدى اليابانيين مشكلات تعلّمية أقل من تلك التي يعاني منها الأميركيون. تركّز هذه الدراسة على تقليص اليابانيين للسعرات الحرارية اليومية (وهي عند الأطفال اليابانيين ثلث تلك التي لدى الأميركيين) وعلى تأكيدهم على تناول البروتين. من المذهل أنّ هناك عدداً أقل من الاضطرابات الفكرية لدى الأطفال اليابانيين وأنّ متوسط العمر المتوقع هو 32.78 سنة للرجال و32.85 للنساء، وهذا أعلى رقم في العالم. يستهلك الأطفال اليابانيون سعرات حرارية ونشويات أقل، بينما يتناولون كميات أكبر من البروتين وخاصةً في الصباح. إنّ عاداتهم الغذائية هذه تساعدهم على تجنّب الكسل الفكري الذي تتسبب به النشويات وعلى حصولهم على ما يكفي من الحوامض الدهنية التي يحتاج إليها الإنسان ليتعلّم بشكل جيد.

إنكم وحدكم على معرفة بالمأكولات التي يفضّلها ابنكم وبأية حساسيّة قد

يعاني منها وبأية مسألة أخرى خاصة به، إلاَّ أنَّ الإرشادات المذكورة في قسم الاقتراحات التالي تعطيكم طرقاً سهلة للتأكد من حصول الدماغ على ما يكفي من البروتين.

السؤال الثالث: هل يتناول ابني كميات فائضة من السكر؟

يعطي السكر شحنة كبيرة من الطاقة لمدة قصيرة إلا أنه يبدأ بعد ذلك بالتأثير سلبياً على القدرة التعلّمية. يعتبر تناول قطعة واحدة من الحلوى أو من أي طعام محلّى أمراً مقبولاً، لكنّ تجاوز هذه الكمية يومياً قد يعرّض فكر الطفل للخطر (وقد يزيد من احتمال البدانة). لم يتناول أسلافنا كمية السكر نفسها التي نتناولها الآن. كانوا يأكلون ويشربون وفقاً لحاجات الجسم الطبيعية. بالرغم من أنّنا مختلفون عن اسلافنا، إلاّ أننا نستطيع أن نتعلّم منهم التجاوب

اقتراحات

- أضيفوا زبدة الفستق إلى شطيرة ابنكم (أو اطلبوا منه القيام بذلك)، خصوصاً وأنّ هذه الزبدة تمنحه كمية لا بأس بها من البروتين.
- أبقوا وعاءً من الجبنة في الثلاجة، إذ إنّكم تستطيعون وضعها على الخبز وتسخينها متى أردتم.
- اسلقوا البيض في نهاية الأسبوع لتكون متوفرة أثناء تحضيركم للأطباق خلال الأسبوع.
- اجعلوا اللبن والجبنة مأكولات متوفرة دوماً في ثلاجتكم. شجعوا ابنكم على تناولها.
- نظّموا مواعيد عملكم ليتّسع لكم الوقت في بعض الأيام لتحضير فطور كامل ولتناوله مع ابنكم قبل ذهابه إلى المدرسة.

مع حاجاتنا وليس مع رغباتنا. من المؤكد أن الجميع يرغب بتناول الحلوى والاستمتاع بطعمها، إلاّ أنّ تأثيرها السلبي على التعلّم يحتّم عليكم التجاوب مع حاجات ابنكم فحسب، خصوصاً وأنّ الهدف المرجو هو مستوى عالٍ من التعلّم والنموّ.

إنّ أكثر العادات خطورةً هو تناول السكر مباشرةً قبل الدرس إذ أنّ ذلك يشكل صعوبات على المستويين الفكري والسلوكي. إنّ السكر يؤخر عمل المناطق المسؤولة عن التعلّم في الدماغ ويرفع من مستوى الأدرينالين المطلوب ليجلس الولد ويتعلّم. إنّ هذا الأدرينالين يزيد من إمكانية وجود اضطرابات سلوكية عند الولد. قد يكون السكر بمثابة دفع داعم لمتسلّق الجبال إلاّ أنّ ذلك لا ينطبق على الطلاّب.

السؤال الرابع: هل يتبع أفراد العائلة والطاقم العامل في المدرسة نظاماً غذائياً صحيّاً؟

من الضروري أن يتعلم الولد عاداتٍ غذائية صحية كتناول فطور صباحي يغذّي الفكر ويساعده طوال سنواته المدرسية وفي حياته المستقبلية. من المهم أيضاً تأمين بيئة هادئة وخالية من التوتر يستطيع الولد فيها تناول فطوره وتحضير نفسه للمدرسة. إنّ حياتنا الصاخبة التي تغلب عليها السرعة لا تسمح بهذا الهدوء كل يوم إلاّ أنّه من الضروري أن يتمّ توفير هذه البيئة عدّة مرات في الأسبوع. إنّ العادات الغذائية هذه تضمن تناول الطعام الصحي في معظم الأحيان.

إن كان وقتكم لا يسمح بتناول الفطور مع الأولاد كل صباح، فمن الممكن أن تطلبوا المساعدة من الجدة أو الجد للقيام بذلك. لا بدّ وأنّ هناك جاراً أو صديقاً أو مربيةً أو عمّةً أو خالاً يستطيع التأكد عوضاً عنكم تناول طفلكم الطعام الصحي في جوّ هادئ.

من الضروري أن يعي جميع الأهل والأشخاص الذين يتعاملون مع الأطفال تأثير الطعام على القدرة التعلّمية، وإنَّ ذلك ينطبق على الفتيان والفتيات على حدّ سواء. إنّ مسائل التغذية هذه شديدة الأهمية بالنسبة للفتيان لأنّهم يعانون من عدد أكبر من المشكلات التعلّمية في أيامنا هذه. لذا علينا التقليص من عدد مسبّبات هذه الاضطرابات للوصول إلى مستوى أفضل من التعلّم.

يمكنكم الاهتمام بالطعام الصباحي لطفلكم ابتداءً من يوم غد. تستطيعون التعاون مع المدرّسين لتحديد خطة غذائية مناسبة تضمن عادات سليمة. إنّ أوّل ما عليكم التفكير فيه هو مدى اعتمادكم على المأكولات السريعة، إذ أنّ ذلك يدلّكم على مدى اهتمامكم واهتمام الطاقم التعليمي لسلامة أطفالكم الفكرية. إن كانت إحدى عاداتكم العائلية الذهاب إلى مطاعم تقدّم المأكولات السريعة، فعليكم إعادة النظر فيها، خصوصاً وأنّ هذه الأطعمة تحتوي على كمية كبيرة من السكر والدهون والنشويات. إن كانت عائلتكم تقصد مطاعم المأكولات السريعة أكثر من اعتمادها على تناول وجبات منزلية صحية، فإنّ ذلك يزيد من احتمال المشكلات التعلّمية والسلوكية عند أطفالكم. ليس تيري الوحيد الذي بدأ بمطالعة ما ينشر عن الموضوع مثل كتاب «بلاد المأكولات السريعة» لإيريك شلوسر. من الجيد أنّ مجتمعنا ككل قد بدأ بالوعي حيال المشكلات الفكرية والجسدية التي يلحقها بنا نظام التغذية الأميركي. لا ضرر من تناول ابنكم للمأكولات السريعة المليئة بالدهون والنشويات مرةً في الأسبوع، إلاّ أنّ تناولها بشكل أكبر قد يؤدي إلى مشكلات فكرية أكثر خطورة.

تشجيع الحوار عن التغذية في المدارس:

للمدرسة أيضاً دور في تغذية الأطفال. سهولة حصولهم على المشروبات الغازية وتقديم المدارس للمأكولات العالية الدهون والنشويات أمران يدعوان إلى القلق. إلاّ أن بعض المدارس قد بدأت بتغيير لائحة الطعام التي تقدّم للطلاّب

وبخفض عدد ماكينات المشروبات والحلوى، ومن ضمن هذه المدارس مؤسسات تعليمية تعاون معها مركز غوريان للأبحاث. بدأت هذه المدارس تعي بأنّه من غير المعقول أن نطلب من أولادنا تعلّم أمور تتطلب عقلاً تمّ تغذيته بشكل جيد، بينما تقوم المدارس بتسميم الصحة الفكرية لهؤلاء الأطفال من خلال تقديم الأطعمة المؤذية. كما تتجاوب هذه المدارس مع الأبحاث المخيفة الخاصة بالبدانة وذلك من خلال تغييرها للمأكولات التي تقدم لطلاّبها.

هناك الكثير من المدارس التي لم تبدأ بتغيير لائحة الطعام المقدّمة للطلاب، ذلك لأنّ هذا الأمر يعني زيادة في الكلفة. سيزداد في العقد التالي عدد المدارس المطبّقة لهذه الإجراءات، إلاّ أنّ مهمة الأهل في غضون ذلك هي مساعدة الأطفال على أخذ أطعمة مغذية إلى المدرسة. كما على الأهل تشجيع الأطفال على مناقشة المواضيع الغذائية مع المدرّسين والأفراد، خصوصاً ما يتعلّق بتأثير الطعام والشراب على السلامة الفكرية.

أهمية الصحة الفكرية

لقد قمت وكاثي في هذا الفصل بإطلاعكم على أحدث نتائج الأبحاث الخاصة بالعوامل الضاغطة على التعلّم. لقد تعاونّا مع عدد لا بأس به من أهم الخبراء في بلادنا. ونأمل أن نكون قد قدمنا لكم معلومات مفيدة وعملية قد تساعدكم على فهم العوامل الثلاثة الضاغطة على قدرة فتياننا الفكرية والتعلّمية. إنّ هذه العوامل تؤثر أيضاً على الفتيات، إلاّ أنّ تأثيرها على تعلّم الفتيان أشدّ خطورة. إنّ القدرة الفكرية والتعلّمية شديدة التأثر بما يأكله الولد ويشربه، بما يشاهده من برامج تلفزيونية وبالإصابات الرأسية التي قد يتعرض إليها. إنّ هدفنا هو منح أولادنا بيئةً تعليمية عالية المستوى، لذا علينا التعاون معاً لنضع قوانين ولنرسم حدوداً خاصة بوسائل التسلية وبالتغذية وبالنشاطات البدنية.

بينما أشرف موعد الغداء في سبوكاين مع دانييل آيمين على النهاية، تفوّه بتعليق معبّر عن صور الأشعة الخاصة بأدمغة الأطفال. قال: ليس هناك أجمل من صورةٍ لدماغ قد تمّ الاهتمام به بشكل جيد.

فكّروا بالنظام الغذائي وبوسائل التسلية وبإصابات الرأس، وعند قيامكم بذلك، انظروا إلى طفلكم وكأنكم تطلعون على صورة أخذت بواسطة الأشعة. إن كنتم تتعاملون مع ولد يعاني من أية مشكلة تعلّمية أو سلوكية في المنزل أو في المدرسة، فنأمل أن تشعروا بحافز يحثّكم على بذل مجهود أكبر لتحسين النظام الغذائي ولخفض كمية المشروبات الغازية والساعات التي يمضيها الطفل أمام جهاز التلفاز. من خلال قيامكم بهذه التغييرات، بالتعاون مع المدرسة والطاقم التعليمي، يمكنكم أن تحموا القدرة الفكرية للولد وأن تجعلوا من دماغه أكثر جمالاً.

الجزء الثالث

تعليم المناهج المدرسية بطرق تتناسب وقدرة الفتيان

الفصل السادس

مساعدة الفتيان على تعلم القراءة والكتابة واللغات

«تتفوق الفتيات على الفتيان في القراءة والكتابة بشكل ملحوظ في جميع البلاد الصناعية».

دراسة العام 2003 للجمعية الاقتصادية للتعاون والتنمية

«تفيض مخيلة الفتيان بالقصص المذهلة، إلاّ أنّ كتابتها أمر يصعب عليهم».

نان جورغينسين، أم لثلاثة فتيان، مدينة سالت لايك

ذهبت في يوم شتوي بارد لأقلّ ابنتي من مدرستها الإعدادية. وصلت قبل الموعد بربع ساعة، فدخلت إلى مبنى المدرسة ومشيت في الرواق مستمتعاً بقصص الأطفال وبرسوماتهم المعلّقة على الجدران. كتب الأطفال أسماءهم على أسفل مئات مواضيع الإنشاء والرسومات التي استوقفني الكثير منها. بعد إلقاء نظرة على حوالى عشرين منها، برز أمرٌ مثير للاهتمام وهو وجود اختلاف بين المواضيع التي كتبتها الفتيات وتلك التي كتبها الفتيان.

أخرجت دفتري الصغير من جيبي ورسمت عموداً للفتيات وآخر للفتيان. ثمّ قمت بتعداد الكلمات المستخدمة في مواضيع الفتيات وتلك التي استعملها الفتيان. بعد تعدادي لكلمات عشرة مواضيع إنشاء لكلٍّ من الجنسين، اكتشفت أنّ

الفتيات قد قمن باستخدم عدد أكبر من الكلمات بحوالى مرة ونصف، وهو اختلاف لا بأس به. ألقيت نظرة عجلى على مواضيع أخرى في تسعة صفوف أخرى، ولم أرَ في أيٍ منها أنّ الفتيان استخدموا عدداً أكبر من الكلمات (بالرغم من وجود بعض الفتيان الذين استعملوا العدد نفسه من الكلمات الموجودة في مواضيع الفتيات).

نظرت إلى ساعتي فوجدت أنّ لدي ثلاث دقائق قبل قرع جرس انتهاء الحصص، فبدأت التفكير بأمر جيد لكتابته في دفتري. من المنطقي أن تستخدم الفتيات عدداً أكبر من الكلمات، خصوصاً بعد ما اكتشفته عن الفرق بين الجنسين في الأقسام اللغوية في الدماغ. لكن ماذا عن محتوى المواضيع؟ هل من الممكن وجود فرق في ذلك؟ ازداد فضولي لأعرف إن كان هناك اختلاف في استخدام الجنسين للتفاصيل الحسية كاللون والمادة والصوت والملمس كنعومة الشيء أو قساوته. قمت بتعداد عدد الكلمات الوصفية التي استخدمها الفتيان مقارناً إياها بالعدد الذي استعملته الفتيات. وجدت اختلافاً جديداً. أدخلت في مقارنتي مواضيع الفتيان الذين يتمتعون بقدرة كبيرة على التعبير ويستخدمون الكثير من التفاصيل الحسية. بالرغم من ذلك، تفوقت الفتيات على الفتيان بنسبة اثنين إلى واحد في استخدامهن للكلمات الوضعية والحسية.

قُرع الجرس وضجّت الصفوف بالحركة وامتلأت الأروقة بالطلاّب، ممّا أنهى اختباري التلقائي. رأتني دافيتا فمشينا سوياً إلى السيارة وذهبنا إلى المنزل ونحن نتحدث عمّا حصل معها خلال النهار.

في وقت لاحق من تلك الليلة، قمت باتصالات عديدة وأرسلت بعض الرسائل الإلكترونية لزملاء ومدرّسين وإداريين، متسائلاً إن كانوا يستطيعون القيام بالاختبار نفسه في مدارسهم.

خلال الأسبوع التالي، وردني الكثير من الاتصالات والرسائل الإلكترونية التي أظهرت وجوداً للفروقات التعبيرية بين الجنسين في كولورادو ونيويورك وجورجيا وكاليفورنيا وفي مختلف أرجاء البلاد. في مواضيع الفتيات الإنشائية المعلّقة على جدران المدارس الإعدادية استخدام أكبر للكلمات وللوصف مقارنةً مع ما كتبه الفتيان.

حثتني تجربتي في مدرسة دافيتا على أن أطلب من المدرّسين والأهل والمحترفين، الذين التقيت بهم في المؤتمرات وورشات العمل، أن يقوموا بذلك الاختبار بأنفسهم. يمكنكم محاولة القيام بهذه التجربة في أي مدرسة إعدادية تعرض عمل الطلاب على جدران الأروقة. إنني متأكد من أنّ متابعتكم لعشرة صفوف ستظهر لكم النتائج نفسها. ستكتشفون طريقة مثيرة لفهم ما يجري داخل عقول الفتيات والفتيان.

كما ذكرنا في السابق، فإنّ الفتيان لا يستخدمون العدد نفسه من الكلمات التي نجدها في ما تكتبه الفتيات. إنّهم لا يستخدمون المناطق اللغوية نفسها في الدماغ، ولا يستطيعون خلق صلة بين ما يشعرون به وما يكتبونه أو يقولونه. لذا، فإنهم لا يستخدمون عدداً مماثلاً من الكلمات الحسية الشديدة الوصف أو من الكلمات بشكل عام. كما ولا ينجذب الفتيان كالفتيات إلى القراءة. هذه هي طبيعة معظم الفتيان، إلاّ أنها قد تكون من أكثر مظاهر تعليمهم المسببة للمشكلات، إذ إنها تؤدي إلى حصول الفتيان على درجات اسوأ من الفتيات في اللغات.

مهمة الأهل

يعطي هذا الفصل توجيهات علمية لمن يريد منكم تحسين القدرات الفكرية لدى الفتيان في المنزل وفي المدرسة. إن التربية الحديثة تشدّد على أهمية

القـراءة والكتـابة والمعـرفـة الحسـيـة. إنّ أي فـتـىً أو فـتـاة غـيـر مـتـفـوق في هذه المجالات هـو طفل يعاني من انخفاض في درجاته المدرسية وفي ثقته بنفسه.

من غيـر المفاجئ أن الفـتـيات في جـميع الـبلاد الصناعيـة، ومنهـا الولايات المتحدة، متفوقات على الفتيان في القراءة والكتابة واللغات. تحدّد وزارة التربية الأميركية هذا التفاوت بين الجنسين بحوالى سنة ونصف، أي أنّ طالبة في السنة الجامعية الأولى تقرأ وتكتب كطالب في السنة الثانية ,تتفاوت القدرات اللغوية عند الجنسين بسـبب تكوين عقل الأنثى الذي يجـعلها أفـضل في تعلّم الكلمـات وفهـمها وفي اسـتخدامهـا للتعـبيـر عن المشـاعـر. إلاّ أنّه من الممكن ومن خـلال أسـاليب عمليـة وسهلة أن يتمّ تقليص مدة التفـاوت من سنة ونصف إلى بضـعة أشهر.

يقـدّم لكم هذا الفـصل هـذه الأسـاليب العـمليـة مـن خـلال إطلاعكم على الطريقة التي يتبعها الفتيان لتعلّم القراءة والكتابة واللغات. يهدف الفصل أيضاً إلى إرشـادكم إلـى كـيـفـيـة تحـسين أداء الفـتـيـان في الصف وفـي الامـتـحـانات. سنناقش استـراتيجيات منزلية وتعديلات مدرسـيـة قد سبق وتكلّلت بالنجاح في جميع أرجاء البلاد (وحول العالم في بعض الأحيان). تقوم هذه الاستـراتيجيات والتعـديلات بحمـاية وتعـزيز تعلّم الفـتيـان للقـراءة والكتـابة واللغـات، وتعتمـد على تنميـة أقسام عـديدة في الدماغ وربطها مع بعضها البعض للوصول إلى استخدام أكبر للكلمات في القراءة والكتابة واللغات. لا تتعرض الفتيات إلى أيّ أذى بسبب هذه الاسـتـراتيـجيات، بل إنّها قـادرة على مسـاعـدتهنّ أيضاً. إلاّ أن التـوصل إلى هذه الأسـاليب والإرشـادات قد تمّ بعد سنوات من الأبحاث والتجارب التي تتمحور حول نمو دماغ الفتيان وقدرتهم على التعلّم.

من الممكن استخدام الاستـراتيجيات المذكورة في هذا الفصل للمساعدة على تعـزيز القـدرة اللغوية في جمـيع اقسـام المخ. إنّها قـادرةٌ على تحـسين أداء الأولاد

في كتابتهم للمواضيع الإنشائية التي يتمّ عرضها على جدران المدارس، ويمتدّ تأثيرها على مختلف الوظائف اللغوية التي سيقوم بها الأولاد في المستقبل.

تشجيع الأطفال على استخدام الكلمات منذ الصغر:

للأهل دور أساسي في تعليم أطفالنا. لا تكون المنازل والمدارس بالفعالية نفسها إن لم يكن المنزل مركزاً للقراءة والكتابة والتعبير، مكاناً يعي أهمية استخدام الطفل للكلمات من لحظة ولادته.

خصّصنا الفصل الثالث لإرشاد الأهل على كيفية جعل المنزل بيئة تعليمية سليمة وممتعة تعزّز تعلّم الأولاد ونمو قدراتهم اللغوية. بما أنّ كلامنا قد تمحور حول مرحلة ما بين الولادة وصفوف الحضانة، نأمل أن تطلعوا على ذلك الفصل بدقة. أمّا هذا الفصل فإنّنا سنبدأ فيه بإعطاء إرشادات إضافية لمساعدة طلاب الحضانة ومن ثمّ بالتركيز بشكل أشمل على الاستراتيجيات التي يجب استخدامها لتنمية القدرات اللغوية في الصفوف الإعدادية والتي تليها.

إنّ تنمية القدرات اللغوية لا تتطلّب مجرّد التمرّن على استخدام الكلمات بل تعتمد على الربط بين استعمال هذه الكلمات من جهة ومختلف الوظائف الذهنية من جهة أخرى. ستلاحظون أنّ عدداً من الاستراتيجيات المقترحة تعتمد على عمل الوظائف الذهنية ككينونة واحدة.

تنمية اللغة عند الأطفال قبل دخولهم المدرسة:

الصقوا ورقة تحمل اسم الغرض على ما يوجد في أرجاء المنزل. قد تذكر هذه الأغراض في كتب تقرأونها لطفلكم. يمكنكم استخدام أوراق لاصقة أو قطع من الكرتون لكتابة الأسماء. تستطيعون أن تضعوا هذه الأوراق على مختلف الأغراض بما فيها السيارة، الرجل العنكبوت، الطاولة، الكوب، الباب والنافذة.

من الممتع أن تصبح عملية وضع الأسماء على الأغراض لعبةً تشاركون ابنكم فيها. يمكنكم أن تتحدوه شفهياً ليلصق الكلمات في الأماكن المناسبة. عند إنجازه للمهمة، قوموا بتهنئته (وتصحيحه عند الحاجة) ثم اطلبوا منه جمع الأوراق وخلطها ثم معاودة اللعب. كلّما تحسنت مهارات ابنكم اللغوية يصبح بإمكانكم إضالفة أوراق لأغراض جديدة.

عندما يصبح ابنكم كفوءاً في معرفته لمجموعة معينة من الأوراق، قوموا بتحديد الوقت واجعلوه ينافس نفسه ليرى إن كان سيقوم بوضع الأوراق في مكانها في وقت أقل.

عند تمكن ابنكم من معرفة الكلمات دون مساعدة، يستطيع عندها وضعها في كيس، وعندما يمتلئ الكيس بكامل المجموعة، يمكنكم عندها اللعب بواسطة مجموعة أوراق جديدة. من الممكن القيام بذلك في الفناء الخارجي للمنزل فتصبح اللعبة درساً علمياً. كما وتستطيعون اللعب في أماكن أخرى كمنزل الجد والجدة أو المرآب أو الطابق السفلي.

من الممكن إضافة عامل ممتع إلى اللعبة وهو الطلب من الولد أن يرسم صوراً لبعض الأغراض.عندها يبدأ عمل الوظائف الذهنية مجتمعةً ويتمّ تعزيز النظر عند الولد في مرحلة مبكرة من التعلّم.

تنمية القراءة عند الأطفال في مرحلة الحضانة:

فلنفترض أنّ ابنكم قادر على القراءة وإن كان ذلك بشكل محدود. سنقدم لكم الآن طريقة تساعد على تنمية اللغة عنده.

اشتروا مجموعة كلمات ذات خلفية مغناطيسية وضعوها على الثلاجة. (يمكنكم إيجاد كلمات أكبر حجماً للأطفال الأصغر سناً). قد يصل عدد هذه الكلمات إلى خمسين كلمة.

ابدؤوا طقساً تعلّمياً مع ابنكم يقوم على الإشارة إلى هذه الكلمات في وقتٍ محدد يومياً. اطلبوا منه تحريك هذه الكلمات ليؤلف جملة. هنئوه على مجهوده وساعدوه على تصحيح أي خطأ قد يرتكبه. ثم استخدموا الكلمات نفسها لتؤلفوا جملتكم الخاصة. اطلبوا منه قراءة جملتكم وتحدثوا إليه عن أي أجزاء قد لا يفهمها في هذه الجملة. تذكروا أنّ الاستمتاع هو أساس هذه اللعبة. استخدموا جملاً مناسبة لعمر الولد.

أضيفوا عنصر التحدي مع الوقت. يمكنكم حثّه على استخدام عدد معين من الكلمات في جملة، مع إضافة الكلمات إلى أن يتضلّع من مختلف أطوال الجمل. اطلبوا منه قراءة الجملة وشرحها ثم هنئوه وساعدوه على تصحيح أيٍّ خطأ.

تحسّن هذه اللعبة مستوى القدرة اللغوية، ومن الممكن الاستمتاع بها في أيّ وقت كان حتى خارج نطاق الموعد المحدّد للطقس التعلّمي. على سبيل المثال، يمكنكم استخدام الكلمات لكتابة لائحة الطعام أثناء تحضيركم له. يستطيع ابنكم مساعدتكم على تدوين لائحة الأغراض التي تحتاجون إليها لوصفةٍ ما أو على تحضير الطعام وفقاً للوصفة وللائحة الموجودة على الثلاجة.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

فلنفترض أنّ ابنكم قد تعلّم القراءة. قد يحبها أو يكرهها، لكنّكم تعون أهمية القراءة وتأثيرها على درجاته المدرسية وعلى علاقاته الاجتماعية وعلى ثقته بنفسه. ماذا تستطيعون فعله الآن لدمج التحسّن اللغوي في حياة ابنكم اليومية؟ سنبدأ بتفصيل لبعض الاقتراحات والإرشادات.

استخدام لائحة الأغراض في متجر البقالة:

تحدوا ابنكم قبل الذهاب إلى متجر البقالة واطلبوا منه تدوين لائحة

الأغراض التي يريد إضافتها إلى اللائحة المعتادة مع السماح له بكتابة اسم طعام صحي يحبّه ويرغب بتناوله. تستطيعون أن تطلبوا منه أن يعيد كتابة لائحة الأغراض العائلية بنفسه، واختاروا أن تكون مهمته كتابتها كلّها أو جزء منها وفقاً لعمره ولاهتماماته. إن كان هناك أي خطأ إملائي (وإن كان الولد في الصف الثالث أو أكثر)، يمكنكم أن تشيروا إلى الإملاء الصحيح للكلمة قبل أن تطلبوا منه نسخه. إن كان الولد في الصف الرابع وما فوق، اختاروا عدّة كلمات كتبها بشكل خاطئ واطلبوا منه أن يجدها في القاموس العادي أو الإلكتروني.

عندما يصل ابنكم إلى كتابة جميع الكلمات بشكل صحيح، يستطيع الحصول على الطعام الذي طلبه في اللائحة، وسيكون ذلك بمثابة حافز يساعده على أن يفهم بأنّ الجائزة هي تحصيل حاصل للمجهود. إن الغاية من هذه اللعبة ومن منحه الجائزة نتيجةً لنجاحه في كتابة اللائحة بشكل صحيح هي أن تنمو لديه الرغبة بمحاولة النجاح في امتحانات الإملاء المدرسية وبالاستمتاع بذلك مرّةً بعد مرّة.

فلنفترض أنّ ابنكم رافقكم لشراء البقالة. يمكنكم أن تطلبوا منه قراءة أسماء الأطعمة ووضع الأغراض الموجودة على اللائحة في السلّة. بذلك يكون قد كتب الكلمات وتعلّم تهجئتها ودعم هذه المعلومات الجديدة بالقيام بحركة بدنية وهي إحضار الأطعمة من على الرفوف.

استخدام قاموس صوري:

قوموا بشراء قاموس للأطفال يحتوي على الكثير من الصور والعبوا مع ابنكم ليصل الصور والكلمات. يساعد هذا القاموس على عمل تعاوني بين الأقسام اللغوية والبصرية في الدماغ، ممّا يجعل منه أداةً شديدة الأهمية خصوصاً للفتيان الذين يفضّلون أو يعتمدون على رؤية الأشياء لتعلّمها.

استخدام المكتبة:

اجعلوا زيارة المكتبة أمراً تقوم به العائلة بانتظام، إذ أنّ مكتبات الأطفال وسيلة رائعة يجد فيها الفتيان الكتب التي تثير اهتمامهم. (يمكنكم الاطلاع على كتاب «الكتب التي يحتاج إليها ابني» وفيه لائحة الكتب التي يحبّها الأولاد وفقاً لأعمارهم). رافقوا ابنكم إلى جلسات المطالعة وسرد القصص التي تقام في المكتبة، وانتبهوا إلى مواعيد زيارة المؤلفين إلى المكتبة لقراءة كتبهم للأطفال. تأكدوا من أن يكون بعض هؤلاء المؤلفين ذكوراً إذ أنّهم بمثابة المثل الأعلى الذي قد يحثّ أبناءكم على القراءة واستخدام الكلمات ومطالعة الكتب.

استعمال الألعاب اللغوية عند تناول الطعام:

أثناء تناول العشاء، اعتمدوا الألعاب اللغوية، حيث يستطيع كل فرد من العائلة اختيار كلمة على الفرد الآخر وتأليف جملة تحتوي عليها. يختار الابن كلمة يستخدمها الأب في تأليفه للجملة، ثم تختار الأم كلمة على الابن استخدامها. من الممكن اللعب مع أبنائكم بالطريقة نفسها في السيارة خلال الرحلات الطويلة.

كأيّ نشاط يعتمد على استخدام الكلمات بشكل ممتع، تستطيع الألعاب اللغوية ولوائح البقالة، إضافةً إلى المكتبات والجمل المؤلفة على الثلاجة، أن تحثّ الولد على استخدام تجاربه الحسية لتعلّم الكلمات.

الاعتماد على الأهل والأقارب:

من الممكن لأي فرد من العائلة أو من الأقارب استخدام الأدوات التي يستعملها الوالدان لتنمية القدرة الفكرية عند الأولاد. على سبيل المثال، من المهم أن يكتب الفتيان رسائل خطية وإلكترونية إلى الأجداد والأقارب الذين يقطنون خارج البلاد. يعمل هذا الطقس العائلي على تنمية اللغة لدى الفتيان، وللتأكد من

حصول ذلك، يمكنكم تحديد موعد خاص بكتابة هذه الرسائل (كصباح يوم السبت مثلاً). يحتاج الفتيان عادةً إلى مواعيد محددة خصوصاً وأنّ طبيعتهم لا تجعلهم يهتمون بالكتابة بشكل كبير.

يمكنكم مساعدة أبنائكم من خلال كتابة الرسائل على وصل اللغة وحاسة النظر عبر رسمهم لصور تظهر لأجدادهم ما يتعلمونه حالياً. اطلبوا من أبنائكم كتابة تعليقات صغيرة تحت هذه الصور أو في ورقة منفردة، إذ إنّ تلك الجملة أو الفقرة تعبّر عن التفاصيل الحسّية التابعة للصورة ككون السيارة حمراء أو السماء زرقاء. إن رسم جسم غير واضح داخل السيارة، فيمكنه عندها أن يكتب إنّ ذلك هو والده أو والدته. كما ويستطيع كتابة قصة قصيرة تصف ما كانوا يرتدونه وإن كانوا يبتسمون أو يعبسون.

عند انتهاء الولد من كتابة الرسالة الأسبوعية ومن الرسومات، اطلبوا منه مساعدتكم على إرسالها عبر البريد. من خلال ذلك النشاط البسيط، يستمر دمج الولد للكلمات والوظائف الحياتية اليومية. عليه كتابة اسم المرسل والمرسل إليه إضافةً إلى حمل الرسالة إلى مكتب البريد، حيث يستطيع وضعها في الصندوق المخصّص للرسائل.

للتأكد من فعالية هذه الطريقة ومن تأثيرها على النمو الفكري لأبنائكم، من المهم أن يقوم الأقارب بالإجابة على الرسالة. كلّما ازداد الوصف الحسّي في رسائلهم، كلّما حمل ذلك فائدةً أكبر للفتيان. عندما يتمّ التواصل بين أبنائكم وأقاربهم، قوموا بتشجيع الفتيان على قراءة الرسائل بصوت عالٍ لكم ولأزواجكم.

تقنية فنية: تلحين الكلمات:

لقد سبق وأطلعناكم على دور الموسيقى في تطوير المهارات اللغوية عند الأطفال. يقوم أيّ نشاط موسيقي بتشغيل أقسام الدماغ المسؤولة عن الموسيقى.

الاستماع إلى الراديو هو نشاط موسيقي لكنّه لا يستدعي الحركة، لذا فإنّ فعاليته أقلّ من تعليم أبنائكم العزف على الآلات الموسيقية كالبيانو والغيتار والسكسيه والفلوت والطبل. تمّ تأكيد أهمية الموسيقى في دراسة أقيمت في جامعة هونغ كونغ الصينية، حيث أنّها أظهرت ذاكرة لغوية أفضل لدى الأطفال بشكل عام والفتيان بشكل خاص بعد التحاقهم بصفوف موسيقية لمدة سنة واحدة. كما كان من نتائج هذه الدراسة الصينية أنّ ذاكرة الفتيان اللغوية بقيت أفضل من تلك الخاصة بالذين لم يلتحقوا بتلك الصفوف حتى بعد سنة من توقفهم عن حضورها.

من الطرق الممتعة التي تستطيعون من خلالها مساعدة الأطفال على استغلال الموسيقى للتعلّم هي شراء آلة غناء غير باهظة الثمن، وهي آلة متوفرة في القسم المخصّص للألعاب في معظم المتاجر. حالما يتعلّم الولد كيفية غناء الكلمات التي يقرأها على الشاشة متتبعاً بذلك اللحن المطلوب، يمكنكم عندها أن تطلبوا منه أن يغني وأن يروي القصص من خلال أغانيه. اسمعوا أغانيه وقصصه واطرحوا عليه أسئلة تحثّه على أن يوسّع أفكاره وعلى أن يستخدم جملاً أطول. (عليكم ألاّ تنتقدوا مقدرته على الغناء، إذ إنّ الأهم هو التطور اللغوي وليس أداءه الموسيقي). إنّ هذه الآلات التي تطلب من المستخدم قراءة الكلمات وغناءها مع الموسيقى تضمن دمجاً للموسيقى والنظر، كما وأنّها تزيد من ثقة الولد بنفسه وخاصةً بما يتعلق باستخدام الكلمات.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

إن كان ابنكم مراهقاً قد اكتسب مهارات عالية في القراءة، فإنّ ذلك يدلّ على أنّه قد يحبّ مطالعة أيّ كتاب. كلّ ما يحتاج إليه هو الوقت، واجب محدد وكتاب ممتع.

أمّا إن كان ابنكم قارئاً غير ماهر، فإنّه قد يحتاج إلى مساعدة في المجالات الثلاثة التالية، وسنتطرق إلى جميعها في هذا الجزء من الفصل:

1- تأييد المدرسة على تغيير الطريقة المتّبعة في تعليم اللغات.

2- إيجاد كتب ومنشورات أخرى تسهّل عليه قراءتها وتلفت اهتمامه.

3- استثمار وقته وطاقته على القراءة والفروض المنزلية والدروس، حتى وإن لم يكن يرغب بالقيام بها.

يتمحور الجزء الرابع من هذا الكتاب حول مساعدة الفتيان الذين ينقصهم الحافز للتعلّم والذين يحصدون نتائج أقل مستوى من زملائهم، ذلك إضافة إلى من يعانون من اضطرابات تعلّمية. سنفترض في هذا الفصل بأنّ ابنكم لا ينتمي إلى أيّ من هذه الفئات ويحتاج فحسب إلى القليل من المساعدة الإضافية ليغدو ماهراً في القرءاة والكتابة.

اقتراحات

لعبة للصغار

دوّنوا حروف اسم ابنكم بشكل عمودي على الجهة اليسرى من الورقة. اطلبوا من الفتى إيجاد أشياء يبدأ اسمها بكل حرف ومن ثم تدوين هذه الأسماء.

عند كتابته لكلمة واحدة لجميع الحروف، امنحوه جائزة ما، على أن تكون ملائمة لعمره ومثيرة لاهتمامه. على سبيل المثال، بوسعكم اصطحابه في نزهة إلى الحديقة العامة أو شراء المأكولات التي يحبّها.

بعد انتهائه من تدوين الكلمات، علّقوها في غرفته والعبوا معه مجدداً مستخدمين الاسم الأول، دون السماح له باستعمال الكلمات نفسها التي سبق ودوّنها. بعد ذلك، وكي لا يشعر الفتى بالملل، يمكنكم الانتقال إلى أسماء أخرى

كالكنية أو اسم الأب. اطلبوا منه تزيين الورقة من خلال الرسومات أو الصور التي قد يجدها في المجلات والصحف والتي تعود إلى الكلمات نفسها.

مساعدة الولد في فروضه المنزلية:

يحتاج الكثير من الفتيان إلى مساعدتكم في فروضهم المنزلية وليس إلى قيامكم بها بأنفسكم، ممّا يعني أنّ كل ما عليكم فعله هو إرشادهم. إنّ طالب الصف السابع الذي لا ينجز فروضه المنزلية الخاصة باللغات أو بأي مادة أخرى هو بأمسّ الحاجة إلى مساعدتكم. عليكم أن تمضوا معه ما لا يقلّ عن ساعة يومياً لمساعدته في كتابة تقرير أو قراءة كتاب أو تحضير مشروع ما عليه تقديمه. ينطبق ذلك أيضاً على طالب الصفوف الثانوية.

تحويل وسائل التسلية إلى مكافآت:

إن كان أداء ابنكم سيئاً في الوظائف المنزلية اللغوية أو غيرها، وخاصةً إذا كان لا يطالع ابداً، فإنّ ذلك قد يعني أنه يمضي الكثير من الوقت أمام جهاز التلفاز أو ألعاب الفيديو أو الإنترنت. يشير ذلك إلى ضرورة أن توجهوه إلى ما هو أكثر أهمية. يجب أن تتحوّل وسائل التسلية، التي تثير اهتمامه أكثر من الكتابة والقراءة، إلى مكافآت عوضاً عن السماح له باستخدامها متى أراد. قد يقدّر مساعدتكم أو قد يثور على تشدّدكم. لا يمكنكم الحصول على تعاون من قبل إلاّ من خلال عملكم الجماعي كعائلة وعبر اقتراحكم محاولة الأمر لمدّة ثلاثة أشهر ومن ثمّ اتخاذ القرار.

توفير كتب ومطبوعات ممتعة:

لقد ساد في العقدين الأخيرين مناقشات كثيرة حيال الكتب وإن كان أحد أنواعها أفضل من غيره. تعتبر قراءة مجلات الرسوم الهزلية مثلاً مضيعةً للوقت ودليلاً على أن الولد قارئ غير ناضج. أمّا إن قام الولد بقراءة كتيّب تعليمات

تقني وإن عبّر عن عدم استمتاعه بالقصص، فيُقال عندها إنّه محدود التفكير. عند اهتمامه بروايات الخيال العلمي وليس بغيرها، يعتبر عندها مهووساً بذلك النوع من القصص. إنّ نظامنا التعليمي متشدّد في آرائه المتعلقة بما يقرأه الأولاد، وذلك جيد إلى حدّ ما، إذ أننا نريد أولادنا أن يطالعوا مختلف المواضيع. إلاّ أنّ ذلك الموقف يعيق نجاح الأطفال في اللغات وخاصة الفتيان.

ديان رافيتش هي باحثة في وزارة التربية وخبيرة في الحاجات التعليمية للطفل بحسب جنسه. قامت رافيتش بأبحاث معمّقة ونشرت الكثير من المقالات المتعلّقة بما يقرأه الأطفال. من غير المفاجئ أنّها وجدت أنّ مهارة الولد في القراءة تعتمد على محتوى الكتاب الممتع وعالي المستوى وعلى احترام حق الولد في اختيار ما يريد مطالعته.

أشارت ديان رافيتش إلى أنّ الكتب التي تقع في خانة سلسلة هاري بوتر تبرهن أنّ الأميركيين الصغار يحبّون قراءة الكتب المتعة المليئة بالإثارة والغموض والنزاعات بين الخير والشر. أمّا الكتب التاريخية، فإنّها لا تحتوي على عنصر التشويق، متجاهلةً ضرورة إدخاله في القصة التاريخية.

لقيت رافيتش التأييد من قبل باحثين آخرين مثل مايكل سميث من جامعة روتجرز للدراسات العليا التربوية وجيفري ويلهيلم من جامعة بويز. قام هذان الباحثان بدراسة شارك فيها الفتيان بين الصفين السادس والثاني عشر، واكتشفا أنّ ما يطلب من هؤلاء الطلاب قراءته وكتابته في المدرسة لا يمتّ باهتماماتهم بصلة. كما وتوصّل ويلهايم وسميث إلى أنّ الفتيان يسخرون من كون المدرسة بعيدة كلّ البعد عن الواقع وعن الحياة. قال لهما أحد المشاركين في دراستهم، وهو ولد في السادسة من عمره، إنّه لا يحب قراءة القصص الخيالية ولذا يقوم بمطالعتها بشكل سريع وبدون تركيز. عبّر ولد آخر عن امتعاضه من دراسة اللغات قائلاً: إنّ اللغة غير مهمة وتُعنى بالقواعد النحوية وبالقوافي، ممّا

يؤكّد أنّ لا علاقة لها بأيّ شيء يختبره الإنسان في حياته. إلاّ أن ويلهايم وسميث لاحظا بأنّ هذين الطالبين يشاركان بكلّ حماس بمطالعة كتاب أو بكتابة موضوع إنشائي عندما يكون المحور رياضياً كالتزلج أو تقنياً كقراءة كتيّب تعليمات خاص بتصليح دراجة نارية.

بعد سنوات من الأبحاث، توصّل هذان الخبيران إلى نتائج لا بدّ وأنّ الأهل يشعرون بها عندما يتذمّر أبناؤهم من الملل ومن عدم استمتاعهم بحصص اللغة والأدب والتاريخ والاجتماعيات. يقرأ الفتيان عامةً ما يثير اهتمامهم وما يتوافق مع طبيعتهم الهرمونية والفكرية والنفسية. سيرفضون، من جهة أخرى، كل ما هو مملّ وما لا يتماشى واهتماماتهم.

بما أنّ الفتيان قد لا يقرأون عدد الكتب نفسه الذي تطالعه الفتيات سنوياً، فإنّ نوعية الكتب التي يقومون بقراءتها شديدة الأهمية. هناك روايات وقصص يستفيد أيّ طفل من قراءتها مثل «قتل الطائر المحاكي» To Kill a Mocking Birdأو «روميو وجولييت» لشكسبير. لكن هل من المسموح أن نقيّم الفتيان الذين يفتقدون إلى المهارة في القراءة وفقاً للكتب التي يُجبرون على مطالعتها، كتباً مدرسيةً كانت أم قصصاً خيالية؟ من المؤكد أن هذا السؤال يواجه أهل الفتيان الذين لا يقومون بالمطالعة بشكل كبير. إن كنتم من تلك الفئة، فلا بدّ وأنكم لاحظتم ما استنتجته دايان رافيتش وغيرها من الباحثين: قد يحتاج الفتيان إلى قصة مشوّقة ليستمر اهتمامهم بها. قد يحثكم هذا الأمر لأن تطلبوا من المدرسة السماح لأولادكم بقراءة كتب يختارونها بأنفسهم أو كتب بديلة عن اللائحة التي يحدّدها المنهاج.

قد تلاحظون أيضاً أنّ الفهم الكلّي لمحتوى الكتاب يتطلّب أن يشمل صوراً ورسومات، الأمر الذي لا ينطبق على الفتيات بالدرجة نفسها. عند التحاق الفتيان بالجامعة، يبدأ دماغهم بالوصول إلى نموّ كلّي وتنخفض حدّة حاجتهم

إلى الرسومات والمساعدات البصرية. إلاّ أنّ ذلك لا ينفي أنّ الذكور، وحتى الناضجين منهم، يفضّلون الكتب التالية:

- المليئة بالحركة، كالروايات التي تقوم على الإثارة والتشويق، القصص الخيالية أو سير حياة الرياضيين.
- التقنية والميكانيكية ككتيبات التعليمات وكتب إدارة الأعمال.
- المحتوية على رسومات ومساعدات بصرية كمجلات الرسوم الهزلية.

بما أن اهتمام الفتيان والرجال ينصبّ على هذه الكتب، فللأهل دور شديد الأهمية في مجتمعاتنا. بالرغم من قراءتهم للكتب المدرسية بعدم اكتراث، قد يطالعون كتب هاري بوتر بشغف كبير. قد يشعر الفتيان بالملل في المدرسة، إلاّ أنّ ذلك لا يعني أنّهم لا يستمتعون بقراءة الكتب الخاصّة بالسيارات. قد يقرأ الفتيان كتب التاريخ المدرسية بطريقة عجلى ودون اهتمام، إلاّ أنّهم قد يستمتعون بمطالعة سيرة حياة شخصية تاريخية معروفة. إنّ هذا الواقع الخاص بالمراهقين يعود بشكل جزئي إلى طبيعتهم البيولوجية، وهذا ما يمكنكم الاطلاع عليه في «هل كنت تعلم؟».

نظراً إلى ما يجري في عقول الفتيان ، قد يجد أهالي المراهقين أنّه من الضروري أن يدعموا الفتيان المراهقين في المدرسة وأن يدافعوا عن اهتماماتهم. يمكنكم استخدام هذا الكتاب وموارد مماثلة لتلفتوا نظر المدارس إلى هاتين النقطتين الأساسيتين:

1- إنّ ذهن الذكور غير مهيّأ بشكل عام كذهن الإناث لتعلّم اللغات. لذا يحتاج الذكور عادةً إلى مساعدة إضافية في ذلك المجال تحتّم فسح المجال ليختاروا الكتب التي يريدون مطالعتها. كما وعلى المدرّسين أن يستخدموا وسائل تعليمية خلاّقة ليتساوى الجنسان في أدائهم اللغوي.

2- إنّ أنظمتنا المدرسية تساهم في تفاقم التفاوت اللغوي بين الجنسين وذلك من خلال عدم تأمين مواضيع ومناهج وأساليب تعليمية وتقنيات سمعية وبصرية تتماشى وحاجات الفتيان وتساعدهم على التساوي مع الإناث في المجال اللغوي.

التحوّل إلى أهل يفرضون التغيير:

يحتاج المدرّسون والمدارس إلى دعمكم لمساعدة أبنائكم على النجاح وذلك من خلال فرضكم التغيير في المؤسسات التعليمية. في ما يلي عرض لبعض الأفكار التي يمكنكم تطبيقها لخلق حوار مع المدارس ولبدء التعاون معها. إن كان تنفيذ بعض هذه الاقتراحات أمراً مستحيلاً، فعليكم غضّ النظر عنها وتفادي النزاعات مع المدرسة. إلاّ أنّ تنفيذ الأفكار التي تبدو ممكنة أمر عليكم القيام به وإن استغرق ذلك عدّة سنوات.

هل كنت تعلم؟

يرتفع مستوى الهرمون الذكوري أي التستوسترون في المرحلتين التكميلية والثانوية من حياة الفتى المدرسية، إذ أنّ البلوغ يتمّ في هذا العمر. يتمّ إفراز هذا الهرمون في دماغ الفتى من خمس إلى سبع مرّات يومياً أثناء بلوغه. يزيد التستوسترون من النمو الحركي عند الذكور (والإناث) ويرفع من استخدام الفرد للأقسام الدماغية الذكورية. لدى الفتيان كمية من التستوسترون تصل إلى عشرين مرة أكثر من تواجد هذا الهرمون عند الإناث، ممّا يؤدّي إلى اختلاف الوظائف الذهنية بين الجنسين في مرحلة المراهقة. بينما تزيد الهرمونات الأنوثية (الاستروجين والأوكسيتوسين) من الوظائف اللغوية، تدفع الهرمونات الذكورية الفتيان إلى التصرف بشكل أكثر حركةً وعنفاً وتزيد من تجاربهم اليومية الحركية والجسدية.

1- **تغيير المناهج:** قوموا بتشجيع المدرّسين والمدارس على البحث عن مناهج لغوية تقوم على حاجات الفتيان واهتماماتهم. (من المؤكد أنّ هذا الأمر مطلوب أيضاً لمساعدة الفتيات في المجالات التي تحتجن إلى العون فيها. لمعرفة المزيد عن حاجات الفتيات المنهجية، يمكنكم قراءة كتاب «الفتيات والفتيان يتعلمون بشكل مختلف»). إن كان المنهاج المتّبع في مدارسكم يفتقد إلى الرسومات والمساعدات البصرية، فمن المؤكد أنّ تغييره ضروري. إن كان لا يعتمد على الأفلام وعلى وسائل سمعية وبصرية أخرى، فذلك يعني أنّها لا تأخذ حاجات الذكور واهتماماتهم بعين الاعتبار.

2- **تغيير المواد المطلوب قراءتها:** يجب إلغاء بعض الكتب المدرسية من المنهاج، وخصوصاً تلك المشابهة للتي تحدثت عنها دايان رافيتش. لا تستطيع هذه الكتب أن تجذب الأولاد (أو البنات) وأن تبقيهم مهتمين بمحتواها. الأهم من ذلك هو أن يتمّ تشجيع المدارس لتسمح للأطفال باختيار المواد التي عليهم قراءتها. على سبيل المثال، يمكنكم أن تطلبوا قبول كتب هاري بوتر لبعض الطلاب بينما يقرأ الآخر كتاب «جاين إير». ليس من الضروري إلغاء جميع المواد المطلوب قراءتها في المدرسة، إنّما على المدارس أن تسمح بأن يختار طلاّبها نسبة تتراوح بين 30 و50 بالمئة من هذه المواد. إنّ هذا التعديل المنهجي وحده قادر على مساعدة عدد من المراهقين على تطوير قدراتهم اللغوية ودرجاتهم المدرسية.

3- **استعمال الوسائل البصرية بشكل أكبر:** من المهم التوسع في استخدام الوسائل البصرية كالأفلام وقصاصات من البرامج التلفزيونية والمواد المحضّرة على الكمبيوتر. لا يجب استعمالها في المناهج فحسب وإنّما في ما يحضّره الطلاّب أيضاً لتقديمه في الصف. إنّ هذه الوسائل ملائمة للفتيان الذين لا يتمتعون بالمهارة في القراءة والكتابة والأدب.

4- **التشجيع على استخدام الكمبيوتر المحمول لتدوين الملاحظات وكتابة الأبحاث والفروض:** ما يصعّب تطبيق هذه الفكرة الحديثة هو عامل المادة، لكن في حال اتخذت العائلة قرار شراء الكمبيوتر المحمول، فإنّ ثمنه يبدو معقولاً مقارنةً بالتحسّن الذي ينتج عن استخدامه. لا يبرع الكثير من المراهقين في تدوين الملاحظات كالمراهقات. إن استثمرت العائلة القليل من مصروفها على الكمبيوتر المحمول وعلى صفوف خاصة بتعليم الطباعة على هذه الآلة، فإنّ ذلك يؤدّي إلى تحسّن أكيد في قدرة الولد على تدوين الملاحظات.

5- **التشجيع على استعمال الحركة البدنية في المنزل وفي المدرسة أثناء القراءة والكتابة:** من المؤكد أنّ الحركة البدنية في الصف تشكّل أسوأ كابوس للمدرّسين. إذا طلب الأهل أن يسمح للطلاب التحرّك في الصف بشكل معقول بينما ينجزون كتابة مواضيعهم الإنشائية، فعليهم عندها تعليم أولادهم احترام هذه الفكرة عبر ضبط الذات. بالرغم من أنّ الحركة الجسدية تثير مراكز الدماغ اللغوية وتخفف من الملل والخوف من الفشل، إلاّ أنها طريقة تختلف عن كل الأساليب التي تسمح بها المدارس لمساعدة الفتيان. قد يضطر الأهل إلى التطوّع في الصفوف أثناء المراحل الأولى من تطبيق هذه الفكرة وذلك لتعليم الفتيان أن يضبطوا أنفسهم.

6- **مناقشة موعد ابتداء اليوم المدرسي ومتطلبات عدد طلاب الصف:** تظهر الدراسات بشكل واضح أنّ تعديل مواعيد بدء اليوم المدرسي يؤثر بشكل إيجابي على الأداء وعلى السلوك عند المراهقين بشكل خاص. كما وأنه قد تمّ التوصل إلى أنّ تقليص عدد الطلاب في الصف يفيد التلاميذ في مختلف المراحل.

زيادة فعاليتكم كمدافعين عن الحقوق التربوية لأبنائكم:

ستنهي كارين تيجا فصلها الأخير كعضو في الهيئة المدرسية الحادية عشرة المنتخبة في مقاطعة كولورادو. لقد مضى على عملها ثمان سنوات، وهي المدة القصوى المسموح بها لأيّ شخص يودّ العمل على الدفاع عن حقوق الأطفال وأهاليهم في المدارس. كارين هي أم سبق أن عملت كمدرّسة في صفوف الحضانة. سألناها عمّا يجب على الأهل القيام به ليكونوا فعّالين في دفاعهم عن حقوق أولادهم في المدارس، أتى جوابها على الشكل التالي:

لا تستسلموا! ابدأوا العمل حالما يلتحق طفلكم بالمدرسة. اجتمعوا مع المدرّسين واسألوهم عمّا يمكنكم القيام به للمساعدة ولدعم المعلمة والمدرسة ليوفروا للأطفال البيئة التعليمية المثلى. هذه أسئلة عليكم طرحها قبل وقوع أية مشكلة. ابدأوا القيام بذلك من أوّل يوم مدرسي للطفل. حين وصوله إلى المدرسة الإعدادية، قوموا بالتطوّع. تعرفوا إلى معلمة الطفل في كل سنة وأنشئوا علاقات طيبة مع المدير أو المديرة ومع سكرتيرة المدرسة على حدّ سواء، خصوصاً وأنها أكثر من يعي بمجريات الأمور في المدرسة. يمكن للسكرتيرة أن تكون مصدراً مهماً للمساعدة وللمعلومات، ممّا يوفر على الأهل الكثير من الوقت. تزداد صعوبة المسألة في الصفوف التكميلية والثانوية لأنّ الفرص التي تُسنح للأهل في تلك المرحلة لمساعدة المدرسة تصبح أكثر تعقيداً، ليس بسبب المدرسة فحسب بل بسبب الطلاّب أنفسهم. إنّما عليكم عدم الاستسلام مهما حصل. يحتاج المراهقون إلينا كالأطفال الأصغر سناً وحتى أكثر منهم أحياناً.

شدّدت كارين على المهمات التالية التي على الأهل القيام بها:

- الانضمام إلى المنظمات الوالدية والعمل معها في المدرسة. سيحصل الأهل بصفتهم أعضاء على لائحة زملاء أبنائهم إضافةً إلى أولياء أمورهم. يشكل ذلك فرصةً مهمة للتواصل مع هؤلاء عند الحاجة إلى دعمهم في أي أمر كان.

- التشجيع على استخدام طرق حديثة لتقييم الطالب وتقدّمه مع عدم إلغاء الامتحانات، إذ إنّ الاعتماد الكلّي على الدرجات التي يحصل عليها الطفل غير كافٍ ويجب إيقافه.

- التفتيش عن فرص للعمل في لجانٍ تربوية مختلفة في المنطقة.

- حضور اجتماعات المجالس المدرسية والإصغاء إلى ما يقوله الأعضاء وذلك لتعرفوا موقف كلّ منهم تجاه مسائل وسياسات مهمة. ثم تناولوا القهوة مع العضو الذي يحمل الآراء الأقرب إلى وجهة نظركم. تذكروا أنكم قادرون على تغيير مجرى الأمور عبر التصويت مع أو ضدّ أية مسألة.

عليكم القيام بكل هذه الأمور قبل وقوع مشكلة واتخاذ التدابير اللاّزمة لحلّها. بتلك الطريقة، تكونون قد أنشأتم علاقات طيبة ممّا يزيد من احتمال إصغاء الآخرين إليكم عند حاجتكم إلى أية مساعدة أثناء عملكم من أجل أبنائكم. تنصح كارين بالاطلاع على موقعين الكترونيين لما يحملانه من فائدة للأهل:

1- الموقع الرسمي للاتحاد الوطني للأهل والمدرسين www.pta.org يحتوي هذا الموقع على مادة دسمة حول مهمة الأهل مع لائحة أطلق عليها اسم «مئة طريقة ليشترك الأهل في تجربة أولادهم التربوية».

2- الموقع الرسمي للاتحاد الوطني للجان المدرسية: www.nsba.org يعرض هذا الموقع معلومات مهمة لمساعدة الأهل على التعاون مع اللجان المدرسية ومع نوابهم للقيام بالتعديلات المطلوبة بشكل فعّال.

كان مايكل ميريفيلد مدرّس كورس قبل تقاعده وترشيح نفسه للنيابة وانتخابه كنائب عن ولاية كولورادو. تعلّم ميريفيلد الكثير عن كيفية مساعدة الأطفال على النجاح وذلك من خلال تجربته التعليمية التي فاقت الثلاثين عاماً. أطلعنا ميريفيلد على أفكاره عن العمل مع الفتيان:

لطالما شعرت أنني كنت مثلاً أعلى مهماً لطلابي الذكور، إذ أنني كنت شاباً رياضياً نامي العضلات يعلّم الموسيقى. ساهم ذلك في أن تنشأ في أذهان الفتيان الفكرة التي تشير إلى مقدرة الشاب على أن يحب الموسيقى والفنون مع حفاظه على رجوليته. أعتقد أنّ ذلك حثّ الفتيان على المشاركة في الصف، ممّا سنح الفرصة لنا لنتواصل كذكور. بعد سنتين من بدء عملي كمدرّس للموسيقى، كان عدد الفتيان في حصصي كبيراً ووصل إلى الخمسين أو الستين. التحق في صف الكورس الكثير من الفتيان الذين كانوا يثقون بي ويطلعونني على المشكلات التي تواجه زملاءهم في المدرسة. كنت أشجعهم على إحضار هؤلاء الزملاء إلى الصف، وإن كان بوسعنا إثارة اهتمامهم إلى الاشتراك في الكورس، كان ذلك الحافز لبقائهم في المدرسة والانجذاب إليها.

سألنا مايكل عن النصائح التي يعطيها للأهل الذين يودّون طلب المساعدة من النواب المسؤولين وذلك لحلّ المشكلات التي تتطلّب منهم تدخلاً في مدارس أبنائهم. كانت له نصائح محدّدة وسهلة التطبيق:

- احصلوا على الرقم الهاتفي للنائب، ومن المفضّل أن يكون رقم هاتفه الخلوي. (يستطيع مايكل إعادة الاتصال بمن يترك له رسالة صوتية على هاتفه الخلوي، لكن الوقت لا يسمح له بالإجابة على مئات الرسائل الإلكترونية التي تصله يومياً).

- عرّفوا عن أنفسكم كناخبين، ومن الأفضل أن تعرّفوا عن أنفسكم كناطقين بلسان جماعة تضمّ أكثر من ناخب واحد. إنّ تعبيركم عن المسألة التي تقلقكم كأهالي طلاب المنطقة تحثُّ النائب على إعادة الاتصال بكم، خصوصاً وأنّ أشدّ اهتماماته هي حلّ المشكلات التي تواجه الناخبين.

- ابدأوا رسالتكم بإدراككم لانشغال النائب المستمر وأطلعوه بعد ذلك على المسائل التي تودون طرحها واعرضوا عليه إرسال المزيد من المعلومات عنها.

أظهروا له أنّكم قد قمتم بما يكفي من الأبحاث عن الموضوع، واعرضوا عليه إرسال بريد إلكتروني يحتوي على شرح موجز لا يتعدّى الصفحة أو الصفحتين.

- اطلبوا تحديد موعد للاجتماع معه وعليكم التقيّد بالموعد الذي يعطيه النائب وفقاً لجدول مواعيده.

- أحضروا معلومات إضافية إلى الاجتماع وجهّزوا أنفسكم لعرض المسألة وما تطلبونه منه بشكل واضح. من الممكن أن يرافقكم عضو من المجلس الإداري للمدرسة، ممّا يزيد من أهمية المسألة المطروحة.

- كونوا مدركين بأنّ النواب لا يعرفون كل شيء عن كل مسألة، لذا عليكم إطلاعهم على تفاصيلها وإعلان جهوزيتكم للمساعدة.

- تأكدوا من أنّ المسألة المطروحة لا تتعلّق بالبلدية أو المقاطعة إذ أنّ طلب مساعدة النائب في مسألة خارجة عن إطار الولاية أمر لا يجدي نفعاً.

- أعربوا عن تقديركم لمساعدة النائب عند استعدادهم للقيام بذلك.

أضاف مايكل هذه التوجيهات الأخيرة للأهالي:

لطالما انتابني الحزن عند عدم حضور عائلة الطالب إلى أيّة حفلة موسيقية كانت تقام في المدرسة. من المهم أن يحضر الأهالي والأقارب هذه المناسبات إضافةً إلى اشتراكهم في نوادي تشجيع الطلاب وتطوّعهم في مكتبة المدرسة. نظراً إلى أزمة العجز المادي في الكثير من المدارس، فإنّها بأمسّ الحاجة إلى المتطوعين في جميع المجالات. عند إنشائكم لعلاقة وثيقة مع المدرسة قبل وقوع أيّة مشكلة، يضمن ذلك سهولة إيجاد حلفاء يساعدونكم ويدعمونكم عند مواجهتكم لأية مشكلة.

نضيف إلى تعليقات مايكل نصيحة تتمحور حول محاولة الأهالي والأقارب إيجاد جمعيات في مناطقهم سبق وبدأت بإقامة علاقات وتعاون بين الأهل

والمدارس. أهم مثال على ذلك هي جمعية الكشاف الأميركي الخاصة بالفتيان التي سبق وأنشأت برامج عديدة تصل المدارس بالأهالي وتساعد الفتيان على أن يغدوا أكثر مهارةً في القراءة. يمكنكم إيجاد معلومات إضافية عن كيفية الاتصال بهذه البرامج وذلك في قسم الملاحظات الإضافية في الجزء الأخير من هذا الكتاب. إنّ أهمية التواصل بين الأهالي والأبناء ومختلف أطراف المجتمع في هذه البرامج تقع في قدرتها على إنقاذ عائلة كثيرة الانشغال من احتمال الوقوع في المشكلات ومن ثمَّ محاولة إيجاد الحلول المناسبة لها. لقد توصّلت جمعية الكشاف الأميركي الخاصة بالفتيان إلى نتائج هائلة في تحسين قدرات الفتيان اللغوية وذلك من خلال إنشاء علاقات وطيدة بين الأفراد والمجموعات التي تقوم بتربية الفتيان وتعليمهم.

مهمة المدرّسين

كوري ناسبوم أستاذ في مدرسة إعدادية في ولاية سياتل. اقترب منّي بعد ورشة عمل للمدرّسين وقال لي أمراً سبق وسمعته عدة مرات: «لقد بدأ الناس يدركون بأنّ الفتيان يعانون في مدارسنا وخاصة في القراءة والكتابة وفي تعلّم اللغة. أعتقد أنّه من الجيد أنّهم بدؤوا الانتباه إلى ذلك لكنني أخشى من أن يضعوا المسؤولية على عاتق المدرّسين واعتبارهم سبباً للمشكلة، وذلك أمر عارٍ عن الصحة. لا أعتقد أنّ المدرّسين قادرون أن يحلّوا المسألة بمفردهم. نستطيع القيام بخطوات كثيرة كطاقم تعليمي ولكننا لا نستطيع حلّ المشكلة دون تعاون الأهالي».

نوافق كوري الرأي إذ إننا بأمس الحاجة إلى مساعدة الأهالي. في الوقت نفسه، عندما يطبّق المدرّسون تعديلات وأفكاراً حديثة، يستطيعون التاثير بشكل مباشر على الفتى (أو الفتاة) ومساعدته على النجاح في تعلّم اللغات. سيتمحور كلامنا الآن على ذلك، لكننا لن نعيد مناقشة الاستراتيجيات التي سبق وشجعنا

على استخدامها في القسم السابق. على جميع المدرّسين الذين لم يقرأوا ما كتبناه عن مهمة الأهل، عليهم القيام بذلك الآن، إذ إنّهم يستطيعون تطبيق النصائح نفسها في صفوفهم. كما ونتمنى أن يطّلع المدرّسون أيضاً على الفصلين الثالث والرابع وبعد التحاقهم بالحضانة. سنبدأ هذا القسم بإعطاء النصائح للطاقم التعليمي في المدارس الإعدادية.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

إنّ أكثر المسائل إثارةً للجدل وأكثر ما على مدرّسي اللغة التفكير فيه هو طريقة تقييم عمل الطالب. إن كان المدرّس شخصاً يعطي الأهمية الأكبر لاستعمال الطالب للكلمات الحسّية وللوصف، فإنّ ذلك يعني حصول الفتيان على علامات اقلّ من الفتيات. كما سبق وذكرنا، إنّ دماغ الذكور لا يستطيع بطبيعته الانتباه إلى التفاصيل الحسّية أو التعبير عنها خطياً أو شفهياً كما تفعل الإناث. إن كان ذلك الأمر واضحاً في صفوفكم أو في المواضيع التي يتم عرضها على جدران مدرستكم، فذلك يعني أنّ عليكم إعادة النظر في النظرية التربوية المتعلّقة بتعريف المهارة الكتابية وفقاً لقدرة الطالب على استخدام الوصف والكلمات الحسّية. إن كان الهدف الحصول على موضوع كامل، لا بدّ وأن يبحث المدرّس عن الوصف وعن تلك الكلمات. إن حصل هذا التعديل في طريقة تقييم المواضيع الإنشائية، فسيتم عندها تحسّن العلامة التي تُعطى للطالب غير الماهر باستخدام الوصف والكلمات الحسّية.

علاوةً على ذلك، على المدرّسين تغيير طريقة تعليم اللغات من خلال إعطاء أهمية أقل للعناصر الضعيفة عند الذكور وعبر التركيز على نقاط قوتهم. لقد سبق وتمّ ذلك في صفوف الرياضيات التي بدأ المدرّسون فيها بطرح أسئلة تتطلب من التلميذ الإجابة عليها على شكل فقرة صغيرة أو عدّة جمل، ممّا يساعد الفتيات على النجاح في هذه المادة. إن كنتم تعرفون ولداً لا يجيد

استخدام الوصف في مواضيعه الإنشائية، فإنّ ذلك يشير إلى ضرورة تقييم ما كتبه وفقاً لمعايير أخرى كتسلسل الأفكار أو المنطق المستخدم في موضوعه. من الممكن أن تصبح هذه المعايير هي العناصر التي يرتكز عليها تعليمه والتي تعمل على تحسين الدرجات التي يحصل عليها.

بما أنّ ذلك دليل على إمكانية تعديل طريقة التعليم من خلال تغيير معايير التقييم، فإنّ هذا الأمر يلغي إمكانية وجود أيّ بديل آخر قد يساعد على تطوير قدرة الطالب على حفظ الكلمات واستخدامها أو على استعمال الوصف والعناصر الكتابية الأخرى. هناك تقنيات عديدة يمكن تطبيقها لمساعدة الفتيان (والفتيات) على استخدام الكلمات بطريقة أكثر فعالية.

الاعتماد على الموسيقى: إنّ أكثر المشكلات اللغوية تعقيداً عند أي طفل هي تهجئة الكلمات. هناك الكثير من الاستراتيجيات التي يمكن استعمالها في الصف لتحسين التهجئة، إلاّ أنّ أكثرها فعالية هي الاستعانة بالموسيقى لمساعدة الطالب على حفظ الكلمة وتهجئتها.

لا بدّ وأنكم تستخدمون الموسيقى لتعليم اللغات في الصفوف المبكرة، لكننا نلفت نظركم إلى أنّ طلاب الصف الرابع يقومون أيضاً بالدندنة عند خضوعهم إلى امتحان في التهجئة أو في الكتابة. لقد قام عالمان متخصصان بالأعصاب في جامعة كاليفورنيا بدراسات جديدة على الدماغ. في تلك الأبحاث، يركز العالمان اليزابيث سوويل وآرثر توغا على تحديد الوقت الذي يحصل فيه نمو مفاجئ للدماغ. أظهرت هذه الدراسات أنّ دماغ الأطفال، وعند وصولهم إلى السادسة من عمرهم، ينمو بشكل سريع وخصوصاً في الأقسام الأمامية والخلفية العليا. إنّ هذه المناطق مسؤولة عن عدّة مهارات فكرية خاصة بالعناصر المكانية وباللغات والموسيقى. يبرهن ذلك على ضرورة ربط الكلمات والموسيقى في هذه المرحلة المبكرة من نموّ الدماغ. نرجو منكم الاطلاع على قسم التوجيهات الذي يلي.

استخدام الرسومات والمساعدات البصرية: يحتوي الدماغ الذكوري على عدد أكبر من المناطق البيضاء مقارنةً بالفتيات، وهذا أحد الاختلافات القائمة بين الجنسين والتي تفسّر اعتماد الفتيان بشكل أكبر على المناطق المسؤولة عن البصر في الدماغ. بالإضافة إلى تركيزهم على هذه المنطقة من الدماغ، يقوم الفتيان بنقل المادة العصبية بسرعة أكبر من تلك المنطقة وإليها عبر القسم الأبيض. يستطيع المدرّسون الاستفادة من هذه المعلومات للتفكير باستراتيجيات جديدة لتطبيق المناهج اللغوية. تعتبر آلة تسليط الصور والمعلومات على الشاشة من أكثر الأدوات البصرية استعمالاً. من الممكن أن يُطلب من الأولاد (والفتيات) التقدّم إلى الجزء الأمامي من الصف للتمرن على استخدام الكلمات والجمل من خلال كتابة الأحرف على هذه الآلة. إنّ رؤية الكلمات مسلّطة على الشاشة أو الجدران أمرٌ يعزّز عمل الجزء البصري من الدماغ ويساعد الفتيان الذين يميلون إلى التعلّم عبر هذه الحاسة.

إنّ أكثر المساعدات البصرية فعاليةً هي الرسومات التي ينجزها الطفل بنفسه. إنّ النتيجة المباشرة للرسم هي التحسّن في القراءة والكتابة. يتجاوب دماغ الفتيان مع ربط الموسيقى بالكلمات، وينطبق ذلك أيضاً على المهارة الكتابية التي تتطور عندما يرسم الفتيان مواضيعهم قبل كتابتها وبعدها.

اقتراحات

في الصف الأول، بوسعكم اللجوء إلى الغناء لتعليم التهجئة. من الممكن مثلاً استخدام أغنية «سنة حلوة يا جميل» لتعليم بعض الكلمات.

إنّ أكثر الأساليب الحديثة شعبيةً في المدارس التابعة إلى مركز غوريان هو استخدام الرسومات للوصول إلى أفكار يمكن كتابتها. يتمّ ذلك في الصفين الرابع والخامس حيث يقوم الطلاب بالتفكير عمّا سيكتبونه، ولكن ذلك يجري عادةً عبر تدوين هذه الأفكار لا رسمها.

ما يطلبه المدرّس من الطلاب عادةً هو كتابة كلّ ما يخطر ببالهم لمدّة ربع ساعة.

لتعديل هذه العملية بهدف جعلها متماشية وحاجات الفتيان واهتماماتهم، من الممكن أن يطلب الأستاذ من الطلاب الذين يودّون ذلك أن يرسموا ما يخطر ببالهم من أفكار، سيارات كانت أم منازل وطائرات. تصبح هذه الرسومات جزءاً من الموضوع الإنشائي المطلوب منهم كتابته.

إن كان هذا الخيار متوفراً، سيتضح بعد حوالي شهر أن الفتيان يختارونه أكثر من الفتيات. كما وسيتبيّن أنّ الأطفال الذين اعتمدوا على هذه الطريقة سيرجعون إلى الرسومات من أجل وصفها في كتاباتهم، الأمر الذي لم يكن بوسعهم القيام به إن لم يرسموا أفكارهم. تعتمد هذه الاستراتيجية على ميل الفتيان نحو العوامل البصرية وذلك بهدف الوصول إلى مهارة أكبر في الكتابة.

ينتشر استخدام هذه الوسيلة التعليمية في الصفوف التي تعتمد في عملها على اختلاف القدرة الفكرية عند الجنسين. لهذه الاستراتيجية القدرة على تقليص هذا الاختلاف في الكتابة، خاصةً إن استخدم الفتيان أقلاماً ملونة للرسم. كما ويتمّ ذلك التساوي إن سُمح للفتيان باستغلال الرسومات في كتاباتهم وفي تصميم كتيّبات ومسلسلات هزلية. تلعب هذه المواد التي يصممها الفتيان بنفسهم دوراً مهماً في تعزيز الثقة بالنفس وخاصةً لدى الفتيان الذين يستخدمون عدداً أقل من الكلمات أو من التفاصيل في مواضيعهم.

استخدام عنصر المنافسة بين الفرق الطلابية: يفضّل بعض الفتيان العزلة والعمل بمفردهم، إلاّ أنّ معظمهم يحبّ الانتماء إلى فريق، أيّاً كان نوعه. يمكن للمدرّسين استغلال هذه الرغبة في تعليم اللغة للفتيان. إن تمّ الإشراف على ذلك بدقّة، فمن الممكن أن تلعب الفرق دوراً في تحفيز الفتيان على تعلّم الكتابة من

خلال المنافسة. يستطيع المدرّس منح الفريق ككلّ علامة معينة على ما كتبوه، مما يعني أن جميع أعضاء الفريق ينالون العلامة نفسها. يشكّل ذلك نوعاً من الضغط على الطلاّب ليكتب الفريق كلّه موضوع إنشاء أكثر وصفاً ومنطقاً. إن كانت الفِرَق صغيرة أي مؤلفة من ثلاثة أعضاء أو أقلّ، فإنّ ذلك يلغي إمكانية تهرّب أحد الفتيان من العمل مع الآخرين. إن بدأ أحد الأعضاء بالتهرب، سيكون ذلك واضحاً للمدرّس وللطلاّب الآخرين.

يثير التعلّم في فرق وفي جو تسوده المنافسة اهتمام الفتيان بشكل خاص، إذ إن ذلك يحمّسهم على القراءة والكتابة ويزيد عنصر الاستمتاع بالدروس. إلاّ أنّ المنافسة في الصف قد تخيف بعض المدرسين وخاصةً المعلمات اللواتي لم يرزقن بأولاد أو اللواتي لم يختبرن جوّ المنافسة في صغرهن. إن واجه المدرّس هذا الموقف وإن لم تعجبه فكرة التنافس بين الطلاب، يمكنه أن يطلب اجتماعاً مع المعلمات والمعلمين في المدرسة. في هذا الاجتماع، يستطيع المدرّس هذا التعبير عن مخاوفه ومعرفة وجهة نظر زملائه، كما ويمكنه الحصول على الدعم ممّن لديه خبرة أكبر في مجال المنافسة. باستطاعة المدرّس كذلك أن يطلب من أيّ زميل أو زميلة إطلاعه على حيثيات استعمال عنصر المنافسة في الصف. إنّ معظم المعلمين الذكور يشجعون تطبيق فكرة المنافسة في حصصهم إذ إنّه من المحتمل أن يكونوا قد اعتادوا عليها منذ صغرهم أو أن يحبّوها بطبيعتهم. يشكل هذا الدعم حافزاً قوياً لاستعمال المنافسة وطلب المساعدة من الزملاء عند الضرورة.

إنّنا لا نبني كلامنا هذا على أفكار مقولبة، إذ أنّ الكثير من النساء مع المنافسة أكثر من الرجال. إلاّ أن خبرتنا في المدارس قد أظهرت لنا عدداً أكبر من المعلمين الذكور الذين يطالبون باستعمال استراتيجيات تعليمية ممتعة تقوم على المنافسة.

استخدام الرياضة: لا بدّ وأنّكم قد لاحظتم تشديدنا في كلامنا عن الأفكار التعليمية الجديدة على تشغيل جميع أقسام الدماغ عند تعليم طلاب الصفوف الإعدادية، لا القسم اللغوي فحسب. لدى الكثير من أولادنا مراكز حركية وبصرية وموسيقية أكثر نموّاً من الأقسام اللغوية في الدماغ، لذا فإنّنا نستطيع تطوير تعلّمهم للغة من خلال ربط الأجزاء القوية في الدماغ إلى تلك الأضعف منها. إنّ ذلك مفيد للفتيان وللفتيات بالرغم من أنّه يرفع العلامات المدرسية عند الفتيان الذين يشغّلون القسم الذكوري من الدماغ.

لا يمكن فصل الجسد عن الدماغ. تعتبر القدرة الجسدية مركز قوة عند الفتيان وعند الأطفال بشكل عام. في دماغ الذكور كمية أكبر من السوائل مقارنة بدماغ الإناث، وهذا أحد الأسباب المؤدية إلى كون الفتيان توّاقين إلى الحركة البدنية، ما يسبب ذلك وجود كمية أكبر من السوائل في القسم الذي يصل التعلّم والحركة الجسدية. يمكنكم استخدام الحركة والرياضة لتوجيه الطاقة نحو درجة عالية من التركيز ولجعل الدماغ أكثر تجاوباً مع الدروس اللغوية.

ورد مثال رائع عن ذلك إلى مركز غوريان وذلك من معلمة في مدرسة روبرت أوغلفي الإعدادية في بريتيش كولومبيا. وصلتنا الرسالة بعد بضعة أشهر من قيامنا في تلك المنطقة بورشة عمل عن الفروقات بين الجنسين. بعيد حضور ورشة العمل هذه، بدأت هذه المعلمة باصطحاب طلابها إلى حجرة الألعاب الرياضية وبجعلهم يركضون قليلاً قبل خضوعهم لامتحان إملائي. تحسنت بعد ذلك علامات الطلاب وتمكنوا من تهجئة الكلمات بشكل أفضل. تظهر هذه التجربة بأنّ العقل يتأثر بالحركة، ممّا يشجع الفتيان على تعلّم اللغة.

عندما يفهم الطاقم التعليمي طبيعة الفتيان وقدراتهم الفكرية، يستطيعون أن يقوموا بجلسات نقاش حول تقسيم الوقت في الحصص لاستعمال الرياضة بالشكل الأفضل. بما أنّ الدراسات قد أثبتت تحسناً في أداء الفتيان وارتفاعاً في

علاماتهم بعد لعب كرة القدم أو كرة السلة أو بعد الهرولة، فمن الأفضل أن تأتي حصص الرياضة مباشرة قبل حصص اللغة.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

تنطبق الاقتراحات التي قدمناها في القسم السابق وفي الفصل كلّه على المراهقين الذين تنمو قدرتهم الفكرية بسرعة. إلاّ أنّ ذلك لا يلغي أنّهم ذكور يواجهون صعوبة في القراءة والكتابة والوصف واللغة. من المحتمل أن تستمر هذه المشكلة بالتواجد عند هؤلاء في الصفوف التكميلية والثانوية.

لقد ذكر الكثير من مدرّسي اللغة في ورشات العمل التي أشرفنا عليها مسألة السماح لطلاب الصفوف التكميلية والثانوية باختيار المواد التي يودّون قراءتها. يودّ الكثير منهم إفساح المجال أمام هؤلاء الفتيان للقيام باختياراتهم الخاصة، إلاّ أنّهم يخشون ممّا سيحصل إن تمّ ذلك. قد يعتبرهم البعض غير عادلين إن طالع طالب ما كتاباً أكثر صعوبة (ككتاب «أوليفر تويست» مثلاً). كما وأنّ مسؤوليتهم ستزداد بسبب ضرورة إطلاعهم على مختلف أنواع الكتب التي قد لا تثير اهتمامهم، واقعيةً كانت أم تقنية أو خيالية أو علمية.

من المهم أن يقوم الطاقم التعليمي بمناقشة فكرة اختيار الطلاب للمواد التي يجب قراءتها، ولا يمكن تطبيق هذه الاستراتيجية الحديثة إن لم توافق إدارة المدرسة عليها. من المستحسن أن تتم تجربة هذه الفكرة في أحد الصفوف للوصول إلى نتيجة تظهر مدى تحسّن العلامات وسبب ارتفاعها خلال السنة الدراسية. من حسن الحظ أنّ المدرّسين يعاملون معظم الطلاب بالتساوي ممّا يحلّ المشكلة. يتمتع الأساتذة بالذكاء والفطنة، ممّا يحول دون سماحهم لطالب ما بقراءة كتاب «هاري بوتر» بينما يطالع آخر كتاب «أوليفر تويست». كما وأنّهم يعملون على تعيين فروض منزلية يتطلب مجهوداً متساوياً من الاثنين. يستطيع

أيّ مدرّس الاستعانة بشبكة الإنترنت لمعرفة المزيد عن كتاب قرر الطالب قراءته، إذ أنّها تعرض عبر صفحاتها الإلكترونية كلّ ما يحتاجه المعلّم عن أيّ كتاب. لذا، فإنّ تلك الخدمة تريح المدرّس من ضرورة مطالعة الكتاب بأكمله، نظراً للمعلومات المتوفرة على الإنترنت. إن كان المدرّس ذكياً فإنّه يتوقّع من التلميذ المهتم بسيرة حياة أيّ رياضي، على سبيل المثال، أن يكتب موضوعاً إنشائياً عالي النوعية.

هذا هو ما يحصل في مدارس «ويب» في كليرمونت، كاليفورنيا، حيث يُطلب من كل طلاب الصف العاشر أن يقرأوا روايات مثل «فرانكشتاين» و«الحروب» و«أوثيللو» إضافةً إلى مجموعات شعرية أخرى. كما وأنّ الطالب قادر في هذه المدارس أن يختار كتباً أخرى من لوائح تابعة لكلّ جنس، ومن الجدير بالذكر أنّ الطلاب أنفسهم يضيفون العناوين التي يريدونها إلى هذه اللوائح. لذا، فإنّ للفتيان والفتيات الحقّ باختيار الكتب التي يريدونها وبتصنيف المواد وفقاً لاهتمامات كلٍّ من الجنسين.

ينصح مركز غوريان باتباع هذه الطريقة القائمة على اختيار الطلاب للكتب وذلك في كلّ المدارس التي يزورها الخبراء العاملون فيه. هناك تقنيات أخرى تعمل على تطوير قدرة الفتيان على الكتابة، ومنها:

استخدام الحركة البدنية: من الضروري أن يتحرك طلاب الصفوف التكميلية والثانوية أثناء القراءة والكتابة وذلك للتأكد من تركيزهم على ما يقومون به ومن أداء الفروض بطريقة جيدة. يبرع بعض المراهقين في الكتابة عندما يسمح لهم بالتحرك بانضباط في الصف أو خارجه مع الانتباه إلى عدم إزعاج الزملاء. يمكن للمدرّس السماح للطلاب المتململين باستخدام اليد غير المستخدمة للكتابة للضغط على كرة طرية، ممّا يبقي الدماغ بمستوى معين من التركيز أثناء القراءة والكتابة.

هناك طريقة فعّالة لاختبار هذه النظرية. يستطيع المدرّس مراقبة الصف لمدة أسبوع دون القيام بأيّ تغييرات، مع ضرورة تدوين الملاحظات عن أية مشكلات سلوكية تطرأ أثناء القراءة أو الكتابة. هل يقوم الفتيان بنقر أقلامهم على الطاولات أو بوكز زملائهم أو بالتكلّم دون إذن؟ إن حصل ذلك من قبل بعض الطلاب وإلى حدّ الإزعاج، فإنّ ذلك قد يشير إلى توقّف أدمغتهم عن التركيز على الوظيفة اللغوية. في هذه الحالة، يكون النقر أو الوكز طريقة يحاول الطالب من خلالها ألاّ يشعر بالملل.

تستطيع الحركة في الصف أن تساعد هؤلاء الطلاب، ويعتبر المدرسون، الذين تمّ تدريبهم من قبل مركز غوريان، أنّ هذه الفكرة لا تؤدي إلى مشكلات سلوكية بل تجعل الطلاّب أكثر مهارةً في القراءة والكتابة. يستطيع المدرّس اختبار النتائج بنفسه عبر الاستمرار بتدوين الملاحظات مع ضرورة الإشراف على الحركة البدنية وعلى استخدام الطالب للكرة القابلة للضغط. على المدرّسين الانتباه إلى أيّ تغيّر في السلوك وفي تعلّم اللغة، وقد يتوصل إلى نتائج إيجابية مفاجئة.

استخدام التمثيل: تعلّم مارغريت بويلير اللغة والأدب في الصفوف التكميلية في مدرسة ريجيس للقلب الأقدس في هيوستن، تكساس. تعرفت إليها عند زيارتي لمدرستها الخاصة بالفتيان بهدف إعطاء محاضرة تدريبية. سألتها لاحقاً عن الأفكار الجديدة التي بدأت بتطبيقها في صفوفها لتحسين الأداء اللغوي عند الفتيان. أجابتني بأنّها بدأت بتفنيذ اقتراحي المتعلّق بتمثيل الطلاب للقصص التي يقرأونها بهدف تذكّرها بشكل أفضل. قام طلابها بتمثيل مختلف الأدوار من رواية «يوليوس قيصر» وذلك أمام جميع الطلاب والطاقم التعليمي. استمتعوا لذلك بشدّة وتعلّموا حبكة الرواية بشكل جيّد. كما وأنّهم كانوا الوحيدين الذين فهموا ما أراد المخرج إظهاره في مسرحية «يوليوس قيصر» التي

عرضت في مسرح «شارع ماين». شعرت مارغريت بالفخر تجاه هذا الإنجاز الذي توصّلت إليه مع طلابها، ولاحظت أنّهم فهموا الرواية بشكل أفضل بعد تمثيلهم لأحداثها. أكّدت آن كارثي وهي مديرة مدرسة ريجيس ذلك الإنجاز وعبّرت عمّا توصّل إليه الطلاّب من تحسّن في العلامات.

أطلعتنا مارغريت على تجربة أخرى.

أثناء تحضير طلاب الصف السابع لأغنية خاصة لحفلة عيد الميلاد، طلبت مارغريت منهم غناءها بطرق مختلفة، أوّلها إظهار الازدراء من الغناء. ثم طلبت منهم الغناء وكأنّهم مطربون نجوم. كان أداؤهم في كلا الحالتين جيداً، ممّا كان دليلاً على أنّ التنويع في الأداء علّمهم التمثيل بشكل فعّال. بعد هذه التجربة الغنائية، بدأت مارغريت طريقة أخرى وهي الطلب من التلاميذ أن يقفوا كما كانت الشخصية تقف بحسب مجرى الأحداث. من خلال القيام بذلك، كان الطلاب يظهرون الأحاسيس من خلال الحركة الجسدية عوضاً عن التعبير عنها شفهياً وبصعوبة. تعتبر مارغريت أن ّ هذه الا ستراتيجية شديدة الفعالية عند تعليم الأدب.

ابتكرت مارغريت وزملاؤها أساليب تعليمية جديدة خاصة باللغة والأدب وذلك من خلال التعرف إلى مقدرة الفتيان الفكرية والتعلّمية. خشيت مارغريت في البداية من عدم فعالية التمثيل والأداء المسرحي والحركة في تعليم الفتيان اللغة. كما وخافت من عدم القدرة على السيطرة على زمام الأمور، خصوصاً وأنّ جميع طلاب مدرستها ذكور.

وجدت مارغريت كزملائها أنّ السيطرة على الطلاّب أمر غير مستحيل عند إعطاء الفتيان الحرية للتعلّم بطرق تتناسب وطبيعتهم.

استخدام المقابلات: ذكرنا في السابق أنّ الفتيان يتعلمون بشكل أفضل عند

استعمال وسائل تعليمية تتماشى واهتماماتهم ونقاط قوتهم. ينطبق ذلك على المراهقين بشكل خاص.

من الممكن استغلال هذا الأمر من خلال الطلب من الفتيان (والفتيات) بإجراء مقابلات شخصية مع من يعرفونهم، الأمر الذي يؤدي إلى كتابة أفضل للمواضيع، خصوصاً من قبل الطلاب الذين يجدون صعوبة في الوصف. يستطيع المدرّس أن يطلب من الفتيان إجراء مقابلات مع خمسة أشخاص في حياتهم كأحد الوالدين أو الأقارب أو الإخوة أو المدرّسين أو المسؤولين. على كل طالب تدوين لائحة تتألف من الكلمات المفضّلة لدى الشخص، إذ إن التشديد على الكلمات طريقة فعّالة ليتعلّم الولد كيفية استعمالها. يستطيع الطالب أن يكتب لائحة أسئلة ومنها:

- ما هي الكلمات الخمسة المفضلة لديك؟
- ماذا تعني لك كل كلمة؟
- لماذا تحب هذه الكلمات؟
- هل تعيد لك هذه الكلمات ذكريات ذات معنى خاص؟

هذه أمثلة عن أسئلة يستطيع الطلاب طرحها. في معظم الأحيان، يستخدم الشخص الذي تُجرى المقابلة معه كلمات مثل «المحبة»، «العدالة»، «السلام»، «الشجاعة»، وهي كلمات من الممكن استعمالها في الصف كأساس للكثير من النشاطات. بعد أن يدوّن جميع الطلاب الأجوبة والكلمات، يمكنهم صياغة جمل تحتوي عليها. كما ويستطيع المدرّس أن يطلب منهم تصميم ملصقات تحمل الكلمات ومعانيها ومن ثم تعليقها في الصف.

من الممكن أنّ الطلاب قد قاموا مسبقاً بهذا النشاط عند تعلّمهم الصفات الحميدة، خصوصاً إن كان ذلك جزءاً من المنهاج. يستطيع الأولاد كتابة الكلمات

مستخدمين أحرفاً كبيرة الحجم وتعليقها في الصف لمعرفة الكلمات التي وردت في معظم اللوائح. كما ويستطيع الطلاّب تعداد الكلمات التي أتت على شكل اسم أو فعل أو صفة. تولّد هذه الكلمات مفردات أخرى، ويعزّز ذلك النشاط الحوار بين الجميع.

من خلال قيامهم بهذا النشاط، يتناقش الطلاب مع أشخاص مهمين في حياتهم ويبدأون بالتركيز على الكلمات ومعانيها. كما ويشجع ذلك على عمل الطلاب كفرق ممّا يحثهم على التعاون في ما بينهم. يمتدّ تأثير هذا النشاط إلى المواضيع الإنشائية من خلال استخدام الطلاب للكلمات الجديدة التي حفظوها بعد سماعها في المقابلات.

ربط الكلمات بالمشاعر: تجدون في قسم الاقتراحات التالي نشاطاً يمكنكم الإشراف عليه مع طلابكم لمدة معينة. يقوم هذا النشاط على دمج المشاعر والكلمات والوصف والمساعدات البصرية.

استخدام استراتيجيات تتناسب وكلّ جنس على حدة: في كنتاكي وفي مدرسة وودلاند الإعدادية تحديداً، هناك تعاون بين المدرّس شون ديتيش وزملائه في محاولة تطبيق استراتيجية فعّالة ولكن مثيرة للجدل. تعمل هذه التقنية على تحسين أداء الذكور في اللغات وهي تقسيم الطلاب إلى مجموعات أو صفوف أحادية الجنس. تقع مدرسة وودلاند على بعد عشرين دقيقة من المركز التجاري لمدينة سينسيناتي، وتحتوي على أقسام خاصة بالصفوف الثانوية والتكميلية التي يتألف كل منها من طلاب ذوي قدرات مختلفة. قامت الهيئة التعليمية في المدرسة في السنة الماضية بفصل الفتيان عن الفتيات لمناقشة مواضيعهم الإنشائية. كان الفرق بين الجنسين في نوعية الإجابات مذهلاً. قام الفتيان بالتكلّم وبالتمدّد على الأرض إن سمح لهم بذلك، ولم يظهر أي منهم مشكلة سلوكية.

اقتراحات

اطلبوا من الطلاب تحضير علبتين من الصور، على أن يطلق على الأولى اسم «الوظائف» وعلى الثانية اسم «التفكير أو الشعور». في علبة الوظائف، على الطلاب وضع صور لأشخاص يقومون بمهمات مختلفة. من الممكن إيجاد هذه الصور في المجلات أو الصحف أو على شبكة الإنترنت. شجعوا الطلاب على إيجاد صور متنوّعة وملفتة، خصوصاً وأنّ الهدف هو ألاّ يقتصر محتوى العلبة على الصور الرياضية مثلاً.

أمّا علبة التفكير أو الشعور، فاجعلوا الطلاب يركزون على صور للوجوه وللتعابير المختلفة إضافةً إلى الحركات غير الشفهية. تظهر الدراسات أنّ المراهقين يواجهون صعوبة أكبر في فهم التعابير غير الشفهية مقارنةً بالمراهقات. لذلك، فإنّ هذا النشاط سيساعدهم على فهم ما يفكر به الآخرون وما يشعرون به. قد تكون بعض الصور مناسبةً للعلبتين، وبإمكانكم في هذه الحالة حثّ الطلاب على التفكير بمعنى الصور إن وضعت في كلا العلبتين.

عند الانتهاء من جمع الصور، اطلبوا من الطلاب إغلاق عيونهم واختيار صورة من علبة الوظائف وأخرى من علبة التفكير والشعور. فليكتبوا بعد ذلك قصةً تشمل الصورتين ولا تزيد على الصفحة الواحدة. ليس من الضروري أن تتحدث القصة عن الشخص الموجود في الصورة بل عن المهمة وعن المشاعر والأفكار الخاصة بها. قد تشجع هذه القصة على كتابة سلسلة أخرى من القصص. من المثير للاهتمام محاولة إيجاد أوجه الشبه والاختلاف بين قصص الفتيان والفتيات.

إنّ الفصل الثامن مخصّص لمناقشة عميقة عن الصفوف الأحادية الجنس. تستخدم هذه الصفوف بشكل فعّال في مختلف أنحاء العالم، وتثبت أهميتها في حثّ عدد أكبر من الذكور على المشاركة في حصص اللغات.

فكرة حديثة للصفوف الثانوية:

باتريسيا سانت جيرمان هي مدرّبة حاصلة على شهادة من مركز غوريان، ابتكرت في كولورادو فكرة حديثة خاصة بها وذلك في مدرستها بعد تمرّسها في نظرية اختلاف القدرة الفكرية عند الجنسين. أطلقت باتريسيا على فكرتها اسم «عمل الدماغ» وأصبحت موضوعاً اختيارياً يجذب الأولاد والفتيات. ابتكرت باتريسيا هذا البرنامج لمساعدة الطلاب على إيجاد طرق جديدة لإظهار إبداعهم وللمشاركة سوياً في عملية التعلّم. من أهم ما يتصف برنامجها به هو العناصر اللغوية التي تشدّد عليها. على الطلاب كتابة الكثير من المواضيع، إلاّ أنّ الكتابة في هذا البرنامج مرتبطة بأمور يهتمّ بها الطلاّب. هذا ما يجعل المواضيع المكتوبة أكثر معنىً وأهمية بالنسبة إلى باتريسيا.

أمضى الطلاب السنة الدراسية 2003/2002 وهم يطرحون سؤالين على 250 شخصاً في مدرستهم، وهما: «ما هي الصفات التي تريدها في من تواعد؟» و«ما هي الصفات التي تريدها في شريك حياتك؟». طرح كل طالب هذين السؤالين على عشرة ذكور وعشر إناث وقام بتدوين الأجوبة وفقاً للتصنيف التالي:

ماذا يقول الشبان للشبان؟

ماذا يقول الشبان للفتيات؟

ماذا تقول الفتيات للفتيات؟

ماذا تقول الفتيات للشبان؟

ثم قام الطلالب بنشر لائحة بأفضل عشرة أجوبة وقاموا بتحليل النتائج في جلسات نقاش وفي ما كتبوه.

بما أنّ هذا الكتاب يتمحور حول الفتيان، أرسلت لنا باتريسيا عدداً من المواضيع التي كتبها الذكور في صفها. عبّرت لنا أيضاً على أنّ الفتيات قد تكتبن عدداً أكبر من المواضيع مقارنةً بالفتيان، إلاّ أنّ الفتيان في صفّها انجذبوا إلى المسألة إلى حدّ كبير، ممّا جعلهم يكتبون مواضيع مذهلة.

سيتطرّق الفصل الثاني عشر إلى المزيد عن فكرة باتريسيا، خصوصاً وأنّ ذلك الفصل يتمحور حول الفتيان الذين يفتقدون إلى الحافز التعلّمي (يمكنكم الاتصال بباتريسيا عبر عنوانها الموجود في قسم المدرّبين في صفحة المركز الإلكترونية: www/gurianinstitute.com

هل يقوم أبطال قصص الأطفال بالقراءة والكتابة؟

لفت آري غولدمان وهو مدرّس لغة في سان دييغو انتباهي إلى أنّ أبطال البرامج التلفزيونية والأطفال قلّما يمارسون القراءة أو الكتابة. لا تقوم شخصية آرنولد شوارزينيغر بكتابة رسالة أو بقراءتها، ولا يطالع سوبرمان أيّ كتاب. في التاريخ القديم، كانت القدرة على القراءة والكتابة أمراً بطولياً بحدّ ذاته جعل من الإنسان ملكاً أو شخصاً عظيماً. أمّا في أيامنا هذه، فإنّ القراءة والكتابة أمران لا يفكر البطل ولا يقوم بهما.

أجفلني ما قاله آري إذ أنني لم ألاحظ ذلك الواقع في السابق ولم أبحث عنه. حثّني ذلك على مشاهدة الأفلام والبرامج التلفزيونية الموجهة إلى الفتيان، ووجدت أنّها لا تحتوي على أيّ إشارة إلى القراءة أو الكتابة.

يستطيع الأهل والمدرّسون القيام بالكثير من الخطوات لمساعدة الفتيان على اكتساب مهارات أوسع في القراءة والكتابة واللغات. بإمكانهم لفت نظرهم إلى مَن أحب القراءة والكتّاب من أشخاص يشكّلون مثلاً أعلى كبنجامين فرانكلين والكساندر هاميلتون وأبراهام لينكولن. كما ويستطيعون أن يكونوا الأبطال الذين

يقومون بالمطالعة والكتابة وان يشتروا لهم الكتب التي ألّفها أبطال رياضيون مثل مايكل جوردان وغيره.

في الوقت نفسه، لا بدّ من أنّ الوقت قد حان لنطلب من مجتمعاتنا ومن الأشخاص الذين يقومون بابتكار الأبطال من خلال كتابة نصوص الأفلام والبرامج التلفزيونية أن يحموا عقول الفتيان أكثر ممّا يفعلون حالياً. من الممكن إضافة بضعة كتب إلى الخلفية أو جعل البطل يحمل كتاباً، ولن يضرّ ذلك بنص الفيلم حتّى وإن كان يعتمد على عنصر الإثارة والتشويق. كما وأنّ مشاهد قراءة البطل لرسالة أو لبريده الإلكتروني أمر لا يؤثر على النص بشكل سلبي.

على الأهالي والمدرّسين أن يتذكروا القيام بهذا التعديل في جميع ما يقدمونه للفتيان من خلال الوسائل البصرية. على الجميع التعاون لنصل إلى ابتكار أبطال يجيدون القراءة والكتابة، خصوصاً وأنّ ذلك سيفيد أولادنا إلى حدّ كبير. لقد أصبحت البرامج التلفزيونية والأفلام وسائل أساسية في مجتمعاتنا، لذا فإنّ الوقت قد حان لتؤثر على الفتيان ولتظهر أنّ الذكاء والتعلّم والثقافة هي من أهم عناصر البطولة.

الفصل السابع

مساعدة الفتيان على تعلّم الرياضيات والعلوم

تفيد الأرقام الصحة.

هناك مغزى لاستخدام الكسور العشرية.

لحساب التفاضل والتكامل حدوده الخاصة.

علم الهندسة ممتع للغاية.

للإحداثيات القطبية غايات كثيرة.

ملصق على باب أحد صفوف الرياضيات

كنت أحبّ العلوم في الصفوف الإعدادية ثمّ أصبحت هذه المادة قائمةً على حفظ المعلومات. لدى ترفعي إلى الصفوف الثانوية، كنت قد ألغيت حصص العلوم من جدولي. لم أحضرها قط. الآن وقد التحقت بالجامعة، أتمنى لو أنني كنت أفضل في مادة العلوم، ليت العلوم كانت مثيرةً للاهتمام.

آرون، 22، طالب جامعي

كتب لنا رون وهو أب تينيسي رسالةً عن ابنه دايفيد، طالب الصف العاشر. كان دايفيد يعبّر له باستمرار عن عدم ميله أو حتى كرهه لمادة الرياضيات. إلاّ أنه كان لاعباً في فريق كرة القدم الخاص بمدرسته، ممّا استدعى منه حفظ

كتاب كامل من القواعد المعقدة الخاصة بهذه الرياضة. إنّه يستخدم الرياضيات كلّ يوم دون أن يدرك ذلك. إن ساعدته معلّمة علم الهندسة على تعلّم الرياضيات من خلال الرسوم البيانية، لاستطاع فهمها وإجادتها بشكل مذهل.

قد يعتبر بعض الطلاب أنّ الرياضيات مادة غير مهمة، وقد ينظرون إلى العلوم على أنّها مادة مملّة. هناك مواد أخرى يعتبرها بعض الفتيان أكثر أهمية أو أكثر توافقاً مع قدراتهم الفكرية. لطالما وجد الفتيان الأولاد والرجال متعةً وفائدةً في وظائف حركية كالصيد أو في الاقتصاد والتجارة أو في الاكتشافات والابتكارات العلمية. إنّ الدماغ الذكوري بمثابة شبكة من الممرات المعقّدة والمعدّة لاستقبال معلومات كالأرقام والمسافة والأحجام والتوجيه والاتجاه. لدى الفتيان فضول فطري يجعلهم يميلون إلى اكتشاف ما حولهم وإلى التساؤل مثلاً عن بُعد الشمس عن الأرض، وعن عملية تحوّل المياه إلى ثلج، وعن مسبّبات الأعاصير، وعمّا قد يحصل إن تم إطلاق النار على قارورة في سلّة المهملات، وعن مدى قساوة ضرب أي جسم دون إحداث كدمة أو خدش.

طوال الكثير من العقود، حصل الفتيان على علامات أفضل من الفتيات في مادتي الرياضيات والعلوم. لطالما كانت نتائجهم أعلى في امتحانات دخول الجامعة التي تعتمد على هاتين المادتين، ما أدّى إلى ذلك هو ميل الفتيان الفطري إلى المواد التي تقوم على الحركة والنظر. لم يحاول نظامنا التعليمي أن يساعد الفتيات للوصول إلى تساوٍ مع الأولاد في هذه المواد. إلاّ أنّ الاتحاد الأميركي للجامعيات، بالتعاون مع باحثات أخريات، قد قام بتعديلات مهمة لتعليم الفتيات الرياضيات والعلوم بشكل أفضل، وقد أدّى ذلك إلى تحسّن ملحوظ في نتائجهن في هاتين المادتين. لقد اختفى تقريباً التباين بين الجنسين في بعض أقسام الرياضيات والعلوم. كما وأن أغلبية الطلاب في هذه الحصص أصبحت من الفتيات، إلاّ في صفوف علم الكمبيوتر وتلك الأكثر تعقيداً. تحصل معظم

الفتيات في كثير من الولايات على أكثر نسبة من العلامات العالية. في تقرير العام 2003، أظهرت الجمعية الاقتصادية للتعاون والتنمية أن هذا التقدّم للفتيات في العلامات ظاهرة عالمية. لم يعد الفتيان في البلاد الصناعية أكثر تفوّقاً على الفتيات في الرياضيات والعلوم، وقد أصبحت الفتيات في بعض البلاد أفضل من الفتيان.

إنّ هذه الدراسات مهمة لأهالي الفتيات وللأشخاص المهتمين بحقوق الفتيات التربوية. يفرح أهالي الفتيان والمدافعون عن حقوقهم بهذه النتائج، إلاّ أنّ ذلك يحثّهم على الضغط الاجتماعي لمساعدة الفتيان أيضاً. يعرض هذا الفصل استراتيجيات وتحليلات لمساعدة الفتيان على تعلّم الرياضيات والعلوم بطرق تقوم على استغلال طبيعة تعلّم الفتيان ونموّهم. تمّ تصميم هذه الأساليب لمساعدة الفتيان دون التأثير سلبياً على الفتيات. عندما تكون نتائج كلا الجنسين مرتفعة في القراءة والكتابة أو في الرياضيات والعلوم أي في أية مادة كانت، فإنّ ذلك برهان على نجاح الطرق التعليمية. على هذه الوسائل أن تقوم على عدم إعاقة تعلّم الفتيات وعلى التأكد من تعلّم الفتيان للرياضيات والعلوم. مقابل كل فتى يتفوق على زميل أو زميلة له في الرياضيات والعلوم، هناك فتى آخر لا يحصد النتائج نفسها.

وثاقة الصلة بين هذه العلوم وحياة الفتيان

يجب أن يكون الهدف الجوهري لتعليم الرياضيات والعلوم هو تحويل العالم اليومي للطفل إلى حقل تجارب يجعل من هاتين المادتين مواداً رئيسية. على تعليم الرياضيات والعلوم توصيلها إلى أبعاد لا تقتصر على اتصافهما بالتشويق أو المتعة أو حتى بالملل. من المهم أن يقوم تعليم هاتين المادتين على حاجة الطفل الماسة إليهما وإلى وثاقة صلتهما بحياته وبنموّه الفكري، مما يجعل منه عالماً مدى الحياة. يلعب الفتيان مع أصدقائهم في أماكن عدّة، ويقومون بتعداد كراتهم

الرخامية، ويحاولون معرفة ما يجري عند تعليق الأحذية على السلك الكهربائي (وهو أولاً يجب السماح به). خلال قيامهم بجميع هذه النشاطات يستخدم الفتيان العلوم والرياضيات، إلاّ أنّ المسألة المهمة هنا هي معرفة كيفية مساعدتهم على دمج طاقاتهم التعلّمية والعلمية في منازلهم ومدارسهم.

مهمة الأهل في مساعدة الفتيان على تعلّم الرياضيات

أطلعنا أحد الآباء عن حديث دار مع ابنه كيفين البالغ من العمر الأربع سنوات.

سأله كيفين: «كم تبعد الشمس عن الأرض؟»

أجابه والده: «إنها بعيدة للغاية».

طلب كيفين من والده تحديد المسافة.

قال له الأب: «أذكر أنني تعلّمت في المدرسة أنّ الشمس تبعد 93 مليون ميلاً عن الأرض».

«كم تبلغ تلك المسافة؟».

تذكر الأب أنّه أجاب ابنه على الشكل التالي: «يبعد منزل جدتك ألف وخمسمائة ميل عن منزلنا. لذا، فإن أردنا الوصول إلى الشمس، علينا اجتياز المسافة نفسها التي تفصل بين جدتك عن بيتنا مرات كثيرة». حاول الوالد أن يحسب ذلك رياضياً، إلاّ أنّه عجز عن ذلك. لذا، استعان بالحاسوب المحمول وعرض على كيفين الرقم الموجود على الشاشة وقال: «اثنان وستون مرّة».

حدّق كيفين بالشاشة محاولاً التفكير في الرقم، فساعده والده من خلال طرح هذا السؤال عليه: «هل تذكر كم يستغرقنا الوصول إلى منزل جدتك كلّ مرة نزورها؟».

لم يستطع كيفين تذكّر ذلك، فقال له والده: «يستغرقنا ذلك ثلاثة أيام. لذا، فالوصول إلى الشمس يستغرقنا 186 ألف يوم. إن ذهبنا بواسطة السيارة إلى الشمس، سيكون عمرك 512 سنة عند وصولنا إليها».

كتب لنا والد كيفين في رسالته أنّه لاحظ أنّ ابنه استفاد بشكل أو بآخر بذلك الحديث بالرغم من أنّه لم يفهم الأرقام. أضاف قائلاً: «قد يثبت ما قاله كيفين بعد ذلك ملاحظتي هذه، أو قد ينفيها». كانت ردّة فعل الابن على الشكل التالي: «يا إلهي! تلك مسافة كبيرة للغاية. ماذا عن القمر؟ هل نستطيع الوصول إليه بوقت أقل؟».

بالرغم من أنّ هذا الأب لم يكن متخصصاً في تدريس الرياضيات، إلاّ أنّه استطاع أن يفهم مسألة مهمة حيال الطريقة الأفضل التي يمكن للأهل أو للمدرسة من خلالها تعليم الرياضيات. يتركز هذا الأسلوب على الاستعانة بأمور حياتية يفهمها الطفل وذلك لمساعدته على تحديد وفهم دور الرياضيات في العالم. إنّ كلاً منّا يستخدم الرياضيات والعلوم عند الحاجة، مهما كانت طبيعة عملنا.

لحسن الحظ أنّ التربية التقليدية تدرك هذا الأمر إلى حدّ كبير، خصوصاً وأنّ تعليم الرياضيات والعلوم يقوم على أساليب صحيحة. إلاّ أنه من سوء الحظ أنّ هذه التربية التقليدية، إضافةً إلى حياتنا الصاخبة، غير فعّالة في تعليم الأولاد وفي ربط هذه العلوم بالتفاصيل الحياتية. ما يؤدّي إلى هذا الخلل في نظامنا التربوي هي الوسائل التعليمية القديمة التي تمّ ابتكار معظمها منذ حوالى المئة عام، عندما كان التعليم يرتكز على الحفظ وليس على وصل المعلومات الجديدة بحياة الطفل. كانت مهمة الطلاب تقتصر على وظائف صناعية لم تتطلّب ايّ عمليات حسابية، خصوصاً وأنّ معظمها كان في مصانع أو

في أماكن خاصة بتجميع الماكينات. لا تزال بعض الأساليب التعليمية المستخدمة في صفوف الرياضيات والعلوم متمحورةً حول الأفكار نفسها.

إنّ وثاقة الصلة بين الرياضيات والحياة أمرٌ يعتبره الجميع بغاية الأهمية في أيامنا هذه. لم نعد نريد أن يكون أولادنا ضليعين بالوظائف الصناعية، خصوصاً وأنّ قدراتهم الفكرية لا تقتصر عليها. للأهل دور مهم في ذلك حتى وإن علّموا أبناءهم بطرق تبدو غريبة كطريقة استخدام والد كيفين لمنزل الجدّة لتفسير معلومة علمية. هناك المزيد من الأساليب التي يمكن اتباعها لشرح هذه المسائل.

قبل التحاق الطفل بالمدرسة:

بعد ولادة ابنكم بقليل، يبدأ بالتركيز على ما حوله من أغراض كتلك المتدلية فوق مهده. تستطيعون استغلال ذلك من خلال تعدادكم للطائرات الصغيرة الموجودة فوق الطفل بينما تغنّون له. إنّ تكرار الأغنية مع ذكر الأرقام يساعد على نموّ فكر الولد الحسابيّ.

من خلال القيام بذلك، ينمو الطفل منذ نعومة أظفاره وفي نفسه رغبة بالتعداد. سيقوم في المستقبل بدمج الرياضيات في نشاطاته اليومية كالبايسبول وكرة السلة والتزلج والتسلق والقفز أو حتى عند استخدامه للكمبيوتر أو لألعاب الفيديو. تتسم جميع هذه النشاطات بدرجة عالية من الاستمتاع من قبل الفتيان، خصوصاً وأنّها تعتمد على الوظائف الحركية المتوافقة مع قدراتهم الفكرية. عند مشاركته فيها، سيقوم الولد بتعداد ضرباته للكرة أو قفزاته من على الحائط أو كسره لرقمه القياسي الخاص.

عند اختياركم للألعاب التي تودّون شراءها لطفلكم في صغره، قوموا بانتقاء تلك التي تعتمد على تصنيف الأغراض وفقاً لحجمها أو شكلها أو تشابهها. إضافةً إلى ذلك، عليكم شراء الألعاب التي تتمحور حول تجميع الأجزاء للحصول

على صورة أو غرض معيّن، إذ إنّها تعمل على تنمية الفكر الحركي والحسابي عند الطفل.

هناك أمور أخرى يمكنكم القيام بها مع ابنكم.

استخدام كتيّب صغير لتدوين تفاصيل شخصية: يمكنكم العمل مع ولدكم على تدوين مجموع النقاط المحرزة في مباريات البايسبول، إضافةً إلى إحصائيات شخصية كالطول والوزن وعدد الأسنان وقياس القدم والثياب والعمر بالأسابيع والشهور والسنوات. يمكن جمع هذه المعلومات بطرق خلاّقة. على سبيل المثال، يمكن للولد الاستلقاء على ورقة كبيرة ورجليه متباعدتين. عليكم عندها تحديد شكل جسمه ومن ثمّ قصّه وتعليقه في الغرفة. تستطيعون تكرار ذلك بعد فترة معينة أو على حجم القدمين مثلاً. تحصلون عندها على صور مختلفة تظهر نموّ ابنكم وتشكّل مادة ممتعة تراقبونها وتتحدثون عنها معه. يمكنكم لفت نظره إلى نموّ رجليه أو إلى قياس قدمه وكم تغيّر مع الوقت.

هناك موضوعٌ آخر يمكنكم إدخاله إلى لائحة التفاصيل المدوّنة في الكتيّب: الأسنان. استخدموا رسماً تخطيطياً لعدد الأسنان التي ستنمو عند الولد. يمكنكم الحصول على هذا الرسم من على شبكة الإنترنت أو من طبيب الأسنان. شجعوا ابنكم على تلوين الأسنان التي سبق ونمت في فمه وأن يتابعوا ذلك كلّما ظهر سنّ جديد. تحدثوا مع ابنكم عن إضافة الأسنان الجديدة وإزالة تلك التي يفقدها والتي تنمو مكانها أسنان أخرى. من خلال ذلك، ينتبه الولد إلى عمليتي الجمع والطرح الحسابيتين.

يمكن إضافة الكثير من التفاصيل الشخصية إلى الكتيّب كالطول وعدد الأسنان والوزن، ويستخدم الولد بواسطتها عمليات حسابية كثيرة تساعده على تعلّم الرياضيات في دفتر واحد. إن استعمل أوراقاً منفردة للقيام بنشاطات

مختلفة، فمن المحتمل أن تضيع وتُتسى. لذلك، فإنّ الاعتماد على كتيّب واحد لعدّة أشهر يؤدّي إلى تنظيمٍ مستقبلي للفروض الحسابية ولكتب الرياضيات.

من الممتع أيضاً استخدام الولد للماسورة لقياس الأشياء ومقارنة الأرقام، على أن تكون هذه الماسورة من البلاستيك أو القماش للحؤول دون الإصابة بجروح. علّموا ابنكم كيفية استعمال هذه الماسورة لقياس عدّة أغراض في المنزل أو الفناء الخارجي أو الحديقة العامة. على الولد بعدها تدوين هذه المعلومات في الكتيّب نفسه.

استخدام الروزنامة: إنّ الوقت مفهوم حسابي يتعلّمه الأولاد مع مرور الزمن، لذا فإنّ الروزنامة قد تشكّل وسيلةً ممتعة وعينيّة لشرح مسألة الوقت بشكل أفضل. من الممكن إضافة عدّة تفاصيل إلى الروزنامة لإثارة فضول ابنكم. تستطيعون تعداد الأيام المتبقية حتى حلول عيد ميلاده أو أيّ مناسبة أخرى أو حتى يحين موعد زيارة الجد والجدة. كما يمكنكم استخدام أشكال مختلفة للأوراق المصمّغة للأيام التي قد مضت. اختاروا أسبوعاً وقوموا فيه بتدوين موعد غروب الشمس وشروقها في اليوم التالي، ممّا يعلّم الولد مفهوم الوقت والمواسم.

من الممكن أيضاً الإشارة إلى المناسبات السعيدة أو إلى العطلات الواقعة في كل شهر. تشكل المكتبة أحد المصادر المهمة لهذه المعلومات.

تستطيعون الاستمرار باستخدام الروزنامة عند التحاق ابنكم بالمدرسة، خصوصاً وأنّها تساعد على تعزيز فكرة الفروض اليومية والواجبات المنزلية التي ستصبح جزءاً من حياته. يواجه الفتيان عادةً صعوبة أكبر في تنظيم دروسهم مقارنةً بالفتيات وخاصةً في فروضهم المنزلية. إلاّ أن استخدام ابنكم للروزنامة يجعله أكثر استيعاباً لمفهوم الفروض هذه ولمواعيد تسليمها في الوقت المحدد.

كما وتساعد الروزنامة على نمو الانضباط الذاتي والدقة في مراعاة المواعيد، وهما أمران يجب أن يحرص الولد عليهما وأن يفهمهما خلال صفوفه الإعدادية، إذ إنّهما يساعدانه على مواجهة التحديات في فترة المراهقة.

لاحظت باتريسيا سانت جيرمان وهي معلمة في مونيومينت، كولورادو، أنّ الروزنامات التي يشرف عليها الأهل تعمل على تحسين أداء الذكور في المدرسة. تؤكد باتريسيا على تاثير الروزنامة الإيجابي، خصوصاً وأنها ملموسة وأنّ الفتيان قادرون على رؤية الخانات اليومية وعلى تعداد الأيام.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

عند وصول ابنكم إلى المدرسة الإعدادية، يمكنكم المتابعة في تنمية فكره الحسابي في المنزل، مع حرصكم على دعم ما تقوم به المدرسة. هناك وسائل كثيرة يمكنكم تطبيقها للقيام بذلك، ومنها:

استخدام الموسيقى: من المهم أن يسمع ابنكم الموسيقى بأنواعها المختلفة، مسجّلة كانت أم حيّة، كلاسيكية أم حديثة. كما ويمكنه عزف الموسيقى بنفسه. قد تتساءلون الآن عن علاقة الموسيقى بالرياضيات.

في الحقيقة، إنّ الكثير من أقسام الدماغ المسؤولة عن الرياضيات تقوم أيضاً بالتفاعل مع الموسيقى. لذا، فإنّ الموسيقى قادرة على أن تبقي الفكر مركّزاً على تعلّم الرياضيات. هذا أحد الأسباب الذي يجذب الأولاد إلى سماع الموسيقى أثناء قيامهم بفروضهم المنزلية.

لقد أثبتت الدراسات أنّ للموسيقى تأثيراً إيجابياً على تعلّم الرياضيات. إنّ الموسيقى قائمة على أسس حسابية خصوصاً بما يتعلق بالسلم الموسيقي وبالأوقات الفاصلة بين العزف على الأوتار المختلفة، إضافةً إلى التوقيت

والإيقاع. إن تعلّم ابنكم العزف على آلة موسيقية ما وإن تمرّن على ذلك يومياً، فإنّ ذلك بحدّ ذاته يحسّن أداءه في الرياضيات.

استخدام الألعاب العائلية: يقوم الكثير من الألعاب على مفاهيم حسابية ولغوية، ومنها الدومينو والبرجيس والمونوبولي. كما وتشجع أوراق اللعب على العدّ، ممّا يساعد على نمو مهارات حسابية عند الفتيان في الصفوف الإعدادية. من خلال مشاركتكم في هذه الألعاب، تزداد الفرص المتاحة للتحدث مع أولادكم، ممّا يعزّز المهارات اللغوية. إنّ هذه الأوقات العائلية أساس لتوثيق الصلة بين التعلّم والحياة، إذ إنّ الطفل يشعر بأنّ هذا النشاط العائلي مرتبط بالمعلومات الجديدة التي يتلقنها.

حتى وإن كانت الألعاب لا تستدعي مشاركتكم بل على مشاركة الأصدقاء أو على الاستخدام المنفرد، إلاّ أنكم قادرون على تخصيص ليلة في الأسبوع للألعاب العائلية. إنّ الاعتماد على ألعاب الفيديو دون الاستفادة من تلك التي تعتمد على الرياضيات أمرٌ يؤدي إلى هدر القدرات الفكرية. كما ذكرنا في الفصل الخامس، فإنّ ألعاب الفيديو غير مضرّة، إلاّ أنّها لا تعمل على نمو الفكر عند الأطفال. ليست ألعاباً تعتمد على ربط النشاط بالحياة أو على تنمية الأقسام المهمة في الدماغ.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

عند وصول ابنكم إلى هذه المرحلة المدرسية، تكون قدرته الفكرية سريعة النمو. في هذا العمر، تكون المهارات الحسابية النظرية عند الأطفال جاهزة للنمو خصوصاً وأنّ التحديات تزداد في صفوف الرياضيات في هذه المرحلة. إن كانوا مجهزين لذلك من خلال استخدامهم منذ الصغر للروزنامات وللموسيقى وللألعاب، فإنّ ذلك يعني أنّ مهاراتهم الحسابية قد بدأت بالنمو وأنّهم قادرون على استيعاب الحساب النظري.

إلاّ أنّ استخدامهم لهذه الوسائل التعليمية في صغرهم لا يلغي إمكانية مواجهتهم لمشكلة كثيرة التواجد في الصفوف التكميلية والثانوية وهي القيام بفروضهم المنزلية وتسليمها. يتمحور القسم الخاص بالعلوم إضافةً إلى أقسام أخرى من الكتاب حول مشكلة الفتيان في القيام بهذه الفروض. يحتاج المراهقون إلى تشجيع إضافي في هذ المسألة. من المهم «استجوابهم» لتعرفوا إن قاموا بتسليم الفروض أم لا. قد يكونون بأمسّ الحاجة في هذه المرحلة إلى مساعدتكم أو مساعدة أي شخص من العائلة وذلك ليكملوا هذه الفروض، وقد تمتدّ هذه الحاجة إلى الصفوف الثانوية.

يحتاج المراهقون إلى أن نطلب من المدارس السماح لهم بالتحرك في حصص الرياضيات، إضافةً إلى تطبيق أفكار جديدة سنتطرّق إليها لاحقاً في هذا الفصل. يواجه المراهقون في هذه المرحلة المدرسية الكثير من التحديات في تعلّمهم للرياضيات، لذا فإنّ دوركم الأساسي في هذا الوقت هو دعم الأولاد وتشجيعهم.

هناك أمور محدّدة يمكنكم العمل على تطبيقها مع أفراد العائلة والأقارب لتكون نتائج اولادكم في مادة الرياضيات أفضل.

دمج الرياضيات والرياضة: بدأ بيل وهو أب من كولورادو سبرينغز باصطحاب ابنه إلى ألعاب البايسبول للناشئين عند بلوغ جوش الثانية عشرة من عمره. قام بيل بإطلاع كاثي على تجربته معبّراً عن عدم اهتمام جوش بالرياضيات. إلاّ أنه كان يرغب بأن يكون أوّل من يدوّن نتائج أيّة مباراة كانا يشاهدانها. استغل بيل هذا الاهتمام بالرياضة ولفت نظر ابنه إلى مكان نشر النتائج في الجريدة. كما وعبّر لجوش عن ضرورة أن يقوم اللاعبون بمقارنة نتائجهم الجديدة بالسابقة. من خلال تلك المقارنة، كان يستمتع بعمليات حسابية دون إدراكه بأنّ لما كان يقوم به علاقة بالرياضيات.

أمل بيل، كوالد كيفين، بأن يوثّق العلاقة بين الرياضيات وما يثير اهتمام الفتيان.

هناك طرق أخرى لربط الرياضيات باهتمامات الفتيان الرياضية خصوصاً وأنّ في الرياضة الكثير من الأرقام والإحصائيات. يمكن للرياضيات أن تكون جزءاً من أية رياضة تفضلونها.

يمكنكم تطبيق ذلك مع أبنائكم من خلال مناقشة الضربة الموفقة الـ256 للاعب ما أو الرقم القياسي الجديد للاعب نفسه. يشكل ذلك تحدّياً ليستعملوا الأرقام بطرق فعّالة.

تفويض مسؤولية مصروف الولد إليه: يقوم عالمنا على المال إلاّ أنّ القليل من أبنائنا يتعلّمون التعامل معه. يأخذون مصروفهم ويصرفونه على شراء غرض ترفيهي. من المفيد استخدام المال وإدارته كوسيلتين لتعلّم الرياضيات. إن كنتم تعطون ابنكم المراهق مصروفاً معيناً وإن كان يواجه صعوبة في الرياضيات، فليتمّ استخدام المصروف لتنمية مهاراته الحسابية. فليطلب منه تدوين كلّ المبالغ التي يأخذها ويصرفها، إضافة إلى احتساب المبالغ والرصيدين الدائن والمدين. إن لم يقم بذلك فإنه لا يحصل على مصروفه. عليكم بالطبع تفسير هذه التفاصيل، وإن لم تجيدوا هذه العمليات الحسابية، عندها تسنح الفرصة ليساهم أحد الأقارب أو الأصدقاء في مساعدة ابنكم، خاصةً إن كان أحدهم يعمل في هذا المجال.

إن كان عمر ابنكم يسمح بالقيادة وباقتناء سيارة، فإنّ ذلك يشكّل فرصاً عدّة لتطوير تعلّم الرياضيات كادخار المال لشراء السيارة؛ مقارنة الأسعار؛ فهم ما يجري عند شرائها بالتقسيط كالدفعة الأولى والفائدة المستحقة عن قرض السيارة؛ احتساب استهلاك السيارة للوقود؛ أسعار الوقود؛ تكلفة التصليحات والتأمين. يمكنكم تحديد موعد للاجتماع وابنكم مع وكيل من شركة التأمين (قد

يكون فرداً من العائلة أو حتى صديق). يُطلب من الوكيل أن يشرح لابنكم حيثيات التأمين، مع العلم بأنّ معظم هذه التفاصيل حسابية.

إن كان ابنكم على وشك الالتحاق بالجامعة، فإنّه بأمسّ الحاجة إلى تحديد الميزانية من خلال جمع معلومات عن التكاليف وعن المساعدات المالية التي قد تكون متوفرة. بالرغم من أنّكم قد تودّون القيام بجميع هذه الخطوات بأنفسكم، إلاّ أنّه من الأفضل أن يتولّى ابنكم هذه المسؤولية. إنّها مهمات عليكم مساعدته على إنجازها عوضاً عن تنفيذكم إياها بشكل كلّي.

مساعدته على فهم أهمية الرياضيات: شاطرتنا معلمة من نيويورك هذه الفكرة التي تحمل درجة كبيرة من الحكمة: يتعلّم الأطفال ما قد قرروا تعلّمه وما يعتبرونه مهماً. قصدت هذه المعلّمة بذلك لفت النظر إلى أنّ الدماغ يفضل بعض المواد على غيرها، وما يؤدي إلى ذلك هو أهميتها بالنسبة إلى الإنسان. قد يحتاج المراهقون إلى من يدلّهم على أهمية الرياضيات في حياتهم.

إن كان ابنكم المراهق يفضّل اللهو على تعلّم الرياضيات، فإنّ ذلك يعني أنّه قد نسي أهمية الرياضيات. مهمتكم كأهل هي تغيير أولوياته ومساعدته على فهم قيمة ما يفعله. ليستوعب المراهق أنّ الرياضيات أهم من اللهو، قد يتطلّب ذلك أن تبتكروا جدول مكافآت. من الممكن أن يجعل هذا الجدول من وسائل التسلية كالتلفاز وألعاب الفيديو والذهاب إلى المركز التجاري مكافآت تُمنح إلى المراهق عند إنجازه لبعض الأعمال أو عند حصوله على علامات مرتفعة.

عليكم أخذ هذه الاحتياطات لتظهروا للمراهق أهمية المعرفة الحسابية والمهارة في هذا المجال، خصوصاً وأنّ الرياضيات تؤثر على حياته المستقبلة على جميع الصعد المهنية والشخصية. يستفيد ابنكم أيضاً من مرافقته إياكم إلى العمل وذلك بغاية لفت نظره إلى أهمية الرياضيات في وظائفكم. عليكم وعلى

جميع من حول المراهق التأكيد على ضرورة أن يجيد الرياضيات، إضافةً إلى مساعدته على إدراك أنّ الرياضيات ليست خياراً بل أساس.

لا يحتاج الطلاب الذين يحصدون نتائج مدرسية حسنة المساعدة في هذا المجال. إلاّ أنّ أيّ مراهق يواجه صعوبات في المدرسة لن ينجح أكاديمياً إن تم إعطاء اللهو أهمية أكبر من الرياضيات أو العلم بشكل عام.

استخدام لعبة الشطرنج: إن كان ابنكم أو أيّ ولد تعرفونه ماهراً في الرياضيات، فإنّ لعبة الشطرنج تكون لعبةً ممتعة للغاية بالنسبة إليه. حالما يتعلّم قواعدها تصبح شديدة السهولة. إن كان الولد يعاني من مشكلات في الرياضيات، فقد تكون لعبة الشطرنج وسيلة لمساعدته على تنمية الذكاء الحسابي.

يتطلب لعب الشطرنج تشغيل المناطق الذهنية نفسها التي يحتاج المرء إليها عند القيام بالحسابات. ليست الشطرنج اللعبة الوحيدة التي تؤثر على هذه الأقسام في الدماغ، إذ إن الداما وألعاب الورق المختلفة تؤدي أيضاً إلى ذلك. إلاّ أنّ الشطرنج هي أكثر الألعاب تحدياً بالنسبة للفتيان، خصوصاً وانّها لعبة تعتمد على التنافس وتتطلّب السيطرة على المشاعر. تظهر هذه اللعبة مدى الذكاء الحسابي عند اللاعب وتعمل على إنشاء صداقات بين اللاعبين. الشطرنج بديلٌ مهم عن التلفاز وألعاب الفيديو والإنترنت.

مهمّة المدرّسين في مساعدة الفتيان على تعلّم الرياضيات

عند مشاركتهم في دورات التدريب في مركز غوريان، يعبّر مدرّسو الرياضيات عن إحباطهم من محاولاتهم المستمرة لإيجاد وسائل تجعل من الرياضيات مادةً مثيرةً للاهتمام وذات صلة وثيقة بحياة الفتيان.

ينظر أحد مدرسي علم الهندسة في كونيكتيكت إلى الرياضيات على أنّها

مجرد مادة على الطلاب تعلّمها، معتبراً أنّه من غير الضروري أن تكون مثيرة للاهتمام أو متصلة بالحياة اليومية. شبّه هذا المعلّم الرياضيات بالذهاب إلى الكنيسة، إذ أنّه غير مثير للاهتمام كلّ يوم أحد.

ولّد هذا التعليق نقاشاً مذهلاً ووافق الكثير على ما قاله هذا المدرّس وعلى التشبيه الذي أعطاه. إلاّ أنّ معظم المدرّسين أنهوا الدورة وقد لاحظوا أنّ الدماغ يخزّن المعلومات الحسابية عندما يشعر الإنسان أنّها تجيب على تساؤلاته الفضولية عن العالم الذي يعيش فيه. ينطبق ذلك بشكل خاص على الأطفال وهم في الصفوف التمهيدية والإعدادية.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

إنّ مهمة المدرّسين تتشابه ومهمة الأهل التي تقوم على ضرورة حثّ الفتيان على الرغبة بتعلّم الرياضيات من خلال ملاحظة صلتها الوثيقة بالحياة اليومية.

استخدام الأغراض: لا بدّ أنّ كلّ مدرّس لصفوف الإعدادية يأمل أن تعتمد المنازل والمدارس التمهيدية على استعمال الألعاب اليدوية وأغاني الأطفال والآلات الموسيقية والألعاب على أنواعها التي تمّ التحدث عنها في القسم الثاني من هذا الفصل.

أثبتت الأبحاث فعالية استخدام الخرزات التي تمّ ربطها مع بعضها البعض في مجموعات تتألف كل منها من عشر خرزات. تباع هذه المجموعات في رزمات صغيرة تحتوي كل منها على ألف خرزة، وتبرز فعاليتها في تعليم الأرقام. يستطيع الأطفال استعمال هذه الخرزات لتعلّم الأرقام والعمليات الحسابية الأساسية وذلك من خلال تحريكها، ممّا يفيد الفتيان الذين يميلون إلى استخدام الحركة البدنية للتعلّم.

يقوم أسلوب مونتيسوري لتعليم الرياضيات على استخدام هذه الخرزات،

حتى في الصفوف التمهيدية. بوسعكم شراء مجموعات الخرز من كتيبات مونتيسوري أو من اي كتيّب تربوي آخر.

استخدام اللعب والفكاهة: إنّ اللعب وسيلة أساسية لتعلّم جميع أنواع المهارات الأكاديمية. قام باحثون في سنة 2004 وتحديداً في جامعة هوفسترا بدراسات استمرت عقداً كاملاً. من نتائج هذه الدراسات أنّ اللعب الجسدي يساعد الدماغ على النمو. هناك ارتباط مباشر بين اللعب والمهارة الحسابية القائمة على حلّ المسائل.

لا يقتصر اللعب على الحركة البدنية بل يشمل أيضاً حسّ الفكاهة. عند كتابتكم لمسائل حسابية لأولادكم، حاولوا أن تضيفوا إليها عنصر الدعابة. إن ضحك الفتيان بخفوت عند محاولتهم حلّ هذه المسائل، فإنّ ذلك يشير إلى أنّهم يخزنون المعلومات بشكل أكبر. نقدّم لكم أفكاراً أخرى في قسم الاقتراحات التالي:

استخدام الفرق الطلابية: كما تعلمون، فإنّ النموّ الفكري يختلف بين طفل وآخر وإن كانوا طلاباً في الصف نفسه. ينمو الدماغ بسرعة هائلة بين عمري الثالثة والثانية عشرة، ممّا يؤدي إلى عدم تساوٍ بين زملاء الصف الواحد. هذا سبب وجيه للاعتماد على التعلّم ضمن فرق تتألف من ثلاثة أو أربعة طلاب على كلٍّ منهم تنفيذ الجزء الخاص به من البحث أو النشاط التعلّمي. لا يمكن لأيّ فرد أن يهمل إنجاز القسم الخاص به، كما ويساعد انتماء الطالب إلى فريق على الشعور بالأمان. بوسع أيّ فرد من الفريق أن يطلب المساعدة من الآخرين، ممّا يحول دون شعوره بأنّه قد تخلّف عن زملائه.

بوسع كلّ مدرّس استخدام الفرق لتعليم الرياضيات. يمكنه على سبيل المثال أن يطلب منهم تقسيم أنفسهم إلى فرق وفقاً لتاريخ ميلادهم. تقسّم السنة إلى

أربعة أقسام، ممّا يتطلّب من الأولاد التفكير بعدد الأشهر في كل قسم وبترتيبها وبعدد هذه الأقسام في السنة الواحدة. يسمح هذا النشاط للطلاب بالتفاعل الشفهي لمعرفة من وُلد في الشهر نفسه وفي القسم نفسه. بعد ذلك

اقتراحات

استخدام الفكاهة في الرياضيات

سنعرض عليكم بعض الأمثلة التي تظهر استخدام الفكاهة في أسئلة الرياضيات التي تطلبون من طلابكم طرحها والإجابة عليها.

1- كانت لدي 37 نملة. وضعت 9 نملات في سرير أختي و14 في الخلاط الآلي الخاص بأمي وأطعمت الضفدع 3 نملات. كم عدد النملات المتبقي لدي؟

2- تتحدث معلمتي بسرعة 60 ميلاً في الساعة. كم تبلغ السرعة في 25 دقيقة؟

3- أحتاج إلى 21 نقطة لأربح مباراة كرة السلة. إن قمت بأربع رميات من منطقة الثلاث نقاط، ما هو عدد الرميات التي يجب أن أقوم بها من منطقتي النقطتين والنقطة لأحصل على النتيجة المطلوبة؟

بوسع الفتيان كتابة المسائل بأنفسهم ووضعها في علبة الاقتراحات. عندما تجدون مسألةً مضحكة، امدحوا الفتى على ما كتبه أمام زملائه.

يتحرك الطلاب ليقسموا أنفسهم إلى فِرَق. بالرغم من بساطته، فإنّ هذا النشاط يشكّل نموذجاً يمكن استخدامه كمثال لنشاطات أخرى يمكنكم ابتكارها خلال السنة الدراسية. إلاّ أنّ أهم ما تعتمد عليه هذه النشاطات وأهم ما يجب أن تقوم عليه هي الحركة البدنية والتواصل الشفهي واستيعاب المفاهيم الحسابية التي تندمج معاً كنشاط تعليمي.

استغلال الحركة الجسدية والاستراحات لتعليم الرياضيات: آن كارثي هي مديرة مدرسة ريجيس للقلب الأقدس في هيوستن. عدّلت آن نظام العقاب في المدرسة ليتوافق وحاجات الذكور الفكرية. أطلعتني على تجربة أحد صفوف الرياضيات الذي تطلّب القيام بتدخلات كثيرة لضبط السلوك الطلابي. لم يكمل الطلاب ما طُلب منهم. لذا اقترح البعض على المدرّسين أن يمنعوهم من النزول إلى الملعب في موعد الاستراحة، على أن يقوموا خلال هذا الوقت بإنهاء الفروض.

إلاّ أنّ اطّلاع المدرّسين على حاجة الفكر الذكوري إلى الحركة جعلهم يبدأون الاعتماد على جعل الفتيان يمارسون الرياضة، فطلبوا منهم جمع العشب وتقليب التربة والركض وما إلى ذلك. ما زال ذلك عقاباً إذ إنَّ الفتيان قد مُنعوا من التحدث إلى زملائهم في الملعب أثناء مدة الاستراحة. لكن هذا الأسلوب الجديد لضبط السلوك يقوم على الحركة التي تزيد الطاقة المطلوبة لعودتهم إلى الصف وهم أكثر نشاطاً، أي أكثر عرضةً للنجاح في تنفيذ ما يطلب منهم. توصّلت كارثي إلى نتائج مذهلة، إذ إن أداء الطلاب تحسّن بسبب هذه الفكرة الجديدة التي تقوم على الحركة الجسدية.

لم تقف مدرسة ريجيس عند هذا الحد فقد سمحت للطلاب بدقيقة واحدة يقومون فيها أثناء الحصص بالوقوف أو بالتمطّط، ممّا يشكّل استراحة فكرية. ساعد هذا الأمر على تعلّم الطلاب بشكل أفضل. أطلعتنا كارثي أنّ طلاب الصف الثاني أصبحوا يتعلّمون وهم يمشون ويتحركون كما بوسعهم عند الظهيرة، وهو وقت اعتاد الدماغ فيه على الراحة ممّا كان يؤدي إلى شعور الطلاب بالنعاس. تحسّن أداء هؤلاء الطلاب بعد تشديد المدرسة على أسلوب المشي.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

من الممكن أن يتم استخدام الاستراحات الفكرية والحركة الجسدية في الصفوف التكميلية والثانوية كما في الإعدادية منها. لا تقتصر حاجة الجسد إلى التحرّك من كرسي الدراسة على عمر معين. يزداد عمل هرمون التوستيستيرون عند الفتيان في الصفوف التكميلية وهو هرمون يزيد من العنف عندهم. لذلك، فإنّ الحركة الجسدية في هذه المرحلة شديدة الأهمية. اعلنت جميع المدارس، التي قام مركز غوريان بتدريب مدرّسيها، أنّ استخدام الحركة وضغط الكرة الطرية والاستراحات الفكرية قد أدّى إلى نجاح المراهقين وإلى تغلّبهم على الاضطرابات السلوكية.

هناك استراتيجيات أخرى يستطيع المدرّسون تطبيقها.

استخدام ألعاب شبه أولمبية في صفوف الرياضيات: كريستي بايتمان هي معلّمة رياضيات في مدرسة لويس فراجير التكميلية، وتحديداً في هاينسفيل في ولاية جورجيا. قامت كريستي بتطبيق ما تعلّمته أثناء دورة تدريب أقامها مركز غوريان وهو عدم الاكتفاء بزيادة الحركة الجسدية في الصف، بل جعل منهاج الرياضيات اختبارياً بشكل أوسع. تأثرت بالألعاب الأولمبية للعام 2004، فطلبت من طلاّبها ابتكار ألعاب أولمبية تقوم على الرياضيات. وجدت كريستي فروقات مثيرة للاهتمام بين الفتيان والفتيات وفي طريقة اشتراكهم في هذه النشاطات.

كانت هناك ثلاثة أنواع من الألعاب: قياس كمية المياه عند الضغط على اسفنجة، وزن الكرات الرخامية، وقياس ارتفاع الدرجات في السلّم.

كانت لعبة المياه أكثرها إثارة للاهتمام. أعطت كريستي الطلاب اسنفجةً قد تمّ نقعها في الماء، معياراً ووعاءً، وطلبت منهم قياس كمية المياه التي تحملها الاسفنجة وذلك من خلال عصرها وجمع المياه في المعيار. استطاع الفتيان

الاستنتاج بأنّ عليهم حمل المعيار فوق الوعاء لينزل فائض المياه فيه. إلاّ أنّ كريستي اضطرت إلى وضع أكياس من البلاستيك تحت منطقة الوعاء إذ إنّ الفتيان أوقعوا بعض الماء خارج الوعاء بالرغم من أنّهم حملوا المعيار فوقه.

عوضاً عن التفكير بطريقة لمنع المياه من الوقوع على الأرض، قامت الفتيات مباشرة بأخذ الاسفنجة من الوعاء وبدأت بعصر المياه داخل المعيار. لم تعِ الفتيات ضرورة حمل المعيار فوق الوعاء لمنع الكمية الفائضة من دخول المعيار.

من المؤكّد أنّكم حزرتم بأنّه كان على كريستي تذكير الفتيان بأن لعبة الكرات الرخامية تقوم على تحديد وزنها وليس على اللعب فيها.

أدّت جميع هذه الألعاب إلى الفوضى إلاّ أنها ساهمت في تعليم الفتيان والفتيات الكثير من المعلومات الجديدة.

ابتكرت كريستي فكرة أخرى لتعليم الطلاّب مفهوم القياس من خلال جعلهم يفتّشون عن أغراض عدّة. لاحظت كريستي أمراً مثيراً للاهتمام.

كان بحوزة جميع الطلاّب ورقة فيها تعليمات لإيجاد أغراض تتوافق والقياسات المدوّنة على الورقة. طُلب منهم إيجاد تلك الأغراض في حقائبهم.

قامت الفتيات بسحب الأغراض من حقائبهنّ وتحدثوا عنها شفهياً مع فرقهنّ. أطلعن زملائهن على تفصايل خاصة بالغرض: من اشتراه لهنّ ولِمَا يحببنه، إلخ...

لم يخرج الفتيان أيّ غرض من حقائبهم بل قاموا بقياس ما تحتوي عليه الملصقات المعلّقة على جدران الصف. لم يجد الفتيان داعياً للتحدث عمّا كانوا يقيسونه.

دمج الرياضيات وفنّ العمارة: أطلعنا مدرّسٌ للفيزياء في ألاباما عن تجربته أثناء حضوره دورة تدريبية خاصة بمركز غوريان.

أراد هذا المدرّس أن يتعلّم الطلاب مادة الفيزياء من خلال قيامهم بنشاطات معيّنة. قام بجمع مواد كانت تُصنع الخيم منها من قبل الهنود الحمر الذين يقطنون في قسم من بلادنا. حصل كلّ فريق على ثلاث ساريات، حبل وقماش.

كانت الساريات طويلة للغاية إذ بلغ طولها حوالى 12 قدماً، وهي ساريات اقترضها المدرّس من شركة خشب محلية. واجه الطلاب صعوبة في التفكير بطريقة تضمن ثبات الساريات عند وضع القماش عليها. تم هذا النشاط في ملعب كرة القدم، أي أنّ الفرق توزّعت بشكل مريح في أرجاء الملعب. كان من المثير للاهتمام مراقبتهم وهم يحاولون تنفيذ المهمة، وأمضى الطلاب ثلاثة أيام تقريباً لإنجازها. كانت أفضل الفرق تلك التي قامت ببعض الأبحاث الخاصة بالبناء، وبعد بناء خيمهم، قام طلاب هذه الفرق بمساعدة زملائهم. لم يسبق للطلاب أن تعلّموا معلومات وافرة عن القياس كما فعلوا في هذا النشاط الذي زادت أهميته بسبب مساعدة الطلاب لبعضهم البعض.

استخدام الصفوف الأحادية الجنس: تمّ ذلك في مدرسة بريكينريدج كاونتي التكميلية في هارنيد، كينتاكي، حيث حاولت ميسي كريتشيلو وزملاؤها تحسين العلامات وتقليص المشكلات السلوكية. حضرت ميسي وزملاؤها، إضافةً إلى مديرة المدرسة، دورة تدريب لمركز غوريان، وكان محور هذه الدورة الفروقات بين الذكور والإناث. في العام 2003، بدأت المدرسة بتطبيق فكرة الصفوف الأحادية الجنس وذلك أثناء حصص الرياضيات (والعلوم) الخاصة بالصف الثامن.

أطلعتنا ميسي على نتائج إيجابية لهذه التجربة إذ إن الأداء الأكاديمي تحسّن بعد تطبيقها.

كان بعض الفتيان راسبين قبل البدء باستخدام الأساليب الجديدة، وكان معدّل جميع الصفوف منخفضاً بالإجمال. كانت علامات الفتيات أفضل إذ إن

الرسوب كان قليلاً والمعدّل جيداً. كان بعض طلاّب هذه الصفوف ممّن لديهم احتياجات تعليمية خاصة، إذ إن المدرسة لم تكن مجهّزة بصفوف خاصة بهم في هذه المرحلة التكميلية.

بعد تطبيق هذه الفكرة، ارتفعت علامات الذكور والإناث، وفي نهاية العام الدراسي كانت هناك خمس علامات فقط تفصل بين معدل الفتيان ومعدل الفتيات. من ضمن الـ180 طالباً، لم يرسب سوى ثلاثة فتيان وفتاتين. تعتبر ميسي أنّ هذا التحسّن يعود إلى الاعتماد على صفوف أحادية الجنس.

كما أدّى استخدام هذه الصفوف إلى انخفاض في عدد المشكلات السلوكية. خلال السنة الدراسية، لم ترسل ميسي سوى طالبين إلى مكتب المدير، واعتبرت أنّ ذلك تغير مذهل. ساعدت الصفوف الأحادية الجنس على تقليص عدد الاضطرابات السلوكية وبالأخص عند الفتيان، إذ إنّهم اضطروا إلى التصرّف بشكل جيّد كزعماء في صفوفهم.

إنّ تطبيق الصفوف الأحادية الجنس فكرة جديدة وعالية الفعالية في حصص الرياضيات والعلوم والمواد الأخرى. يتمحور الفصل الثامن على هذا الموضوع.

تشجيع الطلاّب على التحدث عن المساعدات البصرية: آن بروك هي معلّمة رياضيات في ثانوية لويس بالمر في مونيومنت، كولورادو. صمّمت آن ملصقاً لصفّها واعتبره الطلاب مضحكاً. ولّد هذا الملصق أحاديث مهمة عن ارتباط الرياضيات بالحياة اليومية. استخدمت آن عدّة أساليب لتحثّ الطلاب على مناقشة هذه الأمور وذلك عبر استعمالها للعبارات.

مهمة الأهل في مساعدة الفتيان على تعلّم العلوم

يكبر الفتيان وهم يشعرون بأنّهم علماء، وهذا ما حصل معي ومع أخي فيل. عندما كانت عائلتنا في هونولولو، قمت وفيل باستكشاف الصخور المحيطية وبجمع الأصداف وبمراقبة الحيوانات البحرية مثال شقيق البحر وقنديل البحر. عندما انتقلنا إلى كولورادو، حاولنا استكشاف عالم الجبال. في لارامي، تحوّل اهتمامنا إلى الصواريخ، ممّا أدّى إلى تسبّبنا بفوضى لا بأس بها، إلاّ أنّنا تعلّمنا الكثير من ذلك. في الصف التاسع، قرأت الكثير عن آلبرت آينشتاين في الموسوعة، وبدأت بمطالعة كتب الخيال العلمي بشغف. لطالما كنت مولعاً بالعلوم منذ صغري.

عند تدريبي للأهل والمدرّسين على الطرق المثلى لتعليم العلوم، كثيراً ما أتساءل عمّا يجعلني أكتب الكثير من المقالات والأبحاث الخاصة بفهم الدماغ علمياً. أتساءل عمّا أدّى إلى استخدام أخي للعلوم بشكل يومي أثناء عمله كمصمّم للصفحات الإلكترونية. ما الذي تسبّب باعتمادي واعتماد أخي على العلوم في عملنا؟

من خلال دراستي لعلم الوراثة وللعلوم الأخرى، توصّلت إلى فهم أنّ حبّ عائلتي للعلوم أمر وراثي ومكتسب في الوقت نفسه. قام والدي في عمله كمتخصص بعلم الاجتماع بدمجه وعلم الأحياء. في عملها المتعلّق بعلم الإنسان، اهتمت والدتي بالعلوم. من الواضح أنّ عائلتي تحبّ العلوم بالفطرة، إلاّ أنّ والديّ قاما بزرع هذا الولع بالعلوم في منزلنا منذ صغرنا. نشأ في قلبي وقلب أخي حبّ للعلوم بسبب اهتمام والديّ بتلك المادة.

أصبحنا الآن والدين، فمهمتنا الآن باتت مساعدة الجيل الجديد على تقدير العلوم وأسراره وعجائبه. تنطبق الكثير من الاستراتيجيات التي نقترحها على

الفتيات أيضاً، إلاّ أنّنا ابتكرنا معظمها للفتيان ولقدرتهم الفكرية ونموهم الذهني.

مساعدة الفتيان قبل التحاقهم بالمدرسة:

إنّ جميع المعلومات اتي سبق وطرحناها، وبالأخص في الفصل الثالث، مفيدةٌ للغاية لتوفير فرص تعليمية تضمن فهماً واسعاً للعلوم. نضيف على اقتراحاتنا فكرة زرع المعرفة العلمية في الأطفال منذ صغرهم، إذ إنّ الأهل في هذه المرحلة من حياة الطفل يتصرّفون وكأنهم مدرّسو علوم. عليهم التأكد من مشاركة ابنهم في الأعمال المنزلية وتلك الخاصة بالحدائق كالتفتيش عن الديدان في التربة. تؤدّي هذه الأمور إلى دخول الفتى إلى الحضانة وهو يربط بين العلوم وكلّ ما يراه من حوله.

في هذه المرحلة من حياة الطفل، تكون العلوم متصلةً باكتشاف ما يراه في بيئته. يولد العالم وهو يتمتّع بقدرة علمية، وهذا ما حصل مع آينشتاين مثلاً. إلاّ أنّه يبقى بحاجة إلى من يرشده إلى استغلال هذه القدرة. يستطيع كلٌّ منّا ان يخصّص بعض الوقت يومياً لتفسير بعض المعلومات العلمية للطفل، ممّا يولّد في نفوسكم شعوراً رائعاً. من الممتع رؤية عينيْ ابنكم وهي تبرق عند استيعابه لهذه المعلومات العلمية الجديدة.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

تستمر الرغبة بتعلّم العلوم في الصفوف الإعدادية أمراً على العائلة تنميته.

الاستعانة بأشخاص ضليعين بالعلوم: ليس من الضروري أن يحبّ الأهل العلوم أو أن يساعدوا الطفل على الرغبة بتعلّم هذه المادة. كلّ ما عليهم القيام به هو تأمين الوسائل والتشجيع المستمر والإرشاد ليستخدم الطفل العلوم وهو يستكشف العالم من حوله. إن كنتم تشعرون بعدم الكفاءة، يمكنكم الاستعانة بأي

شخص من الأقارب أو الأصدقاء، إذ من المؤكد أن أحدهم يحبّ العلوم. لا بدّ أنّ هناك أشخاصاً في الكنيسة، أو أفراداً ينتمون إلى أية مجموعة أخرى، قد سبق وعملوا في مجال العلوم أو قد يرغبون بتوجيه الأطفال علمياً. بما أنّ العلوم والتكنولوجيا من الحاجات الضرورية في أيامنا هذه، فمن المهم أن يحصل ابنكم، من لحظة التحاقه بالمدرسة وحتى الصف السادس، على توجيه علمي من قبل أجداده أو أصدقاء العائلة أو المعلّمين الخصوصيين. يجب تأمين ذلك التوجيه للفتى إذ إن ذلك يجعله جاهزاً لاستخدام العلوم والتكنولوجيا في المستقبل.

دمج العلوم والحياة اليومية: إنّ المطبخ مكان علمي للغاية، إذ إن للعلوم دوراً في كل طبق تحضّرونه. اجعلوا ابنكم يشارك في ذلك حالما يسمح نموّه بذلك. يستطيع مساعدتكم على قياس مكوّنات الطبق، وإذابة الثلج عن الطعام وتجميده إضافةً إلى سلقه. أثناء قيامكم بهذه النشاطات مع الفتى، تحدثوا إليه عن التغييرات التي تحدث للمكوّنات. اخبروه عن المصادر المختلفة للطعام وعن الملح وعن دور الخميرة في انتفاخ العجين.

من الممكن جعل مسائل النظافة والتغذية دروساً علمية. لماذا يحتاج المرء إلى الاستحمام؟ ماذا يحدث عند تنظيف أسناننا بالفرشاة؟ ما هو البروتين؟ كيف يساعدنا على النموّ؟

يعشق الفتيان التفاعل مع ما حولهم من نباتات وحيوانات وعوامل طقس. يشكّل كل ما يصادفه الفتى في الفناء الخارجي وفي الحديقة فرصاً لتعريفه على العلوم وعلى حيثيات هذه المادة.

توفير الأدوات العلمية: يمكنكم أن تهدوا الفتى مجهراً بمناسبة عيد ميلاده، خصوصاً وأن الميكروسكوب هدية يستطيع استخدامها طوال المرحلة الإعدادية وبعدها. إن كنتم قادرين على شراء كمبيوتر محمول، فإنّه يساعد ابنكم في

حـصص العلوم. إنّ الإنـترنت وسـيلة مـهـمـة لتـعلّم العلوم (مع الاهتـمـام بضـرورة الإشراف على استخدام الفتى للإنترنت حتى عند بلوغه سن المراهقة).

عند وصول الفتى إلى الصفوف الإعدادية، من الضروري أن يشارك الأهل في النشاطات العلمية كاستخدام المجهر معه لاستكشاف تفاصيل قطرة المياه أو أجزاء ورقة النبات.

القـيام بدراسـة البيـئة المحلـية: أينمـا كنتم تقطنون، هناك مـسائل بيـئيـة تسـتطيـعون المشـاركـة فيـهـا مع ابنكم، ممّا يشكّل خـدمـةً اجـتـمـاعـيـة ويزيد من اهتمامه بالعلوم. شاركوا مع ابنكم بطرح هذه الأسئلة وبالإجابة عليها:

- ما هو مصدر المياه التي نستخدمها؟
- هل سيبقى الماء متوفراً من المصدر نفسه؟
- كيف تتمّ تنقية هذه المياه؟
- كم تبلغ كلفة الحصول على المياه؟
- عند تغيير الزيت في السيارة، أين يتم رمي الكمية المستبدلة؟
- ماذا يحصل للنفايات التي يتمّ جمعها كل أسبوع من المنازل؟

قـد تؤدّي هذه الأسـئلة إلى قيـام العـائلة برحـلات استكشـافيـة. يسـتـمـتع المهندسـون عـادةً بـاصطحـابكم في جـولات في مـصـانع تنقـيـة الميـاه. تقـوم هذه الرحلات بإضافة عنصر المتعة إلى العلوم، وقد تحثّ الفتى على الرغبة بالعمل كمهندس في المستقبل.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

عند وصول الفتى إلى سنّ البلوغ، يكون اهتـمـامـه بالعلوم قـد نما نتـيـجـةً لفضوله الشخصي وللتأثيرات العائلية والمدرسية. نـأمل بأنّه في هذا العمر قد

قرّر أنّ العلوم جزء لا يتجزأ من حياته. إن كان المراهق غير مهتم بالعلوم، يجب عندها العودة إلى الأساليب الأساسية وهي استخدام وسائل التسلية لجعل العلوم من أولوياته. كما يجب عندها تدخّل أحد الأقارب أو الأصدقاء لحثّ الفتى على حبّ العلوم.

في هذه المرحلة من عمر الفتى، تصبح حصص العلوم أكثر تحدياً مقارنةً بالصفوف الإعدادية. بوسع الصفوف العلمية أن تصدم أبناءنا بنظرياتها التجريدية ومعلوماتها العملية والتجارب المخبرية، إضافةً إلى الحاجة إلى حفظ المعلومات وإلى إنجاز الكثير من الفروض المنزلية. بوسع الأهل القيام بالكثير في هذه المرحلة.

إرشاد الفتى أثناء إنجاز الفروض المنزلية: إذا كانت الغاية هي نجاح المراهقين والمراهقات في مادة العلوم، فعلى الأهل والأقارب إرشادهم أثناء إنجازهم للفروض المنزلية.

إن كان أحد الأجداد أو الأقارب أو الأصدقاء مهندساً متقاعداً أو إنساناً ملمّاً بالعلوم، فمن الممكن أن يُطلب منه إرشاد الفتى أثناء قيامه بالفروض المنزلية. يستطيع هذا الشخص الاجتماع مع الفتى مرة أو مرتين في الأسبوع لمراجعة ما أنجزه من فروض، وبوسعه التحدث هاتفياً مع المراهق خلال الأسبوع لمناقشة ذلك. إن كان ابنكم يواجه صعوبات في حصص العلوم، فإنّ هذه الطريقة هي المثلى لمساعدته.

مساعدة المراهق على حفظ المعلومات: تتطلب صفوف العلوم في المرحلة الثانوية، حفظ الكثير من المعلومات، وتختلف درجة النمو الفكري بين مراهق وآخر. لذلك فإنّ المراهقين بشكل عام بأمس الحاجة للمساعدة على تخزين المعلومات كلّها. هناك طرق كثيرة لتدريب الفتى على ذلك، ومنها :

ـ عند تواجدكم في السيارة معه، تستطيعون طرح أسئلة متعلّقة بالكيمياء.

ـ يمكنكم تحديد أوقات التسلية كإطفاء جهاز التلفاز إلى أن يتمّ حفظ المعلومات المطلوبة.

ـ من الممكن طرح الأسئلة العلمية أثناء تناول العشاء مثال «ما هي الأقسام الثلاثة الرئيسية في الدماغ؟» و«كم يبلغ عدد النجوم في المجرّة؟».

من خلال طرح هذه الأسئلة، تتمّ مساعدة الفتى على تخزين المعلومات بشكل جيد.

استخدام التدرّب: تعلّم الفتيان في الماضي الكثير من العلوم عبر عملهم كمتدرّبين في المزارع أو في محلاّت تحت إشراف متخصّص. كما ذكرنا في السابق، فإنّ إنشاء علاقات بين الفتيان وأشخاص متخصصين يشكّل استراتيجية فعالة. تشتدّ أهمية هذا الأسلوب لدى الفتيان الذين لا يسعون كالفتيات إلى إنشاء مختلف أنواع العلاقات مع الآخرين. كما وأنّ الفتيان لا يتعلّمون بالطريقة نفسها التي تعتمد على قراءة الكتب العلمية.

قام الأهل والأقارب في الماضي باختيار الشخص المسؤول عن تدريب الفتى. أمّا الآن، فقد تغيّر ذلك إذ إنّ الفتى يقوم بنفسه بتلك المهمة. يختار المراهق الذي يحب الكمبيوتر خالاً يعمل كمصمم لبرامج الكمبيوتر. أمّا من يحبّ الحيوانات، فإنّه يبحث عن صديق للعائلة يعمل كمزارع ويمضي الصيف في مساعدته. ويقوم الفتى المولع بكرة المضرب بإيجاد مدرّب خاص رفيع المستوى.

أرسلت لنا والدة لثلاثة فتيان رسالة إلكترونية عن ابنها داين الذي لم يكن طالباً جيداً. كان داين مولعاً بالسيارات منذ صغره. عند بلوغه السادسة عشرة من عمره، عمل ليدّخر المال لشراء سيارة. أراد سيارة فورد فيرلاين على أن يكون محرّكها قوياً. خاف والدا داين من أن يقود السيارة بسرعة ويتعرض لحادث،

خصوصاً وأنّه لا يفكر ملياً قبل القيام بأيّ عمل ,حاولا إقناعه بشراء سيارة عادية لا يكون محرّكها قوياً. شعر داين بالإهانة وبأنّ والديه لا يثقان به، وأصرّ على شراء تلك السيارة. اعتبر الوالدان أنّ من حقّ داين أن يطلب أية سيارة يريدها إلاّ أنّهما شعرا في الوقت نفسه بأنّ لهما الحق بالقلق ممّا قد يحصل. في نهاية المطاف، توصّلا إلى حلّ يقوم على السماح لداين بشراء السيارة على أن يعمل في عطلة الأسبوع مع كارل وهو زوج صديقة الأم. يعمل كارل كميكانيكي ويشارك في سباقات للسيارات القديمة في مختلف الحلبات.

اتفق كارل وداين، وتعلّم داين الكثير من كارل ولم يقتصر ذلك على معلومات خاصة بالسيارات بل بأهمية المجهود في المدرسة. لطالما حاول والدا داين حثّه على بذل مجهود إضافي على فروضه المنزلية، إلاّ أنّ إصرار كارل على ذلك هو الأمر الوحيد الذي باء بالنجاح. تمنّى الوالدان قيامهما في الماضي بجمع كارل وداين، إلاّ أنّهما لم يفكرا بذلك قبل أن خافا من شراء داين لسيارة قوية.

تقوم علاقة داين وكارل على فكرة التدرّب، وتؤدّي هذه الصلة بينهما إلى جذب داين إلى العلوم من خلال التطبيقات العملية في مجالي التكنولوجيا والعلوم. كما وشكّلت هذه العلاقة تحدياً بالنسبة إلى داين للوصول إلى النجاح الأكاديمي، وهو ما لطالما طمح والداه إليه.

تعليم حيثيات البلوغ:

بين العامين 1986 و1988 عملت وزوجتي غايل كمدرّسين في تركيا، وتحديداً في أنقرة. كانت تجربة فريدة من نوعها قامت بتنويرنا وبتنوير طلاّبنا. أوّل ما لفت نظري هو الصراحة لدى الأتراك في حديثهم عن تغيّر الجسم عند المراهقين.

في العائلات التركية درجة أقل من التزمّت مقارنةً بالعائلات الأميركية. لا يطغى على التفكير التركي مفهوم طبيعة الجسم الجنسية التي تحتّم تجنّب مناقشة هذا الموضوع. كثيراً ما يشرح الأتراك للمراهقين المعلومات الخاصة بأجزاء الجسم وبوظائفها. لطالما نظر الأميركيون إلى البلاد المسلمة على أنّها أكثر تخفّظاً، إلاّ أنّ ذلك لا ينطبق على مسألة البلوغ التي يتحدثون عنها بحرية أكبر من تلك السائدة في بعض أرجاء الولايات المتحدة. إن كنتم قد سافرتم إلى بلاد أخرى وراقبتم كيف يتمّ تلقين المراهقين عن طبيعة أجسامهم المتغيّرة، فإنّكم قد تلاحظون انفتاحاً حيال مناقشة ذلك الموضوع، الأمر الذي نفتقده عادةً في المنازل الأميركية.

إنّ الجسم موضوعٌ علمي يستحق الاستكشاف. كتابنا هذا هو بمثابة دراسة علمية للجسم والدماغ عند الذكور. من حسن الحظ أنّ الأهل والأقارب قادرون على استغلال العلم الخاص بالجسم في الصفوف التكميلية والثانوية. تظهر الدراسات أنّ تجاهل الأهل لضرورة تعليم حيثيات البلوغ يؤدي إلى تزايد التصرفات الجنسية من قبل الفتيان، محاولةً منهم لفهم جسمهم. تشمل دراسة البلوغ أربعة تغيّرات خاصة بالنموّ وهي: جسدية وعاطفية ونفسية واجتماعية. يحتاج كلٌّ من هذه العناصر إلى اهتمام شامل.

من أهمّ الكتب التي تساعد الأهل على مناقشة موضوع البلوغ مع المراهقين هو كتاب «كيف نستطيع مناقشة ذلك؟» وهو من تأليف جاين ديفيتا وودي. كما ويتطرّق كتابي الذي يحمل عنوان «التحوّل من فتيان إلى رجال»، إلى حيثيات البلوغ بأسلوب يحثّ الفتيان وذويهم على القيام بتجارب عدّة لفهم هذا الموضوع الحسّاس.

مهمة المدرّسين في مساعدة الفتيان على تعلّم العلوم

في السنوات الأولى من تعليم العلوم، يعتمد المدرّسون على الأغراض المختلفة وعلى الرحلات إلى المزارع وحدائق الحيوانات إضافة إلى الرياضة. تسهّل هذه الوسائل فهم الطلاب للدروس العلمية وتعمل على النموّ الفكري من الناحية الحركية، الأمر الذي يساعد في تعلّم العلوم. يتطرّق هذا الجزء من الفصل إلى أفكار جديدة يؤدي تطبيقها إلى تطوير الطرق التعليمية وخصوصاً تلك المتّبعة في حصص العلوم المبكرة.

مساعدة الفتيان في الصفوف الإعدادية:

يصادف الطلاب في الصفوف الإعدادية أموراً تتعلق بالعلوم، ويتمّ ذلك بشكل يومي. يُسمح للفتيان في الكثير من المدارس الإعدادية بالاهتمام بحيوان أليف كالأرنب وخنزير غينيا، ممّا يمنحهم فرصاً يومية للتصرّف كعلماء. تعتمد صفوف أخرى على الفنون والموسيقى لتعليم العلوم لقدرتها على تبسيط المفاهيم العلمية.

دمج العلوم والفنون: قرر المدرّسون في هاميلتون، أوهايو التأكد من استيعاب طلابهم للنظام الشمسي. لذلك، تعاونوا مع مركز فيتون للفنون الإبداعية لتصميم رقصة خاصة بالكواكب والأقمار. كما وقام فنانون بمساعدة الطلاب على نحت النظام الشمسي وتلوينه. جعل الفن من العلوم مادةً تجريبية. ما أدّى إلى هذا الدمج بين الفنون والعلوم هو انخفاض العلامات التي حصل عليها طلاب المدارس الإعدادية في المنطقة. كانت نتيجة هذا الدمج ارتفاع في تلك العلامات، ممّا لا يدعو إلى الاستغراب، إذ إنّ التعلّم التجريبي يزيد من فرص النجاح عند الطلاب.

قامت عدّة مدارس من التي درّبها مركز غوريان باستخدام الفنون لتطوير المعرفة العلمية كما تطوّر الأداء الحسابي واللغوي بسببها. عند مواجهة المدرّس

لأيّة صعوبة في تعليم العلوم، عليه اللجوء إلى أساليب عملية وفعّالة مثال المساعدات البصرية والرسومات والبيانات واللوحات والتمثيل والموسيقى والرقص، إضافةً إلى أيّ فنّ آخر. أهمية دمج الفنون والعلوم تكمن في نموّ الحركة والفكر عند الطلاّب، خصوصاً من كان عمرهم بين الثالثة والثانية عشرة.

توظيف مدرّبين: تعتمد مادة العلوم على التجارب العملية التي يقوم بها شخص ما. لا يمكن لذلك الشخص أن يكون المدرّس. قد يكون زميلاً أو متطوعاً، ومن الأفضل أن يكون متطوعاً متقاعداً يزور الصف للمساعدة. هذا ما يحصل في واشنطن في مدرسة ترينتوود الإعدادية. حيث يقوم بوب ستايبلتون، البالغ من العمر التاسعة والستين، بتصحيح ما يقوم به طلاب الصف الثالث. كما وأنّه يشاركهم، بين الحين والآخر، بلعب الورق (ويقوم بوب بدمج الرياضيات والعلوم بورق اللعب). يستمتع الطلاّب بوجود بوب معهم ويعتبره المدرّسون جزءاً أساسياً من الصف ومن النوادي الطلابية. كما ويشعر بوب بالسعادة والرضى عند تفاعله مع الطلاّب ولكونه جزءاً من حياتهم.

إن مادة العلوم تعبير أكاديمي عن تفاعل الإنسان مع البيئة الطبيعية. لذلك فإنّ تعلّم هذه المادة ضمن فريق يشكّل مغامرةً رائعة بالنسبة للطلاب. يستطيع الطالب أن يستكشف العلوم بمفرده في الفناء الخارجي أو في الطابق السفلي للمنزل بواسطة أدواته الكيميائية. إلاّ أنّ تواجد الزملاء البارعين أو المتطوعين الأكبر سنّاً يجعل من تعلّم هذه المادة أكثر حيويةً وفائدة، خصوصاً أنّ هؤلاء الأشخاص يصبحون أعضاءً في الطاقم العلمي! يحبّ الفتيان عادةً أن يتواجد معهم مدرّبون، زملاء كانوا أم ذكوراً أكبر سناً. إنّ كلّ مدرّس لا يأخذ ذلك بعين الاعتبار ولا يستفيد من هذه الطريقة يقوم، من خلال تجاهله إياها، بالحؤول دون أن تصبح العلوم جزءاً أساسياً ودائماً من حياة الطلاب.

مساعدة الفتيان في الصفوف التكميلية والثانوية:

على مـدرّسي العلوم في هذه المرحلة المدرسـيـة تعليم كـمـيـة هائلة من المعلومات. عليهم القيام بأمور كثيرة، خصوصاً عندما يكون من واجبهم تحضير الطلاّب لامتحانات الدخول الجامعية. لذا، قد يبدو استعمال أفكار جديدة في حصص العلوم بمثابة عبءٍ عليهم. إلاّ أنّنا نتمنّى أن تشجعكم اقتراحاتنا على تطبيقها في صفوفكم، خصوصاً وأنها استراتيجيات فعالة. نأمل أيضاً أن تطّلعوا على القسم المخصّص بالصفوف الإعدادية، إذ إن جميع الأفكار المقترحة لذلك العمر سهلة التطبيق في الصفوف التكميلية والثانوية. تستطيعون الاطلاع على مثال في قسم الاقتراحات التالي.

جعل العلوم مادة تجريبية: مونيكا غيتيريز هي معلمة لمادتي الرياضيات والعلوم في الصفوف التكميلية من مدرسة ريجيس. أطلعتنا مونيكا على ما تتبعه لتجعل من العلوم مادة تجريبية في الصف السابع. خلال شرحها لمفهوم الخليّة (النباتية والبشرية) تطلب مونيكا من طلاّبها استعمال الكرتون لتشكيل مجسّمات كبيرة الحجم للخلايا وللجسم. كانت هذه المجسّمات ضخمة وكانت ألوانها المختلفة ملفتة للنظر. استمتع كلّ فريق بهذا النشاط وشعر الطلاب بالفخر لما أنجزوه. بعدما أنهوا شكل الخلية، قام كل عضو من الفريق بالتحدّث عن تجربتهم وعن الوظائف المختلفة لأجزاء الخلية. كانت هذه التجربة ممتعة للغاية.

اقتراحات

استخدام العلوم لتعليم الكلمات

دوّنوا الأحرف التي تكوّن كلمة «علوم» بشكل عمودي على الجهة اليمنى من الورقة. اطلبوا من الفتى التفكير بكلمات تبدأ بكل حرف من كلمة «علوم». اسألوا الفتى بعد ذلك عن علاقة كلّ كلمة بالعلوم. ابتكروا درساً يمكنكم فيه استخدام الكلمات في حصص العلوم.

على سبيل المثال، إن كتب الفتى كلمة «عين» للحرف الأول من كلمة «علوم»، باستطاعتكم مناقشة الألوان المختلفة للعيون. بإمكان الطلاّب رسم جدول فيه أسماء زملائهم الذين يتمتعون بعيون خضراء أو بنية أو عسلية أو زرقاء. من الممكن تطبيق هذه المسالة في المنازل، حيث يدوّن الطالب ألوان العيون الخاصة بأفراد عائلته. من خلال ذلك، يتعلّم الفتى مفهوم الجينات والوراثة.

تعتمد مدرسة ريجيس، وهي مدرسة مخصّصة للفتيان، على تجربة الأفكار التعليمية الجديدة. قامت آن كارثي، مديرة المدرسة التي سبق وتحدثنا عن عملها، بتغيير طريقة التعليم في المدرسة في معظم الحصص، بما في ذلك العلوم، وذلك بعد مشاركتها وطاقمها التعليمي في دورة تدريبية أقامها مركز غوريان. أصبح من مهمات الطلاّب بناء مجسّمات لما يدرسونه في حصص العلوم، ممّا أضاف عنصر الإثارة والحماس إلى الصفوف وأدّى إلى تحسّن في أداء الطلاب في هذه المادة.

لا بدّ وأنّ جميع مدرّسي العلوم يدركون أهمية المجسّمات في صفوفهم. إلاّ أنّ هناك كسلاً سائداً عند هؤلاء المدرّسين يجعلهم يفضّلون إعطاء المحاضرات عوضاً عن جعل الطلاب يبنون مجسّماتهم الخاصة، إذ إن ذلك أكثر صعوبة ويثير درجة أعلى من الفوضى في الصف.

يواجه هذا الكسل محاربة من قبل كارثي ومونيكا والهيئة التعليمية في مدرسة ريجيس. تعتبر كارثي أن أيّة مدرسة للفتيان تتطلّب بذل مجهود ضخم من قبل المدرّسين، خصوصاً أنّ لدى الطلاّب طاقة هائلة. بالرغم من تحرّك الفتيان المستمر في أرجاء المكان، إلا أنّ المدرسة لم تواجه أية مشكلة عند قيام طلابها ببناء المجسّمات. في الواقع، لقد تقلّص عدد المشكلات السلوكية في المدرسة بعد تطبيق هذه الفكرة التعليمية الجديدة. اكتشف المدرّسون في مدرسة

ريجيس أنّ كل ما عليهم القيام به عند حدوث فوضى هو تهدئة الطلاب. واجهت المدرسة عدداً أقل من الاضطرابات السلوكية في السنة الدراسية هذه.

تعميم التصميم الداخلي للصف: قام الباحث مايكل نايغل، وهو زميل في مركز غوريان، بنشر دراسة له في المجلة الأوسترالية لتعليم الصفوف التكميلية. تمحورت دراسته حول الأفكار الجديدة التي يمكن تطبيقها لتعليم الفتيان في الصفوف التكميلية في أوستراليا. بعد أن تمّ تدريب المدرّسين في كوينزلاند، لاحظ مايكل أنّهم بدأوا مباشرةً بعد الدورة بالسماح لطلاّبهم بالتحرّك في حصص العلوم. كما وأنّهم عدّلوا التصميم الداخلي لصفوفهم ليتحرّك الطلاب براحة أكبر. يعرض مايكل مثالاً لذلك في مقاله:

قررت معلّمة الصف السابع بالاعتماد على الحركة والاستقلال الطلابي في محاولة للتجاوب مع حاجاتهم. قامت بذلك من خلال تغيير التصميم الداخلي لصفها، حيث وضعت طاولةً لكلّ طالب في وسط الغرفة. وضعت حولها وعلى مسافة منها عدداً آخر من الطاولات المتساوية البعد، وخصّصت مساحةً من الصف لأزواج من الطاولات ولمجموعات أخرى تتناسب والنشاطات الجماعية. أمّا مقدّمة الصف، فكانت مخصّصة لأيّ شخص يودّ إعطاء محاضرة للطلاّب على أن يجلسوا في المنطقة الوسطى أثناء ذلك. في الأوقات الأخرى، يستطيع الطلاّب اختيار أيّ مكان في الصف ليجلسوا أو ليتحركوا فيه كما يحلو لهم. كانت نتائج هذا التصميم الداخلي للصف مثيرة للاهتمام.

يناقش مايكل في مقاله عدداً من النتائج الإيجابية، إلاّ أنّ أهمّها هو انخفاض عدد المشكلات السلوكية عند الطلاب واستمتاعهم بالاستقلالية التي مُنحوا إيّاها. لم تقتصر هذه التأثيرات الإيجابية على الفتيان فحسب، بل امتدّت إلى الفتيات، خصوصاً وأنّه أصبح بوسع المدرّسة التركيز على العمل مع الطلاّب عوضاً عن محاولة المحافظة على الانضباط في الصف.

دعوة العلماء لزيارة الصف: لطالما قام الفنانون بزيارة مدارسنا، وعلينا أن نبدأ التفكير بدعوة العلماء وخصوصاً إلى المدارس الثانوية. هناك لائحة طويلة من العلماء الذين يستطيعون أن يفيدوا الطلاب بزياراتهم، ونذكر منهم: المهندسون الكهربيمائيون، مهندسو شبكة المجارير، الأطباء، أطباء الأسنان، الممرضات والممرضون، مختصو التغذية، مستشارون صحّيون، عمّال اللّحام المتخصصون، والمعالجون النفسيون. قد تجدون هؤلاء العلماء من ضمن لائحة أهالي الطلاّب أو أقربائهم. يختلف هؤلاء العلماء عن المدرّسين والمدرّبين الذين يراهم الطالب يومياً، إذ إنّهم يزورون الصفوف ليشاطروا تجاربهم مع الطلاب. لا بدّ وأنّ الوقت لا يسمح لكم بدعوة أكثر من عالمٍ واحد شهرياً، لكنّكم تستطيعون تشكيل لجنة طلاّبية مسؤولة عن تنظيم أكثر من زيارة في الشهر. إنّ عمل هذه اللجنة يساعد على نموّ الحسّ التنظيمي عند الطلاب ويكسبه مهارات حياتية أساسية، كما وأنّ هذه اللجنة ستضمن زيارة ما يكفي من العلماء إلى الصف، ممّا يشجّع جميع الطلاب المتفوقين إضافةً إلى الذين يواجهون صعوبات في مادة العلوم.

الاستعانة بطلاب العلوم الرياضيين: أشار أحد المدرّسين المشاركين في دورة تدريب إلى وجود الكثير من الرياضيين المتخصّصين بالعلوم. إنّ الطلاّب المراهقين معجبون بهؤلاء الرياضيين، لذا قام هذا المدرّس بالاستعانة بهم. طلب منهم كتابة مواضيع إنشائية يقومون فيها بدراسة رياضتهم مستخدمين مفردات علمية، على أن يعطيهم المدرّس علامات إضافية لقيامهم بذلك. كان على الرياضيين تفسير الرياضة التي يمارسونها عبر استعمال العلوم.

كثيراً ما يشعر المدرّسون بعدم اهتمام الطلاب الرياضيين بالدروس، خصوصاً وأنّ هؤلاء ينجذبون إلى عالم الرياضة ويتجاهلون جميع المسائل الأخرى إلى حدّ كبير قد يصل إلى عدم اكتراثهم بالعلم. باستطاعة الرياضي

هذا أن يبدأ بالاهتمام بالدراسة وبالعلوم من خلال إنجازه للمهمة المطلوبة، التي قد تتضمّن تقديم محاضرة للطلاب الأصغر سناً. يجب أن تشمل هذه المحاضرة تجاربه الخاصة إضافةً إلى الصور والجمل المفيدة والشهادات الحيّة.

أهمية الفنون والرياضة في المناهج المدرسية

إنّ العديد من الأفكار التعليمية التي نقترحها تقوم على دمج الفنون والرياضة في التجربة المدرسية للفتيان، إذ إنّ ذلك يفيد الجميع. تكمن أهمية هذا الدمج عند تعليم الفتيان في التأثير الإيجابي للرسومات والمساعدات البصرية والتمثيل والحركة الجسدية. يحتاج الفتيان إلى الحركة وإلى حثّ أنفسهم على التفكير. كما ويحتاجون إلى التعلّم من خلال الاعتماد على الوسائل البصرية، وإلى ممارسة الرياضة أثناء التعلّم للمحافظة على درجة معيّنة من التركيز. قد تساعد هذه النشاطات على أن ترتفع علامات هؤلاء الفتيان.

يعتمد النظام التربوي الحديث على النجاح في الامتحانات ويتّسم بدرجة عالية من الصعوبة. لذا، فقد تمّ تقليص الحصص الأسبوعية المخصّصة للرياضة والفنون وحتى إلغائها. تركّز المدارس حالياً على تحسين نتائج امتحانات الدخول إلى الجامعات بهدف الحصول على مزيد من التمويل. تحاول هذه المدارس ألاّ تخسر التمويل الذي تحصل عليه، لذا فإنّ الفنون والرياضة مادتان يعتبرهما النظام التربوي الحديث عبئاً. حتى وأنّ بعض المدارس قد الغت الاستراحات بين الحصص لاستغلال الوقت في محاولة رفع العلامات.

يعتمد المدرسون والأهالي الذين يعترفون بأهمية تنمية الفكر على الطرق التعليمية الجديدة القائمة على الرياضة والفنون. إنّ الهدف الأساسي لذلك هو إبقاء الطلاّب على درجة معينة من الاهتمام بالتعلّم. من أسباب المشكلات التربوية التي تواجه أبناءنا: تشديد عالمنا الصناعي، في القرن السابق، على

التعليم الجلوسي وتجاهله لحاجات الطلاب الفنية. تستطيعون تغيير هذا الواقع في مجتمعاتكم من خلال لفت النظر إلى ما ركّز عليه اليونانيون القدامى وهو أنّ الفتى لن يصبح مثقّفاً بشكل كامل إن لم يكن فناناً ورياضياً.

تؤيد الدراسات المعاصرة هذه الفكرة القديمة. تطالب الأبحاث بالالتفات إلى طبيعة الفتيان التي تجعلهم يتأثرون بالعوامل البصرية والحركية (ولم تتجاهل هذه الأبحاث الفتيات). تؤكد هذه الدراسات أيضاً على ضرورة إدراك الأشخاص التربويين بأنّ للفنون والرياضة علاقات وثيقة بالنظام التعليمي الذي يرسب فيه معظم الفتيان في أيامنا هذه.

من الضروري تحاور الجميع حول خطورة منع الطلاّب من أوقات الاستراحة وحول إيقاف البرامج الرياضية والفنية. على هذه المناقشات أن ترتكز على ما ذكرناه في هذا الفصل وفي الذي سبق عن الدراسات والشهادات الحيّة والنتائج الإيجابية التي توصّلت إليها المدارس. يظهر في هذه المؤسسات التعليمية نجاح الفتيان في الرياضيات والعلوم واللغات إضافةً إلى المواد الأخرى، وقد تمّ ذلك من خلال الاعتماد على الرياضة والتمثيل والرسم والموسيقى.

يقوم فكر الفتيان على حركتهم الجسدية وعلى كلّ ما يرونه من حولهم. لا يقدر الذكور عادةً التعبير عمّا يخالجهم من مشاعر عبر الكتابة. لتصبح كلماتهم واقعية، يحتاج الفتيان إلى مؤثرات عدّة ترتكز على الصوت واللون والحركة.

الفصل الثامن

حسن استخدام الصفوف الأحادية الجنس

يتمحور الجدل المتعلق بالصفوف الأحادية الجنس حول شأنين: إن كان تطبيقها في المدارس الرسمية أمراً قانونياً، وإن كانت تفيد الفتيات والفتيان تربوياً.

روز ماري س. سالومون، مؤلفة كتاب «متشابهون، مختلفون، متساوون»

وقع ضفدع صغير في حوض من مخيض اللبن. قام بمناداة والدته وهو يصرخ «النجدة، حريق!» إلاّ أنّ أحداً لم يأتِ لإنقاذه. استمرّ بالرّفس إلى أن ارتطم بقطعة من الزبدة سمحت له بالقفز إلى خارج الحوض. سنستمرّ بالرفس والمقاومة!

جاكي داي، مديرة مدرسة راد التكميلية

تبدأ المسألة برسالة إلكترونية أو باتصال هاتفي يحمل أيٌّ منهما نداءً ليقوم مركزنا بتدريب الهيئة التعليمية في مدرسة ما على الاختلاف التعلّمي بين الفتيان والفتيات. يتمّ الاتصال بنا وطلب مساعدتنا عندما يلاحظ المدرّسون بعض المسائل الخاصة بالفتيان أو الفتيات. عندها، تتمّ زيارة المدرسة أو الاجتماع مع المجلس التربوي في الولاية وذلك من قبل كاثي أو من قبلي أو من قبل أحد الزملاء في مركز غوريان. نؤمن لهم دورات تدريبية تتعلق بالاختلاف في القدرة

الفكرية عند الجنسين وبالفروقات التكوينية في الدماغ عند الفتيات والفتيان، إضافةً إلى كيفية تعليم الذكور والإناث بطرق أكثر فعالية تضمن استيعاباً كاملاً للمعلومات. ندرّبهم على فهم كلّ ما يعرض عليكم في هذا الكتاب، ونعتقد أنّ ذلك يساعدهم على مواجهة المشكلات والصعوبات التي تظهر في مدرستهم.

ثم يسأل أحد المشاركين في التدريب عمّا إذا كان استخدام الصفوف الأحادية الجنس فعّالاً، ممّا يولّد مناقشات جانبية. يؤيد بعض الأهل محاولة تطبيق هذه الفكرة بينما يرفضها آخرون. يعبّر بعض الإداريين عن حذرهم من هذا الاقتراح بينما يشجّع آخرون على استخدامه. أمّا المدرّسون، فيطالب بعضهم مباشرةً بتلك الصفوف بينما يرفض آخرون الاعتماد عليها. تنتهي بعد هذا النقاش الدورة التدريبية، ويبدأ الجسم التعليمي بعدها بتجربة فكرة الصفوف الأحادية الجنس بالطرق العديدة المتوفرة. كثيراً ما نتلقى بعد ذلك اتصالاً آخراً أو حتى رسالة إلكترونية.

بعد أن تقرّر المدرسة استخدام الصفوف الأحادية الجنس، يحمل اتصالها أو رسالتها الإلكترونية طلباً لمساعدتنا، وذلك من قبل المدير أو أحد المدرّسين أو الأهالي. يمثّل هذا النداء مغامرةً ثانية في عالم التربية والتعليم، وإن تمّ تطبيق الفكرة بطرق فعّالة، فإنّ ذلك يؤدي إلى نتائج مذهلة. قام مركز غوريان بمساعدة العديد من المدارس على محاولة استخدام الصفوف الأحادية الجنس لدراسة مدى فعاليتها، ولقد تكلّلت هذه التجارب بالنجاح. إنّ الاعتماد على هذه الصفوف تحوّلٌ جوهري، لذا فإنّ الإحصائيات تظهر أحد الأمرين: إمّا تحسّنٌ في العلامات وانخفاض في الاضطرابات السلوكية أو عدم تأثّر الطلاّب بالتغيير التعليمي الذي قد طرأ. يشير ذلك إلى أنّ هذه الصفوف المنفصلة إمّا تنجح أو تفشل. لا تعتبر هذه الفكرة التربوية الجديدة فعّالة وشديدة الأهمية إلاّ أن بدأ الفتيان في هذه الصفوف الأحادية الجنس بالحصول على علامات أفضل

وبمواجهة عدد أقل من الاضطرابات السلوكية، مقارنةً بزملائهم الموجودين في الصفوف المختلطة.

إنّ مركز غوريان مدركٌ كامل الإدراك بأنّ التعليم المختلط هو مبدأ يقوم على أساسه النظام التربوي في أميركا وفي البلاد الديمقراطية. يعمل مدرّبونا في معظم الدورات مع مدارس تعتمد على التعليم المختلط. إلاّ أنّ فعالية الصفوف الأحادية الجنس أمرٌ واضح، وسنعرض ذلك عليكم في هذا الفصل.

يتمحور هذا الفصل على استخدام الصفوف الأحادية الجنس لتطوير الأداء الأكاديمي عند الفتيان (والفتيات). في الولايات المتحدة وفي بلاد أخرى العديد من المدارس الأحادية الجنس التي تتسم بالفعالية. لقد تطرّق هذا الكتاب إلى إحدى هذه المدارس، وهي مدرسة ريجيس للقلب الأقدس المخصصة للفتيان من صف الحضانة وحتى الصف الثامن. أمّا هذا الفصل، فسيتركز على اعتماد الصفوف الأحادية الجنس في المدارس المختلطة، وهي طريقةٌ سهلةٌ نسبياً إن كان الهدف تجربة هذه الاستراتيجية الجديدة. من الأصعب ومن غير الشائع تغيير جميع الصفوف في مدرسة ما كونها مختلطة إلى قيامها على فكرة الجنس الواحد للطلاب.

الفصل مخصّصٌ لمن يرغب بمعرفة المزيد عن الصفوف الأحادية الجنس ولمن قد يودّ التحاق طفله بمدرسة تعتمد على هذا النظام. في هذا القسم من الكتاب تعريف بالمدارس والمدرّسين والمجتمعات التي استعملت هذه الطريقة التعليمية الجديدة بفعالية. نعتقد أنّ بعض النتائج الإيجابية في عدد من المدارس نتائج جديرة بالملاحظة.

ضرورة البحث المستمر عن المساواة

للتعليم الأحادي الجنس تاريخ مهم. بالرغم من أنّ التعليم المختلط هو ما تمّ الاعتماد عليه في مدارس الولايات المتحدة خلال معظم القرن الماضي، إلاّ أنّ المدارس الأحادية الجنس لطالما كانت موجودة أيضاً عبر التاريخ. لسنوات عدة وقبل انتشار المدارس الرسمية، اتخذ هذا النظام التعليمي شكل مدارس خاصة للفتيات أو الفتيان. خلال الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر، بدأ المجتمع الأميركي بتأييد التعليم الرسمي والمجاني الذي يساهم في تنمية يد عاملة مدرّبة وفي تثقيف الأطفال الفقراء. كان على العائلات الثرية دفع الأقساط المدرسية لأولادهم، لذا انتشرت المدارس الخاصة في كلّ مكان.

كان التحاق الأولاد بالمدرسة أمراً منوطاً بأهاليهم إلى أن أصدرت ولاية ماسيتشوسيتس في العام 1851 أوّل قانون يفرض التعليم على الجميع في السنوات التالية، تمّ سنّ القوانين الخاصة بحق توفير التعليم الرسمي في المجتمع الأميركي، كما ووافقت الحكومة على قانون فصل بعض الطلاب عن غيرهم وفقاً لأعراقهم. كان هناك العديد من المدارس الأحادية الجنس في ذلك الوقت، إلاّ أنّ القرارات المهمة، كتلك التي أصدرها مجلس براون التعليمي في العام 1954، كانت إشارةً إلى أنّ فصل الجنسين مع المساواة بينهما أمرٌ يجب إعادة النظر فيه. أصدرت المحكمة قراراً يقوم على رفض مبدأ فصل المدارس الرسمية للجنسين مع المساواة بينهما.

المساواة للفتيات:

في الستينات، تم استخدام البيان الرسمي الذي يرفض العزل العرقي، وقامت بذلك المجموعات المدافعة عن حقوق الإناث. طالبت هذه الجهات بالمساواة بين الذكور والإناث بشكل عام، وبحقّ الإناث بأن يتلقوا التعليم نفسه الذي يحصل عليه الذكور. كثيراً ما واجهت الفتيات عوائق عند رغبتهن بالتعليم

الجامعي، وخصوصاً عند ميولهن للاختصاصات التي اعتُبرت ذكورية كالطب والمحاماة والعلوم. تعطي هذه المهن صاحبها تقديراً اجتماعياً وتمنحه ربحاً مادياً، كان الشرط الرئيسي لممارسة الفتيات لها هو أن تُوفّر لهن الفرص التعليمية نفسها التي حصل عليها الفتيان. ناضلت الحركات المدافعة عن حقوق الإناث لتوفير هذه الفرص للفتيات ونجحت في التوصل إلى نظام تعليمي يعترف بحقّ الإناث المتعلّق بحصولهن على المستوى التربوي نفسه الذي يتمّ تأمينه للذكور. في العام 1972، تمّ تعديل القوانين التربوية، حيث تمّ إصدار قانون يقوم على أنّ لجميع الأميركيين، مهما كان جنسهم، الحقّ بالمشاركة في البرامج التعليمية. كما ومنع أيّ نوع من التمييز الجنسي الذي قد يحرم الأفراد من الاستفادة من البرامج التعليمية التي تموّلها الدولة.

كان هذا القانون بمثابة تشريعٍ احترم رغبات كلّ من كان مهتماً بالفتيات الأميركيات. لقي هذا القرار استحساناً من قبل المجموعات النسائية، خصوصاً وأنّه منح الإناث الفرصة للحصول على المساواة في النظام التربوي. لعلّ أهمّ ما تمّ منذ إصدار هذا القانون هو تطبيقه. على سبيل المثال، باتت الفتيات يستحوذن على العدد الأكبر من طلبات الالتحاق إلى كليات الطب والمحاماة، ممّا يدلّ على أنّ الفرص المهنية للنساء ستزداد، خصوصاً في هذه المجالات التي سيطر عليها الرجال في الماضي. يفوق عدد النساء في الجامعات، وباتت تسيطر على 60 بالمئة من شهادات البكالوريوس والماجيستير التي تُمنح في شتى المجالات. لقد ازداد عدد المِنَح الجامعية التي تحصل عليها الإناث من المؤسسات التعليمية المهمة في الولايات المتحدة. كما وأصبحت الفتيات في الجسم الطلاّبي للمؤسسات التعليمية التي كانت في الماضي مخصّصة للذكور فقط. نذكر منها: وست بوينت، أنا بوليس، معهد فيرجينيا العسكري، وسيتاديل. بفضل القوانين والتشريعات التي أصدرتها المحاكم، ازدادت فرص الفتيات للحصول على التعليم المختلط والمتساوي.

يوافق معظمنا على أنّ هناك الكثير من الأمور الأخرى التي يجب أن تحصل عليها الفتيات في مجتمعاتنا، إلاّ أنّ ما قد تمّ التوصل إليه في الخمسين سنة الماضية أمرٌ يدعو إلى الفخر. ويبقى السؤال: ما هو وضع الفتيان في عملية البحث عن المساواة؟ تمحور الجزء الأول من هذا الكتاب حول العوائق التي واجهها الفتيان في نظام التعليم الصناعي، قبل صدور قوانين براون التربوية وقرار منع التمييز بين الجنسين. أدّت الأنظمة التعليمية في البلاد الصناعية إلى حصر طاقة الذكور في الصف ومنعتها من التفاعل مع العالم المثير الذي يقوم على عنصر الحركة. ولّد ذلك مشكلة خطيرة باتت أزمة في هذا القرن الجديد، خاصةً وأنّ عالمنا الحالي قد اختلف عمّا كان عليه في العام 1954 أو في العام 1972.

المساواة للفتيان:

في مقالٍ لها، تحدثت ماري برودريك، وهي رئيسة اتحاد المجالس التعليمية في كونيكتيكت، عن التغيّر الذي طرأ على الكثير من المجتمعات. أدّى هذا التغيّر إلى اعتبار التفوّق الأكاديمي صفة غير ذكورية تتّسم بها الفتيات فقط. عبّرت برودريك عن استيائها من هذه الأفكار الخاطئة، وطالبت بالتوازن بين الجنسين، نظراً للتفاوت الحالي بينهما. تحتاج مجتمعاتنا إلى هذا الوعي الذي تطرّقت إليه برودريك، خصوصاً وأنّه يسمح بتطبيق أفكار جديدة تحمي حقّ الفتيان بالحصول على المستوى التعليمي نفسه المتوفر للفتيات. ما يجعل هذه المسألة أكثر أهمية هو أنّ هذه الأفكار قد أثبتت فعاليتها في المدارس.

يشدّد القانون المتعلّق بالمساواة بين الأطفال على السماح للمدارس الرسمية بالاعتماد على الصفوف الأحادية الجنس، على أن يكون لذلك تأثير إيجابي على الأداء الأكاديمي للجنسين. لقد توصّل مجتمعنا إلى إدراك أنّ التحاق الفتيات والفتيان بصفوف أو بمدارس منفصلة لا يؤثر سلبياً على الإناث. في الواقع، تؤيد

الدراسات ذلك الفصل بين الجنسين، مؤكّدةً أنّ هذه الصفوف تشكّل فرصةً لانخراط الفتيات في شتّى المجالات المهمة مثال الهندسة والمحاماة والطب. بدأ الاهتمام بالتعليم الأحادي الجنس بالانتشار، وباتت مهمة المدرّسين والأهل التأكد من فعالية هذه الفكرة الجديدة عند الجنسين.

إنّ المدارس الأميركية تأخذ فكرة الصفوف الأحادية الجنس بعين الاعتبار لرفع علامات الفتيان وللتقليص من اضطراباتهم السلوكية (مقابل كل فتاة ذات سلوك سيئ، هناك عشرة فتيان، أيّ أن النسبة مرتفعة للغاية). في بداية العام الدراسي 2004-2005، تمّ تحديد عدد المدارس الرسمية التي تشمل بعض الحصص الأحادية الجنس. بلغ ذلك العدد 113 مدرسةً، وفقاً للاتحاد الوطني للمدارس الرسمية الأحادية الجنس، أمّا الحصص التي تعتمد على هذا النظام، فمعظمها يتمحور حول تعليم اللغات والرياضيات والعلوم والاجتماعيات.

يتمّ تطبيق النظام الأحادي الجنس في مختلف المراحل المدرسية، من الحضانة وحتى الصفوف الثانوية. إلاّ أنّ النسبة الأكبر تعود إلى الصفوف التكميلية أي المرحلة التي تشمل عادةً الصف الخامس حتى الصف الثامن، ويختلف ذلك وفقاً للولاية. في كتاب «الفتيان والفتيات يتعلّمون بشكل مختلف»، عبّرت وزملائي عن أهمية فصل الجنسين في بعض حصص المرحلة التكميلية، نظراً للصعوبات التي يواجهها المراهقون والمراهقات على الصعد الهرمونية والتنموية والاجتماعية. تسود هذه المرحلة حاجة لنجاح الطلاّب في امتحانات الدولة الرسمية التي تشمل الرياضيات واللغات والعلوم والاجتماعيات. لذلك، فإنّ تطبيق النظام التعليمي الأحادي الجنس في الصفوف التكميلية أمرٌ شديد الأهمية. على الهيئات التعليمية والمديرين والمدرّسين والأهل التفكير بفصل الجنسين في هذه المرحلة، خصوصاً وإن كانوا يبحثون عن أساليب تعليمية تحسّن الأداء الأكاديمي والسلوك.

أثناء عملهم في هذه المدارس، لاحظ باحثو مركز غوريان ارتفاعاً في علامات الطلاّب الملتحقين بالصفوف الأحادية الجنس، وسنطلعكم على المزيد من المعلومات عن هذا التحسّن في هذا الفصل. كما وتوصّلنا إلى نتائج أخرى لتطبيق هذه الفكرة التعليمية، ومن المهم لفت نظركم إليها. أظهر الفتيان في الصفوف الأحادية الجنس اهتماماً واسعاً بالفنون والموسيقى والتمثيل، بالرغم من أنّهم كتموا قدراتهم الإبداعية في الصفوف المختلطة.

فعالية الصفوف الأحادية الجنس

إن أردنا تقييم استراتيجية تعليمية ما، فعلينا الاطّلاع على النتائج المتأتية من تطبيقها، وتكمن أهمية هذه النتائج عندما تكون الاستراتيجية مثيرةً للجدل كفكرة استخدام الصفوف الأحادية الجنس. أظهرت الدراسات حول العالم (بما في ذلك الولايات المتحدة وكندا وانكلترا وأوستراليا) فعّالية النظام التعليمي الأحادي الجنس في مساعدة الفتيان والفتيات. قامت اللجنة الأسترالية للبحوث التربوية بدراسة شارك فيها 250 ألف طالب على مدى ست سنوات. تمحورت الدراسة حول 53 مهارة أكاديمية، وأظهرت أنّ العلامات التي حصل عليها طلاب الصفوف الأحادية الجنس كانت أفضل من زملائهم في الصفوف المختلطة بنسبة تتراوح بين 15 و22 بالمئة. كما وتمّ الاطلاع على نتائج امتحانات ثمانماية مدرسة رسمية في دراسةٍ بريطانية. لاحظ الباحثون البريطانيّون تحسّناً في الأداء الأكاديمي لطلاب الصفوف الأحادية الجنس وموقفاً أكثر إيجابية تجاه المدرسة والتعليم، وبرزت هذه النتائج عند الفتيان والفتيات.

سنعرض عليكم تجارب عدة مدارس أميركية.

مدرسة راد التكميلية (بينسون، أوكلاهوما):

كارول كروفورد هي مديرة البرامج في وزارة التربية التابعة إلى ولاية ألاباما. في العام 2003، طلبت كارول من مركز غوريان تنظيم دورات تدريب في

الولاية للهيئات الإدارية ولمديري المدارس في ألاباما. إضافةً إلى فريق كامل من المدرّبين، وكان هدفها الأساسي تحسين الأداء الأكاديمي. بعد هذه الدورات، بدأ المسؤولون الإداريون بتطبيق الأساليب والموارد الخاصة بمركز غوريان في مدارسهم. كما وأدّى هذا التدريب إلى محاولة تطبيق الصفوف الأحادية الجنس في عدد من مدارس ألاباما بهدف تقييمها.

أثناء ذلك، تعرّف طاقم العمل في مركز غوريان إلى جاكي داي، مديرة مدرسة راد التكميلية في بينسون، ألاباما. تشمل هذه المدرسة ثلاثة صفوف وهي السادس والسابع والثامن. في صيف سنة 2004، قامت جاكي باصطحاب كاثي إلى مدرستها لتقوم بتدريب الجسم التعليمي والهيئة الإدارية والأهالي، وكان موضوع الدورات الاختلاف التعلّمي بين الفتيات والفتيان. بعد زيارة كاثي للمدرسة، بدأ المدرّسون بإطلاع مديرتهم جاكي على النتائج الإيجابية، حيث انخفض عدد المشكلات السلوكية وتحسّن الأداء الأكاديمي للذكور والإناث. من الجدير بالذكر أنّ مدرسة جاكي اعتمدت الصفوف الأحادية الجنس في حصص اللغات والرياضيات والعلوم.

مدرسة لويس فرايجير التكميلية (هاينزفيل، جورجيا):

قامت د. إيفيت كيل، وهي نائب المدير في مدرسة لويس فرايجير، بقراءة كتاب «الفتيان والفتيات يتعلمون بشكل مختلف» وبأبحاث شخصية متعلّقة بالبدائل التعليمية الأحادية الجنس. بعد اطلاعها على هذه المعلومات، طلبت كيل من مركز غوريان زيارة المدرسة لتدريب طاقمها على كيفية تطبيق الاستراتيجيات المناسبة لكلّ جنس على حدة. تولّت كاثي مهمة التدريب الذي لم يقتصر على المدرّسين بل شمل الأهالي في جلسات ليلية تمحورت حول الاختلاف التعلّمي بين الجنسين. بدأت مدرسة لويس فرايجير بتطبيق فكرة الصفوف الأحادية الجنس

وأطلعتنا على النتائج التي ظهرت بعد العام الدراسي 2003-2004، وهو أوّل عام قامت فيه المدرسة بالاعتماد على هذه الصفوف.

يمكنكم الاطلاع على الجدول 8.1 لمعرفة المزيد عن نسبة طلاب مدرسة لويس فرايجير الذين حصلوا على علامات متدنية تحت المعدل المطلوب في الولاية وذلك بعد العام الدراسي 2002-2003.

جدول 8.1 نتائج مدرسة لويس فرايجير للعام 2002-2003

الجنس	القراءة (٪)	اللغات (٪)	الرياضيات (٪)
الصف السادس			
ذكور	23	36	32
إناث	7	16	18
الصف الثامن			
ذكور	27	26	47
إناث	18	16	46

في العام 2002، قامت كيل بإطلاع المجلس التعليمي على نسبة الرسوب في الصف السادس، وهي نسبة مثيرة للقلق، إضافة إلى تخلّف الفتيان عن الفتيات في معظم المواد. كما وتحدثت كيل عن انخفاض علامات الذكور والإناث بعد الصف الثامن. وافق المجلس التعليمي على أنّ الاستراتيجيات المصمّمة لكل جنس على حدة قد تكون جزءاً مفيداً من المنهاج. كما ودعم المجلس تجربة الصفوف الأحادية الجنس في الصف السادس وبالتحديد في حصص اللغات والرياضيات. حضر حوالى نصف الطلاب (120 من أصل 277) صفوفاً أحادية الجنس، وأُطلق على هذه المجموعة اسم الفريق الأول. بعد السنة الدراسية التالية، اطلعت كيل وزملاؤها على النتائج لمعرفة (1) إن حصل تحسّن في العلامات بعد استيعاب المدرّسين للقدرات الفكرية المختلفة بين الجنسين، و(2) إن كان هناك تحسّن في أداء الصفوف الأحادية الجنس (أي الفريق الأول).

لاحظ فريق العمل في مدرسة لويس فرايجير تحسّناً في علامات الصفين، المختلط والأحادي الجنس. انحصر رسوب الطلاب في القراءة بـ12 بالمئة منهم، وكانت النسبة 18٪ في اللغات و19٪ في الرياضيات. (إن قارنتم هذه الأرقام بالنتائج المذكورة في الجدول 1.8، لانتبهتم إلى التحسّن الملحوظ). اعتبرت كيل أنّ سبب هذا التحسّن هو إدراك المدرّسين للاختلاف في التعلّم وفي القدرة الفكرية بين الذكور والإناث. أخبرتني كيل أنّ المدرّسين قاموا بتطبيق طرق التعليم الخاصة بكلّ جنس على حدة، وأنّ ذلك تمّ في الصفوف المختلطة أيضاً احتراماً لحاجات الفتيان والفتيات الخاصة.

تمّت أكبر درجة من التحسّن على صعيدي اللغة والقراءة في الصفوف الأحادية الجنس. يُظهر جدول 8.2 نسبة الطلاّب الذين رسبوا في تلك الصفوف في العام الدراسي 2003-2004.

جدول 8.2 **نتائج مدرسة لويس فرايجير للعام** 2003-2004

الجنس	القراءة (٪)	اللغات (٪)	الرياضيات (٪)
فريق الصف السادس			
الفتيان	7	7	11
الفتيات	2	2	8.5

قامت هذه النتائج الإيجابية عند الفتيان والفتيات بحثّ كيل وزملائها لتحضير أنفسهم للاجتماع مع المجلس التعليمي ليطالبوا بالاعتماد في السنة الدراسية المقبلة على الحصص الأحادية الجنس في عدد أكبر من الصفوف في مدرسة لويس فرايجير.

مدرسة بومونت التكميلية (ليكزينكتون، كينتاكي):

بدأت هذه المدرسة باعتماد الصفوف الأحادية الجنس في أوّل العام الدراسي 2002-2003. تنتمي مدرسة بومونت إلى المدارس الرسمية في

مقاطعة فاييت، وقد طلبت هذه المؤسسات التعليمية من باتريستا ستيفنز ونيل غراي، وهما باحثان في جامعة شرق كينتاكي، أن يقوما بدراسة عن فكرة الحصص الأحادية الجنس. كان الهدف من هذه الدراسة معرفة تأثير هذه الطريقة التعليمية الجديدة على علامات الفتيان والفتيات، وتمّ التوصل إلى نتائج إيجابية. كما وتحسّنت نتائج امتحانات القراءة بـ134 علامة في صف الفتيات و169 علامة في صف الفتيان.

المدارس في مقاطعتين من مقاطعات كاليفورنيا:

تقع أكاديمية جيفيرسون في مقاطعة لونغ بيتش، وبدأت هذه المدرسة في العام 1999 بفصل طلاب الصفوف السادس والسابع والثامن أثناء حصص المواد الرئيسية. تمّ ذلك بطلب من المديرة جيل روجاس التي أطلعتنا على تحسّن علامات الفتيان والفتيات في المدرسة بعد اتباع هذا النظام التعليمي. عبّر فيل دانكان عن الحماس نفسه تجاه هذه الفكرة، بعد تجربة المدرسة التي يديرها في كاليفورنيا، وهي أكاديمية سان فرانسيسكو في بالو آلتو الشرقية. قبل أن تعتمد مدرسته على الصفوف الأحادية الجنس، كان هناك عدد أكبر من المشكلات السلوكية التي كانت خطيرة إلى حدّ إمكانية قيام الطلاب بجنايات معينة. إضافةً إلى ذلك، كان هناك عدد كبير من الطلاب الذين لم يحضروا صفوفهم بانتظام. أمّا بعد البدء بفصل الفتيان عن الفتيات، مرّت سبع سنوات دون وقوع أيّ مشكلة، وكل ذلك يعود إلى الصفوف الأحادية الجنس.

مدرسة ماين ستريت (الفرع الشمالي، ويسكونسين):

توجّه المدرّسان دايفيد بالزير وسوزان هاورد، في أيار/مايو من العام 2003، إلى المديرة سارة سفير وعرضوا عليها فكرة جديدة: الاعتماد على التعليم الأحادي الجنس في بعض حصص الصف الرابع. أثارت هذه الفكرة

اهتمام هاورد بعد مطالعتها لكتاب «الفتيان والفتيات يتعلمون بشكل مختلف» ولاحظت النتائج الإيجابية في المدارس الأخرى. أطلعت هاورد مديرتها على التحسّن في أداء طلاب مدرسة إعدادية تقع في حيّ فقير في واشنطن، وشدّدت على أنّ هذا الارتفاع في العلامات كان نتيجة للتعليم الأحادي الجنس. في الواقع، حصل 88 بالمئة من طلاب هذه المدرسة على أعلى معدّلين في مادة الرياضيات (كانت النسبة 49 بالمئة في السابق). أمّا في القراءة، كانت النسبة 91٪ للطلاب الذين جاءت نتائجهم في المركزين الأولين (كانت النسبة 50٪ في السابق). اقتنعت سفير بفكرة الصفوف الأحادية الجنس، وتمكّن دايفيد بالزر بعد ذلك من جذب الفتيان إلى مادة الأدب، ممّا أسعده إلى حدّ كبير.

مدرسة ثورغود مارشال الإعدادية (سياتل):

تقع هذه المدرسة في منطقة فقيرة، وتعتمد في صفوفها على التعليم الأحادي الجنس في العام 2003. حصل مدير هذه المدرسة بين رايت على جائزة تكريمية كأفضل مدير في ولاية واشنطن، ما أدّى إلى هذا التكريم هو رؤية رايت وقدرته على مواجهة المصاعب المتمحورة حول ضرورة تحسين الأداء الأكاديمي لطلاّبه. لم يتغيّر عدد الطلاب في الصفوف، ولم يتمّ استبدال المدرّسين بآخرين. بقي كلّ شيء في المدرسة على حاله إلاّ فصل الفتيان عن الفتيات.

تحسّن الأداء الأكاديمي لطلاّب مدرسة ثورغود مارشال وبشكل ملحوظ، حيث ارتفعت نسبة نجاح الطلاّب في القراءة من 27 إلى 51 بالمئة، وفي الرياضيات من 13 إلى 35 بالمئة. حصل ذلك بعد سنة واحدة من البدء بتطبيق النظام الأحادي الجنس، وكان الفتيان أكثر من تحسن أداؤهم. في السابق، كان الكثير من الطلاّب يُرسلون إلى مكتب المدير بسبب المشكلات السلوكية التي أحدثوها، فتيات كانوا أم فتياناً. كانت أكثر هذه المشكلات ضرب الآخرين

ومضايقتهم أو لمسهم، وتوقفت عن الظهور بشكل شبه كلّي بعد اعتماد المدرسة على فصل الجنسين.

كما ولاحظت إحدى المعلّمات وهي لين لي بأنّ الفتيان باتوا أقوى، وبأنّ الفتيات اللواتي اتّسمن بالخجل في السابق بدأن بالتعبير عن أنفسهن، وخاصةً في حصص الرياضيات. لذا، فإنَّ النتائج الإيجابية في هذه المدرسة لا تقتصر على أحد الجنسين.

السماح للفتيان بالتعلّم وفقاً لميولهم وقدراتهم الفكرية:

من الممكن الحصول على النتائج الإيجابية التي أطلعناكم عليها في أيّ مدرسة، وتثبت أنّ السماح للفتيان بالتعلّم وفقاً لميولهم وقدراتهم الفكرية أمر فعّال. قام غراهام آيل، وهو مدير كلية دالويتش في إنكلترا، بدراسة حول الموضوع، واثبت أنّ أداء الفتيان في الصفوف الأحادية الجنس أفضل من أداء زملائهم في المدارس المختلطة. تظهر هذه النتائج أنّ البيئة التعليمية الأحادية الجنس مفيدةٌ للفتيان، كما وتنفي الفكرة الخاطئة القائمة على أنّ علامات الفتيان في الصفوف المختلطة تتحسّن نتيجةً لتأثّرهم بأداء الفتيات.

في العام 2003، أقيم في أوستراليا، وفي سيدني تحديداً، المؤتمر الدولي لائتلاف مدارس الفتيان. تحدث د. بروس كوك في ذلك المؤتمر وأكّد على أنّ مدارس الفتيان قادرةٌ على التركيز على طريقة تعلّمهم. أمّا المدارس المختلطة، يتصرف الفتيان بشكل شبه ذكوري لمجرّد وجود الفتيات هناك. بسبب ذلك، يشعرون بحاجةٍ ماسة إلى إظهار ذكوريتهم من خلال ردّات فعلهم القاسية والمبالغ فيها. تسمح مدارس الفتيان بمشاركتهم في أيّ نشاط دون أي تمييز عنصري. أمّا المدارس المختلطة، فإنّها تشكل ضغطاً على الذكور ليحولوا دون ظنّ الآخرين بأنّهم لوطيون أو جبناء. يدفعهم ذلك إلى عدم الاشتراك في نشاطات عدّة كالغناء مع الكورس أو جلسات المناقشة.

دايان رابيل هي أستاذة محاضرة لعلم النفس في جامعة نيويورك. قامت هذه الباحثة بدراسة حول الصفوف الأحادية الجنس، وتعتبر أنّ ما يؤدّي إلى النتائج الإيجابية في هذه الصفوف هو شعور الفتيان بحرية أكبر للتصرف على طبيعتهم. يتأتّى ذلك من عدم وجود أيّ ضغوطات في هذه الصفوف، إذ أنّهم لا يخشون فيها من الأفكار المقولبة السائدة في المدارس المختلطة. يظهر ما عبّرت عنه رابيل في الصفوف الأحادية الجنس التي أشرف عليها مركز غوريان، حيث أنّ الفتيان يميلون في هذه البيئة التعليمية إلى الفنون والموسيقى والتمثيل واللغات الأجنبية.

أهمية إيمان المعلمين والأهل وتمرّسهم بالصفوف الأحادية الجنس

هناك أهمية كبيرة في ما يحدث في هذه المدارس، وتكمن هذه الأهمية في فكرة تعليمية جديدة تتوافق وحاجات الطلاب. ما يضيف قيمةً إلى هذه الفكرة هي الفعالية التي تظهر بعد تطبيقها. هناك عدة مسائل على أية مدرسة الالتفات إليها إن كانت هناك رغبة بالاعتماد على الصفوف الأحادية الجنس. تتمحور هذه المسائل حول ثلاث نقاط: تدريب المدرّسين وإيمانهم بهذه الفكرة، رأي الأهالي بهذه الصفوف، والتفاعل بين الفتيات والفتيان.

تدريب المدرّسين وإيمانهم بالصفوف الأحادية الجنس:

من أهم العوامل المؤدية إلى فعالية هذه الصفوف هو تدريب المدرّسين على كيفية تعلّم الفتيات والفتيان. عندما تتلقّى المدارس وطاقمها التعليمي تدريباً حول اختلاف التعلّم بين الجنسين، تتحسّن جميع التفاصيل التربوية ويمتد هذا التأثير الإيجابي على الصفوف المختلطة أيضاً. في الواقع، فإنّ أفضل من بوسعه تعليم الأولاد في صفوفهم المنفصلة هو من تمّ تدريبه بالشكل الصحيح، ويكون هذا المدرّس أكثر من يستمتع بتعليمهم. إن لم يتمّ لفت نظر المعلّمين إلى الاختلاف التعلّمي بين الجنسين، أو إن لم يؤمنوا بذلك الفرق، فإنّ النظام التعليمي يفشل

عندها، خصوصاً في الصفوف الأحادية الجنس التي أُجبر هؤلاء المدرّسين على الاعتماد عليها من قبل المسؤولين في المقاطعة وفي المدرسة.

اتصلت إحدى المدارس، التي قام مركز غوريان بتدريبها، بكاثي، وأطلعتها على الصعوبات التي تواجهها إحدى المعلّمات في حصص اللغة الأحادية الجنس (والخاصة بالفتيان). عبّرت المديرة عن كره المعلّمة لفكرة حصر الطلاب في صفها بالذكور فقط وعن رفضها لمفهوم الاختلاف التعلّمي بين الجنسين. تواجه المدرسة الكثير من الصعوبات في هذا الصف، حيث إنّ أداء الطلاب فيه سيّئ. إنّ ما قالته المديرة كلمات مقفرة، ولذلك فإنّنا لم نحدد هويتها أو هوية المعلّمة لنحمي المدرسة. إلاّ أنّ كلماتها شديدة الأهمية إذ إنها تلفت نظرنا إلى واقع ملموس في عديد من المدارس ومتعلّق بكثير من المدرّسين.

إن لم يؤمن المدرّسون بالفكرة وإن لم يتمّ تدريبهم على تطبيقها، فإنّها ستبوء بالفشل وستؤدي إلى نتائج سلبية. تخيّلوا غرفةً فيها 28 فتىً ومعلّمة لا ترضيها طاقاتهم وغير مؤهّلة للتعامل مع قدراتهم الفكرية. إنّ هذه البيئة لا تفيد النظام التعليمي أو الطلاّب بل تضرّهم بشكل ذريع. لقد توصّلنا إلى أنّ أهم العناصر في الصفوف الأحادية الجنس هو تدريب المدرّسين على التعامل مع طاقة الطلاب ومع الفكرة وإقناعهم بفعاليتها. إنّ أيّ مجتمع تغلب عليه عدم الرغبة بتطبيق هذا النظام التعليمي، ويفتقد إلى دعم المجلس التعليمي والهيئة الإدارية، هو مجتمعٌ لن تنجح فيه هذه الفكرة ولا يجب محاولة تطبيقها من البداية.

تظهر الدراسات التي قام بها مركز غوريان نتائج إيجابية حيال الصفوف الأحادية الجنس على أن تقوم على تدريب المعلّمين وإيمانهم بها. من ضمن طاقمنا مايكل يونغير، وهو رئيس الأبحاث الخاصة بالصفوف الأحادية الجنس في انكلترا. ما لاحظه يونغير هو أنّ اقتناع المدرّسين والطلاب والأهالي بهذا

النظام التعليمي هو ما يؤدي إلى فعاليتها. عند افتقاد المدرسة إلى هذا الإيمان بتلك الصفوف، فإنّها تفشل بالتأكيد.

في أكاديمية جيفيرسون، تحسّنت علامات الفتيان والفتيات، وكانت نسبة التحسّن عالية لطلاب الصفين السابع والثامن الذين كانوا في المدرسة في السنة السابقة. قام طاقم المدرسة بنسب هذه النتائج الإيجابية إلى فكرة الصفوف الأحادية الجنس، إلى التشديد على تدريب المدرّسين وإلى مشاركة الأهالي. على أولياء الأمور التعاون مع المدرسة في أيّ خطوة جديدة تقوم بها.

رأي الطلاّب وأهاليهم:

ما رأي الأولاد وأولياء أمورهم بالصفوف الأحادية الجنس؟ طلبنا من المدارس التي قامت بتجربة تطبيق هذا النظام التعليمي بإطلاعنا على رأي الأهالي بالفكرة إضافةً إلى التحسّن في الأداء الأكاديمي.

لقد سبق وتحدثنا عن د. إيفيت كيل وعن نجاحاتها كنائب لمديرة مدرسة لويس فرايجير التكميلية. أطلعتنا كيل على أنّ الأهالي عبّروا للمدرّسين عن تأييدهم لفكرة الصفوف الأحادية الجنس وأنّهم يتطلّعون إلى ذهاب أولادهم إلى المدرسة بهدف الانتباه إلى دروسهم وليس إلى زملائهم.

أمّا بيغي دانييلز، مديرة القسم المتوسط من مدرسة كارولينا داي، فقد أطلعتنا على تجربتها في الصف السادس. بعد بدء السنة الدراسية بأربعة أسابيع، حصدت الصفوف الأحادية الجنس تأييداً من الجميع، طلاباً وأولياء أمور. حصلت المدرسة على ردّات فعل إيجابية من قبل هؤلاء، ولوحظ حماس المدرّسين والأهالي تجاه الفكرة، إضافةً إلى رضاهم بما حصدوه حتى ذلك الوقت.

عبّرت إحدى أمهات طلاّب الصف السادس في مدرسة كارولينا داي عن

أنّها متأكدة من استمتاع الطلاب بحصصهم الأحادية الجنس بالرغم من أنّهم لا يتحدثون عن ذلك بانفتاح. كما وأخبرت هذه الأم مديرة المدرسة أنّ الأهالي الآخرين يشاطرونها الإحساس نفسه، وأنّ تطبيق هذه الفكرة الجديدة أصبح أمراً لا يدعو إلى الجدل.

شارك أحد الآباء بدورة تدريب لمركز غوريان وتحديداً في مدرسة كارولينا داي. اعترف بأنّه كان قلقاً من فكرة فصل الطلاّب قبل حضوره الدورة، ظنّاً منه أنّ الصفوف الأحادية الجنس ستكون وسيلةً أخرى تؤدي إلى عدم تفاعل ابنه مع النظام التعليمي. إلاّ أنّه أصبح يدرك أنّ لهذه الفكرة فوائد كثيرة للفتيان والفتيات على حدٍّ سواء، وبات مقتنعاً بهذه الصفوف وبالاعتماد عليها.

انتقل ابن إحدى الأمهات من الصفوف المختلطة إلى الأحادية الجنس، وعبّرت عن اختفاء المشكلات التي كان يواجهها ابنها بسبب تواجد الفتيات في الصف. في الواقع، عبّر هذا الطالب لأمّه عن سعادته لعدم وجود زميلاته في الصف نفسه، إذ إنّه لم يعد يقلق منهنّ. بات يقوم بما يُطلب منه في الحصص ولم يعد يتسبّب بأيّة مشكلات سلوكية.

اقتنعت هذه الأم بالصفوف الأحادية الجنس بسرعة، خصوصاً وأنّ أداء ابنها الأكاديمي أصبح أفضل وأنّ سلوكه لم يعد مشكلةً في المدرسة. بات ابنها يستغلّ كل دقيقة في صفوفهم، وقد زال تأثير الفتيات من يومه المدرسي وأصبح كلّ اهتمامه يصبّ على الدروس وليس على الإناث.

أمّا رأي الفتيات، فقد كانت مشابهة لردّة الفعل الذكورية. في كارولاينا الشمالية، كتبت إحدى الطالبات في أحد مواضيعها الإنسانية عن الموضوع قائلةً: «كنت أعتقد أنّ الصفوف الأحادية الجنس فكرةٌ غير سديدة، لكنّ رأيي قد تبدّل وبتُّ مقتنعةً بأنّها مفيدة للغاية. إنّها تقوم بتسهيل عملية التعلّم، ولم أعد أشعر

بالخجل حيال المشاركة في الصف. في السابق، كنت اخشى أن يسخر أحدهم منّي إن أجبت على أيّ سؤال بطريقة خاطئة. الأمر الإضافي الذي يعجبني في هذه الصفوف هو أنّها تحتوي على عدد أقلّ من الطلاّب».

هناك بالطبع طلاب آخرون، ذكوراً كانوا أم إناثاً، يودّون التواجد مع الجنس الآخر في صفوفهم. كما وأنّ هناك بعض أولياء الأمور غير المقتنعين بفكرة الصفوف الأحادية الجنس. تحدّث أحد الأهالي إلى كاثي بعد دورة تدريب خاصة بأولياء الأمور، وعبّر لها عن عدم اقتناعه بهذا النظام التعليمي. كما وشدّد على أنّه لن يغيّر رأيه مهما حاولت، وأنّه لا يرغب بتواجد أبنائه في صفوف كهذه. من المهم الإصغاء إلى وجهة النظر هذه، وهناك الكثير من الحالات التي لا يمكن فيها إقناع الأهالي. من حسن الحظ أنّ في المدرسة التي كان أبناء هذا الوالد فيها صفوفاً مختلطة وأخرى أحادية الجنس. لذلك، فإنّ من لم يكن مع تطبيق هذه الفكرة وجد له بديلاً لها في الصفوف المختلطة.

هل سيتفاعل الفتيان مع الفتيات بشكلٍ كافٍ؟

بالرغم من تحسّن أدائهم ومن انخفاض عدد مشكلاتهم السلوكية، إلاّ أنّ بعض طلاّب الصفوف الأحادية الجنس يشعرون بأنّهم يفتقدون إلى عنصر التفاعل الموجود في الصفوف المختلطة. في مقال في جريدة بيرمينغهام بوست ـ هيرالد، عبّر أحد الفتيان عن عدم استعداده للانتقال إلى هذه الصفوف الأحادية الجنس.

هناك مسألة يتمّ التطرّق إليها في كل دورة تدريب وهي أنّ الفتيات والفتيان الذين تمّ فصلهم لا يحصلون على فرص التفاعل مع الجنس الآخر. وما يدفع بعض الأهالي إلى لفت النظر إلى هذه المسألة أهميّة هذا التفاعل لتحضير الطلاب لإنشاء علاقات ناجحة في المستقبل. على أيّة مدرسة تودّ تطبيق هذا النظام التعليمي التفكير بهذه المسألة والتعمّق فيها.

من حسن الحظ أنّ اعتماد الصفوف الأحادية الجنس يجعل من هذه المسألة أمراً لا يدعو إلى القلق. بعد تطبيق هذه الفكرة، يتضح لأولياء الأمور أنّ العالم الحالي يوفّر للفتيان والفتيات الكثير من الفرص للتفاعل مع الجنس الآخر. تعتمد بعض المدارس على فصل الطلاّب في بعض المواد الرئيسية، إلاّ أنّهم يجتمعون في بعض الحصص الاختيارية كالفنون والموسيقى واللغات الأجنبية، إضافةً إلى تواجدهم معاً في أوقات الغداء وفي النشاطات غير الأكاديمية. بعيداً عن المدرسة، يتمّ تفاعل الفتيان والفتيات في المنازل والكنائس، وفي المناسبات والمتاجر الكبرى. يستطيع الأهالي في هذه الأماكن أن يقيّموا تفاعل أولادهم مع الجنس الآخر.

رأي الشباب:

أطلعناكم في الفصول الماضية على صف باتريسيا سانت جيرمان الذي يسمح للفتيان بالغوص في اختلافات القدرة الفكرية عند الجنسين. كما ويقوم الفتيان في هذا الصف بالتعبير عمّا إذا كانوا ينتمون إلى الأساليب المتّبعة والمتوقّعة في مدارسهم الثانوية. كتب الكثير من الفتيان في نهاية الصف عن تجاربهم في الصفوف الأحادية الجنس، الأمر الذي عبّر عن الكثير من الأفكار المثيرة للاهتمام.

كتب أحد الفتيان البالغ من العمر السابعة عشرة: «أصبحت ألاحظ ردّات فعلي وبتُّ مدركاً كامل الإدراك بأنني لا أنتمي إلى أيّ الجنسين في قدرتي الفكرية وفي أسلوبي الحياتي. كثيراً ما دفعني بعض الأفلام إلى البكاء. كما وأنني بكيت أمام الآخرين عدّة مرات. لطالما شعرت أنني أنسجم مع الآخرين، لكنني لم أعبّر عن ذلك قط في السابق. لقد ساعدني كثيراً وجودي مع الشبان في الصف نفسه».

كتب شابٌ آخر وهو في الثامنة عشرة من عمره: «جاء هذا الصف في الوقت المناسب إذ أنني كنت قد وصلت إلى مرحلة ضاغطة في حياتي. كان تمتّعي بقدرة فكرية ذكورية يتعبني ويربكني، ممّا أدى إلى الكثير من المشكلات. بما أنّ هذا الصف أطلعني على حيثيات الدماغ الذكوري، فقد سمح لي ذلك بفهم ما يحصل وأرشدني إلى الطريقة الأفضل للتعامل مع قدرتي الفكرية».

تقوم الصفوف الأحادية الجنس برفع العلامات وبالتقليص من المشكلات السلوكية في أيّ مرحلة مدرسية. إلاّ أنّ ما كتبه هؤلاء الطلاب يظهر التاثير الإيجابي والباطني للصفوف المخصصة للفتيان في الصفوف المتوسطة والثانوية. في هذه البيئة الذكورية، يزداد عمق الحوار بينهم إذ إنّ العمل ضمن مجموعات من الفتيان يسمح لهم بطرح أسئلة عن ذكوريتهم وعن نموّهم. لا يملك الكثير من هؤلاء الطلاب الشجاعة للتعبير عن هذه التساؤلات في صف فيه ذكور وإناث معاً.

التربية الجنسية في الصفوف الأحادية الجنس

عندما نفكر بالصفوف الأحادية الجنس، نتذكر عادةً الصفوف الثانوية التي تعتمد على الأفكار الحديثة مثل صف باتريسيا سانت جيرمان أو أيّ صف آخر في المدارس الابتدائية والمتوسطة التي ترفع العلامات وتحسّن الأداء الأكاديمي. كثيراً ما ننسى محوراً شديد الأهمية في التعليم الأحادي الجنس وهو التربية الجنسية. يتعاون مركز غوريان مع المدارس المختلطة والأحادية الجنس، مع المؤسسات التعليمية الخاصة والرسمية، ويعبّر جميعها دون استثناء عن عدم تركيزها على التربية الجنسية (الأمر الذي يعبّر الكثير من المدرّسين والأهالي عن استيائهم من جرّائه). تبدأ بعض المدارس في الصف الخامس بتخصيص عددٍ من الحصص للتوعية الصحيّة التي تشمل موضوع نمو الجسم، إلاّ أنّ هذه المدارس تعترف أنّها لا تعير الاهتمام الكافي إلى المشكلات الاجتماعية المتأتية

من النشـاطات الجنسـيـة عنـد المراهقين وإلى ازديـاد عـدد الإصـابات بالأمـراض المنتـقلة جنسيـاً. في كـولورادو، تمّ إلغـاء حـصص التـوعـيـة الصـحـيّـة من منهـاج الصفـوف المتوسطة في مـدارس مقـاطعـة هاريسـون في كولورادو سـبـرينغـز. كان السبب الرئيسي لإلغائها حاجة المدارس إلى خفض الميزانية، وتمّ ذلك بالرغم من العدد المتزايد من حالات الحمل عند المراهقات في هذه المقاطعة.

من المفيد اعتماد الصفوف الأحادية الجنس في حصص اللغات والرياضيات والعلوم أو أي مادة أخرى. إلاّ أنّ مـا يبـدو منطقيـاً بدرجـة أكبـر هو التـأكيـد على التربية الجنسية في هذه الصفوف، إذ إن ذلك يشكّل فرصةً مهمة لدراسة فعالية التعليم الأحادي الجنس.

تدرك مـعظم المدارس أنّ الفتـيـان والفتـيـات يسـتـفـيـدون من وجـودهم في مجـمـوعـات مريحـة وأحادية الجنس، إذ إن ذلك يسمح لهم بطرح مـختلف الأسئلة وبالتسـاؤل عن مسـائل كـثيـرة كـالجنس والنظافـة الشـخـصيـة. إنّ هـذا النوع من النقـاش لا يتمّ في الصـفـوف المخـتلطة. من المهم أن يخـصص أسـبـوع واحـد من التـربيـة الجـنسـيـة في صـفـوف أحـاديـة الجنس يشـرف عليـهـا شـخص من الجنس نفسـه. تكون مـهـمـة هذا الشـخص الإشـراف على تفـاعل الفـتـيـان وحـركـتـهم الجسدية، إضافةً إلى نقرهم للأقلام على الطاولات وطريقة تحدثهم إلى بعضهم البعض وإلى المدرّس. كما ويقوم هذا المشرف بالانتباه إلى أيّة حركة بدنية أخرى أو إلى أيّة تعابيـر وكلمـات قد سـبق وأشـرنـا إليهـا في هذا الكتـاب. عند اعتـمـاد المدرسـة على هذه الصـفـوف الخـاصـة بالتربيـة الجنسـيـة، سـتـلاحظ تحـسّناً في سلوك الطلاب. كما وتقوم هذه الصفوف بتعزيز الحوار الجنسي بين الشبان.

في مدرسـة اليوم البـروتستانتي في ميمـفيس، تمّ ابتكار وتطبيق نظام يُدعى «تنشئـة الفتيان ليصبحـوا رجالاً» وذلك من قبل المديرة لي بورنز، ومارك كـارلتون وهو المسـؤول عن الصـفـوف العليـا في المدرسـة. سـمح هـذا البـرنامج بأن يتمّ

التواصل مع الشبّان وأن يُقيّم التفاعل بينهم من خلال عملهم ضمن مجموعات أحادية الجنس. تم ابتكار هذا النظام لطلاّب الصفّين الخامس والسادس، وكانت الغاية منه مساعدتهم على فهم الرجولية. سوزان دروك هي مديرة الصفوف التمهيدية في المدرسة، وقد حضرت دورة تدريب لمركز غوريان. أطلعتنا سوزان على أنّهم يلتقون بالأهالي ويتناولون الغداء معهم لمناقشة مواضيع مختلفة مثل العلاقات بين الزملاء، والمخدّرات والكحول، والفتيات والمواعدة، وعلاقة الأم بابنها، وعلاقة الاب بابنه. تتمّ هذه المناقشة في مجموعات أحادية الجنس. كما ويركز البرنامج على اجتماع الآباء وأبنائهم في رحلات أو في لقاءات لتناول العشاء.

من خلال هذا النظام، يحصل كلّ فتى على مثلٍ أعلى له أو على من يوجهه، وقد يكون هذا الشخص متمثلاً بالوالد أو بأيّ قريبٍ للفتى. كما ويكون المدرّسون الذكور والمدرّبون الرياضيون جزءاً فعّالاً من هذا النظام، الذي يسمح بتحليل الفتيان وتفاعلهم مع الآخرين. إنّ هذا التفاعل يسمح لهم بالتعبير عن تساؤلاتهم الجنسية. يتيح هذا النظام الفرصة لتقييم أهداف التربية الجنسية وتحديد أهميتها في تنشئة الفتيان، وذلك ليتمّ تحضير المدرسة لتطبيق فكرة الصفوف الأحادية الجنس في حصص أخرى.

تطبيق فكرة الصفوف الأحادية الجنس في المدارس:

لقد عرض هذا الفصل براهين تدعم تطبيق فكرة الصفوف الأحادية الجنس في المدارس، ويشكّل هذا الكتاب دليلاً لكلّ من يرغب بالاعتماد على هذا النظام التعليمي. يشمل كلّ فصل من الكتاب عناصر من الممكن تطبيقها في المدارس الأحادية الجنس. لقد أثبتت هذه العناصر فعاليتها في الصفوف المختلطة ولا تتطلّب بيئةً أحادية الجنس، إلاّ أنّ استخدامها مفيد للغاية عند وجود الفتيان حصرياً في الحصص. من هذه العناصر:

- المزيد من الحركة الجسدية.

- استخدام عدد أكبر من الكرات الطرية التي يمكن ضغطها عند الشعور بالتوتر.

- الاستعانة بالصور والبيانات والجداول.

- الوصول إلى نتائج أكاديمية أفضل بسبب اللجوء إلى التقنيات الفنية والموسيقية.

- مطالعة للكتب التي تحترم القدرة الفكرية عند الذكور.

- تطوّع عدد أكبر من الرجال وازدياد عدد الذكور في الجسم التعليمي.

يستطيع الأهالي المقتنعون بفكرة الصفوف الأحادية الجنس أن يشكّلوا مجموعاتٍ تتألف من أولياء الأمور. بوسعهم عندها الاجتماع مع مديري المدارس ليعرضوا عليهم النتائج الإيجابية التي تمّ التطرّق إليها في هذا الفصل. يستطيع هؤلاء الأهالي أن يطلبوا من بعض المدرّسين حضور هذه الاجتماعات على أن يرحّبوا بالنظام التعليمي الأحادي الجنس في مدارسهم.

نأمل أن يكون هذا الفصل قد توصّل إلى إنهاء الخوف من هذه الصفوف الأحادية الجنس، الأمر الذي يخالج عادة بعض الأهالي والمدرّسين. للاطلاع على المزيد من المعلومات حول فعالية هذا النظام، تستطيعون زيارة صفحة مركز غوريان الإلكترونية www.gurianinstitute.com تعرض هذه الصفحة الإلكترونية نماذج لمدارس قد طبّقت الاستراتيجيات التي يقترحها هذا الكتاب، وذلك في صفوفهم المختلطة والأحادية الجنس.

من المؤكد أنّ المدارس قادرةٌ على الوصول إلى نتائج إيجابية مع الفتيان دون اعتمادها على الصفوف الأحادية الجنس. يرتفع مستوى التعلّم عند الذكور

بمجرّد تدريب المدرّسين حول القدرة الفكرية والتعلّمية عند الفتيان والتأكيد على تطبيقهم لاستراتيجيات تتوافق والعقل الذكوري. إلاّ أنّ الدراسات تدعم استخدام الصفوف الأحادية الجنس في المدارس، خصوصاً وأنّها تسمح للفتيان بالتحاور دون أيّة حواجز.

في الجزء الأخير من الكتاب، يتمّ التطرّق إلى الفتيان ذوي الاحتياجات الخاصة، وذوي الأداء المتدني، ومن ينقصهم الحافز التعلّمي، إضافةً إلى الفتيان الحسّاسين. لن نقوم بتكرار دعمنا للصفوف الأحادية الجنس، إلاّ أننا قد خصصنا هذا الفصل، ما قبل الأخير، لذلك الموضوع لتتذكروه جيداً. من الممكن مساعدة هؤلاء الطلاب من خلال الصفوف الأحادية الجنس والتعلّم الجماعي والنوادي المدرسية. لا تنسوا هذه الفكرة التعليمية الجديدة، بالرغم من أنّ المحور قد تغيّر وأنّه سيتركّز الآن على الفتيان الذين يحتاجون إلى مساعدة إضافية.

الجزء الرابع

مساعدة الفتيان الذين يحتاجون إلى عون إضافي

الفصل التاسع

تطلّع جديد حيال الصعوبات التعلّمية، والاضطرابات السلوكية

من الممكن أن يعمل الدماغ بشكل خاطئ تماماً كغيره من الأعضاء.

دانييل آيمين، مؤلف كتاب «غيّر طريقة تفكيرك لتتغيّر حياتك»

يستهلك الفتيان 80 بالمئة من المخزون العالمي للريتالين. تدلّ هذه النسبة إلى زيادة 500 بالمئة في غضون عقدٍ واحد.

مايكل كونلين، مجلة «بيزنيس ويك»، 26 أيار/مايو 2003

في ربيع العام 2003، نشرت مجلة «بيزنيس ويك» مقالاً عمّا كان يواجهه أبناؤنا في نظامنا التربوي الحالي. قام مركز غوريان في العقد الماضي بتزويد معظم وسائل الإعلام الرئيسية بمعلومات عن سلامة الأطفال التعليمية. إلاّ أنّها كانت المرة الأولى التي تهتم فيها مجلةٌ خاصة بإدارة الأعمال بموضوع تربوي كهذا. أشار المقال إلى أزمة الفتيان التعليمية، ونشرت إحصائيات مفاجئة عن عدد الذكور الذين قد تمّ تشخيصهم باضطرابات فكرية في العقد الماضي. كانت في هذا المقال دعوةٌ للشركات للالتفات إلى هذه المسألة، خصوصاً أن نجاح المؤسسات يعتمد على سلامة الأفراد في المجتمع، ولعلّ أهمّهم هم الأطفال.

من حسن الحظّ أنّ الشركات والمؤسسات قد بدأت بالاهتمام بمشكلة الاضطرابات الفكرية عند الفتيان. في أيار/مايو 2004، قامت شركة ميدكو، وهي أكبر موزّعٍ للأدوية في الولايات المتحدة، بنشر دراسة عن الأدوية التي يستهلكها الأطفال. كانت هذه الدراسة جزءاً من التحليل السنوي الذي تقوم به الشركة عن استهلاك الأدوية. تجدون بعضاً ممّا توصلت إليه شركة ميدكو من نتائج في قسم «هل كنت تعلم؟» التالي.

إنّها إحصائيات واقعية، خصوصاً وأنّ هناك أرقاماً أخرى تؤيدها، وهي العائدة إلى ازدياد عدد الأطفال الذين يعانون من خلل في قدرتهم على التركيز. وفقاً إلى المركز الوطني للإحصائيات الصحية، فإنّ عدد هؤلاء الأولاد قد ارتفع بنسبة 10 بالمئة في الولايات المتحدة. كما وأنّ عدد الأطفال، بين الثالثة والسابعة عشرة، الذين تمّ تشخيصهم بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه قد ارتفع من 3.3 مليون في العام 1997 إلى 4.4 مليون في العام 2002. كما هناك ظاهرة جديدة وهي أنّ استهلاك الأطفال للأدوية المعالجة للاضطرابات السلوكية يؤثر على صحتهم الجسدية والنفسية بشكل سلبي ودائم.

هل تستطيع العلوم الحديثة تفسير ما يحدث؟ خلال العقد الماضي، أظهرت الدراسات أنّ الأطفال ذوي الاضطرابات الفكرية يعانون من شذوذ وضمور في الدماغ ونموّه. تستطيع الأدوية التقليص من حدّة هذا الخلل، إلاّ أنّها قد تؤدّي، بالرغم من معالجة هذا الضمور، إلى مشكلات واضطرابات أخرى.

هل كنت تعلم؟

- يفوق الاستهلاك السنوي للأدوية المعالجة للاضطرابات السلوكية (مثال الريتالين) استهلاك مختلف الأدوية الأخرى الخاصة بالأطفال، بما في ذلك الأدوية المضادة للالتهاب وتلك المعالجة للربو.

• في العام 2003، شكّل استهلاك الأدوية المعالجة للاضطرابات السلوكية عند الأطفال 17٪، بينما شكّل استهلاك الأدوية المضادة للالتهاب والخاصة بالربو 16٪ والأدوية المعالجة للأمراض الجلدية 11٪ والأدوية المعالجة للحركة المفرطة والنقص بالانتباه عند الأطفال ما دون الخمس سنوات، وكانت نسبة ارتفاعه 49٪ بين العامين 2001 و2004. أدّى ذلك إلى ازدياد المبالغ التي تُصرف لشراء هذه الأدوية بنسبة 369 بالمئة.

• ارتفعت نسبة استهلاك هذه الأدوية من قبل جميع الأطفال بحوالى 23٪ سنوياً (وكان استهلاكها من قبل من هم دون الخمس سنوات أكثر ما يثير القلق).

• في العام 2003، تناول حوالي 23 بالمئة من الأطفال الأميركيين (أي أكثر من ستة ملايين طفل) جرعات من الأدوية المعالجة للاضطرابات السلوكية (مثال الريتالين، الأديرال، الستراتيرا، كونسيرتا، والبروزاك). من بين هؤلاء، تناول 3/5 منهم أدوية معالجة للحركة المفرطة والنقص بالانتباه. أمّا من تبقّى منهم، فقد تناولوا الأدوية المعالجة للاكتئاب (تشمل النسبة هذه الفتيان الذين تناولوا النوعين من الأدوية).

من المهم تذكّر أنّ الأطفال ذوي الاضطرابات على صعيد التعلّم والصعوبات على صعيد التركيز يعانون من الخلل في أجزاء الدماغ الضرورية للتعلّم. في معظم الأحيان، يكون هذا الخلل عبارة عن تقلّص في حجم الأقسام الذهنية. عندما يتمّ تشخيص الطفل باضطراب كهذا، تكون مسؤولية الأطباء والعائلة وكلّ من حول الولد معالجة الصعوبة الفكرية بشتى السُبُل الآمنة والفعّالة. لكن ما هي مهمة الأهالي والمختصين في هذه الحالة؟ إلى أيّ مدى تكون المعالجة بواسطة الأدوية أمراً مقبولاً ومناسباً؟

يؤيد د. هاورد شوبينير، وهو طبيبٌ في مستشفى ساينت جون في ديترويت، استهلاك الأدوية في هذه الحالات. أكّد د. سوبينير على فعالية الأدوية في

معالجة النقص بالانتباه لدى الأطفال والراشدين، واعتبر أنّ عدم اللجوء إلى استخدامها خطأٌ فادح. كما وشدّد على أنّ الأدوية هي أكثر الوسائل فعالية لمعالجة الأطفال الذين يعانون من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه والاضطرابات السلوكية والفكرية الأخرى كالحصر النفسي والاكتئاب. شارك د. شوبينير في كتابة مقال تحت عنوان «الحركة المفرطة والنقص بالانتباه والمراهقون»، وكانت الغاية من هذا المقال التذكير بمنافع الأدوية. إنّ د. شوبينير مدركٌ للمخاوف التي تواجه الأهالي وغيرهم عند التفكير بالأدوية، خصوصاً تلك المتعلقة باحتمال حصول مشكلات أخرى عند استهلاكها. إلاّ أنّه نشر دراسةً له في مجلة المنظمة الأميركية الطبية وذلك في العام 2002. توصّل د. شوبينير من خلال هذه الدراسة إلى أنّ ما من داعٍ للتخوّف من أن يولّد استهلاك الأدوية خللاً في الدماغ. شارك 291 طفلاً ومراهقاً في هذا البحث الذي امتدّ على فترة عشر سنوات، وكانت النتيجة أنّ الأدوية لم تتسبّب بضمورٍ في الدماغ.

إلاّ أنّ هناك الكثير من الدراسات المتضاربة ونتائج د. شوبينير، إذ إنّها ترتاب في دور الأدوية في تنمية الدماغ. من المواضيع التي أثارها دانييل آيمين احتمال وقوع مشكلات جديدة من جرّاء معالجة الدماغ بواسطة الأدوية، ويعبّر آيمين عن تأكّده من أنّ الجدل حول موضوع الخلل الذهني مسألةٌ لم يتمّ حلّها حتى الآن. يحاول الباحثون في جامعة هارفرد، ومنهم العالم النفسي ويليام بولوك، معرفة إن كانت الأدوية تقلّص من إمكانية كون الأطفال عباقرةً في المستقبل. يثير موضوع الأدوية قلق الكثير من أولياء الأمور والمختصين ومنهم الطبيب بيتر بيرغين، الذي يرفض بشدة استهلاك الريتالين، وعالم النفس دايفيد ستاين، مؤلف كتاب «الريتالين ليس الحلّ المناسب». يؤكد هؤلاء أنّ مجتمعنا سيندم في المستقبل من اعتماده على الأدوية، ذلك إن كان استهلاكها يؤثر فعلاً على القدرة الفكرية لبعض الأطفال بشكل سلبي. يزداد الارتباك، حيال

موضوع الريتالين وحاجة بعض الأطفال إليه، بعدما قام الباحثون بدراسة في جامعة كاليفورنيا. كانت نتيجة هذه الأبحاث تؤكّد أن استهلاك الريتالين والأدوية المماثلة قد يؤثر على النمو الجسدي. حصلت هذه الدراسة على التمويل من المعهد الوطني لسلامة العقلية، ويرأس هذا المعهد د.ستيفين هينشو. يحذّر باحثون آخرون من الأذى المحتمل والدائم الذي تلحقه الأدوية بالأطفال دون الخمس سنوات، ويشدّد هؤلاء على أنّ التأثيرات السلبية تطال الجسم والأعصاب.

ماذا يستنتج الأهالي والمدرّسون من هذه النتائج؟ بشكل عام، فمن الواضح أنّ هناك مشكلة بما يختص بأطفالنا واستهلاكهم للأدوية بعد تشخيصهم باضطرابات ذهنية وسلوكية معينة. يستحوذ الفتيان على 70 بالمئة من الاضطرابات التعلّمية التي يتمّ تشخيصها و85 بالمئة من حالات الحركة المفرطة والنقص بالانتباه. كما أنّ الذكور هم أكثر من يلتحقون بصفوف الاحتياجات الخاصة. لذلك، فإنّ الأزمة تطال الفتيان وعائلاتهم ومدارسهم.

في هذا الفصل وجهة نظر جديدة حيال هذه المسألة. سنعرض عليكم في البداية الإجراءات التي يتمّ اتخاذها قبل التوصل لتشخيص الاضطرابات الفكرية والتعلّمية لدى الفتيان. كما سنتطرق إلى النتائج المتأتية من المبالغة في تشخيص هذه الاضطرابات. بعد ذلك، سنقدّم لكم براهين حالية عن خطورة فكرة خاطئة ومقولبة تؤثر على القدرة التشخيصية والعلاجية في مجتمعنا، خصوصاً أنّ الأبحاث لا تؤيدها على الإطلاق. كما أنّنا سنقترح أسلوباً جديداً للتوصل إلى تشخيص أكثر دقة وللحؤول دون التشخيصات الخاطئة والأفكار الدقيقة. أخيراً، ننصح الأهالي والمدرّسين بتطبيق استراتيجيات عديدة تمّ إثبات فعاليتها مع الفتيان ذوي الاضطرابات التعلّمية والسلوكية.

الحساسيّة الفطرية في عقل الذكور

تعلّم هيلين كروبر مادة الرياضيات في إحدى المدارس الثانوية، وتشير إلى أنّ الفتيان حسّاسون فطرياً في تعلّمهم. تلاحظ هيلين هذه الحساسيّة في عيونهم عند عدم فهمهم لمعلومةٍ ما أو عند ظنّهم بأنّهم قد فشلوا. عندما لا يظهر الفتيان هذه الحساسية، تشعر هيلين بالقلق. عندما يتوقف الذكور عن التعلّم، تستنتج هيلين أنّ هناك ما جعلهم يشعرون بالضعف. عندها، تدرك أنّ هؤلاء الفتيان لن يتقبّلوا أية محاولة تهدف إلى تعليمهم. هناك الكثير من هؤلاء الفتيان في صفوف الاحتياجات الخاصة وفي المجموعات التي تعاني من صعوبات تعلّمية. لا ترى هيلين في هؤلاء الذكور فتياناً أقوياء بل عقول حسّاسة.

توصّل الكثير منّا في العقد الماضي إلى معرفة أنّ الفتيان معرّضون للإصابات بالأمراض أكثر من تعرّض الفتيات لذلك. كما أنّنا قرأنا عن أنّ الرجال يتوفون قبل النساء بكثير، إذ إنّ الرجل الأبيض البشرة يموت قبل المرأة بسبع سنوات، والرجل الأسود البشرة قبلها باثنتي عشرة سنة. لذا، فإنّ المعلومات هذه تشير إلى أنّ جسم الرجل أضعف من جسم المرأة.

كما وسمعنا الكثير عن حساسيّة الفتيان والرجال على الصعيد العاطفي، خصوصاً عند اطلاعنا على حالات الانتحار والقتل والعنف. توصّلنا إلى فهم أنّ الفتيان يحاولون إظهار القوة باستمرار بينما هم حسّاسون في الحقيقة. في ميشيغين، كتب جمال وهو في السادسة عشرة من عمره موضوعاً عن الاختلاف بين الجنسين، وذلك في حصة الاجتماعيات. ممّا ورد في ما كتبه جمال أنّ الفتيان أقوياء ولكنّهم يتألمون ويتعرضون للأذى تماماً كغيرهم. كما عبّر جمال عن كثرة بكائه بالرغم من عدم ذرفه للدموع.

لقد بدأ مجتمعنا بفهم الذكور وأجسامهم وأحاسيسهم، ممّا يمكّننا من استيعاب عنصر مهم في تكوين الدماغ: إنّ الدماغ الذكوري حساسٌ بالفطرة.

على الصعيد العصبي، ليس الدماغ عند الذكور قوياً إلى الحدّ الذي تؤكّده الأفكار التقليدية في مجتمعنا والذي تحتّمه على كلّ رجل أو فتى.

الحساسيّة العصبية في الدماغ الذكوري:

كثيراً ما يتمّ تشبيه الفتيات بالدمى التي يسهل تعرّضها للكسر. من الممكن استخدام ذلك المجاز في وصف الذكور، إذ إن عقل الإناث أكثر صلابةً من عقل الذكور على صعيد قدرته التعلّمية.

تتسم الفتيات بنوع فريدٍ من الحساسيّة التي تؤدي إلى شعورهنّ بالألم في معظم الأحيان. إلاّ أنّ الأبحاث أظهرت بعض الصفات الخاصة بالدماغ الذكوري، ويمكنكم الاطلاع عليها في قسم «هل كنت تعلم؟» التالي.

توصّل بيلسكي ورابابورت وغيرهما من الباحثين إلى هذه النتائج، ممّا زرع الشكّ في نفوس بعض الأشخاص. لطالما اعتاد مجتمعنا على الفكرة المتمحورة حول قوة الرجال وحساسية النساء، ولذلك يصعب علينا تصديق ما آلت إليه الأبحاث. إلاّ أنّ صور الأشعة، ولحسن الحظ، تضع حدّاً لهذا الشكّ خاصةً في ما يتعلق بالحساسية التعلّمية. بوسع الصورة أن تظهر آلاف الحقائق التي تعجز الكلمات عن التعبير عنها.

عندما يتمّ تصوير أدمغة الفتيان والفتيات بواسطة الأشعة، يلاحظ الباحثون أنّ الإناث يبذلن جهداً ذهنياً أكبر عندما يتطلّب ما يقمن به درجة عالية من التركيز. كما وتظهر الصور تدفقاً لكمية أقل من الدم بين أقسام الدماغ الذكوري المسؤولة عن السيطرة على الدماغ. يتأخر نموّ الفصّ الجبهي عند الذكور، وهذا القسم من الدماغ هو المسؤول عن التعلّم وعن السيطرة على النزوات. كما وتشتدّ حساسيّة هذا الجزء عند الأطفال الذكور أكثر من الإناث.

القشرة الدماغية:

لقد تطرّقنا في هذا الكتاب إلى نموّ القشرة الدماغية، وها نحن نعود إلى هذا الموضوع. إنّ حساسيّة القسم «المفكّر» من الدماغ ساعدت نانسي بايلي على التوصل إلى نتائج دراساتها في أواخر التسعينات. قامت بايلي بهذه الأبحاث في جامعة بيركلي، وتمحور عملها على أثر العلاقات الوثيقة على نمو القدرة

هل كنت تعلم؟

- وفقاً لجوديث رابابورت، رئيسة قسم الطب النفسي في المركز الوطني للصحة العقلية، فإنّ صور الأشعة تظهر أنّ الدماغ الذكوري يتأثر أكثر من الدماغ الأنثوي ببعض الأمراض النفسية والاضطرابات التعلّمية.
- يشكّل الذكور أكبر نسبة ممّن يتم تشخيصهم باضطرابات فكرية في المدارس مع هيمنة الحركة المفرطة والنقص بالانتباه (سبعة فتيان مقابل كل فتاة).
- يشكّل الفتيان ثُلثي الأطفال الذين يعانون من مشكلات تعلّمية و90 بالمئة ممّن تمّ تشخيصهم باضطرابات سلوكية. مع تفاقم الاضطراب، يزداد عدد الفتيان.
- قام جاي بيلسكي، وهو عالم أحياء مختص بالأعصاب، بدراسة الحياة الإنسانية ككل واستنتج أنّ طبيعة الذكور تجعلهم أكثر حساسيةً من الإناث، على الصعيدين النفسي والجسدي.

التعلّمية عند الفتيان والفتيات. اكتشفت بايلي أنّ لا فرق جوهرياً في الوظائف الفكرية بين الفتيات اللواتي ارتبطن بوالداتهن بشكل وثيق والأخريات اللواتي لم يتعلّقن بأمهاتهن بشكل متين في صغرهن. أما الفتيان الذين لم تربطهم بوالداتهم علاقات وثيقة، فلقد كانت وظائفهم الفكرية، وخاصةً في المرحلة الثانوية، أقلّ

نجاحاً. تظهر دراسة بايلي أنّ القشرة الدماغية عند الإناث أقوى منها عند الذكور.

الدراسات الوراثية الحديثة:

توصّلت الدراسات الوراثية إلى أنّ حساسيّة الدماغ الذكوري لا تقتصر على الأقسام الفكرية بل تمتدّ إلى الخلايا. تمت في السنوات الخمس الأخيرة دراسات كثيرة للحمض النووي، وأظهرت هذه الأبحاث حساسيّة الخلايا التي تؤثر بدورها على القدرة التعلّمية عند الفتيان. قام الاختصاصي بعلم الوراثة براين سايكس بتأليف كتاب تحت عنوان «لعنة آدم». يعرض سايكس في هذا الكتاب نتائج أبحاثه التي تؤكد أن الكروموسوم الذكوري (Y) أكثر حساسيةً من الكروموسوم الأنثوي (X) يستغرب سايكس من أنّ مجتمعنا يعتبر الكروموسوم (Y) إشارةً إلى عنف الرجال وقوتهم، بينما هو ضعيفٌ في الحقيقة. من خلال أبحاثه، وجد سايكس أنّ الخلايا الذكورية معرّضة إلى التغيرات المؤذية من عشر إلى خمس عشرة مرّة أكثر من الخلايا الأنثوية. كما واكتشف سايكس أنّ الحمض النووي تتمّ حمايته في خلايا الإناث أكثر من نظيراتها الذكورية.

من المهم أن يطّلع جميع الأفراد في مجتمعاتنا على نتائج الأبحاث الوراثية هذه. علينا جميعاً، أهلاً وأساتذةً وأفراداً، أن نساعد المجتمعات على استيعاب ما تشير إليه هذه الدراسات، وخصوصاً بما يتعلّق بالمفهوم الخاطئ عن قوّة الذكور. تعتبر هذه المعلومات في بعض الأحيان أكثر أهميةً من الإجراءات التشخيصية والعلاجية للدماغ وللاضطرابات التعلّمية في المدارس.

يتعرض الذكور إلى النسبة الأكبر من المشكلات المدرسية، أكاديميةً كانت أم سلوكية. إلاّ أنّ النظام التربوي يقوم بتشخيص حالاتهم وبمعالجتها دون فهم الدماغ الذكوري وقدراته.

يعاني هؤلاء الفتيان من صعوبات تعلّمية أساسها حساسيّتهم، وليسوا غير قادرين على التعلّم كما يظن البعض. من الممكن مساعدة هؤلاء الذكور، وتتمحور الخطوة الأولى حول إقناع المجتمع التربوي بأنّ ما يجب الالتفات إليه هو حساسيّة الذكور الفطرية. عندما يتمّ ذلك، يصبح بإمكان النظام التعليمي فهم حاجات الفتيان وأخذ حساسيّتهم بعين الاعتبار دون التسرّع في تشخيص ما يعانون منه. لا يحتاج الفتيان إلى المزيد من الشفقة بل إلى التفهّم.

أهمية حساسيّة الفتيان، حتىّ في العالم الذي يحكمه الذكور:

تمحور الفصل حتى الآن حول حساسية الفتيان التعلّمية وضرورة أخذها بعين الاعتبار. أثرت هذا الموضوع مؤخراً في ورشة عمل أشرفت عليها، ممّا ولّد مناقشةً شديدة الأهمية.

كارلا بايتس هي معلمةٌ في المرحلة التكميلية. شاركت كارلا في ورشة العمل وعبّرت عن تأكّدها من أنّ الرجال ينجحون في جميع الأحوال في هذا المجتمع، بالرغم من حساسيتهم التعلّمية في صغرهم. كبرهانٍ على أنّ الرجال يسيطرون على أعلى المراكز في المجتمع، ذكرت كارلا أمثالاً عديدة كبيل غايتس وارين بافيت وجورج بوش، إضافةً إلى جميع الرؤساء. كما ذكرت أنّ في عالم الرياضة سيطرةً للذكور ومنهم تايغر وودز ودونوفان ماكناب وباري بوندز. وافق بعض المشاركين في ورشة العمل على ما قالته كارلا، وتساءلوا إن كان تركيب المجتمع لصالح الذكور؟ إن كان ذلك صحيحاً، فإنّ حساسيّة الفتيان لا تؤثّر على مستقبلهم المضمون. لذلك، ليس هناك ما يدعو إلى القلق، بالنسبة إلى هؤلاء المشاركين. كانت هناك ثلاثة ردود فعل على ما تمّ مناقشته:

1- يصل بعض الرجال إلى أعلى المراكز، إلاّ أنّ معظم الرجال يناضلون للوصول تماماً كغيرهم. لا يضمن كون المرء ذكراً نجاحه في المجتمع. كما ذكرنا في

الفصل الأول، تظهر الدراسات الحديثة أنّ الفتيان بحاجة ٍ إلى تجربة مدرسية عالية المستوى، ومن ثمّ إلى توجيه وإلى شهادة جامعية. دون هذه العناصر الثلاثة، لا يمكن لأيّ فتى النجاح في حياته.

2- بسبب الامتحانات الرسمية وتلك الخاصة بدخول الجامعة، فإنّ الفتيان يرسبون منذ صغرهم. إنّ ذلك الفشل يبقى مسيطراً على حياة الفتى حتى على المستوى المهني في المستقبل. لفابيان نابولسكي تجربة تعليمية تقارب الثلاثين سنة، وبالنسبة إليها، تغيّرت المفاهيم السائدة في مجتمعنا. كنا في السابق متأكدين من أنّ الفتيان سينجحون في جميع الأحوال وأنّهم يجدون السبل للوصول إلى النجاح. إلاّ أنّ طريقة التفكير هذه قد تغيرت، خصوصاً بعدما باتت وسائل التقييم المستخدمة هي الامتحانات التي إمّا أن تتكلّل بالنجاح أو أن تبوء بالفشل (وينطبق ذلك على الفتيان والفتيات على حدٍّ سواء). تبدأ أزمة الطلاّب منذ الصغر ومنذ أوّل تجربة فاشلة. يتمّ تشخيص الفتيان باضطرابات تعلّمية وسلوكية، ممّا يؤثّر على ثقتهم بأنفسهم وممّا يقلّص إمكانية نجاحهم في المستقبل.

3- لا تقتصر الحساسيّة على الفتيان بل تمتدّ إلى الرجال. إنّ الذكور بشكل عام حسّاسون فطرياً. كما وأنّهم معرّضون للكثير من الاضطرابات في المجتمع. بالرغم من تجنبنا التطرّق إلى هذا الموضوع في مناقشاتنا، إلاّ أنّ حساسيّة الذكور أمرٌ قد تمّ تأكيده. أشارت جوديث نانس، وهي معلمة في المرحلة الثانوية، إلى أنّها، ومنذ خمس سنوات، طالعت كتاباً لوارين فاريل تحت عنوان «مفهوم قوة الذكور وعدم دقّته». تأثّرت جوديث بهذا الكتاب الذي غيّر وجهة نظرها التي كانت تقوم في السابق على فكرة نجاح الرجال الفطري. أدركت أنّ ذلك أمرٌ غير دقيق وأنّ نسبة الانتحار ترتفع عند الرجال أكثر من النساء. كما وأنّ الإحصاءات الخاصة بالبطالة تظهر نسبة ذكورٍ مثيرة للقلق. إنّ

معظم المرضى في المستشفيات الخاصة بالأمراض النفسية والعقلية هم من الرجال، ويسيطر الذكور أيضاً على نسبة المشرّدين. يعتقد الجميع أنّ الرجال أقوياءٌ وناجحون، إلاّ أنّهم قد تجاهلوا مسألة حساسيّة الذكور.

يصرّ بعض الأشخاص، لأهداف مختلفة، على أنّ الرجال ينجحون على أيّة حال، ممّا لا يعطي أهمية كبرى للنجاح الأكاديمي. إن افترضنا أنّ جميع الفتيان يصبحون أشخاصاً ناجحين في المستقبل، فإنّ ذلك يؤدي إلى استمرارنا بالمحاولات لإيصال النساء إلى مراكز عالية في المجتمع. سيستمر نضالنا لتصبح النساء نواباً في المجلس التشريعي أو ليرأسن الشركات أو ليحصلن على مدخولٍ متساوٍ ومدخول الرجال. إلاّ أنّ جميع أولياء الأمور والمدرّسين يدركون كامل الإدراك أنّ ذلك المفهوم خاطئ وغير دقيق.

في نهاية ورشة العمل، تطرقنا مجدداً إلى موضوع الحساسيّة. إنّ الذكور أكثر حساسيّةً ممّا نظن، وهذا أمر اتفق الجميع عليه. ليس الفتيان دائماً على خطأ، وإنّهم لا يتسببون دوماً بالمشكلات السلوكية. ليسوا أشخاصاً أقوياء قادرين على الوصول إلى النجاح دون مجهود ولمجرد أنّهم ذكور. إنّ الفتيان وعقولهم شديدو الحساسية، إن لم ندرك ذلك، فإنّ ذلك يعني الاستمرار باعتبار الرجال أقوياء، في الحياة وحتى في الروايات الهزلية. سنستمر عندها باعتقادنا أنّهم سيصلون مهما حصل إلى مناصب رئاسية وأنّهم سيكونون دوماً أبطال القصص. كما أنّ ذلك يعني أنّنا سنعتبر دوماً أنّ هناك خللاً ما في الذكور. سيحول ذلك دون فهمنا لطبيعة الذكور ولفهم أنّهم أشخاص يناضلون في الحياة تماماً كأيّ شخص آخر. أخيراً، سيمنعنا ذلك من إدراك أنّ الذكور بحاجة إلى عون دقيق وملائم منذ المراحل المبكرة من حياتهم.

تغيير مسار الأمور

تيري شولتز ناشط اجتماعي أمضى ثلاثين سنة كمستشار مدرسي. عبّر تيري لي عن اقتناعه بضرورة تغيير مسار الأمور، إذ إن عدم القيام بذلك سيؤدي إلى زيادة عدد الذكور الذين يتمّ تشخيصهم باضطرابات سلوكية وتعلّمية. سرعان ما سيصبح ثلث طلابنا الذكور معرّضين لهذا النوع من التشخيص الذي يحدث نتيجةً لخطأ في الحكم على حساسيّة الفتيان واعتبارها اضطراباً. كما وسنستمر بفهم ظواهر هذه الحساسيّة الذكورية إن لم نغيّر المسار الحالي للأمور. إن لم نتوصّل إلى هذا التعديل، سيزداد عدد الفتيان الذين يواجهون الفشل في المدرسة وفي الحياة.

إنّ توقّعات تيري منطقية للغاية، ومن الممكن أن يعرّض ثلث فتياننا للتشخيص الذي يعتبرهم مصابين باضطرابات فكرية وتعلّمية وسلوكية. في الوقت الحالي، يتعلّم 17 بالمئة من طلابنا في صفوفٍ للاحتياجات الخاصة، كما وتمّ تشخيص الحركة المفرطة والنقص بالانتباه لـ10 بالمئة من الأطفال. لم يلتحق معظم هؤلاء في صفوفٍ خاصة، إلاّ أنّ ما يقارب الربع من طلابنا قد شُخصوا باضطرابات فكرية أو تعلّمية. المثير للقلق في هذه المسألة هو أن الفتيان يشكّلون 70 بالمئة من هؤلاء الطلاّب. يتمكّن الكثير من الفتيان من النجاح في حياتهم لأنّ تشخيصهم كان دقيقاً وأدّى إلى حصولهم على العلاج المناسب. إلاّ أنّ نوعية حياة الكثير من الفتيان قد تتدهور بسبب التشخيص غير الدقيق. تأمل تيري أن يصبح النظام التعليمي في المستقبل أكثر دقةً في تشخيصه للحالات الاضطرابية.

حضر تيري شولتز الدورة الصيفية التي أشرف عليها مركز غوريان في جامعة كولورادو. حضر هذه الدورة عدد كبير من المدرّسين والمربّين الذين كرّسوا طاقاتهم لدراسة حاجات الفتيان في المدارس. قال لنا تيري إنّ أوّل وأهم ما

يجب القيام به هو اعتماد السياسات التربوية والأساليب التعليمية على فهم الاختلاف بين الجنسين. لا يستطيع الفتيان والفتيات القيام بالمهمات نفسها في الطريقة نفسها وفي الوقت نفسه. كما وأكّد تيري أنّ نصف التشخيصات التي تمّت في المدارس في العقد الماضي غير دقيقة، خصوصاً وأنّ الفرق بين الجنسين لا يؤخذ عادةً بعين الاعتبار. لو تمّ ذلك، لما توصّلت المدارس إلى هذه التشخيصات.

تطلّع جديد:

ينتمي تيري إلى مجموعة من المدرّسين والمربين الذين يعملون على زيادة الوعي، وإنّ عددهم بتزايد مستمر. يتعاون تيري مع مركز غوريان وغيره من المراكز التي تبذل جهدها للوصول إلى تطلّع جديد خاص بتعليم الذكور.

كما وتناقشت مع تيري، فهناك ظاهرةٌ منتشرة في جميع الحضارات وهي حماية الإناث من العنف، الأمر الذي تسعى إليه المجتمعات باستمرار. قام وارين فاريل بتحليل المسائل المتعلقة بالجنسين في مختلف المجتمعات، وذلك في كتابه «الأسباب المؤدية إلى طبيعة الذكور». وفقاً لتحليله، لطالما كان جسم الرجل أكثر ما يتمّ اعتباره قادراً على تحمّل الظروف القاسية كالحروب والوظائف الخطرة. مقابل ذلك، لطالما اعتبر جسد المرأة مهماً ولطالما تمت حمايته.

تظهر هذه الحماية بشكل واضح في المدارس وتحديداً في حصص الرياضة، لا تشارك الفتيات في مباريات كرة القدم أو في سباقات يتنافسن فيها مع الفتيان. إنّ الاختلاف في العضلات بين الفتيان والفتيات أمرٌ واضح بالنسبة إلينا، ممّا يدفعنا إلى حماية الفتيات من الفتيان. كما وتختلف معايير النجاح في الرياضة بين الجنسين. إننا لا نتوقع من الفتيات أن يحملن الوزن نفسه الذي يستطيع الفتيان حمله، إذ إن أية أنثى غير قادرة على منافسة الذكور لكن ذلك

غير صحيح، فبوسعها في بعض الحالات أن تنافسه بشكل رائع. كثيراً ما نخشى من تعرّض الإناث للأذى الجسدي إن تنافست والذكور، وكثيراً ما يزداد حظ الذكور في الفوز بسبب طبيعة أجسادهم القوية والمليئة بالعضلات. لذلك، فإنّنا نحمي جسد الأنثى (وثقتها بنفسها) من خلال تأكيدنا على أن تأخذ المعايير الاختلاف بين الجنسين بعين الاعتبار. يؤدّي ذلك إلى لجوئنا إلى المباريات الرياضية التي تشارك فيها الفتيات في مجموعات لا ينتمي الفتيان إليها. من خلال ذلك، نقوم بحماية أجسام الفتيات ونتفادى إصابتهن بأي أذىً نفسي وجسدي.

هناك اختلاف جسدي بين الفتيان والفتيات تماماً كما هناك فروقات في القدرة الفكرية بين الجنسين. لذلك، علينا طرح السؤال التالي: لماذا يحترم النظام التربوي حساسيّة الفتيات الجسدية ولا يحترم حساسيّة الفتيان الفكرية؟ لماذا نعاقب الفتيان غير القادرين على منافسة الفتيات، بالرغم من معرفتنا أنّ عقول الإناث تنمو بشكل أسرع من عقول الذكور على بعض الصعد التعلّمية.

لو لم تكن صور الأشعة متوفرة في أيامنا هذه لتظهر الاختلاف في الدماغ بين الجنسين، لما استطعنا طرح هذا السؤال. لكان بوسعنا عندها الاستمرار بالاعتراف بالفروقات الجسدية بين الفتيان والفتيات دون إدراكنا بالتباين الفكري بين الجنسين. إلاّ أنّ ذلك المفهوم بات غير دقيق نتيجةً لما تظهره التقنيات العلمية الحديثة. إننا نرى الاختلاف الجسدي بين الجنسين بشكل واضح، وأصبح بوسعنا الالتفات إلى الفروقات في الدماغ بشكلٍ لا يقلّ وضوحاً بواسطة صور الأشعة. يمكننا الآن إقناع الآخرين بأنّ حساسيّة الذكور التعلّمية موجودةٌ تماماً كحساسيّة الإناث الجسدية.

هناك وهن في الدماغ الذكوري، وعلينا أخذ ذلك بعين الاعتبار عند تعاملنا مع الفتيان. كما ذكرنا في الكتاب حتى الآن، فإنّ الأنظمة التربوية القديمة لا

تحمي هذه الحساسية الفكرية، خصوصاً وأنّها تعتمد على عناصر غير عادلة. تقوم هذه الأنظمة على بيئة تعليمية مصطنعة ولا تعلّم الفتيان في أحضان الطبيعة. كما وأنّها لا تسمح بالحركة الجسدية التي لطالما كانت من أهمّ العوامل التي تساعد الفتيان على التعلّم. إضافةً إلى ذلك، تتمحور هذه الأنظمة على القراءة والكتابة والوظائف اللغوية، وهي أمور يصعب على الفتيان القيام بها، نظراً إلى أنّ الأقسام الذهنية اللغوية لديهم أقل نمواً من تلك الموجودة عند الفتيات. لا يتوفر للفتيان ذوي العقول الحسّاسة ما يحتاجون إليه من العناية الفكرية ومن الحنان في منازلهم ومدارسهم. أمّا المسألة الأكثر خطورة، فهي اقتناع النظام التربوي والأبوي أنّ هناك إمكانية لتغيير مزايا كلّ جنس ومنها القدرة الفكرية والتعلّمية. عندما يشعر الفتى بعدم الانتماء إلى بيئة وإن لم يستطع أن يتغيّر ليتماشى وهذه البيئة، فإنّ ذلك يؤدي عادةً إلى تشخيص حالته على أنّها نتيجةٌ لاضطرابات فكرية وتعلّمية.

هناك طريقة أفضل للتعامل مع فتياننا ولمعاملتنا لهم. إنّ أوّل خطوة علينا اتخاذها هي تعديل المعايير التشخيصية والعلاجية الخاصة بالاضطرابات الفكرية والتعلّمية. لقد توصّلت العلوم الحديثة إلى تقنيات وعلاجات بوسعها التوصل إلى تشخيص دقيق، ممّا يحمي فتياننا ويؤدي إلى تعلّمهم بشكل أفضل.

التشخيص الدقيق

في صغر ابن كاثي، قامت مشكلاته المدرسية بدفع معلمته إلى أن تطلب إخضاع كارل مايكل إلى فحص لمعرفة إن كانت لديه احتياجات تعلّمية خاصة. كانت المعلمة تشك بإصابته بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه، إضافةً إلى صعوبات تعلّمية أخرى. اصطحبت كاثي ابنها إلى عيادة عالم نفسي قام بالتحدث إلى الفتى لمدة ساعة. بعد ذلك، ألقى نظرةً على المواضيع التي قام كارل مايكل بكتابتها واستمع إلى كاثي وهي تخبره عن تجربة ابنها الأكاديمية.

في نهاية الجلسة، قام العالم النفسي بتشخيص حالة كارل مايكل على أنّها مزيج من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه واضطراب تعلّمي آخر. وصف له العالم النفسي جرعات من الريتالين، والتحق كارل مايكل بعد ذلك بصفوفٍ للاحتياجات الخاصة.

تتذكر كاثي الإجراءات التشخيصية التي تمّت في صغر ابنها، ممّا يشعرها بالحزن والألم. «لقد مضت سبع عشرة سنة، وأعلم أنّ الأوضاع تتحسّن بالنسبة إلى أهالي الفتيان ذوي الحالات المشابهة لحالة ابني. إلاّ أنني ما زلت أقف مذهولةً أمام الإجراءات التشخيصية الخاطئة. لربّما كان كارل مايكل يعاني من اضطرابات فكرية، لكن ما الذي يؤكد لنا ذلك نظراً لأنّ تشخيص حالته تمّ دون أي مجهود يذكر؟». تطالب كاثي باستخدام وسائل دقيقة لتشخيص الاضطرابات التعلّمية والفكرية، وسنذكر وجهة نظرها لاحقاً في هذا الفصل. إلاّ أنّها تعتقد أنّ من حسن حظنا توصّلنا إلى إجراءات تشخيصية أكثر دقّة، وتؤكد أنّ الوسائل المستخدمة لمساعدة الطلاّب ذوي الاحتياجات الخاصة والاضطرابات في التركيز لم تكن فعّالة في السابق كما هي اليوم.

تشير كاثي في كلامها هذا إلى التشخيص المعتمد على صور الأشعة التي تظهر ما يجري في الدماغ وما فيه من خلل قد يؤدي إلى الاضطرابات، إضافةً إلى التقنيات العلمية الحديثة الأخرى.

الإمكانيات الجديدة:

إن تمّ تشخيص حالة ابنكم مؤخراً، وإن حُدّدت إصابته بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه أو بأية صعوبة تعلّمية أو باضطرابات سلوكية، فإنّ صور الأشعة الحديثة قد تؤكد لكم ذلك الأمر عبر إظهار أقسام الدماغ وفعالية وظائفها. ما زال من المهم أن يجري عالم نفسي مقابلةً مع ابنكم يتم فيها فحصه شفهياً أو

خطيّاً، وأن يُراقب الفتى من قبلكم ومن قبل مدرّسيه. إلاّ أنّ رؤية صورة دماغ الطفل قد تساعد عملية التشخيص إلى حد كبير وقد تؤدي إلى درجة أعلى من الدقّة. بإمكانكم والعالم النفسي الاستعانة بهذه التقنية الحديثة. يستخدم خبراء تشخيص الأمراض صور الأشعة الخاصة بالدماغ بحذر شديد مع الأطفال الصغار، فمن المهم الالتفات إلى جميع الإمكانيات المتوفرة.

من أهمّ مظاهر الحركة المفرطة والنقص بالانتباه التي يتمّ ذكرها في كتب الطب النفسي هي عدم القدرة على التركيز لفترة طويلة، التصرف باندفاع والصعوبة في التركيز والجلوس بهدوء. لا بدّ وأنّكم توصلتم، من خلال قراءة ما ذكر في الفصول السابقة من الكتاب، إلى أنّ هذه العوارض طبيعيةٌ للغاية لدى ملايين الذكور. إن قام أيّ مدرّس أو ولي أمر أو مستشار أو طبيب بالبحث عن هذه العوارض، ظناً منه أنّها إشارة إلى وجود اضطراب لدى الطفل، فإنّ ذلك يعني ارتكابه أخطاءً فادحة تؤذي هذا الطفل وتؤثّر على حياته إلى حدّ بعيد.

ليست غاية صور الأشعة الخاصة بالدماغ البحث عن هذه العوارض. إنّها بمثابة صورة فوتوغرافية للدماغ، وتظهر هذه الصورة العديد من الأمور.

1- قد تلاحظون وطبيبكم ضرراً في الفَصّ الصدغي، لربّما أصيب الفتى في هذا القسم الدماغي دون إدراكه ذلك، ممّا أدّى إلى ضغط الحدود الداخلية للجمجمة على الفَصّ الصدغي. إن أظهرت صورة الأشعة هذا الأمر، ستتأكدون إن كان الاضطراب الفكري الذي يعاني منه ابنكم تعلّمياً أو متعلّقاً بعدم القدرة على التركيز.

2- قد ترون وطبيبكم أنّ الفَصّ الجبهي لا يعمل بشكل جيد أو أنّ فيه خللاً ما. عندما تظهر صورة الأشعة عدم تدفّق الدم إلى أجزاء معينة من الفَصّ الجبهي، فإنّ ذلك يدلّ على إصابة الفتى بالنقص بالانتباه.

3- قد تلاحظون وطبيبكم أنّ الأجزاء الأمامية من الدماغ لا تعمل بشكل جيد، ممّا يدلّ على عدم قدرة الفتى على الجلوس بهدوء والتركيز على المهمات المطلوبة منه. يظهر هذا الأمر عند من يعاني من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه.

إنّ التشخيص الذي يتمّ في أيامنا هذه دقيقٌ للغاية، مهما كان نوع الاضطراب. يستطيع العديد من علماء النفس والمدرّسين تطبيق خطوات تشخيصية أو الاعتماد على تكهناتهم لتشخيص الاضطرابات لدى الفتيان. قد يتمّ ذلك في غضون عدة ساعات، ولا تنفي صور الأشعة فعالية عمل علماء النفس والأطباء النفسيين والأهالي والمدرّسين. إلاّ أنّ اللجوء إلى هذه التقنية التشخيصية الحديثة وسيلةٌ هامة ننصح بها بشدّة.

الخطوات التي يجب اتباعها:

هناك سلسلة من الخطوات التي عليكم اتباعها عند تلقيكم اتصالاً من معلمة ابنكم، تطلعكم فيه على احتمال إصابته بالنقص بالانتباه أو بأيّ اضطراب تعلّمي آخر.

نقترح عليكم في بادئ الأمر أن تتولّوا كعائلة مسألة تشخيص الحالة. على الأهل والفريق التربوي مراقبة الفتى ونقاط ضعفه التعلّمية، محاولين معرفة الأسباب التي قد يكون أحدها النقص في الرعاية المدرسية أو حتى المنزلية. عليهم مراقبة عادات الفتى والأساليب التي يتبعها عندما يدرس، بما في ذلك الوقت الذي يمضيه في الدراسة. كما عليهم دراسة الخصائص الوراثية التابعة لعائلة الفتى، إذ أنّها قد تكون المؤدية إلى حالته. قد يستغرق هذا الإجراء التشخيصي ما يقارب الثلاثة أشهر، وكثيراً ما يتمحور حول محاولة الإجابة على بعض الأسئلة، مثل:

ما هي الخطوات التعلّمية الخاطئة والصحيحة المتبّعة في المنزل؟

ما هي الأساليب المدرسية الخاطئة والصحيحة؟

ما هي النشاطات التي يقوم بها ابني والتي تعيق تعلّمه؟

من هم أفراد العائلة الآخرون ذوو الصعوبات التعلّمية؟

كيف قام هؤلاء بحلّ مشكلاتهم؟

إن استثمار بعض الوقت لاتخاذ هذه الإجراءات التشخيصية، قبل اللجوء إلى التحاليل الطبية، أمرٌ شديد الأهمية. من خلال هذه الإجراءات، يصبح بوسع الأهل والمدرّسين تحديد حيثيات حالة الفتى، إذ أنّهم سيدركون إن كان التصرّف السيئ أو العوارض المختلفة مجرّد مرحلة طبيعية يمرّ بها أي فتى. كما أنّهم سيلاحظون إن كانت هذه العوارض ستزول مع الوقت أو إن كان ذلك يتطلّب بعض التعديلات في المدرسة والمنزل (كتلك التي نقترحها في هذا الكتاب). إنّ الإجراءات التشخيصية هذه تسمح للطاقم المدرسي بالالتفات إلى عدد الفتيان في الصف الواحد، الذين تظهر لديهم العوارض. عندها، على المدرسة أن تغيّر المعلمة المسؤولة عن هذا الصف أو أن تعتمد على الصفوف الأحادية الجنس التي تطرّقنا إليها في الفصل السابق.

أمّا إن كانت العوارض لا تنطبق على الفتيان كافة وتشير إلى احتمال وجود مشكلةٍ ما، وإن لم تتقلّص في غضون أشهر قليلة، فإنّ ذلك يشير إلى حاجة اصطحاب الفتى إلى خبير بتشخيص الأمراض لتحديد الاضطراب الفكري الذي يعاني منه. قد يكون هذا الخبير متخصصاً بالاحتياجات التعلّمية الخاصة وقد يكون فرداً من الطاقم النفسي في المدرسة. كما أنّه قد يكون أيّ معالج نفسي أو طبيب نفسي. يتمتع هذا الخبير عادةً بالقدرة على تقييم الحالات المشابهة لحالة الفتى.

يستخدم أطباء النفس المتخصصون بالأعصاب أداتين تشخيصيتين تؤدي إلى نتائج دقيقة:

- فحص هولستيد ـ رايتين.

- فحص لوريا ـ نيبراسكا.

إن أمضى هذا المتخصص مجرّد ساعة مع ابنكم، وإن قام بعدها بتشخيص حالته، فعليكم عندها أن تطلبوا منه تمضية المزيد من الوقت مع ابنكم أو القيام بإجراءات تشخيصية إضافية أو إرساله إلى متخصص آخر للحصول على رأيٍ ثانٍ متعلّق بحالة ابنكم. إن شعرتم أنّ الخبير التشخيصي قد أمضى ما يكفي من الوقت مع ابنكم، فقد يكون عليكم عندها متابعة الإجراءات.

في هذه المرحلة، قد تكون صور الأشعة الخاصة بالدماغ مفيدة للغاية. إن استعان الخبير التشخيصي بأساليب قائمة على المراقبة وإن قام بعد ذلك بتحديد الاضطراب، فبوسعكم أن تطلبوا صورة أشعة لتأكيد التشخيص أو أن تبحثوا بأنفسكم عن مركز خاص بصور الأشعة. لقد سبق وذكرنا أنّ عيادات آيمين تقوم بهذه المهمة، وإنّها تستقبل الفتيان من مختلف الأرجاء الأميركية. في الصفحة الإلكترونية الخاصة بهذه العيادات لائحة بالأطباء المتعاونين معها، وبوسعكم الاتصال بالعيادات وبأطبائها. كما وتستطيعون الاتصال بعلماء نفس وأطباء نفسيين ومتخصصين آخرين متواجدين في محيطكم للحصول على الأسماء الخبيرة بصور الأشعة. من المهم تذكّر أنّ العديد من الأطباء قد لا يقترحون عليكم الاستعانة بصور الأشعة. كما أنهم قد لا يكونون متخصصين بهذه الإجراءات. لا يتفق جميع الأطباء على ضرورة اللجوء إلى صور الأشعة.

إن أشارت الصور إلى إصابة الفتى بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه أو باضطراب تعلّمي أو فكري، فمن الممكن عندها معالجة الفتى من خلال خطوات

يتمّ اتباعها في المنزل والمدرسة. من المهم عندها اختيار مدرسة تُعنى بالحالة وتتمتع بالأساليب التعليمية وبالطاقم المناسب لها.

من الممكن أن يقوم الخبير بتشخيص حالة الفتى على أنّه اضطراب فكري، بينما تظهر الأشعة عدم إصابته بها. في هذه الحالات، قد يحتاج الأهل (بمساعدة المدرسة) إلى معالجة المسألة، إذ أنّها تكون متعلّقةً بمشكلات عائلية وبعدم التوافق بين النظام المدرسي والقدرة الفكرية عند الفتى. تشير العوارض الاضطرابية عندها إلى أنّ الفتى لا يتلقّى العناية الكافية في المدرسة وفي المنزل. لذلك، فإنّ العلاج يكون منوطاً بالأهالي والمدرّسين، وقد يكون متمثلاً بجلسات علاجية تحضرها العائلة أو بتعديلات تقوم بها المدرسة لتمنح الفتيان تجربةً تعليمية مناسبة. قد لا يكون الفتى، في هذه الحالة، بحاجة إلى أيّ نوع من العلاجات الطبية.

من المحتمل ألاّ تكون صور الأشعة دقيقة وأن تخفق في إظهار إصابة الفتى باضطراب دماغي ما. قد يحدث هذا، خصوصاً وأنّ ما من أسلوب دقيق مئة بالمئة. لذلك، نقترح أن يتمّ التشخيص من خلال الاعتماد على الأساليب كافة.

حماية الفتيان أثناء الفترة العلاجية:

ذكرنا في هذا الفصل أنّ لدى الفتيان المصابين باضطرابات فكرية خللاً في الخلايا الدماغية، وتحديداً في الأقسام التعلّمية الرئيسية التالية:

- الألياف العصبية (التي تساعد على التفاعل بين الأقسام الدماغية، ممّا يعزّز الوظائف الحسية والعاطفية والفكرية).
- اللحاء الأماميجبهي (المسؤول عن تنظيم الاندفاع).
- القسم الخلفي الأيسر (المسؤول عن الإحساس بالنجاح).
- جدار الرأس الخلفي (المسؤول عن الحركة).

- المخيخ (الذي يساعد على إنجاز مختلف المهام).
- الفص الجبهي الأيمن (المساعد على التركيز).
- مادة الدماغ السنجابية (التي تعزّز التركيز بشكلٍ إضافي).

إن كان ابنكم يعاني من اضطراب دماغي في أحد هذه الأقسام، فإنّ صورة الأشعة تظهر المسألة بشكل واضح ودقيق. من المهم اللجوء إلى الأشعة قبل جعل ابنكم يتناول جرعات من الدواء، ويجب تصوير الدماغ مجدداً بعد عدة أشهر لمراقبة التحسّن. بوسع الخبير التشخيصي مقارنة الصورتين ليراقب تأثير الأدوية والعلاجات الأخرى (التي سنتطرق إليها لاحقاً) على دماغ ابنكم. إنّ صور الأشعة قادرة على مساعدتكم على اتخاذ أفضل القرارات المتعلقة بالأدوية وبالاستمرار بالاعتماد عليها أو بالتوقف عن ذلك. بدون هذه الصور، لن يكون بوسعكم معرفة إن كان هناك تحسن ملحوظ أو تأثير سلبي للأدوية على أقسام أخرى من الدماغ. ليست صور الأشعة أداةً مضمونة بشكل كلّي، ولكنّها صورة لدماغ ابنكم.

أثناء هذه المرحلة، هناك عدة مسائل عليكم الالتفات إليها:

- يتمّ تشخيص الحركة المفطرة والنقص بالانتباه بشكل كثيف ومبالغ فيه في الولايات المتحدة. على الأهل والفرق التربوية الانتباه إلى مختلف المراحل التشخيصية. من غير المقبول تشخيص الحالة على أنّها اضطراب فكري إن كان ذلك غير صحيح.
- في بعض الحالات، يخفق المتخصصون في تشخيص الاضطرابات. إنّ نظامنا الأميركي غير كامل ممّا يؤدي إلى عدم حصول الكثير من الفتيان على العلاج اللازم. لذلك، على الأهالي الحؤول دون التشخيص الخاطئ.
- للحصول على تشيخص دقيق وعلى علاج مناسب، من المهم اتباع أسلوب

يعتمد على متخصصين يساعدون العائلات. كما على العائلات أنفسها طرح الكثير من الأسئلة ودعم مختلف الوسائل التي يجب اتباعها ومنها صور الأشعة.

إن كنتم قد اطلعتم على معلومات تشير إلى عدم وجود اضطراب يدعى الحركة المفرطة والنقص بالانتباه، فعليكم إدراك عدم صحتها. إن لجأتم إلى طبيب أو عالم نفسي يحبّذ اللجوء إلى الريتالين أو إلى أدوية أخرى ولا ينصح بالعلاجات الأخرى، وإن كان التشخيص سريعاً وغير دقيق، فإنّ ذلك يشير إلى أنّ الخبير غير بارع في ما يقوم به. من المهم التركيز على ضرورة تمضية الوقت الكافي مع الفتى والاعتماد على وسائل تشخيصية مختلفة.

كلفة صور الأشعة:

ناقشت مؤخراً أهمية صور الأشعة مع مجموعة من الأهالي وطرح العديد منهم أسئلة متعلقة بكلفة هذه الصور. استناداً إلى دانييل آيمين، مؤسس عيادات آيمين، هناك إجابة منطقية لهذه الأسئلة.

«تغطي شركات التأمين كلفة هذه الصور في بعض الأحيان، إذ إن ذلك يهمّهم كثيراً. عند عدم تغطية شركات التأمين للمبلغ، فعلى الأهالي إدراك أهمية استثمار المال في هذه الصور عوضاً عن الزيارات غير المجدية إلى عيادات الأطباء. في معظم الأحيان، لا تؤدي هذه الزيارات إلى تشخيص دقيق ومؤكد.

سأقدم مثالاً على ذلك. لقد أظهرت دراساتي أنّ هناك ستة أنواع من النقص بالانتباه. من دون صور الأشعة، من الصعب تحديد النوع الذي يعاني منه الفتى. من دون الصور، تكون هناك حاجة للقيام بالعديد من الزيارات إلى الطبيب ويتمّ فيها وصف الأدوية وتغييرها مراراً وتكراراً. قد تكلف هذه المسألة آلاف الدولارات، وقد توفّر صور الأشعة هذه المبالغ. بواسطة هذه الصور، يصبح من السهل تحديد الأدوية المناسبة والعلاجات التي يحتاج إليها كلّ طفل».

إنّ مسألة الصور وكلفتها منوطةٌ بكم وبما ترونه مناسباً وفقاً لشركة التأمين الخاصة بكم ولوضعكم المادي. آمل وكاثي أن نحثّ الأهالي على اتخاذ القرارات المناسبة بما يتعلّق بساعات التشخيص وبصور الأشعة. كما نأمل أن تنخفض كلفة الصور ليصبح بوسع المزيد من الأشخاص الاستفادة منها في محاولاتهم لمساعدة فتيانهم. في الوقت نفسه، إننا ندرك كامل الإدراك أنّ هناك دراسات تشير إلى أن الكثير من الأهالي لا يعتبرون صور الأشعة علاجاً مناسباً بالرغم من فوائدها العديدة.

قمت وكاثي بدراسة مختلف الأبحاث التي تمّت في العقد الماضي وتواصلنا مع الكثير من المدارس والأهالي المتعاملين مع أطفال يعانون من اضطرابات فكرية. نؤكد أن هناك مشكلة تشخيصية في الولايات المتحدة، خصوصاً وأنّ الابحاث لا تتوصّل إلى نتائج مشابهة. تعود مسألة اختيار الإجراءات التشخيصية إلى الأهالي والعائلات، فهم من عليهم اتخاذ القرارات الخاصة بالفتيان وبالعلاجات التي يرونها مناسبة.

المعالجة

مهما كانت الحالة التي قد تمّ تشخيصها، من الضروري البدء بالعلاج وبشكل فوري. هناك خمس وسائل علاجية مختلفة، ومن المهم أن يشرف متخصصٌ بالدماغ ووظائفه على ذلك.

1- الأدوية الصيدلية مثل: الريتالين، الأديرال، الكونسيرتا (أحدث دواء معالج للحركة المفرطة والنقص بالانتباه) أو البروزاك.

2- الأدوية البديلة أو التغييرات في النظام الغذائي مثل: عدم تناول السكر، تناول المزيد من الأطعمة الغنية بالحوامض (أوميغا 3) التي سنتطرق إليها بعد قليل.

3- الجلسات العلاجية القائمة على المناقشات والفنون وعلى تقنيات عملية أخرى يستعملها الأطباء المختصون.

4- صفوف الاحتياجات الخاصة في المدارس.

5- تعديلات يقوم بها الأهالي والفِرَق التربوية للعناية بالفتى بشكلٍ إضافي.

إن كان لدى ابنكم أو أحد طلابكم احتياجات تعليمية خاصة، نأمل أن تأخذوا على عاتقكم مسؤولية تقييم العلاج، إذ إن عدم اعتماده على إحدى هذه الوسائل الخمس يشير إلى عدم فعاليته.

إن كان ابنكم يتناول الريتالين وإن لم تغيّروا حياتكم المنزلية لتتماشى والعلاج، فإنّنا نأمل أن تبدأوا القيام بالتعديلات اللازمة، التي سنطلعكم عليها. إن كان في الصف طالبٌ يتناول جرعات من الريتالين أو من أيّ دواء مماثل، وإن لم تقوموا بتعديل المدرسة لتتوافق وهذا العلاج، فإنّنا نأمل أن ترعوا الفتيان بشكل أكثر شمولية.

تتناسب الاقتراحات التالية مع أي طفل يعاني من صعوبات تعلّمية، ومن الممكن تطبيق بعضها عند التعامل مع جميع الأطفال. إلاّ أنّ اللائحة التالية مهمة للغاية عند تعاملكم مع فتيان ذوي الاضطرابات التعلّمية.

مهمة الأهل:

التفتوا إلى حاجات الفتى، إذ إنّه يحتاج إلى مزيد من الانتباه من قبل الأهالي والفريق التربوي. من المهم وجود الفتى على انفراد مع أحد الوالدين أو أحد أعضاء الفريق. كلّما تفاقمت الصعوبة التعلّمية، ازدادت الحاجة إلى مزيد من الاهتمام المنفرد. نقترح على كل فرد أن يأخذ على عاتقه مسؤولية محدّدة، فقد يشرف أحدهم على الفروض المنزلية بينما يعمل فردٌ آخر على المسائل السلوكية.

على الوالدين العمل كفريق. إن تعامل أحدهما مع المشكلة التعلّمية أو الاضطراب الفكري دون مساعدة الآخرين، فإنّ ذلك لا يجدي نفعاً. على الأقارب أيضاً التعاون مع الوالدين. إن كان الوضع المادي يسمح للعائلة بتوظيف مدرّس خصوصي، فإنّ عمله مع الفتى مرتين في الأسبوع أمرٌ شديد الأهمية. على الفريق بأكمله اكتساب الخبرة اللازمة لمساعدة الفتى، على أن تقوم هذه الخبرة على تقنيات حديثة وفعّالة.

حاولوا تحديد الأطعمة التي تسبّب حساسية عند الفتى وانتبهوا إلى تأثير السكر أو الأطعمة الجاهزة على تصرفاته. بعد ذلك، امنعوا الفتى من تناول الأطعمة التي تؤثر عليه سلبياً أو تزيد من الضغط النفسي لديه. تتفاقم العوارض الخاصة بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه عند تناول الفتى للأطعمة غير الصحية وللسكريات والكافيين (ويشمل ذلك المشروبات الغازية). قد يؤثّر نقص السكر على الفتى، إضافةً إلى الحساسيات الأخرى. عليكم اللجوء إلى طبيب أطفال أو إلى متخصص آخر لمعرفة الصلة بين الاضطرابات الفكرية والطعام. إنّ ذلك يساعدكم في تعديل ما يجري في المنزل ويتطلّب منكم استبدال الأطعمة غير المغذية بتلك الصحية. بإمكان خبير التغذية منحكم نظاماً غذائياً يعزّز الوظائف الفكرية. قد يكون الفتى بحاجة إلى مزيد من الأوميغا 3 (الموجود في السمك)، إذ إن ذلك يقلّص من حدّة الاضطرابات التعلّمية. قد يحتاج الفتى إلى مزيد من البروتين قبل قيامه بأية مهمة تعلّمية. على جميع أفراد الفريق التربوي أخذ القوانين الغذائية الجديدة بعين الاعتبار، إذ إن ذلك يؤدي إلى تفادي تناول الفتى لأيّ طعام مضرّ عند عدم تواجده في المنزل. أطلعوا المدرّسين على النظام الغذائي الجديد من خلال كتابة حيثيات هذا النظام ومن خلال تزويدهم بمعلومات عبر الرسائل الإلكترونية أو الكتب. كثيراً ما يكون المدرّسون شديدي الانشغال ممّا يعني عدم انتباههم إلى ما قد تطلعونه عليه عبر الهاتف.

بعد انتهائكم من تحديد خطة العلاج، أطلعوا معلّمة ابنكم على ذلك من خلال رسالة خطية تعرض جميع التفاصيل. إن كنتم قد منعتم الفتى من المشروبات الغازية في المنزل وإن استمر استهلاكه لها في المدرسة، فقد يؤدي ذلك إلى مشكلات سلوكية عند وصول الفتى إلى المنزل.

قلّصوا الساعات المسموحة لمشاهدة التلفاز أو لألعاب الفيديو والكمبيوتر. إن وسائل التسلية تزيد من الصعوبة على التركيز. لا بأس ببعض الوقت أمام شاشة الكمبيوتر، وبعض الأهالي يسمحون بالقليل من الألعاب أو التلفاز. إلاّ أن الأبحاث تظهر تأثيرات سلبية لهذه الوسائل على الفتى الذي يعاني من صعوبات تعلّمية. إنّ مشاهدة التلفاز لأكثر من ساعة يومياً قد يؤدي إلى مشكلة خطيرة.

امتنعوا عن التشاجر مع ابنكم وحاولوا المحافظة على علاقة ودية معه. إن كان يعاني من الحركة المفطرة والنقص بالانتباه، فذلك يعني أنّ دماغه بحاجة إلى كمية إضافية من الأدرينالين لينتبه تماماً كما يفعل الآخرون. يحاول الأطفال الذين يعانون من هذا الاضطراب أن يختلقوا المشكلات مع الآخرين كالمشاجرات والنزاعات. يضع الأهالي والمربون في معظم الأحيان قواعد وقوانين ضرورية، ولكنّها تؤدي عادة إلى مزيد من المشاجرات. إن استمرت النزاعات، فإنّ ذلك يشير إلى ضرورة تدخل معالج يعمل على إرشاد الأهل إلى الاستراتيجيات التي عليهم اللجوء إليها. إنّ النزاعات تزيد من المشكلة ولا تساعد على حلّها.

فليكن هناك جدول للنشاطات المنزلية، إذ إن ذلك يقلّص من الفوضى. كما وعليكم التعبير عن أنكم تتوقعون من الفتى الأداء الأكاديمي الحسن. من المهم تغيير الهندسة الداخلية في غرفة الفتى، إذ إن على الألوان ألاّ تكون فاقعة. يحتاج الفتيان ذوو النقص بالانتباه إلى عدد أقل من المؤثّرات البصرية. يستفيد جميع الأولاد ذوي المشكلات التعلّمية من النظام، وإن كان قاسياً، فقد يولّد ذلك مزيداً من النزاعات. أمّا النظام العادل، فإنّه يحسّن من تصرّف الفتى ومن تعلّمه.

أظهروا للفتى أهمية المسؤولية الشخصية والتمتع بها، مع الانتباه إلى عدم التشديد على القيام بكل شيء على انفراد. من أصعب المهمّات التي يتولاها الأهالي والفِرَق التربوية، عند اهتمامهم بالفتيان المصابين بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه، هو التوازن بين الاستقلالية والمسؤولية. يعتمد الفتى المصاب بهذا الاضطراب على المربين بشكل كبير، ويحاول الأهالي عادةً الزيادة من استقلالية المراهق. إن شملت هذه الاستقلالية بعض المسؤوليات كإخراج القمامة وتنظيف المنزل، فإنّ ذلك مفيد للغاية. إلاّ أنّ بعض الأهالي يسمحون للفتى بتحديد القوانين وبالقيام بما يحلو له. إنّ ذلك مضرٌ للغاية فقد يشعر الفتى عندها بالعزلة والوحدة. كما وقد تتفاقم المشكلة ليصبح الفتى عندها شاباً أنانياً وعديم المسؤولية.

شدّدوا على ممارسة الرياضة. من المهم أن يقوم هؤلاء الفتيان بالحركة الجسدية، إذ أنّها تساعدهم على النوم وتهدّئهم وتسهّل من إنجازهم للمهمات التعلمية. عند ربط الحركة الجسدية بالمهمات المفيدة (مثل جزّ العشب)، تتحسّن حياة الفتى إضافةً إلى الحياة العائلية.

ساعدوا الفتى على فهم أنّ حالته ليست خطرة وحوّلوها إلى تحدٍّ، وقد يكون من المفيد في بعض الأحيان حثّه على ممارسة الطقوس الدينية. عند شعوره بأنّه بطل وبأنّه يقوم بأفعال مماثلة للشخصيات الدينية المهمة، فإنّه سيشعر عندها بضرورة حلّ مشكلته بنفسه وبمساعدة الآخرين. عندها، سيدرك أنّه يستطيع حلّ المشكلة من خلال الصلاة والتأمل.

لدى معظم الفتيان ذوي الحركة المفرطة والنقص بالانتباه خلل في الفصّ الجبهي الذي تتم فيه تنمية الهوية. يتلقى هؤلاء الفتيان العلاج لسنوات طويلة، ومن المهم أن يعوا هويتهم. من المهم أن يساعد محبو هذا الفتى على فهمه لهويته واستيعابه بأنّ شخصيته لن تتأثر بحالته الخاصة. عليهم جعله يشعر بأن

الاضطراب الذي يعاني منه هو بمثابة تحدٍ له ولهم. بوسع الاضطراب التعلّمي أن يكون أساساً لنجاح الفتى، إذ أنّه يحثّه على العمل بجهد إضافي.

مهمّة المدرّسين:

في معظم المدارس أنظمة فعّالة تُعنى بالأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة. نأمل أن تأخذوا اللائحة التالية بعين الاعتبار:

- اعتمدوا على المدرّسين ذوي الخبرة لتحمّل مسؤولية التوجيه والإرشاد. إنّ التعامل مع ولدٍ يعاني من اضطراب تعلّمي أو فكري أمرٌ غير سهل. لذلك، يجب على المدرّس ألاّ يعمل على مساعدة الفتى بمفرده. من المهم أن يكون هناك شخصٌ موجّه يتعاون مع المدرّس ومع الفتى نفسه.

- الجؤوا إلى التعاون بين المدرّسين، إذ إنّهم قادرون على ابتكار برامج خاصة بالاحتياجات الخاصة. من المهم أن يجتمع المدرّسون مرّةً كل أسبوع وأن يتلاقوا مع الأهالي لمحاولة مواجهة المشكلات التي يواجهها الجميع مع الأولاد ذوي الاحتياجات الخاصة.

- تأكدوا من أنّ جميع المدرّسين قد تلقوا التدريب الكافي المتعلّق باختلاف الجنسين، خصوصاً وأنّها تظهر أيضاً لدى الطلاب ذوي الاحتياجات الخاصة. إنّ فهم هذه المسائل يساعد على ابتكار أفكار تعليمية حديثة. على سبيل المثال، إن أيّ مدرّس قد تلقّى التدريب المتعلق بالدماغ الذكوري يسمح للفتيان بالتحرّك في الصف.

- الجؤوا إلى الصفوف الأحادية الجنس وإلى تعليم الطلاب في فِرَق مختلفة. نأمل أن تقرؤوا الفصل الثامن الذي فيه استراتيجيات فعّالة خاصة بالصفوف الأحادية الجنس. إنّ هذه التقنيات فعّالة في التقليص من الاضطرابات السلوكية وفي تحسين التجربة التعلّمية لدى من يعانون من مشكلات تعلّمية.

- اسمحوا للطلاب بحضور جلسات استشارية تعتمد على الحركة الجسدية من خلال التنزّه مع المستشار. يشمل ذلك الكثير من الحركة التي تساعد الفتى على التفكير بشكل أوضح، خصوصاً وأنّ الجلسات الاستشارية في المكاتب لا تؤثّر على وظائفه الذهنية والعاطفية كما تفعل الحركة. من المفيد اللجوء إلى العلاج الذي يعتمد على الفنون، إذ انّه يشمل الكثير من الحركة.

- اعطوا الفتى كرات طرية يستطيع الضغط عليها. إنّ ذلك يقلّص من التوتر تماماً كما تفعل الموسيقى. بإمكانكم الاعتماد على هذه الأدوات عندما يكون الفتى بحاجة إلى أن تهدئوه أو أن ينتبه بشكل أكبر.

- اعتمدوا على تحليل حاجات الطفل. يواجه بعض الفتيان ذوي النقص بالانتباه صعوبة في فهم المؤثّرات البصرية، ممّا يعني ضرورة وجود مؤثّرات سمعية. قد يعاني آخرون من صعوبة في اللغة، ممّا يعني عدم فعالية تحدث المدرّس إليهم. يبرع الفتيان عادة في الوظائف البصرية أكثر من تلك اللغوية، إذ أنّهم يستخدمون عدداً أكبر من الأنسجة الدماغية البيضاء. لذلك، فإنّهم يعتمدون على الأقسام البصرية عند مواجهة المشكلات التعلّمية.

- غيّروا البيئة في الصف من أجل التقليص من المؤثرات التي قد تلهي الطلاب مثل الصور التي تتحرك بسرعة أو الأصوات الصاخبة. يحتاج الفتيان ذوو الصعوبات التعلّمية، إلى وتيرة أقل وإلى عدد أقل من الصور والملصقات والأغراض على الجدران. إنّ كثرة هذه العناصر يرفع مستوى الأدرينالين ويؤثّر على استيعابهم للدروس.

- شدّدوا على التعلّم من خلال تطبيق المعلومات. اعتمدوا في حصص الرياضيات على الأغراض عوضاً عن الكلمات أو الأرقام المدوّنة على اللوح. استعينوا بالتجارب الحسية كلّما سنحت لكم الفرصة.

- تأكدوا من تواجد موجّه في حياة كل فتى يعاني من مشكلة تعلّمية. إنّ الاهتمام الفردي الذي يتلقاه الفتى هو أفضل علاج للاضطرابات الفكرية. لدى كل فتى يعاني من هذه الاضطرابات شعور فطري يجعله وحيداً في معظم الأحيان، وتؤثر هذه المشكلة النفسية على تجربته التعلّمية. بوسع الموجّه مساعدة الفتى في فروضه المنزلية وفي إزالة هذه الوحدة من حياته.

نحو مزيدٍ من التفاؤل

عندما تمّ تشخيص مشكلة الحركة المفرطة لديّ، وعند تناولي لجرعات من الريتالين، أصيبت عائلتي بالاكتئاب. حصل ذلك في الستينات عندما لم تتوفر الأبحاث التي تفسّر عمل الدماغ وتأثير الأدوية أو التي توضّح مشكلتي وما سيجري في المستقبل.

عندما تمّ تشخيص ابن كاثي، كارل مايكل، وعندما تمّ تحديد الصعوبات التعلّمية التي يعاني منها، أصيبت عائلته بالحزن تماماً كعائلتي. حدث ذلك في الثمانينات، ولكنّ ذلك لم يمنع من أحبّ كارل مايكل من الشعور بالحزن بالرغم من تواجد بعض الأبحاث في ذلك الوقت.

لدينا الآن الكثير من الإحصاءات التي تظهر ازدياداً في الاضطرابات الفكرية لدى الفتيان وارتفاعاً في استهلاك الأدوية واعتماداً أكبر على صفوف الاحتياجات الخاصة. إلاّ أنَ هناك إدراكاً أكبر للعقل الذكوري ولحساسيّته. إنّ الأدوات التشخيصية بتحسن مستمر والأدوية بتقدّم دائم، خصوصاً وأنّ مجتمعنا بات واعياً للمسائل العقلية. اصبح بإمكاننا مواجهة مشكلات فتياننا وفي قلوبنا مزيد من التفاؤل.

أصبحت التقنيات الحديثة متوفرة لمساعدة فتياننا على مواجهة أي اضطراب فكري أو تعلّمي قد يجعله يشعر بالوحدة والضعف. هناك الكثير ممّا

يدعو إلى التفاؤل الذي بوسعكم نشره في المدارس والعيادات، خصوصاً وأنّ التقنيات تتطوّر وتسمح بمواجهة مختلف الاضطرابات. نأمل أن تستمرّوا بتعديل البيئة المدرسية للتأكد من القيام بتشخيص دقيق في معظم الأحيان.

من المهم أن يتولى الأهل والمدرّسون مهمة نشر هذا التفاؤل. في معظم الأحيان، لا يكون الأطباء والمختصون واسعي المعرفة المتعلقة بالاختلاف العقلي بين الجنسين. في تلك الحالات، بوسع الأهل والمدرّسين شرح هذه المسائل وتفسير ما يجري في عقول الفتيان.

نأمل أن يكون هذا الفصل الخاص بالصعوبات التعلّمية قد حثّ الجميع على مناقشة مسألة الحساسية الفكرية عند الفتيان. من خلال تصحيح أي تشخيص خاطئ ومن خلال التأكيد على دقة هذه الإجراءات، يصبح بوسعنا مساعدة هؤلاء الفتيان ذوي الصعوبات التعلّمية. بواسطة هذه الخطوات، نستطيع مساعدة الفتيان الآخرين الذين يعانون أكاديمياً بالرغم من سلامة أدمغتهم. هؤلاء هم الفتيان المفتقرون إلى الحوافز التعلّمية أو ذوو الأداء الأكاديمي السيّئ أو الحسّاسون. سيتطرق الفصل التالي إلى مشكلات هؤلاء الذكور وإلى الاستراتيجيات التي قد تكون أكثر فعالية في حالاتهم المختلفة.

الفصل العاشر

تحفيز الفتيان
وتحسين أدائهم المدرسي

أرسل لنا باري، وهو شاب في الرابعة والعشرين من عمره، رسالةً يتحدث فيها عن تجربته:

«كنت كثير التململ أثناء سنواتي المدرسية. لم أكن أفهم طبيعتي أو ما كان عليَّ فعله. اعتبرني والديّ فتىً يفتقر إلى الحوافز التعلّمية، وكنت مجرّد ولد كسول في نظر الآخرين. كانوا محقّين إذ أنني كنت أحاول ما بوسعي في بعض الأحيان ولكنني كنت أواجه الفشل بشكل دائم. لم أصل إلى نتائج أكاديمية تتوافق وقدراتي، وتركت المدرسة في الصف الحادي عشر».

أطلعتنا شيري من سياتل على تجربتها المماثلة:

«يشاطرني زوجي القلق على ابننا البالغ من العمر الخمسة عشر عاماً. جيريمي شابٌ ذكي وفاتن، كما أنّه يتمتع بقدرات رياضية عالية المستوى، إلاّ أنّ قدراته الأكاديمية متدنية. إنّه لا يحبّ الدراسة. كان ماهراً في كرة القدم في السنة الماضية، ولكنّه لم يعد مهتماً بممارسة هذه الرياضة. يفضل الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر أو التلفاز أو ألعاب الفيديو. إنّه يعتبر نفسه كسولاً، ويتفاخر بذلك وكأنّه أمر يدعو إلى الاعتزاز».

بول ماركوس مستشار مدرسي من آلباكيرك. أخبرني بول أنّه يتعامل مع الكثير من الفتيان ذوي الأداء المدرسي السيئ والنقص في الحوافز التعلمية.

«أشعر وكأنّهم يحسّون أنّ لا قيمة لهم أو لما يفعلونه في المدرسة. أعتقد أنّهم يفتقرون إلى الشعور بالفخر، ولكنَّ المسألة تتعدّى ذلك. إنّ المشكلة متفاقمة في مدرستنا، ممّا حثّنا على ابتكار برنامج خاص يُعنى بحاجات هؤلاء الفتيان».

يتمّ استبدال الاهتمام المدرسي عند الفتى باهتمام من نوع آخر أو بعدم الاهتمام مطلقاً بشكل تدريجي. يقرر الفتى في بادئ الأمر عدم الانضمام إلى أحد النوادي أو عدم ممارسة إحدى الألعاب الرياضية. تعتبرون ذلك أمراً مقبولاً إذ له الحق باختيار ما يريد القيام به. بعد ذلك، تبدأ العلامات بالتراجع. تعلمون أنّه فتىً ذكي ولكنّه لا يحصل على علامات تتناسب وقدراته. إن كنتم مدرّسيه، قد تتساءلون عمّا يجري في المنزل من أحداث تؤثّر عليه بشكل سلبي. إن كنتم أهله، قد تتساءلون عمّا يدور في المدرسة. تتراجع علاماته بشكل إضافي. تقومون عندها بتشجيعه وبحثّه على بذل مجهود أكبر. يبدو عليه الشعور بعدم الرضى. ينسحب من نشاط آخر، ومن ثمّ من غيره. قد يشاهد المزيد من البرامج التلفزيونية، وقد يزداد اهتمامه بألعاب الفيديو، وقد يمضي المزيد من الوقت على شبكة الإنترنت.

تبدؤون عندها بملاحظة ازدياد الوحدة لديه. يعبّر عن عدم اكتراثه بالمدرسة وقد يسخر من الأولاد ذوي الأداء المدرسي الممتاز. يتراجع أداؤه المدرسي ممّا يؤدي إلى شعوره وأهله ومدرّسيه بخيبة الأمل.

عندما تواجهونه، قد يعبّر عن عدم رغبته على إنجاز الفروض المدرسية معتبراً نفسه أحمق، أو قد يدّعي بأنّه ينفذ جميع فروضه طالباً منكم تركه وشأنه. كما قد يقول إنكم غير قادرين على أن تجبروه على الدراسة إذ إن ذلك أمر يتعلق بحياته. يشعر عندها أنّه يفتقر إلى شيء ما ولكنّه لا يستطيع تحديده تماماً مثلكم.

الفتيان ذوو النقص في الحافز والضعف في الأداء المدرسي

ليست هاتان الحالتان مدرجتين في لائحة الاضطرابات الخاصة بالمنظمة الأميركية للطب أو بالمنظمة الأميركية للطب النفسي، ولكنّ الكثير من الأهالي والمدارس تواجههما في جميع أرجاء العالم. تظهر هاتان الحالتان عند الفتيان من خلال علاماتهم المتدنية وعدم اشتراكهم في النشاطات المدرسية.

من المستحيل الحصول على عدد الفتيان ذوي النقص في الحافز والضعف في الأداء المدرسي، ولكنّ بعض الإحصاءات تساعدنا على فهم المشكلة. لقد سبق وذكرنا أنّ الفتيان يشكلون أغلبية الراسبين في المدارس وأغلبية من لا ينجزون فروضهم المنزلية. هناك الكثير من المشكلات الأخرى. نشر المركز الوطني للإحصاءات التربوية بعض النتائج في العام 2004، وتظهر هذه الأرقام بعض ما يتعلق بالأداء المدرسي وبالحوافز لدى الفتيان. كما تظهر الإحصاءات التالية، تفوّق الفتيات في معظم النشاطات باستثناء الرياضة:

- المجلس الطلاّبي:

  الفتيات: 13٪

  الفتيان: 8٪

- الموسيقى والفنون:

  الفتيات: 31٪

  الفتيان: 19٪

- الكتاب السنوي / الصحيفة المدرسية:

  الفتيات: 13٪

الفتيان: 6٪

- النوادي الأكاديمية:

الفتيات: 19٪

الفتيان: 12٪

من الممكن أن تكون المدرسة ملاذاً لأطفالنا ومكاناً مليئاً بالحوافز والنشاطات المسلية. لكنّ الكثير من فتياننا يعانون في مسألة الحوافز الأكاديمية والاجتماعية. ما الذي يسبّب ذلك؟ ما هي الخطوات التي يجب اتباعها لحلّ هذه المشكلة؟ ذلك هو محور هذا الفصل.

بعض أسباب النقص في الحوافز وبعض الحلول

إن كان أداء ابنكم المدرسي متدنياً، فقد يعود ذلك إلى افتقاره إلى الحوافز التعلّمية. هناك أربعة أسباب لهذه الحالة، ويتعلّق كلّ منها بناحية من حياة الفتى:

1- دماغ الفتى (ممّا يشمل التغيرات البيولوجية والاجتماعية عند البلوغ).

2- النظام المدرسي، خصوصاً عند عدم فعالية المدرسة في تعليمه.

3- المسائل العائلية، خصوصاً في حالات الصدمات العائلية كالطلاق.

4- مؤثرات اجتماعية أخرى كالفقر والجوع والضغط من قبل الزملاء والعنف.

سنعرض هذه الأسباب بشكل أكثر تفصيلاً في القسم التالي.

دماغ الفتى:

إنّ الاضطرابات التعلّمية هي السبب المباشر للنقص في الحوافز التعليمية وللضعف في الأداء الأكاديمي. عرض الفصل التاسع تفاصيل عملية التشخيص، إضافةً إلى نصائح مختلفة من المفيد تطبيقها في صفوف الاحتياجات الخاصة.

إن تمّ تشخيص الاضطراب التعلّمي عند الفتى، فلا بدّ أنّ الأهل والمدرّسين قد لاحظوا هذه الصعوبة في التعلّم منذ المرحلة الابتدائية. قد يكون ذلك نتيجةً لعوامل وراثية. تتفاقم المشكلة كلّما ازدادت المواد التعليمية تعقّداً، ممّا يعني أنّ التشخيص لن يتمّ قبل الصف الرابع أو الخامس. إلاّ أنّ الصعوبة التعلّمية تظهر عادةً في مرحلة مبكرة إذ أنّها متواجدة لديه فطرياً.

يخطئ بعضهم في اعتقادهم أنّ النقص في الحوافز التعلّمية دلالةٌ على إصابة الفتى بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه أو باضطراب تعلّمي آخر. إنّ هذه المشكلة تظهر عند الفتى في مرحلة متقدمة أي في المراهقة. ليست العوامل الوراثية المسبب الوحيد لهذه المسألة، إذ إن ما يؤدي إلى هذه المشكلة هو عدد من العناصر المتعلّقة بالدماغ.

تؤثر الحوافز على الدماغ بطريقة متسلسلة. في البدء، يتأثر اللحاء الأماميجبهي بالوظيفة التعلّمية أو بالبيئة المدرسية أو المنزلية أو بكتاب أو أيّ نص. هذا اللحاء هو القسم الدماغي المسؤول عن اتخاذ القرارات. عند التأثير على اللحاء، تبدأ الأعصاب بعملها على الذاكرة والعواطف والفكر. عندها، يبدأ التأثير هذا بالامتداد على أقسام أخرى من الدماغ لأنّ اللحاء الأماميجبهي قد أمر بذلك. من هذه الأجزاء الدماغية قسمٌ مسؤول عن الشعور بالرضى وقسمٌ آخر ينظم الذاكرة والعواطف. بعد ذلك، يتأثر الجزء العلوي من الدماغ، وهو القسم المتعلّق بالوظائف الفكرية. عندها، يطلب الفصّ الصدغي المزيد من المؤثّرات، ممّا يحثّ الفتى على التعلّم وعلى التمتّع بالحوافز التعلّمية. تحدث هذه الأمور نتيجةً لإفرازاتٍ من الأدرينالين والكورتيزول والدوبامين. لذلك، فإنّ هذه العملية تبدأ في اللحاء الأماميجبهي الذي يؤثّر على الدماغ بأكمله، وهي عملية معقدة ودقيقة. لا يتمّ التحفيز بطريقة سهلة، إذ إن لذلك علاقة بمختلف أجزاء الدماغ وبالأعصاب والإفرازات والأنسجة، التي تعمل معاً لحثّ الفتى على استكشاف ما حوله وفهم ما يتعرّض له والوصول إلى النجاح.

عند إدراكنا لعملية التحفيز وصعوبتها، يبدأ فهمنا لما يجري عند افتقار الفتى للحوافز التعلّمية. إنّ هذا النقص دلالةٌ على خللٍ في اللحاء الأماميجبهي وفي الأقسام المسؤولة عن الأحاسيس وفي الأعصاب التي تصل معظم الأقسام ببعضها البعض. يؤدّي ذلك إلى توقف الأجزاء التحفيزية عن العمل، ممّا يتسبّب بعدم رغبة الفتى بالتعلّم. عندها، تتوقف الوظائف الذهنية ولا تحثه على المشاركة في حوارات أو على ابتكار الأفكار والتعبير عنها. كثيراً ما يصاب الفتى المفتقر إلى الحوافز التعلّمية بالاكتئاب، خاصةً بما يتعلّق بتجربته المدرسية. بعد شهور أو سنوات عدّة، قد يمتدّ هذا الاكتئاب على أوجه أخرى من حياة الفتى، وعندها يصاب بالإحباط ويواجه الفشل.

إنّ أول خطوة في مساعدة الفتى المفتقر إلى الحوافز هي اعتباره ولداً تعمل الوظائف الذهنية لديه تماماً كما تعمل عند الفتى المصاب بالاكتئاب. للنقص بالحوافز علاقة مباشرة بالاكتئاب التعلّمي وبالإحباط بشكل عام، وإنّ هذا الاكتئاب يؤثر سلبياً على مختلف أجزاء الدماغ ويزيل الشعور بالحماس التعلّمي.

النظام المدرسي:

تتذكر كاثي تجربتها كأمٍ لفتى يفتقر إلى الحوافز التعلّمية. أطلعتني كاثي على ما خالجها من مشاعر في هذه المرحلة الدقيقة من حياة ابنها:

«لم يكن ابني الأكبر كيفين ذا احتياجات تعلّمية خاصة ولم يتناول جرعات من الريتالين في حياته. إلاّ أنّ الملل طغى على تجربته المدرسية، ممّا جعله يترك المدرسة في الصف الثاني عشر ويلتحق بالجامعة ليدرس الموسيقى، وهي شغفه الأساسي. كان ينظر إلى المدرسة على أنّها لا تمنحه أية فائدة، لكنّه لم يكن متململاً كما كان كارل مايكل. كان كيفين فتىً هادئاً ولم يتسبب بأية مشكلة سلوكية في حياته. اذكر هذه المرحلة وبتّ أفهم افتقار ابني للحوافز التعلّمية، ولقد جعلتني تجربتي المهنية أدرك أنّ مدرّسي كيفين كانوا أكثر اهتماماً بالطلاب

المتململين وذوي السلوك السيئ. أدّى ذلك إلى تجاهل حالات النقص في الحوافز مثال حالة ابني كيفين».

لا بدّ وأنكم تلاحظون أنّ الفتيان، وحتى الإخوة منهم، ليسوا متشابهين في تجاربهم التعلّمية. أظهر ابنا كاثي نوعين مختلفين من الاكتئاب الأكاديمي بالرغم من التحاقهم بالمدرسة نفسها. كانت ردّة الفعل لديهما مختلفةً إذ إن كلاً منهما تأثر بالبيئة وبالمدرسة بشكل متباين.

يتساءل الأهالي إن كانت المدرسة مسبباً للنقص بالحوافز وللاكتئاب التعلّمي. في الواقع، بوسع المدرسة أن تؤدي إلى هذه المشكلات، وليست كاثي الأم الوحيدة التي لاحظت ذلك الأمر. عرضنا في الجزء الأول من الكتاب عدم توافق الكثير من المدارس وعقول الفتيان وقدراتهم التعلّمية. عند عدم تماشيها مع حاجات الذكور (والإناث)، تؤدي المدارس إلى نقص الحوافز التعلّمية لدى الطلاب.

هناك عدّة أوجه لعدم التوافق هذا، ومن الممكن الحؤول دون تأثيرها على الفتيان وحوافزهم التعلّمية، إلاّ أنّ ذلك يتطلب مجهوداً من قبل الأهالي.

تأخّر النموّ في المراحل المبكرة: من الممكن أن يبدأ الاكتئاب الأكاديمي من السنوات المدرسية المبكرة الممتدة من الحضانة وحتى الصف الثاني، خصوصاً وأنّ في هذه المرحلة يتأخر النموّ في الدماغ الذكوري. ليس هذا التأخر دلالةً على خلل ما وليس مسألةً سيئة. إنها طبيعة الذكور. إنّ أكثر الأقسام تأخراً في النموّ هي تلك المسؤولة عن الوظائف اللغوية، وقد تطرقنا إلى ذلك في السابق. عند الفتى تأخرٌ في استخدام الكلمات في القراءة والكتابة والتكلّم. قد يؤدي ذلك إلى سنوات من الصعوبات إن توقّع البعض من الفتى أن يكتب ويقرأ ويتكلّم تماماً كزملائه الأكثر نمواً. قد يكون هناك تاخرٌ آخر في الوظائف الحركية كالخط وفي الوظائف الفكرية كالسيطرة على الاندفاع.

تنمو هذه الوظائف الفكرية عند الفتيات قبل نموّها عند الفتيان، ممّا يعني أنّ الذكور هم أكثر من يواجهون الضغط النفسي والفشل في السنوات المبكرة من حياتهم. تتفاقم هذه العوامل الضاغطة عند توقع الأهالي والمدرّسين أن ينمو الفتى بشكل أسرع. عند وصول الذكور إلى الصف الرابع والخامس وعند ظهور النقص بالحوافز التعلّمية لديهم، يكون الأهالي والمدرّسون قد نسوا الفشل الذريع الذي واجه الفتيان منذ المراحل المدرسية المبكرة.

عند استيعاب الأهل تأخّر النموّ لدى الفتيان، فإنّ ذلك يعني إدراكهم بعدم جهوزية الدماغ لتلقي الضغط النفسي والأكاديمي. في الكثير من البلدان، ومنها إنكلترا، يتكوّن الصف الأول من فتيات في السادسة من عمرهن مع فتيان في السابعة. إنّ ذلك دلالة على وعي الأهالي والمدرّسين لواقع النموّ. سنتطرق إلى الموضوع بشكل مفصّل في هذا الفصل، وأكثر ما يهمّنا توضيحه هو أنّ إحدى الحلول عند التعامل مع الفتيان المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية هي وضع الذكور مع إناثٍ أكبر سناً. بالرغم من أنّ ذلك الحلّ يبدو وكأنّه ينتقص من شأن الفتيان وقدراتهم الفكرية، إلاّ أنّه يساعد بعض الذكور بما فيهم من لا يعبّر عن المشكلات التي يواجهها في المدرسة.

الركود الفكري: من أصعب ما يواجهه النظام المدرسي الحالي في تعليم الفتيان هو النزعة الفطرية الذكورية القائمة على الركود الفكري. لقد سبق وتحدثنا عن هذه المسألة التي تظهر عندما تراقبون صفاً ما وتجدون فتياناً قد تشتت ذهنهم وأصابهم النعاس. يشير ذلك إلى أنّ العقل في حالة من الركود التي يحتاج إليها الدماغ لينعش الوظائف الذهنية ولتصبح الأعصاب أكثر نشاطاً وقدرةً على مكافحة الضجر والتململ.

روبين غور رئيس قسم الأعصاب في جامعة بينسيلفانيا، وقد أظهر أنّ الدماغ الأنثوي غير مكوّنٍ بطريقة تتطلّب الركود الذهني نفسه الذي يحدث عند

الذكـور. لذلـك، فـإنّ الفـتـيـان يعـانون أكـثـر منهن. عند الإناث هـرمـون يـدعى الإسـتـروجين، وهـو هـرمـون يزيد من الـوظائف الفكرية. كـمـا وهنـاك في الدمـاغ الأنثوي تدفق للدم يفوق التدفق عند الذكور بحوالى 15٪ حتى في حالة الركود، لا تتـوقف الـوظائف الذهنيـة عند الإناث بشكل كـامل كـمـا يحـدث في الدمـاغ الذكوري. في هذه الحالة، يستمرّ تدفق الدماء في عقل الإناث، ولكنّه يتركز في المنطقة الوسطى المليئة بالأعصاب. لذلك، فإنّ شعور الفتاة بالملل في الصف لا يمنعها من الانتباه إلى الدرس، خصوصاً وأنّ دماغها قادرٌ على حثّها على التركيز وتدوين الملاحظات واستيعاب المعلومات الجديدة.

يكثـر الركـود الذهـني عند الذكـور في صـفـوف اللغـة، ممّا يزيد من حـالات الاكتئـاب والنقص بالحوافز التعلّمية. من غير المفاجئ أن يدوّن الفتيان عدداً أقل من الملاحظات مقارنةً بالفتيات أو أن ينجزوا عدداً أقل من الفروض المنزلية. كما من الطبيعي أن يكون سلوك الذكور سيّئاً عند شعورهم بالملل وأن يقوموا عندها بإزعـاج الآخـرين أو مقـاطعـتهم. إنّ هذا السلوك إشـارةٌ إلى أنّ العـقل في حـالة ركود، وهذه التصرفات تشير إلى أنّ الفتى يحاول مقاومة هذا الركود.

في هذه الحـالات، يكون التأثيـر على الفتيان سلبياً. كثيـراً ما ينام الفتى في الصف ولا يسـتمع إلى جميع المعلومات الجديدة، وكثيـراً مـا يتسـبّب بمشكلات سلوكيـة تؤدّي إلى أداء أكاديمي سيئ وإلى فقدانه للحوافـز التعلّميـة. في مـعظم الأحيان وبسبب شعوره بعدم الكفاءة، يصاب الفتى بالإحباط ويستسلم.

إنّ حالة الركود هي إحدى الصعوبات التي يواجهها الفتيان في مدارسنا. إلاّ أنّها مـشكلة تتفـاقم مع الوقت، تماماً كـالتـأخـر في النـموّ. على سـبـيل المثال، إن تأخر نموّ الفصّ الجبهي عند الفتى، يحاول مواجهة هذا التأخر بواسطة السلوك السيئ في الصف. من الممكن أن تتسبب التـجـربة المدرسيـة بالضـغط النفسـي

وبالاكتئاب الأكاديمي. عندها، تتقلّص الثقة بالنفس عند الفتى، وهذا ما يشعر به الأهالي والمدرّسون.

احـتـرام الذات والـثـقـة بـالـنفس: بدأ الفـصل برسـائل وصلتنا من أهالٍ ومدرّسين وفتيان أو رجال. في هذه الرسائل تجارب تتعلق بالثقة بالنفس التي يفتقر إليها الذكور ذوو الأداء الأكاديمي السيئ. في معظم الأحيان، يعتبر الأهل والمدرّسون أنّ عدم الثقة بالنفس هي من الأسباب المؤدية إلى النقص بالحوافز التعلّمية. إنّ ذلك استنتاج صحيح، وسنتطرق إلى هذه المسألة بشكل أكثر تفصيلاً.

عندما يلاحظ الأهل والمدرّسون أنّ الفتى يعاني من عدم الثقة بالنفس، يكون عادةً في مرحلة ما قبل البلوغ (أي في الصفوف الابتدائية المتقدمة أو في الصفوف التكميلية). في هذه المرحلة، يكون الفتى قد واجه اضطرابات تعلّمية مبكرة (إلاّ أنّ ذلك لا يحدث مع جميع الفتيان)، وتكون طاقته الذكورية قد تسببت بمشكلات عدذة في المرحلة الابتدائية. كما وقد يكون الفتى أصيب بصدمة ما أثّرت على قدرته التعلّمية. كلّما ازدادت صعوبة الدروس (ويحدث ذلك عندما تبدأ التغيّرات الفكرية والهرمونية والجسدية في مرحلة المراهقة)، كلّما بدأ بإظهار المزيد من عوارض عدم الثقة بالنفس والافتقار إلى الحوافز التعلّمية والأداء الأكاديمي السيئ.

من الممكن أن تؤدي عدم الثقة بالنفس إلى الاكتئاب الأكاديمي والافتقار إلى الحماس التعلّمي. لكنّ دراساتنا الخاصة بالدماغ في مرحلة المراهقة تظهر أنّ هذه المشكلة تتفاقم عند الذكور. إنّ احترام الفتى لذاته في مرحلة المراهقة هي أساس الثقة بالنفس التي قد يتمتع بها أو يفتقر إليها لاحقاً في حياته كرجل.

عند وصوله إلى سن البلوغ، يرتفع مستوى التستوستيرون لديه وتبدأ التغيرات الجسدية والفكرية. تزداد التحديات في هذه المرحلة، ويبدأ باللجوء إلى

العنف ليبرهن أنّه فرد يستحق الاحترام. كما ويغلب على هذه المرحلة التباين الأكاديمي والاجتماعي بين الجنسين في المدرسة. إن لم تكن السنوات المبكرة قد عملت على تنمية احترام الفتى لذاته، وإن كان يواجه الفشل بسبب الطبيعة التنافسية في المدرسة، فإنّ ذلك يشير إلى حدوث العديد من المشكلات.

بسبب الكميات الهائلة من التستوسترون في سن البلوغ، يبدأ الفتيان محاولتهم للوصول إلى احترام الذات عبر وسائل مختلفة كالعنف والتنافس. إنّها الأساليب الرئيسية التي يتبعها المراهقون لمعرفة ذاتهم وللوصول إلى ثقة عالية بالنفس. يشعر الفتيان في هذا العمر بالاكتئاب والإحباط. كما ويغلب عليهم الإحساس بالفشل في المدرسة وخارجها، وتتفاقم المشكلة عندما لا يتلقّون ما يكفي من التشجيع والمدح.

يبدأ الفتيان بالشعور بأنّ المدرسة هدرٌ للوقت وبأنّ الفروض المنزلية لا تجدي نفعاً. إضافةً إلى ذلك، ينمو عند الذكور في هذه المرحلة إحساس بالكره تجاه المدرسة والنظام الأكاديمي.

أعتقد وكاثي أنّ النظام المدرسي، وخصوصاً في المرحلتين التكميلية والثانوية، تتعامل بشكل غير فعال مع المراهقين وتغيراتهم الهرمونية. تظهر المشكلات في مرحلة المراهقة عند جميع الفتيان، حتى هؤلاء الذين تفوقوا في المراحل المدرسية المبكرة. بالرغم من عدم تأخر النمو عند هؤلاء ومن عدم تعرضهم للضغط النفسي وللفشل الأكاديمي، فإنّهم يواجهون المصاعب نفسها التي تطغى على سن البلوغ.

بين الصفين السادس والتاسع، تجدون فتياناً لم يواجهوا المشكلات في السابق ولكنّهم يفشلون أكاديمياً ويصابون بالإحباط ويواجهون الصعوبات التعلّمية. كما وقد يظهر هؤلاء الكثير من العنف، وقد يتركون المدرسة التي

يكرهونها ويعتبرونها غير مجدية. من المحتمل أن تحصل هذه الأمور مجتمعةً بسبب التغيرات الهرمونية والعوامل الاجتماعية الضاغطة.

إنّ عدم التوافق بين النظام المدرسي الحالي والأساليب التعلّمية عند الذكور يولّد مشكلات على صعيدي الحوافز والأداء. من غير الممكن التخلّص من هذه الصعوبات بسرعة، إن ظهرت في المراحل المبكرة أو في سن البلوغ. عند وصول الفتى إلى مرحلة المراهقة، قد يستفيد من الانتقال إلى صف آخر يشرف عليه مدرّس يدرك طاقة الذكور واكتئابهم وسلوكهم. على الفتى في بعض الأحيان الالتحاق بمدرسة جديدة تماماً كما حدث مع كارل مايكل. سنعرض في هذا الفصل حاجة المدارس إلى ابتكار نظام جديد للمراهقين المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية. من المهم أن يكون هذا النظام قادراً على مواجهة التحديات الذكورية في هذه المرحلة.

المسائل العائلية:

يأتي الفتيان إلى المدرسة وفي نفوسهم العديد من المشاعر كالألم والأمل والفرح والخوف. في بعض الأحيان، لا يكون عدم توافق النظام المدرسي والعقل الذكوري سبباً أساسياً للاكتئاب والنقص في الحوافز التعلّمية. إنّ المسائل العائلية قد تصدم الفتيان، وإنّ عدم حصولهم على الرعاية الكافية في منازلهم قد يؤدي إلى الإحباط. يتأثر الدماغ بالصدمات العائلية، وتظهر هذه التاثيرات السلبية على الهرمونات وعلى الأقسام العاطفية. إنّ ارتفاع مستوى الهرمونات في دماغ الفتى يولّد صعوبات تعلّمية تتفاقم كلّما ازداد الضغط النفسي. سنطلعكم في الجزء التالي على بعض العوامل التي تتسبب بهذا الضغط.

الطلاق: يصاب معظم الفتيان بالاكتئاب عند طلاق الوالدين، ممّا يؤثر على الأداء الاجتماعي والأكاديمي والرياضي.

يؤثّر الطلاق على قدرات الفتى الفكرية وعلى نفسيته وتجربته التعلّمية. إن لاحظ الأهالي أو المدرّسون أو أحد أفراد الفرَق التربوية افتقار الفتى للحافز التعلّمي، وإن حدث ذلك بعد طلاق الوالدين، فمن المهم اصطحابه إلى جلسات علاجية.

الاعتداء الجسدي أو الجنسي أو العاطفي: إنّ معظم المراهقين ذوي الأداء الأكاديمي السيئ هم أشخاص قد تعرّضوا إلى الاعتداء الجسدي أو الجنسي أو العاطفي. يرفع الاعتداء من مستوى الكورتيزول في الدماغ لفترات طويلة الأمد، وقد يستمرّ ازدياد هذه الإفرازات حتى ما بعد تعرّض الفتى للاعتداء. إن حصل الاعتداء الجنسي في سن العاشرة، قد يعاني الفتى من عوارض الصدمة (كالكوابيس) حتى مراحل متقدمة من مراهقته وحياته. لا ينخفض مستوى الهرمونات لمجرّد أنّ الاعتداء قد توقف.

من المهم التذكّر أنّ للاعتداء تأثير على مختلف الأطفال، ممّا يؤدي إلى إصابتهم بالاكتئاب. لا يؤدي ذلك إلى الافتقار إلى الحوافز التعلّمية عند جميع الفتيان، خصوصاً وأن بعضهم يتمتعون بقدرات تعلّمية عالية المستوى. في هذه الحالات، يشكّل الاعتداء حافزاً إضافياً يحثهم على بذل مجهود أكبر للوصول إلى النجاح مهما تطلب الأمر. عندها، يصبح التفوّق الأكاديمي وسيلةً للهروب من الاعتداء. إلاّ أنّ معظم الفتيان يعانون من الاكتئاب بعد تعرّضهم للاعتداء، خصوصاً الذين سبق وواجهوا النقص في الحوافز التعلّمية والأداء الأكاديمي السيئ. عند تعرّضهم للاعتداء، يلجأ معظم الفتيان إلى المخدرات والكحول ويتصرفون بشكل سيئ في المجتمع، ممّا يبعدهم عن الجوّ الأكاديمي ويحول دون نجاحهم في المدرسة.

عدم متانة الروابط: إنّ هذه المسألة تؤثّر على الفتيان وتقلّل من حوافزهم التعلّمية، خصوصاً في مرحلة المراهقة. يؤدي عدم متانة الروابط مع الآخرين

إلى الاكتئاب عند الفتيان الذين يستخدمون فشلهم للحصول على انتباه الآخرين. إن لم يهتم الفريق التربوي بهذه المشكلة وإن أحس الفتى بغياب أهله وأقاربه وعدم اكتراثهم، فإنّه قد يشعر بعدم الأمان.

قد يؤدي افتقار الفتى لعلاقات وثيقة إلى مشكلات سلوكية ونشاطات جنسية مبكرة وإدمان على وسائل الإعلام ونقص في الحوافز التعلّمية. من طبيعة الفتى أن يرغب باستكشاف ما حوله والمجازفة والاعتماد على من حوله لرسم حدود لتصرفاته. لا تتواجد هذه العناصر في حياة الفتى عند عدم تعلّقه بأهله وأقاربه.

في بعض الأحيان، يقوم الفتى بتصرفات متطرّفة ليستحوذ على اهتمام الآخرين، وفي أحيان أخرى، ينعزل عن أهله بسبب شعوره بأنّهم لا يحبونه أو يكترثون به. أكاديمياً، يعمل الفتيان عمداً إلى الحصول على علامات سيئة في المواد التي يتفوّق فيها أهاليهم. من خلال ذلك، يشعر الفتيان بأنّهم قد عاقبوا الراشدين في حياتهم وأغضبوهم وأشعروهم بخيبة الأمل. من المهم منح الفتيان ما يحتاجون إليه من انتباه واهتمام.

إن كان الفتى يظهر بعض عوارض الافتقار إلى الحوافز التعلّمية، فإنّه قد يلجأ إلى هذه المسألة للتخلّص من شعوره بالعزلة وبعدم الأمان. على الأهالي عندها رعاية الفتى بشكل إضافي وخصوصاً في مرحلة المراهقة. يتأخر النضوج عند المراهقين الذكور، ممّا يعني أنّهم بحاجة ماسة إلى تواجد الأهالي معهم قبل ذهابهم إلى المدرسة وبعده، في الأمسيات وأثناء عطلة نهاية الأسبوع، عند عدم تواجد الأهل، يحتاج الفتى عندها إلى أفراد من العائلة وإلى اقارب آخرين يوجّهونه في مختلف المسائل الحياتية والتعلّمية.

العوامل الاجتماعية:

بول سلوكامب مستشار تربوي وكاتب ألّف كتاب «الرعاية بالفتيان لحلّ أزمتهم»، وفيه عرض لحالة الفتيان في الولايات المتحدة. يشير سلوكامب إلى عدد الذكور الأميركيين في السجون (حوالى المليونين)، ويربط هذا الارتفاع بالفقر والأعراق والتجارب التعلّمية.

من غير المفاجئ، أن سلوكامب لاحظ ازدياداً في حالات النقص في الحوافز التعلّمية والأداء الأكاديمي السيئ عند الذكور الذين عاشوا في بيئة فقيرة. يضغط الفقر على هؤلاء ويؤدي إلى افتقارهم للحوافز التعلّمية، وهذا ما يحدث في مجتمعاتنا الصناعية وفي مؤسساتنا التربوية. استعان سلوكامب في عمله بكتاب «فهم الفقر» الذي ألّفته روبي باين.

للفقر تأثير واضحٌ على التجربة التعلّمية وعلى الدماغ ونموّه، ولهذا التأثير علاقة مباشرة بالنقص في الحوافز التعلّمية. يمكنكم الاطلاع على المزيد من التفاصيل الخاصة بذلك في «هل كنت تعلم؟».

إنّ الفقر مشكلة يحاول النظام التربوي حلها يومياً من خلال محاولة توفير التعليم لكلّ الأطفال. كثيراً ما يلتحق الفتيان الفقراء إلى المدارس حيث يتمّ تحفيزهم بشكل شفهي. على الفتى أن يحصل على دروس تساعده على مقاومة الظروف الصعبة في حياته. إلاّ أنّ ذلك لا يتمّ في معظم الأحيان، إذ إن المدرّسين لم يتلقوا التدريب اللازم المتعلق بالعقل الذكوري وبطبيعة الفتيان بشكل عام.

أرسلت لنا إحدى المعلمات الرسالة التالية عن تجربتها في مدرسة تقع في المدينة:

«عند ذهابي إلى المدينة لممارسة مهنة التعليم، كنت امرأةً بيضاء البشرة تفتقر إلى الخبرة اللازمة للتعامل مع الطلاب في المدن، وخاصةً من هم من أصل

أفـريقي. لطالما ظننت أنّهم لا يعيـرونني اهتمـامـاً عندما لم ينظروا إليّ بشكل مباشر.

اتصل بي المدير وطلب مني الحـضور إلى مكتبه وشـرح لي أنّ النظر إلى الآخرين أمرٌ يعتبره هؤلاء الفتيـان إشارة إلى عدم الاحتـرام. لا يشعـر هؤلاء بالراحة عند النظر في عيني من هم أعلى رتبـةً منهم. طلب مني المدير ألاّ أظن أنّ هؤلاء الذكور يقصدون عدم احترامي أو أنّ هذه المسألة إشارة إلى اضطراب سلوكي.

ساعدني المدير على إدراك حقيقة الأمور. من دون ذلك الشرح، لما استطعت فهم الفتيان خصوصاً وأننا مختلفون».

واجهت هـذه المعلمة مشكلةً أساسها الاختلاف الاجتماعي والعـرقي. من الصعب مواجهة مسألة كهذه، ومن خلال رسالتها، استنتجنا أنّها سعدت باستيعاب حقيقة الأمور وبتعليم طلاب اعتبرتهم أفضل من قد يتعامل معهم أيّ مدرّس.

عندما يكون الفقر سبب النقص في الحوافز والأداء الأكاديمي السيئ، علينا عندها الالتفات إلى البيئة التي يتواجد فيها هؤلاء الفتيان. كلّما عدّلنا نظامنا المدرسي لتعزيز القدرة الفكرية لديهم ولدعمهم عند إصابتهم بصدمات عائلية، كلّما تقلصت إمكانية اكتئابهم. لن نستطيع حلّ مشكلة الافتقار إلى الحوافز التعلّمية عند الفتيان (والفتيات) إن لم يختفي الفقر والظلم والتمييز العرقي من بلادنا.

تصل نسبة الفتيان الأميركيين من أصول أفريقية في السجون إلى حوالى 25٪ من عددهم في مجتمعنا. إنّ هذه النسبة مثيرة للقلق، وعلينا الالتفات إليها ومساعدة هؤلاء الفتيان. في كل مجموعة عرقية وفي كل طبقة اجتماعية

مجموعة من الذكور الذين يحتاجون إلى مساعدتنا للتمتع بحوافز تعلّمية واجتماعية.

تشرف روبي باين على مشروع ضد الفقر وعلى الصفحة الإلكترونية www.ahaprocess.com يشارك بول سلوكامب إضافة إلى زملاء آخرين في هذه المشاريع لمساعدة المدارس في المناطق الفقيرة. بإمكانكم الاطلاع على الصفحة الإلكترونية التي ذكرناها للحصول على إرشادات حول كيفية تدريب مدارسكم ومجتمعاتكم على مواجهة المشكلات التي يتسبب بها الفقر. من المهم تدريب المدرسين ليعوا الاختلاف التعلّمي بين الجنسين وبين مختلف الأعراق.

عندما يعاني الموهوبون من نقص في الحافز

كيم والدةٌ لابنين تعيش معهما في آركنساس، وأطلعتنا على تجربتها مع ابنها البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً.

«كان ساندي طالباً حسناً في المرحلة الابتدائية. لم أدرك ووالده أنّه كان يحصل على علامات جيدة دون بذل أيّ مجهود. عند ترفعه إلى الصفوف التكميلية، بدأت علاماته بالتراجع. اتصل بنا مدرّسوه ليطلعونا أنّه لا يقوم بفروضه. ابتكرنا جدولاص فيه عواقب مختلفة لعدم إنجاز هذه الفروض، كما اصطحبناه إلى عالم نفسي لنعرف إن كان مصاباً باضطراب تعلّمي ما. أظهرت النتائج ذكاءً مذهلاً وعدم وجود أية صعوبة تعلّمية لديه. أصبنا بالارتباك خصوصاً وأنّه فتى ذكي. عند وصوله إلى الصف العاشر، بات الفرق بين قدراته وعلاماته شاسعاً. كان تعليم فتىً شديد الذكاء أمراً صعباً للغاية.

تخرّج ساندي من المدرسة بمعدل 70٪. اعتبرنا أنفسنا محظوظين لمجرّد نجاحه في المدرسة. سيلتحق ساندي بالجامعة هذه السنة، ولكنني لا أفهم ما جرى مع ابننا الموهوب».

ليست كيم الوحيدة التي قد واجهت مسألةً مضنية كهذه. قامت جامعة كونيكتيكيت بدراسة في كلية التربية، وأظهرت النتائج أنّ هناك ثمانية فتيان مقابل كل فتاة موهوبة تفتقر إلى الحوافز التعلّمية وتحصل على علامات متدنية. ليطلق على الطالب هذه الصفة، كان المقياس عدم حصوله على علامات متفوقة في المدرسة بالرغم من تفوقه في الامتحانات الرسمية. في هذه الدراسة، اشترك طلاب حصلوا على علامات عالية في الامتحانات الرسمية، وتتراوح نتائجهم في هذه الامتحانات بين 95 و98٪، وهي نسبة تشير إلى أنهم موهوبون. كما وكان على المشاركين ألاّ يكونوا مصابين بأي اضطراب سلوكي كالحركة المفرطة وباية صعوبة تعلّمية.

باتريسيا سانت جيرمان مدرّبة في مركز غوريان ومعلّمة ابتكرت نظاماً يساعد الطلاب الموهوبين ذوي الأداء المدرسي السيئ. استعانت باتريسيا بالمقاييس التي اتبعتها دراسة جامعة كونيكتيكيت، وطبّقت المواد التي وصلت إليها دراسات مركز غوريان حول الاختلاف الفكري بين الجنسين:

«قمت بتعليم مادة العلوم في المدارس الثانوية وفي الجامعات لمدة خمس وعشرين سنة. في السنوات الخمس الأخيرة، ابتكرت نظاماً خاصاً بالطلاب الموهوبين، وكان الهدف منه مساعدتهم على التعلّم. يتطلب هذا النظام مستوىً عالٍ من التفكير والتحليل من قبل هؤلاء الطلاب. كانت مهمتي مساعدة الموهوبين ذوي الأداء المدرسي السيئ. أدّى افتقارهم إلى الحوافز التعلّمية، إضافةً إلى ضعفهم الأكاديمي، إلى المشكلات التالية:

- عدم الثقة بالنفس أكاديمياً.
- كره المعلّمين.
- نقص في الحوافز التعلّمية وفي القدرة على تنظيم التفاصيل الحياتية.

- كره المدرسة.
- كره المواد المدرسية.
- عدم القدرة على تقييم الذات.

عند تعاملكم مع طالب موهوب يفتقر إلى الحوافز التعلّمية، من المهم الالتفات إلى أنّ كره المدرسة يؤدي إلى تدني الأداء الأكاديمي. من المثير للاهتمام أنّ الموهوبين يكرهون المدرسة أكثر من زملائهم الآخرين. يتصرف هؤلاء وكأنهم ليسوا بحاجة إلى تعلّم أي شيء.

إلاّ أنّ هذا الكره يشير عادةً إلى إحباط الفتى بسبب عدم قدرته على الحصول على علامات عالية. كما وتشتد حساسيّة هؤلاء الطلاب بسبب عدم فهمهم لصلة المادة بالحياة الواقعية وشعورهم بأنّ هذه المعلومات لا يمكن تطبيقها خارج المدرسة. بالنسبة إليهم، إنّ التجربة المدرسية لا تجدي نفعاً، ممّا يؤثّر على حوافزهم التعلّمية ويؤدي إلى تدني علاماتهم.

هناك الكثير من العوامل المؤدية إلى افتقار الطلاب إلى الحوافز التعلّمية في المرحلتين التكميلية والثانوية، خصوصاً عند الموهوبين منهم. يتمّ تجاهل العديد من هذه العوامل، وهذه مسألة يجب الالتفات إليها. في المرحلة التكميلية، لا يتعلم الطلاب الموهوبون المهارات اللاّزمة المتعلقة بالتعلّم كتنظيم الدروس وتدوين الملاحظات. يحصل هؤلاء الفتيان على علامات متفوّقة دون تمتعهم بأيٍّ من هذه المهارات الضرورية في التجربة التعلّمية. يدرك المدرّسون أنّ هؤلاء الفتيان قادرون على النجاح بواسطة ذكائهم دون الحاجة إلى هذه المهارات. عند تحدثي إلى طلاب موهوبين ذوي الأداء الأكاديمي السيئ، ألاحظ أنّهم لم يضطروا إلى بذل مجهود في الصفوف الإعدادية والتكميلية. عند ترفعهم إلى المرحلة الثانوية، تبدأ المشكلات بالظهور إذ يصعب عليهم الاعتراف بأنّهم لم

يكتسبوا المهارات اللاّزمة. لا يستطيعون أن يظهروا للآخرين عدم قدرتهم على تدوين الملاحظات وتنظيم الأوراق. عندها، يتركون المدرسة عوضاً عن الاعتراف بعدم تمتعهم بهذه المهارات».

ابتكرت باتريسيا أفكاراً جديدة يسهل تطبيقها لمساعدة هؤلاء الطلاب. أظهرت هذه الأساليب فعاليتها في دراستها وفي دراسة جامعة كونيكتيكيت. سنعرض عليهم هذه النتائج بشكل تفصيلي في الفصل الحادي عشر. تقدّم باتريسيا نظاماً فعالاً للتعامل مع الطلاب الموهوبين ذوي الأداء الكاديمي السيئ.

«من المهم احترام هؤلاء الطلاب من خلال تحفيزهم على التفكير بأمور تحليلية معقّدة. عليكم تحدي هؤلاء الطلاب الموهوبين ليقوموا بمهمات تتناسب وقدراتهم. ساعدوهم على التفكير بقدراتهم وبأعمالهم. يحتاج هؤلاء الطلاب إلى التفكير بالمسائل وتحليلها مراراً وتكراراً. إنّهم يتمتعون بقدرات هائلة ولكنهم يواجهون صعوبة في القيام بالمهمات التعلّمية البسيطة كتنظيم دروسهم وتدوين الملاحظات. يحتاجون إلى مساعدة من قبل مدرسيهم وأهاليهم ومستشاريهم. يدرك هؤلاء الفتيان عدم التوافق بين قدراتهم والنظام المدرسي، ولكنهم يواجهون صعوبة في التعبير عن هذه المشكلات».

في الفصل التالي عرضٌ مفصل للحلول التي يمكن اتباعها مع الفتيان المفتقرين إلى الحافز التعلّمي. تقدّم باتريسيا في هذا الفصل نصائح عن كيفية إثارة اهتمام هؤلاء الطلاب وحثّهم على المشاركة أكاديمياً.

تحفيز فتياننا

عندما كنت أعاني في المدرسة، كنت طالباً متململاً يتسبب بالكثير من المشكلات السلوكية. كنت فتىً مصاباً بإحباط واكتئاب تعلّمي، ولكنني كنت قارئاً ماهراً. كانت الأقسام الدماغية المسؤولة عن الوظائف اللغوية متقدمة النموّ

عندي. في المرحلة الثانوية، قرأت الكثير من الكتب التي تتمحور حول الفتيان والشبان الذين يحاولون فهم طبيعتهم والذين يواجهون مشكلات أكاديمية. كنت أشعر بأنّ هؤلاء الفتيان يشبهونني، إذ أنّهم كانوا مثاليين ومرتبكين ومستعدين للتخلي عن كل شيء للوصول إلى النضوج. عندما طالعت هذه الكتب، شعرت بالحافز لأتعلم.

عند توقفي عن مطالعة هذه الكتب، واجهت الحقيقة المريرة. عدت إلى كرهي للمدرسة وإلى محاولة النجاح في هذا النظام الأكاديمي. تقلّصت حوافزي التعلّمية ولم أنجز فروضي المنزلية. عزلت نفسي في غرفتي أو أمام شاشة التلفاز.

لم أكن أدرك عندها أنّ لذلك علاقة بالفصّ الجبهي وبالأعصاب وباللحاء الأمامي-جبهي. لم أكن أعرف أي شيء عن صور الأشعة وعن تأثر الوظائف الفكرية بالشعور بالرضى. استمرّت محاولاتي للاستمتاع بالتجربة المدرسية، وكنت أدرك أنّ هناك ما أفتقر إليه. شعرت بالإحباط وكنت بحاجة إلى المساعدة للوصول إلى النجاح الأكاديمي.

أعتقد أنّ كلّ طالب يفتقر إلى الحوافز التعلّمية يعاني من المشكلات هذه. يصاب كلٌّ منهم بالاكتئاب ويحاول النجاح في المدرسة وفي الحياة. من الممكن وصوله إلى النجاح إن حصل على المساعدة الكافية وإن تمّ التعامل معه وفقاً لحاجاته وميوله. يبحث الفتيان غير المتحمسين للتعلم عن حلول وعن بدائل يستمتعون بها. لذلك، على الأهالي والمدرّسين ومختلف الأفراد مساعدتهم لاكتشاف ذاتهم وما يحبونه.

في الفصل التالي حلولٌ وأساليب تعمل على تحفيز الفتيان. يصاب هؤلاء بالإحباط والاكتئاب التعلّمي عند عدم شعورهم بالرضى في المدرسة وعند عدم

استمتاعهم بالتجربة الأكاديمية. من غير الممكن معالجة هذا النوع من الاكتئاب بواسطة الأدوية التي قد تؤذي الفتيان عوضاً عن مساعدتهم. من الضروري اللجوء إلى وسائل أخرى تساعد على حلّ مشكلة هؤلاء الفتيان بطريقة أكثر شمولية وإنسانية.

الفصل الحادي عشر

مهمة الأهل والمدرّسين في تحفيز الفتيان على التعلّم

واجهت الكثير من الصعوبات في صغري. لم أشعر بالحافز للتعلّم. كنت أكره المدرسة. أصابني إحباط حاد. كنت على وشك الاستسلام. ثمّ تغيرت بعض الأمور. انتقلت عائلتي إلى مدينة أخرى ممّا استدعى التحاقي بمدرسة جديدة. بدأت بممارسة كرة القدم. استعدت الحافز التعلّمي استغرقت المسألة سنتين، إلاّ أنني استعدت الحافز بطريقة ما. عدت إلى الإعجاب بنفسي وبقدراتي.

مايك رو، 28 عاماً

كما ذكرنا في مقدّمة الكتاب، يتدرّب ابن كاثي مايك رو (الذي كان يعرف باسم كارل مايكل) ليغدو مدرّساً. إلاّ أنّ مايك كان غير متحمّسٍ للنجاح في المرحلة التكميلية. أصيب عندها باكتئاب أدّى إلى تدهور علاماته المدرسية. تمّ تشخيصه بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه. أحسّ أنّ النظام التربوي لا يحترم رغباته ممّا جعله يكره المدرسة. أثّرت هذه المشكلة الأكاديمية عليه، وتفاقمت الأزمة بسبب انفصال والديه والمشكلات النفسية المتأتية من ذلك.

كانت الأوقات شديدة الصعوبة بالنسبة إلى مايك، ويعترف أنّ بعض الأمور التي حصلت عندها والتي حسّنت الأوضاع هي ما حال دون فشله في المستقبل.

تشبه تجربة مايك تجارب عديدة أخرى لفتيان افتقروا إلى الحافز التعلّمي. ليستعيد هؤلاء الذكور هذا الحماس، هناك بعض الأمور التي يجب أن تتمّ، منها

الصعب ومنها السهل. ما هي هذه الأمور؟ كيف يستعيد هؤلاء الفتيان حماسهم؟.

يعرض هذا الفصل حلولاً من الممكن تطبيقها في المنزل وفي المدرسة. تختلف التجارب الخاصة بعدم الحماس وبالاكتئاب إلاّ أنّ الحلول التي يمكن اتباعها تساعد جميع هؤلاء الفتيان، وهي إجراءات تتمحور حول تعديل المنازل والمدارس.

مهمة الأهل:

إنّ أهم مسؤوليات الأهل وفرقهم التربوية هي مساعدة الفتيان على استعادة الحوافز التعلّمية، إذ إنّ ذلك يوصلهم إلى النجاح المستقبلي. بالرغم من تأكّد الأهل، ومنهم كاثي، أنّ أساس المشكلة هي المدارس وعدم توافقها مع الفتيان، إلاّ أنّ أوّل مكان لإنقاذ هؤلاء الذكور هو المنزل. سنطلعكم على بعض ما يجب على الأهالي وفرقهم الالتفات إليه.

المدرّسون الخصوصيون والمدرّبون:

مهما كانت أصولكم العرقية، فإنّ أسلافكم قد قاموا بالاعتماد على تدريب الفتيان كوسيلة لتعليمهم، ممّا استدعى وجود مدرّب راشد في حياة كل فتى. توفّي بعض الآباء أثناء المعارك وماتت بعض الأمهات أثناء الولادة؛ تعرّضت القبيلة أو البلدة للهجمات المستمرة. إلاّ أنّ مختلف الظروف الضاغطة على الفتيان لم تمنعهم من تعلّم المهارات بشكل جيد لتتمكن العائلة ومجتمعها من البقاء. كانت أفضل الأساليب التعليمية في ذلك الوقت العلاقات التي ربطت الفتيان بمدرّسيهم بشكل منفرد.

لم يكن عدم شعور الفتيان بالحوافز التعلّمية أمراً ممكناً، وإن ظهر ذلك، فكان الحل سريعاً ومتمثلاً بالانتباه المستمر الذي منحه الأستاذ للغلام. إن

اكتشف الأستاذ أو العائلة أنّ القدرات التي يتمتع بها الفتى لا تتوافق ومجال الخبرة التي يتمتع بها الأستاذ، فإنّ العائلة كانت تجد أستاذاً آخر يتناسب وطاقات الفتى.

من الممكن تطبيق هذه المسألة في يومنا هذا من خلال الاعتماد على مدرّسين خصوصيين. قد يكون هؤلاء أفراداً من العائلة أو أعضاءً من الفريق التربوي، وقد تؤمن المدارس المتخصّصة هذه الخدمات. أظهرت الدراسات في العقد الماضي أنّ أفضل العلاجات وأكثرها فعاليةً في إنعاش الحوافز التعلّمية هو الاعتماد على مدرّب تربوي يتحمل مسؤولية تدريس كلّ فتى. قد يكون هذا المدرّب مدرّساً خصوصياً أو مدرسةً خصوصية أو مدرّباً متخصصاً بالاحتياجات الخاصة أو أفراداً من العائلة.

كان يتمّ تحديد المدرّب في السابق من قبل الوالدين وبتدخّلٍ من الأم الرئيسية أو الأب الرئيسي في القبيلة. أمّا الآن، فباتت مسؤولية إيجاد المدرّب المناسب تقع على عاتق الأهل الكثيري الانشغال. لمواجهة هذا التحدّي، على الأهل التفكير بأكثر من شخص قادرٍ على أن يكون مدرباً مناسباً للفتى. بعد وصول الفتى إلى الصف السادس، يصبح من المفضّل البحث عن مدرّبين ذكور عوضاً عن الإناث. قد يتمّ اختيار المدرّب الرياضي، إلاّ أنّه لا يستطيع تولي المسؤولية بمفرده. هناك حاجة لمدرّسين آخرين وهم مدرّسو الموسيقى ومدرّسون خصوصيون للرياضيات والعلوم والقراءة والكتابة. كما ويحتاج الفتيان في بعض الأحيان إلى مدرّسين يعلمونهم الأديان. إضافة إلى ذلك، عليكم الاعتماد على فرد أو أكثر من العائلة ليساعدوا ابنكم على إنجاز فروضه المنزلية.

أنتم المسؤولون عن اختيار من سيعيد إلى ابنكم الحافز التعلّمي. قد تقررون تقليص ساعات عملكم لتستطيعوا تمضية مزيد من الوقت مع الفتى. لذا، قد تتولون بأنفسكم مسؤولية تدريب ابنكم وتدريسه. تعرف أحد الآباء الذي قام

بطلب إجازة من عمله ليمضي وقته مع ابنه وهو يساعده ويدعمه. عند عدم القدرة على تقليص ساعات العمل، عليكم اللجوء إلى الأقارب الذين يستطيعون مساعدتكم.

دور الأقارب:

كثيراً ما لا يتمّ الالتفات إلى أحد أهم الموارد التعليمية وهو تعدّد الأجيال في العائلات. إن كنتم تحاولون مساعدة ابنكم وإنعاش حوافزه التعلّمية، عليكم حثّ جميع أفراد العائلة والأقارب على التدخل: الجدات والأجداد، الخالات والعمّات، الأخوال والأعمام، الأمهات والآباء الروحيون، أهالي أصدقاء الفتى، إضافةً إلى إخوانه الأكبر سناً. عليكم الاتصال بالأقارب لطلب المساعدة.

كارلين جدّةٌ في الإحدى والسبعين من عمرها أطلعتنا على تجربتها مع حفيدها جوناثان، البالغ من العمر الست سنوات. عندما يقوم جوناثان بزيارة منزل جدّه وجدّته، يحظى على الكثير من الاهتمام مهما طالت زيارته. يكون مصدر هذا الاهتمام أحد الجدّين أو كليهما معاً. يبذل الجدّ مجهوداً في مساعدة جوناثان على القراءة وعلى تنفيذ فروضه، ويحب أن يتعلّم حفيده من أيّ نشاط يقومان به معاً. إنّ ذلك مفيد لجوناثان إلى حدّ كبير.

اعترف جدّ جوناثان أنّه كان يمضي الكثير من الوقت في عمله في صغر ابنه. عندما كبر ابنه، شعر هذا الجدّ بأنّ الوقت قد مرّ دون مشاركة الفتى بتجربته الأكاديمية. تبدّلت الأدوار وأصبح الابن يمضي معظم وقته في عمله، فقرّر الجد المساعدة من خلال تمضية الوقت مع حفيده.

بوسع الأجداد والأعضاء الآخرين في الفريق التربوي التدخل لتأسيس علاقاتٍ وثيقة مع الأطفال ولتعليمهم بشكل جيّد منذ الصغر. يؤدّي ذلك إلى تعزيز ثقة الأطفال بهؤلاء الأفراد، ممّا يساعدهم على تدريب الفتيان وإعادة

حوافزهم التعلّمية. عندها، تستطيع الشبكة العائلية منح الفتيان الدعم المناسب إن ظهرت أية مشكلة متعلقة بالحوافز التعلّمية.

دور الفرق التربوية والمتخصّصين في الاهتمام بالفتيان:

قد تكون القساوة أداةً تحفيزية فعّالة. قد يحتاج أحد الوالدين إلى استخدام النقد الحاد وإلى التعبير عمّا يتوقعونه من أبنائهم. ليس من الخطر اللجوء إلى القساوة في بعض الأحيان، على ألاّ يتم الاعتماد على العنف الجسدي أو الاعتداء النفسي. يتذكر الكثير من الأهالي والأقارب هذه الوسيلة التي اتبعها أولياء أمورهم في صغرهم. لذلك، فقد يحاولون تطبيق هذه القساوة مع أبنائهم.

إلاّ أنّ المبالغة في الاعتماد على النقد أمرٌ لا يساعد الفتيان غير المتحمسين تجاه التعلّم في معظم الأحيان، يدرك الأهالي والأقارب والأطباء أهمية الانتباه إلى نقاط القوة عند الفتى. عندها، يستفيد الفتى من صبركم، حتى وإن حصل على اهتمامكم بعد استفزازه إياكم.

أطلعني د. هاورد شوبينير على تجربته (وقد سبق وذكرت د. شوبينير في الفصل التاسع):

«أثناء عملي مع الأهل والعائلات، أخبرهم عادةً بأن الأدوية لا تساعد الفتيان غير المتحمسين للتعلّم. كما وأؤكد لهم أنّ التحفيز أهم من الأدوية في هذه الحالة. من خلال تعاوننا، ندرك أنّ تحفيز الفتى يتمّ عندما يتمّ تحديد نقاط القوّة عند الفتى ومن ثمّ تعزيزها.

لا يقتصر ذلك على تشجيع الفتى ومكافأته بل على التركيز على قدراته ومواهبه. تؤكد لي خبرتي أنّ تحفيز الفتيان يتم عبر تحسين أدائهم في المجالات التي يجيدونها. علينا عندها جعلهم يدركون نقاط القوة لديهم، ومن ثمّ علينا حثّهم على الشعور بأنّهم قادرون على القيام بمختلف الأمور حتى تلك التي

لايشعرون بالحماس تجاه تنفيذها. من خلال ذلك، نكون قد استخدمنا الإيجابيات لتوليد إيجابيات أخرى».

د. شوبينير عضو في الفريق التربوي الذي يرأسه الوالدان. يحتاج إلى العائلة لتساعده على تحديد المجالات التي يجيدها الفتى، وتحتاج إليه العائلة ليعينهم في مساعدة الفتى.

أطلعنا هاورد على تجربة مذهلة تظهر نجاحه في مساعدة الفتيان على استعادة الحوافز، وذلك من خلال تحديد نقاط القوة عندهم.

«أتى إلى مكتبي فتى يرتدي قميصاً عليه صور ضفادع من مختلف أرجاء العالم. كان هذا المراهق ذكياً، إلاّ أنه كان راسباً في معظم المواد. سألته عن الضفادع وذهلت لسماع ما قاله، إذ إنّه كان واسع المعرفة بما يختص بالضفادع الموجودة في جميع المناطق، من أميركا الجنوبية وحتى إفريقيا. سألته كيف توصّل إلى معرفة كل تلك المعلومات. أخبرني عن اهتمامه بالضفادع وعن مطالعته الدائمة للكتب المتعلّقة بهذا الموضوع. أطريته على قدراته وشرحت المهارات التي كان يستخدمها: الاهتمام بموضوع ما، وبذل مجهود لتعلّم المزيد عنه، وأخيراً التنفيذ (إذ أنّه افتخر بما يعرفه أمامي). اعتمدت وعائلته على نقطة القوة هذه، وعملنا على إطرائه كلّما أظهر هذه المهارات الثلاث (الاهتمام والمجهود والتنفيذ) في مجالات أخرى كفروضه المدرسية مثلاً.

لهذه القصة نهاية سعيدة، إذ إن الفتى حصل على نتائج جيدة في مواده».

تنظيم ما يشاهده ويأكله:

لمن لم يطّلع على الفصل الخامس، نقترح عليكم قراءته الآن، مع التركيز على المواد المتعلقة بوسائل التسلية كالتلفاز وألعاب الفيديو والكمبيوتر. اكتشف الكثير من أهالي الفتيان غير المتحمسين للتعلّم أنّ أبناءهم يظهرون الكثير من

الحماس للاطلاع على الصفحات الإلكترونية على شبكة الإنترنت ولتمضية الوقت بألعاب الفيديو ولمشاهدة البرامج التلفزيونية. كما ذكرنا في الفصل الخامس، فإنّ ذلك أمرٌ يؤثّر على القدرة الفكرية عند الفتيان بشكل سلبي. يعرض عليكم هذا الفصل بعض الاقتراحات الخاصة بكيفية التعامل مع وسائل التسلية.

إضافةً إلى ذلك، يعاني الفتيان المفتقرين إلى الحافز التعلّمي (تماماً كمن يعانون من الحركة المفرطة والنقص بالانتباه ومن الصعوبات التعلّمية الأخرى) من سوء التغذية، ممّا يساهم في اكتئابهم المؤدّي إلى رسوبهم. يتناول بعض هؤلاء الفتيان الكثير من السكر، ممّا يفرز كميات كبيرة من الإنسولين الذي يؤثّر على التعلّم وعلى النفسية. أمّا البعض الآخر، فيتناول الكثير من الأطعمة الدّسمة التي تحول دون التعلّم والنجاح من خلال التأثير على الوظائف الدماغية. في الفصل الخامس معلومات إضافية عن التغذية. هناك الكثير من المسائل التي من الصعب السيطرة عليها في حياة الفتيان، لكنّكم قادرون على تحسين نظامه الغذائي. إنّ تعديل هذا النظام يؤدّي إلى نتائج مذهلة في تقليص حدّة الاكتئاب ولزيادة الحوافز التعلّمية.

بما أنّ لما يشاهده الفتى ويأكله تأثيراً مباشراً على قدرته الفكرية، فمن المهم الاهتمام بهذين الجزئين من حياته. حالما يبدأ الفريق التربوي بتعليم الفتى ومساعدته، يصبح لديكم متسع من الوقت والطاقة للتركيز على مسائل أخرى كالتغذية ووسائل الترفيه.

المشاركة في الفروض المنزلية:

هل سبق وتساءلتم بعد نوم ابنكم إن كنتم تساعدونه على إنجاز فروضه المنزلية بشكلٍ كافٍ أو بشكل مفرط؟ هل سبق وشعرتم بالذنب إزاء حثّه على

إنجاز هذه الفروض بشكل مستمر؟ هل سبق وشعرتم بالذنب حيال تركه لينجز فروضه المنزلية الصعبة بمفرده؟ هل سبق وحاولتم حثّه على القيام بهذه الفروض وفشلتم في محاولاتكم؟ هل سبق وتوقفتم عن دفعه لإتمام الفروض بسبب عناده؟

إنّ الفروض اليومية من أهم العوامل المؤدية إلى النجاح الأكاديمي. إلاّ أنّها مسألة نعاني منها مع فتياننا، خصوصاً وأنّ أداءهم فيها يكون في العادة أسوأ من أداء الفتيات. تزداد أهمية الفروض المنزلية عند الفتيان المفتقرين إلى الحماس التعلّمي أو عند الفتيان المكتئبين والراسبين. أكثر ما يتسبّب بشعور هؤلاء الذكور بعدم الثقة بالنفس هو فشلهم في إنجاز الفروض المنزلية.

لذلك، فمن المهم أن تدركوا أنّ التدخل في هذه المسألة هو من إحدى الواجبات الوالدية. لا يعني ذلك أن تقوموا بهذه الفروض أو أن ينجزها أحد أعضاء الفريق التربوي عوضاً عن الفتى، خصوصاً وأنّ ذلك يزيد من عدم الحماس الذي يشعر به. كما ولا يجب الاعتماد على مجرّد تذكيره بضرورة إتمام الفروض والأمل بأن ينجزها. إنّ أفضل طريقة هي تواجد أحد الوالدين أو كليهما إضافة إلى أعضاء آخرين من الفريق التربوي حول الفتى أثناء قيامه بالفروض المنزلية. تكون مهمة الراشدين عندها إسداء النصائح والمساعدة على ترتيب الأوراق والملفات وتعليمه استخدام الآلات الحاسبة والكمبيوتر بشكل أفضل وفحص قدرته على التهجئة وتشجيعه المستمر والقيام بما بوسعهم لتحسين أدائه.

يرغب الفتيان عادةً بألاّ يتدخل الآخرون في شؤونهم وهذا ما يتوقّعه المجتمع في حياة الذكور. لذلك، كثيراً ما يعتقد الأهل أنّهم يسدون الفتيان خدمة من خلال عدم التدخل. إلاّ أنّ على الأهالي عدم القيام بذلك عندما تتعلق المسألة بالفروض المنزلية. إنّ أقلّ ما يجب القيام به مع الفتيان غير المتحمسين للتعلّم هو تمضية ساعة معهم يومياً بينما ينجزون فروضهم. من الممكن أن

يمضي هذه الساعة أحد الوالدين أو الوالدان والمدرّس الخصوصي أو أعضاء آخرون من الفريق التربوي. إن كان الفتى بحاجة إلى أكثر من ساعة، فقد لا يستطيع أحد الوالدين تمضية كلّ ذلك الوقت معه. عندها، يتولّى هذه المسؤولية ولي الأمر الآخر أو أحد أعضاء الفريق أو المدرّس الخصوصي.

إذا خططتم لمسألة الفروض المنزلية بشكل فعّال، وإن منحتموه اهتمامكم الكافي، فقد ينمو لديه حبٌّ لهذا الاهتمام وقد يبدأ أداؤه بالتحسّن. قد يشوّش أحد أفراد العائلة على هذه الإجراءات وقد تشتد حدّة التوتر في أوقات إنجاز الفروض. إن كان أحد الوالدين قاسياً مع الفتى، فقد يؤثّر ذلك على نفسيته. على ولي الأمر هذا أن يحاول تغيير المسألة وأن يصبح رفيقاً للفتى في الأوقات المخصّصة للفروض المنزلية، ممّا يتطلّب المزيد من الصبر ومن الأفكار الجديدة.

من أهم ما يجب الانتباه إليه هو عدم قيام الفتى بفروضه المنزلية في غرفته وبابها مقفل. تأكدوا من إتمامه ذلك في غرفة تناول الطعام أو في ركن آخر من المنزل، على أن يسمح له هذا الركن بالتفاعل معكم ومع الآخرين. إنّ ذلك يعمل على توثيق العلاقات بين أفراد العائلة. يعاني الكثير من الفتيان غير المتحمّسين للتعلّم من اكتئاب يجعلهم يرسبون أكاديمياً. لذلك، عليكم ألاّ تسمحوا له بالبقاء وحيداً، إذ إنّ العزلة تزيد من الاكتئاب.

في العام 1999، أطلعني أبٌ من شيكاغو على تجربته التي غيّرت وجهة نظري الخاصة بالفروض المنزلية. كان ابنه يفتقر إلى الحوافز التعلّمية وكان يواجه الفشل أكاديمياً. عندما تخرّج ابنه أخيراً من المدرسة والتحق بالجامعة، استمرت مشكلات الفتى فقام ووالده بالاتفاقية التالية: وعد الوالد ابنه بأن يتّصل به كل صباح ومساء لسؤاله عن المواد التي يدرسها وليساعده في إنجاز أي فرض منزلي أو بحث. أمضى الوالد وابنه الكثير من الوقت وهما يتحدثان على الهاتف كل يوم. استمر ذلك في السنة الجامعية الأولى التي تكلّلت بالنجاح.

اعترف الفتى أنّ الفضل في ذلك يعود إلى والده الذي استمر بإزعاجه وتشجيعه وتحفيزه لمدة ساعة أو ساعتين كلّ يوم.

مساعدة الفتيان على التعلّم في مدارس منزلية:

مهما حاولتم، فقد لا يؤدي كلّ ما تقومون به إلى تغيير حال الفتيان غير المتحمّسين للتعلّم. إلاّ أنّ هناك وسيلة أخيرة يمكنكم اللجوء إليها.

في رسالة من ميامي، أطلعتنا كلير دوري على تجربتها. نقلت كلير المدرسة والتجربة الأكاديمية إلى المنزل، ممّا أدّى إلى نتائج مذهلة مع ابنيها. كان النظام المدرسي يعتبرهما فاشلين. لم يتحمّس ابناها للتعلّم في المدرسة، وأظهرت الامتحانات التي كانا يخضعان إليها كم يتمّ بسببها هدر الوقت التربوي. لذلك، أخذت كلير المسألة على عاتقها، وبات أداء ولديها جيداً جداً. إنّ أداءهما أفضل من أداء معظم الأولاد في المرحلة الثانوية.

ليس بإمكان جميع العائلات تطبيق فكرة المدارس المنزلية، وليس ذلك ملائماً لجميع الأطفال (أو أولياء الأمور). إلاّ أنّ ذلك قد يكون الحل المناسب للأهالي الذين يعانون مع فتيانهم وقلّة حماسهم التعلّمي. إنّ افتقارهم لهذه الحوافز يجعلهم لا ينجزون فروضهم المنزية ويتغيبون عن المدرسة دون إذن ويتسبّبون بمشكلات سلوكية في صفوفهم.

تعتمد ليسلي على التدريس المنزلي في كولورادو سبرينغز، ولديها سبعة أولاد تبلغ أعمارهم 18، 17، 156، 13، 8، 6، و4 أعوام. قامت وزوجها بتعليمهم في المنزل وفي أوقات مختلفة. التحق جميع أولادها الأكبر سناً بالمدارس الثانوية بدوام جزئي، حيث تفوّقوا وحصلوا على أعلى الدرجات. كان أكثر المستفيدين من هذه التجربة أبناء ليسلي، إذ إن التدريس المنزلي ساعد هؤلاء الفتيان على التعلّم بشكل جيد.

أطلعتنا كريستين من تكساس على تجربتها مع أولادها الستة:

«كان طفلي البكر ذكراً والطفل الثاني أنثى. كنت أحاول القيام بالقرار الأمثل بما يتعلّق بتجربتها التعليمية. كان من المخيف التفكير بإرسالهم إلى نظام تربوي تغلب عليه درجة عالية من الرسوب الطلاّبي. كان ابني، كجميع الذكور، يتمتع بصوت عالٍ وبطاقة مذهلة جعلته دائم اتحركة. لم ينسجم والبيئة المدرسية تماماً كغيره من الأولاد. بدأت مشكلاته الأكاديمية. بالرغم من أنّ شهادتي الجامعية لم تكن في المجال التربوي، إلاّ أنّ مجرّد تخرجي من الجامعة كان يؤهلني لتعليم أولادي. إنّني أرى معاناة الكثير من أصدقاء أبنائي، ممّا يبرهن لي أنني اتخذت القرار الصائب بما يتعلّق بعائلتي وتجربتها التعليمية«.

هناك الكثير ممّا يدعو إلى الاعتماد على المدارس المنزلية، ومنها العوامل الاجتماعية والدينية والشخصية. لهذا النظام التربوي العديد من الإيجابيات التي تقابلها بعض السلبيات.

تتمحور إحدى الإيجابيات على المرونة في التعلّم. كان أوّل ما لاحظته كريستين عندما اتبعت التدريس المنزلي مع أطفالها هو أنّ لا تأثير للعمر على هذه التجربة. لم تكن هناك مشكلة في إعطاء الوظيفة نفسها لابنها البالغ من العمر السبع سنوات ولابنتها التي تبلغ الخامسة من عمرها. كان من الضروري أن تقوم بتعليمهم بشكل منفصل في بعض المواد. إلاّ أنّ كريستين عملت مع الولدين في الكثير من البحوث العلمية والفروض اللغوية كالقراءة والكتابة.

لاحظت كريستين عاملاً إيجابياً آخر في التدريس المنزلي. لم يمضوا أكثر من ثلاث ساعات تعليمية في اليوم. لم تكن كريستين مضطرةً لتدوين الحضور والغياب أو لتعبئة الاستمارات أو للإجابة على رسائل الأهالي. أي أنّها لم تضطر إلى القيام بأيٍّ من الأعمال التي ينفذها المدرّسون قبل البدء بتعليم الطلاب. أدّى

ذلك إلى استغلال الوقت كلّه ولتمحوره على التعليم فقط. كان لكريستين أصدقاء يعملون كمعلمين في مختلف المدارس، وكانوا يحسدونها على تجربتها، خصوصاً وأنّها كانت تعتمد على زيارة المزارع في حصص العلوم أو على تناول الغداء مع الأطفال في الحديقة العامة.

هل كنت تعلم؟

وفقاً لوزارة التربية، يتلقى أكثر من مليون طفل أميركي التعليم في المنازل، ممّا يشير إلى ازدياد عدد هؤلاء الأطفال عن عددهم في العقد الماضي، إذ أنّه لم يتخطَّ الـ 360 ألفاً. من غير المفاجئ أنّ الفتيان يشكّلون أغلبية الأولاد الذين يتعلّمون في منازلهم.

إنّ المدارس المنزلية أسلوب تربوي مناسب للفتيان الذين يشعرون بعدم الانتماء إلى النظام التربوي المتوفّر في مجتمعاتهم. تسمح هذه المدارس المنزلية باختبار الفتيان للمسائل التالية:

- التعلّم المنفرد مع مدرّب خاص بكلّ طفل.
- التعلّم من خلال تطبيق المعلومات الجديدة (مثال النزهات).
- التعلّم بشكل يتناسب وجميع المراحل التنموية.
- الكثير من الحركة الجسدية.

بوسع الأطفال في المدارس المنزلية التعلّم وفقاً للسرعة التي تناسبهم. من حسن حظهم أنّهم لا يتعرّضون للضغط الاجتماعي المتأتي من ضرورة التحاقهم بالصف المناسب في المرحلة المناسبة. بوسعهم التعلّم بطرق تتناسب وقدراتهم وتعتمد على عاملي الحركة والتجربة التطبيقية، ويكتسبون هذه الخبرة قبل أن يطلب منهم تعلّم الجلوس بهدوء والقيام بأعمال جماعية. وإنّ جداولهم قابلة

للتعديل كيفما يريدون. من خلال التدريس المنزلي، بدأت العائلات بالرجوع إلى الوسائل التربوية القديمة التي كانت تعتمد على وجود مدرّس خاص يقطن مع الطفل ويعلّمه جميع المواد.

ليس التعليم المنزلي أمراً مفروضاً على الجميع بل هو خيار بوسعهم اللجوء إليه. لهذا النظام التربوي بعض العوامل السلبية:

ـ على أحد الوالدين أو أحد أعضاء الفريق التربوي التفرّغ لتعليم الأطفال طوال اليوم.

ـ على هذا الفرد أن يجيد تعليم الأطفال، ممّا يحتّم تمتّعه بالصبر والثقافة والقدرة على تنظيم مختلف الأمور.

ـ لن يختبر الطفل بعض أوجه التفاعل مع الآخرين والإشراف والتدريب التي تتمّ في المدارس الكبيرة الحجم.

ـ على الفريق التربوي بذل مجهود إضافي للتحضير لنشاطات غير أكاديمية ولنشاطات أخرى للطفل.

استخدام رخصة القيادة لتحفيز الفتيان:

إنّ الحصول على رخصة القيادة مسألة يختبرها معظم الأولاد كجزء من نضجهم. تستطيع العائلات، التي تعاني من افتقار أولادهم للحافز التعلّمي، استخدام رخصة القيادة كوسيلة لإنعاش الحماس في نفوس فتيانهم.

قبل أن نشرع بتفسير كيفية استخدام هذه الوسيلة التحفيزية، من المهم أن نذكركم أنّ حوادث السيارات هي أوّل مسبّبات الوفاة عند المراهقين الأميركيين الذين تتراوح أعمارهم بين الست عشرة والتسع عشرة سنة. يشكل المراهقون 7 بالمئة من حاملي رخصة القيادة في الولايات المتحدة، إلاّ أنّهم يشكّلون 14 بالمئة

من حالات الوفاة أثناء القيادة ويسيطرون على 20 بالمئة من الحوادث. يفوق عدد المراهقين الذكور عدد الإناث في هذه الإحصاءات إذ إنّه يصل إلى ضعفه. ازدادت حالات وفاة المراهقين الذكور بنسبة تقارب الـ40 بالمئة منذ العام 1975.

أثناء المراهقة، تزداد نسبة الدوبامين في الدماغ، ممّا يزيد من استمتاع المراهق بالنشاطات الخطرة والمندفعة. وفي هذه المرحلة، يرغب المراهق بتعلّم القيادة. لذلك، بوسعنا التسلّح بالإحصاءات المثيرة للقلق واستخدام رخصة القيادة كوسيلة للسيطرة على الأمور التعلّمية.

بوسعنا الإشارة إلى الدرجة العالية من الخطورة في عالم قيادة السيارات، وعلينا توعية المراهقين إلى المسؤولية التي يتحملونها عند القيادة. لعلّ أهمّ ما نستطيع القيام به هو إطلاع هؤلاء الفتيان أنّ عليهم بذل مجهودٍ تعلّمي يمكّنهم بعد ذلك من الحصول على الرخصة.

قد يكون الأداء الأكاديمي الحسن شرطاً أساسياً لشرائكم للسيارة المستعملة للمراهق أو لدفع قسط التأمين على السيارة. من خلال ذلك، تصبح رخصة القيادة وسيلة تحفيزيّة. على سبيل المثال، يمكنكم تحديد الساعات التي يستطيع تمضيتها وهو يقود السيارة وفقاً لتحسّن علاماته أو لتقلّص التغيب عن حضور صفوفه. لم يعد بوسع العديد من المدارس في النظام التربوي الحالي أن تصرف بعضاً من الميزانية على حصص تعليم القيادة. لذلك، باتت تلك المسألة من مسؤولية الأهالي الذين إمّا يعلّمون أولادهم القيادة بأنفسهم أو يدفعون المال ليلتحق أبناؤهم في مدارس خاصة بتعليم القيادة. لذا، فإنّ الأهالي يتمتعون بالسلطة في هذه المسألة، ويستطيعون أن يطلبوا من الفتيان القيام بدورهم المتمثّل بالمجهود الأكاديمي للحصول على الرخصة.

إنّ القيادة نشاط يتطلّب وظائف عديدة قد لا يستطيع الدماغ الذكوري القيام بها. بوسع العائلات التي تعاني من عدم حماس أولادهم تجاه التعلّم

استغلال الرخصة واستعمالها لتحسين سلوك الفتيان ونموّهم. من الممكن أن تقدّم العائلة للفتى الكثير من الحوافز التي يحتاج إليها للحصول على الرخصة وللتوصل إلى أداء أكاديمي جيّد.

مهمة المدرّسين

كما تعلمون، فإنّ العديد من المدارس تعتبر مسألة الافتقار إلى الحوافز التعلّمية اضطراباً سلوكياً أو إشارةً إلى إصابة الفتى بالحركة المفرطة والنقص بالانتباه. بات معظمنا مدركاً أنّه من غير العادل ومن غير الأخلاقي تشخيص حالة الفتى على أنّها مشكلة فكرية دون التأكد من ذلك عبر الوسائل الحديثة. يتمّ ذلك في بعض الأحيان عندما يكون الطالب في خضمّ نموّه الطبيعي أو محاولته للانتماء إلى نظام غير قادر على منحه ما يحتاج إليه. إنّ أفضل ما يمكن للمدرّس الاعتماد عليه هو إحساسه. عند نظره إلى عينيّ الفتى، بوسع المدرّس رؤية ما يشير إلى الاكتئاب الذي يتسبّب بالأداء الأكاديمي السيئ. عندها، يصبح بوسع المدرّس أن يبدأ البحث عن الحلول المناسبة.

سنعرض عليكم حلولاً تمّ اللجوء إليها والتوصّل من خلالها إلى نتائج إيجابية. نأمل أن تحثّكم إشارتنا إليها لتحاولوا حلّ مشكلة عدم حماس الفتيان للتعلّم. نأمل أن تقوموا بتدريب المدرّسين الآخرين ليطبقوا هذه الاستراتيجيات، خصوصاً وأنّ للطّاقم التعليمي دوراً لا يقلّ أهميةً عن دور الفرق التربوية التي يرأسها الأهالي.

عشر استراتيجيات فعّالة:

نضيف هذه الاستراتيجيات إلى تلك التي عرضناها عليكم في الفصول السابقة. إن كنتم لم تقوموا بمطالعتها، نقترح عليكم القيام بذلك الآن. في تلك الفصول أفكار جديدة لتعليم الأولاد في المراحل المبكرة والإعدادية والتكميلية

والثـانوية. تتمـحـور هذه الاقـتـراحـات حـول تعليم كـافـة المواد: القـراءة والكتـابة واللغـات والرياضـيات والـعلوم. لا تشتـد فـعـالية الاسـتـراتيـجيـات التـاليـة إن لم يتمّ مزجها والأفكار التي تمّ ذكرها في الفصول السـابقة. لقد سبق وذكرنا ثلاثة من هذه الاقتراحات في السابق، إلاّ أنّ تطبيقها مع الفتيان المفتقرين إلى الحوافز التعليمية أمرٌ مهم وفعّال.

1- تحـقـقـوا يومـيـاً من مسـار الأمـور في حـيـاة الفـتـيـان. اسـألوهـم عن فـروضـهـم المنـزليـة وعـن أدائهـم فـي المدرسـة وفـي المنـزل وفـي الحـيـاة. اصـغـوا إليـهـم وأرشدوهم لعدّة دقائق.

2- شـجّعـوهم على المشـاركة في مـختلف النشـاطـات كجلسـات النقـاش الطـلاّبيـة. حـاولوا إثارة المواضيع التي يهـتـمـون بهـا. حثّوهـم على التـفـاعل مـع زمـلائهم. ركّزوا على الأعمـال الجماعية في الصفوف، وقسّموا الطـلاّب بحسب جنسهم (كما ذكرنا في الفصل الثامن).

3- شـجّـعـوهـم أو اطلبـوا منهم الجلوس في القـسم الأمـامي من الصـف. بوسع الفتـيان السـمـاع بشكل أفضل وهـم في الأمـام. يصعب عليـهم عدم الـتركيـز من هذا المكـان، وهو أمـر يحـصل عـادةً عند جلوسـهم في الخلف. تأكـدوا من أنّ الإضـاءة كـافـيـة ومناسـبـة، ممّـا يزيد من فـعـاليـة المؤثّرات البـصـرية ويرفـع من المستوى التعلّمي.

4- عدّلوا الأسـاليب التعليمـيـة ليقلّ اعتـمـادها على العناصـر الشـفـهيـة واللغوية ولتتمـحـور بشكل أكبر علـى النشـاطـات التطبيـقـيـة. اسمـحـوا للطلاب الذين لا يميلون إلى التكلّم والكتـابة بالعـمل أمـام شـاشـة الكمـبيـوتر لمدة أطول من تلك التي تسمحون بها عادةً (على أن يكون الطلاّب قد ترفّعوا إلى الصف الثالث). قد تؤدي التعليمات الشفهية إلى تململ الطلاب غير المتحمّسين للتعلّم، وبوسع

استخدام الكمبيوتر حلّ أزمة الثقة بالنفس المتأتية من عدم إجادة الطلاب للكتابة كزملائهم.

5- اسمحوا للطلاّب بالتجوّل في الصف وهم يقرأون أو يكتبون أو يتعلمون أو يستخدمون الكمبيوتر. تستخدم المدارس المعتمدة على أسلوب غوريان التعليمي الحركة الجسدية كاستراتيجية لتحسين أداء الطلاب المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية.

6- اعطوا هؤلاء الطلاب أغراضاً يستطيعون الضغط عليها يدوياً وبشكل مستمر، على ألاّ يؤثّر ذلك على تركيزهم. عند سماحكم بذلك، يستمرّ عمل الدماغ على المستوى الحركي ممّا يساعد على تجنّب التململ أو النعاس. لقد أثبتت هذه الاستراتيجية فعاليتها مع جميع الطلاب وخاصةً مع الفتيان غير المتحمسين للتعلّم.

7- عدّلوا الجدول المدرسي ليتوافق والقدرة الفكرية عند المراهقين. بإمكانكم تحديد موعد الحصص الموسيقية في الصباح إذ أنّها تعزّز الوظائف الذهنية. نأمل أن يتغيّر الجدول في المدارس الثانوية ليبدأ اليوم المدرسي عند التاسعة وينتهي عند الخامسة. إنّ ذلك التوقيت يتناسب والمراهقين ويقلّص من احتمال قيامهم بأعمال سيئة في فترة ما بعد الظهر.

8- من أهمّ الحصص التي تحفّز الطلاب حصص الرياضة، إذ إن الحركة الجسديّة تعزّز الوظائف الفكرية. يحتاج المراهقون إلى أكثر من حصّة رياضة في الأسبوع، على أن تمتدّ الحصّة خمسين دقيقة. من المفيد تعاون مدرّسي الرياضة والمدربين لتعليم الطلاب غير المتحمّسين للتعلّم. قد يتحسّن أداء المراهق عندما يجتمع مدرّس الرياضة مع المدرّبين لمراجعة تقدّم الطالب ولمحاولة التوصّل إلى ما يتوافق وحاجاته.

9- إنّ المدارس والصفوف الصغيرة الحجم مفيدةٌ للغاية للطلاب المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية. تظهر الدراسات الخاصة بعدد الطلاب في الصفوف أنّ صغر هذا العدد يزيد من تعلّم الطلاب ويقلّل من المشكلات السلوكية. كما أنّ ذلك يحثّهم على الاشتراك في النشاطات الأكاديمية وغير الأكاديمية. إنّ ارتفاع عدد الطلاب في الصفوف يجعل التجربة المدرسيّة أكثر صعوبةً بالنسبة إلى الطلاب المفتقرين إلى الحماس للتعلّم، إذ إن ذلك يحول دون حصول كلّ منهم على ما يكفي من وقت المعلّمة.

10- وفّروا مدرّباً خاصّاً لكل طالب غير متحمّسٍ للتعلّم. من الممكن تطبيق ذلك من خلال برنامج المدرسة الاستشاري والصفوف واجتماعات المدرّسين مع أولياء الأمور والتدريب الرياضي والأحاديث التي تدور بين المدرّسين والطلاب حول الأشخاص الذين يعجب بهم كل فتى والذين يودّ هذا الفتى تلقّي المساعدة من قبلهم.

تدخّل المدرسة:

عندما يُظهر الطالب عدم تحمّسه للتعلّم بشكل مستمرّ، وعندما لا يتحسّن أداؤه الأكاديمي، يصبح من الضروري تدخّل المدرسة. يحصد طلاب ثانوية لويس كلارك أفضل النتائج الأكاديمية في ولاية واشنطن، وتستخدم هذه المدرسة وسيلة تدعى «دائرة التأييد». بوسع جميع المدارس اتباع هذه الاستراتيجية التي نفسّرها بشكل مفصّل في قسم الاقتراحات التالي.

تساعد استراتيجية كهذه على إنعاش الحافز التعلّمي لدى الطلاّب، ممّا يوصلهم إلى النجاح الأكاديمي من جديد. تشتدّ فعالية هذه التقنية إن شارك فيها الأهالي والمدرّسون. إن قام الجسم التعليمي بالاجتماع مع الفرق التربوية التي يرأسها الأهل بشكل منتظم، وإن استمروا بتبادل الأفكار عبر البريد

الإلكتروني، فإنّ ذلك الدعم المستمر للفتيان سيؤدّي إلى تحفيزهم على التعلّم. يقاوم الفتيان هذا التدخّل في بعض الأحيان، إلاّ أنّهم يستفيدون منه إلى حدّ كبير. إن أهمّ العوامل المؤدية إلى إنعاش الحوافز التعلّمية هو شعور الفتى، من خلال تلقّيه للتشجيع ومن خلال العلاقات الوثيقة، بدافعٍ لإنجاز فروضه المدرسية ولإظهار مواهبه وقدراته في المدرسة وفي المنزل.

مساعدة الموهوبين ذوي الأداء الأكاديمي السيئ

لباتريسيا سانت جرمان خبرة تعليمية واسعة وخصوصاً في مساعدة الموهوبين ذوي الأداء الأكاديمي السيئ. لقد سبق وذكرنا بعض أفكار باتريسيا في الفصل السابق، وفي قسم الاقتراحات التالي عدداً ممّا يمكن تطبيقه مع هؤلاء الفتيان لتحسين أدائهم.

تعمل باتريسيا على دمج هذه الاستراتيجيات مع محاولة جعل الطلاّب الموهوبين متمرّسين في إحدى المواد. إنّ التاكد من إجادتهم لهذه المهارات المنفردة يزيد من ثقتهم بأنفسهم، ممّا يؤثّر على أدائهم في مجمل المواد الأخرى. إن شعر هؤلاء الفتيان أنّهم قادرون على السيطرة على إحدى المهارات، فإنّ ذلك يجعلهم يستخدمون هذه المهارة للتوصل إلى النجاح في المواد الأخرى. كثيراً ما يفشل الطلاّب أكاديمياً عندما لا يكون بوسعهم أن يبرهنوا على قدراتهم من خلال تقديم البحوث وإنجاز الفروض.

إنّ باتريسيا مقتنعةٌ بأنّ هناك ضرورة لعدم قبول تخلّف الطلاّب عن تقديم فروضهم وأبحاثهم، وتشدّد على ذلك منذ المراحل المدرسية المبكرة. كما تؤكّد على وجوب كون هذه الفروض بالمستوى المطلوب. إن كان بوسع الطلاّب إظهار قدراتهم بطرق أخرى، فإنّها تسمح لهم بذلك، على أن يكونوا قادرين حقاً على عرض ذلك. تنصح باتريسيا جميع المدرّسين بعدم قبول الفروض التي تتّسم بأقل

المستويات المعقولة، إذ إن ذلك يسهّل على الطلاّب إنجاز هذه المهمات بأقلّ مجهودٍ ممكن.

اقتراحات

- يتمحور عمل الفريق المدافع عن حقوق الطلاب على جميع الأولاد، وخاصةً من يكون أداؤهم سيّئاً ومن لا يشعرون بالحافز التعلّمي.

- إنّ السياسة التي تتبعها المدرسة تتركز على تقليص عدد الطلاب. إن كانت المدرسة أهم مؤسسة تعليمية في إحدى أكبر المدن، فإنّ التقليص من هذا العدد مسألة يصعب تحقيقها. إلاّ أنّ إحاطة الطلاب بأشخاص يدافعون عن حقوقهم ويشجعونهم أمرٌ يساعد على حلّ هذه المشكلة.

- في السنوات الأربع، يتولّى المدرّس نفسه مهمة تعليم الطلاب كلّ يوم ثلاثاء. قد تتغير الغرفة أثناء السنوات الثانوية الأربع إلاّ أنّها لا تتغير أيام الثلاثاء عندما يكون المدرس والموجّه الذي يثق به الطالب متواجداً في الصف.

- يتمّ إرسال الطلاب ذوي الأداء الأكاديمي السيّئ إلى مكتب المستشار حيث يتمّ إنجاز الفروض المنزلية وحيث يتلقى الأولاد التدريس الخصوصي. يشكّل عدم تقديم الفروض المنزلية 80٪ من مسببات الرسوب، ممّا يدفع المركز الخاص بالدروس الخصوصية إلى التركيز على مسألة الفروض.

- يكون حضور الطلاب إلى المركز اختيارياً إذا كانت معدلاتهم أكثر من 70 بالمئة وإجبارياً لمن تكون معدلاتهم أقل من ذلك.

- إن لم يتحسن أداء الطالب بالرغم من حضور المركز، فيتمّ عندها إرساله إلى صفوف أيام الآحاد.

تضـيف باتريسـيـا إلـى نصـائحـهـا حـاجـة الطلاّب الموهـوبين ذوي الأداء الأكاديمي السيئ إلى مدرّبين يقومون بتوجيههم. لا يختلف هؤلاء عن زملائهم في هذه الحاجة، إلاّ أنّها أكثر إلحاحاً عند هذه المجموعة الموهوبة. إن كان الشخص الموجّه ذكياً وسريع البديهة، فإنّه يستطيع حلّ هذه الأزمة بشكل مذهل.

إنّ عمل باتريسيا المتعلّق بالفتيان الموهوبين ذوي الأداء المدرسي السيّئ مبنيٌّ على خـبـرتهـا الطويلة كـمـعلّمـة وإلى التـدريب الذي حـصلت عليـه بما يـختص بالنظريات التعليمية المختلفة. إنّ إحدى النظريات التي التفتت باتريسيا إليها هي تلك القـائمـة على الاختـلاف بين الجنسين في القـدرة التـعلّمـيـة، وهي مـا يرتكز عليه هذا الكتاب.

اقتراحات

- ركّزوا على المسائل السهلة لضمان النجاح. إنّ ذلك يشجّع الفتيان ويشعرهم بالفخر لإنجازهم ذلك.
- اسـمحوا للطالب بأن يناقش معكم وضعه على انفراد، إذ إن ذلك يسهّل عليه الاعـتـراف بأنّه لا ينجح أكـاديمياً بسـبب افـتـقـاره إلى المهـارات التـعلّمـيـة الأساسية.
- ناقشوا حالات الرسوب التي واجهها الطالب واسألوه عمّا شعر به حيال حاجته لتعلّم المهارة. اطلبوا منه اختيار مهارة واحدة يشعر بأنّه متمرس فيها ويستطيع من خلالها أن يظهر قدراته أمام المدرّس أو المستشار وحتى أمام نفسه.
- علّموه كلّ مهارة على حدة إلى أن يصبح مـتـمـرساً فـيـهـا. اطلبوا منه تدوين تطبيقه للمهارة على الرزنامة، على أن يحاول تطبيقها لمدة اسبوعين. راقبوا تقدّمه يومياً، وبعد انتهاء الأسبوعين، اسألوه عمّا يستطيع القيام به ليبرهن أنه أصبح متمرّساً في المهارة.

- ساعدوا الفتيان على استخدام رزنامة تتضمّن كلّ شهر على ورقة منفردة، على أن يلصقوها في الحمام أو في أي مكان آخر يجعل من قراءته للمهمات المطلوبة منها أمراً مضموناً.

- اسمحوا للفتيان باستخدام الكمبيوتر المحمول لتدريب الملاحظات. إن ذلك أكثر فعاليةً من كتابة الملاحظات يدوياً (خصوصاً وأنّ ذلك يتوافق والقدرة الفكرية عند الذكور).

- استخدموا في كلّ صف ملفاتٍ تظهر تقدّم الطالب وتحول دون شعوره بأنّه إنسانٌ فاشل في المدرسة.

من خلال تطبيق هذه النظريات في تعليمها للفتيان، توصلت باتريسيا، كغيرها من المدرّسين الذين لجأوا إلى الأفكار ذاتها، إلى معرفة ما يحفّز الفتيان والشبان. إنّها توجّه الذكور بشكل فعّال ليصلوا إلى درجة كافية من الشعور بقيمة الذات أو بما يسمّيه البعض «الفخر».

الدور التحفيزي للبرامج المعزّزة لاحترام الذات:

يتعاون مركز غوريان مع بول ماركوس وهو باحث ابتكر برنامجاً يعمل على تعزيز احترام الذات لدى الفتيان. من خلال هذا البرنامج، يستعيد الذكور إحساسهم بالفخر ويعطون أهميةً لجميع ما يقومون به.

تبدو كلمة «فخر» مصطلحاً قديماً يستخدم في الأفلام المشوّقة أو في الروايات القديمة. إلاّ أنّها كلمة شديدة الأهمية في يومنا هذا، إذ أنّها تعمل على حلّ أزمة افتقار الفتيان إلى الحوافز التعلّمية من خلال إنعاش هذا الحماس وإعادة النوعية العالية إلى الأداء الأكاديمي.

بول هو مستشارٌ في أكاديمية ألبوكيرك في نيو مكسيكو. يؤمن بول بضرورة ابتكار برنامج جديد في المدارس يزيد من حماس الفتيان للتعلّم. لجأ بول

وزملاؤه إلى نموذج ذكرته في كتاب «الشاب الفاضل»، وابتكروا برنامجاً يُطبّق في القسم الاستشاري في المدرسة لتعزيز احترام الذات لدى الفتيان. يصف بول هذا البرنامج بالشكل التالي:

«يتمّ تطبيق هذا البرناج في الصفين السادس والسابع، وأتولّى هذه المسؤولية بالتعاون مع مستشارة أخرى. لكلّ جنس صفٌّ استشاري خاص، حيث أتولّى زمام الأمور مع الفتيان وتدير زميلتي الصف الأنثوي. أستخدم منهاجاً خاصاً بتعريف الشخصية والهوية، وأساعد الفتيان من خلاله على مناقشة ما هو قيّم بالنسبة إليهم ومن يعتبرونه جديراً باحترامهم. كما وأحثّهم على إطلاعي على معايير البطولة لديهم وعلى الرجال الذين يرونهم من خلال البرامج التلفزيونية ويعتبرونهم رجالاً بكل ما في الكلمة من معنى. يناقش الفتيان في هذا الصف سمات آبائهم التي تدعو إلى الفخر والصفات التي يتمتّع بها كلّ رجل يعتبرونه مثلاً أعلى لهم. أدعوهم إلى تعريف احترام الذات وإلى مفهومهم للأعمال التي تؤدّي إلى الشعور بالفخر. نستخدم هذا النوع من النقاش قبل التجارب التعليمية الاختبارية وبعدها، ومن هذه التجارب المغامرات في الغابات والمدن، إضافةً إلى الخدمات الاجتماعية.

طرحنا على الطلاّب الكثير من الأسئلة ومنها:

- ما هو الفرق البيولوجي بين الفتيان والفتيات (على صعيد الأعضاء التناسلية والدماغ)؟
- كيف علينا معاملة الفتيات؟
- كيف أتعامل وجنسانيتي؟
- ما هو دور المدرسة في تعزيز احترامي لذاتي؟

استعين عادةً بمقاطع من الأفلام لأحفّز الطلاب على التحاور. يعتمد برنامجنا وبشكل كبير على الوسائل السمعية والبصرية.

يمتدّ هذا البرنامج على السنة الدراسية بأكملها، ويبلغ ذروته في تجربة يقوم بها الفتيان من خلال استخدامهم للحبل. يؤدي ذلك إلى تعزيز حسن المنافسة لديهم إضافةً إلى توعيتهم حيال أهمية التعاون مع الآخرين. كما ونطلب منهم العمل في الحديقة في الصباح دون التفاعل مع بعضهم البعض إلاّ من خلال التعابير غير الشفهية. بعد ذلك، يشارك الفتيان في جلسةٍ تحضرها الفتيات بهدوء، ويقوم الطلاّب الذكور فيها بالإجابة على أسئلة دوّنتها الإناث. من ثمّ تقوم الفتيات بالإجابة على أسئلة دوّنها الفتيان.

إنّ آخر ما يتمّ في هذا الصف هو قيام كلّ طالب بكتابة العناصر المهمة المشيرة إلى الفخر واحترام الذات. يدوّن الفتى الصفات التي يريد التمتع بها كطالب ومن ثمّ كرجل، كما ويكتب جميع الإنجازات التي يمكنه تحقيقها الآن وفي المستقبل. إنّ أكثر من يستمتع بالبرنامج هم الفتيان الذين يفتقرون إلى وجود الأب أو إلى تواجد أيّ ذكرٍ في حياتهم، إذ أنّهم يولعون بتفاعلهم مع مدرّسين ذكور أكثر حكمةً منهم. أعتقد أنّ للرجال دوراً أساسياً في حثّ الفتيان على التعلّم وفي جعلهم متحمّسين لمستقبلٍ يصبحون فيه مواطنين صالحين. باستطاعة الرجال تعليم الفتيان الكثير من الأمور المتعلقة بالحوافز وبالأداء وباحترام الذات وبالحياة بشكل عام» .

إنّ هذا البرنامج الذي ابتكره بول وزملاؤه شديد الفعالية مع جميع الفتيان ومع مختلف حالاتهم التي تشمل من يفتقرون إلى الحوافز التعلّمية. بوسع هذا البرنامج توعيتنا إلى أهمية دور الرجال في حياة الفتيان بشكل عام، وبالأخصّ في حياة الذكور المفتقرين إلى الحماس التعلّمي.

الدور الأساسي للرجال في تحفيز الفتيان

يفتقر العديد من الفتيان غير المتحمسين للتعلّم إلى وجود آباء أو ذكور موجّهين أو إلى أيّ تواصلٍ مع رجالٍ أكبر سناً وأكثر حكمة. يشير ذلك إلى فقدان

أهمّ العناصر الحياتية التي يفتقر إليها نصف الفتيان في أيامنا هذه. يؤدّي ذلك الأمر إلى مشكلة شديدة الخطورة قد تواجهها المدارس والعائلات التي يثير قلقها انتشار الاكتئاب بين الفتيان المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية.

في صيف العام 2004، وصلتني رسالة مؤثّرة من جوزيه وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره يعمل كبحّار في ميامي. في بداية الرسالة، وصف جوزيه نفسه على أنّه كان فتىً يعاني من مشكلات في المدرسة تمحورت حول افتقاره للقوة وللحوافز. ورد في رسالته ما يلي:

«إنّني واحد من بين ملايين الذكور الذين ولدوا وتربوا دون تواجد للأب في حياتهم. كانت أمي تقول لي إنّها والدتي ووالدي في الوقت نفسه. لم أصدّق ذلك بالطبع، بالرغم من محاولاتها المستمرّة لإقناعي. كنت أعرف معنى الأب، ولم يكن هذا الشخص موجوداً في حياتي ليدعمني وليعطيني التوجيه اللازم وليجيب على أسئلتي المختلفة عن الحياة.

أصبحت في الخامسة والعشرين من عمري، وأعتقد أنّ سنوات المعاناة التي واجهتها قد ولّت. لم أرزق بأطفال حتى الآن، إلاّ أنّ حياة طفلي المستقبلي ستكون مختلفة. سأعلم كيفية العمل مع مختلف المراحل الصعبة التي سيمرّ بها».

قد تكون تعابير جوزيه ركيكة بعض الشيء، إلاّ أنّ ما يحاول قوله واضحٌ للغاية. لم يكن قادراً على تحديد هويته حتى في هذا العمر. تظهر رسالته أنّه بحاجة إلى الدعم والتوجيه الذي لم يحصل عليه من والده. الآن وقد أصبح راشداً، قطع جوزيه وعداً على نفسه بأن يؤدي واجباته الأبوية بشكل كامل وشامل، خصوصاً وأنّه يدرك دوره الأساسي في توجيه أبنائه نحو النجاح.

قام دايفيد بلانكينهورن بدراسة معمّقة حول ما يعانيه الشبّان مثال جوزيه. يتعرّض الفتيان المفتقرون إلى وجود الأب إلى الاعتداء الجنسي وإلى

الاضطرابات النفسية. كما وأنّهم يحصدون علامات أسوأ في المدرسة ويترك الكثير منهم المدرسة. إضافة إلى ذلك، يتسبّب هؤلاء بعدد أكبر من المشكلات السلوكية ويتمّ إرسال عدد أكبر منهم إلى السجون الأحداثية. أخيراً، تزداد لدى هؤلاء الفتيان حالات عدم الثقة بالنفس وعدم إدراك القدرات التعلّمية. إنّ أبحاث مركز غوريان قد أثبتت أنّ أهمّ العوامل البيئية التي تزيد من الحوافز التعلّمية لدى الفتيان هو حصولهم على الإرشاد والدعم المعنوي من ذكور أكبر سنّاً وأكثر حكمة.

تعويض النساء لهذا النقص:

لربّما لاحظتم أنّ النساء هنّ أكثر من تواصلن معنا عبر رسائلهن البريدية والإلكترونية. إنّ معظم التجارب التي عرضناها هي تجارب أطلعتنا عليها أمهات ومعلّمات. ليس ذلك أمراً عرضياً، إذ إن النساء هنّ أكثر من يقرأن الكتب المماثلة لهذا الكتاب. تشارك النساء في النوادي الوالدية وفي نوادي المطالعة، كما وتبذل الأمهات جهداً للتواصل مع مثيلاتهن وللاطلاع على مجرى الأمور في دور الحضانة والمنازل والمدارس. تشكّل النساء غالبية الأشخاص المهتمين بمساعدة الفتيان المفتقرين إلى الحوافز التعلّمية.

تختلف هذه الظروف التي تظهر اهتمام النساء عن الظروف السائدة في الماضي. قامت الثورة الصناعية بإبعاد الرجال عن أبنائهم، إذ أنّهم اضطروا إلى التواجد في أماكن عملهم. أدّى ذلك إلى تولّي النساء مسؤولية تربية الفتيان والفتيات. تبذل النساء في أيامنا هذه أكثر ما بوسعهن لمنح الفتيان وطاقاتهم ما يحتاجون إليه من أساليب تربوية. لقد تحمّلت النساء الصعوبات المتأتية من عدم تحمّس فتيانهم للتعلّم، ممّا دفعهنّ للبحث عن الحلول التي تعرضها الكتب والبرامج التلفزيونية والمجلات. كما وأنّهن بدأن بالتطوّع في المدارس والمؤسسات

التعليمية لمحاولة التوصّل إلى إجابات على تساؤلاتهن المتعلقة بأزمة الحوافز التعلّمية وبالأداء المدرسي السيّئ.

إلاّ أنّ النساء غير قادرات على حل مشكلة افتقار الفتيان للحوافز التعلمية بمفردهن. تدرك النساء هذا الأمر وتتقن لمشاركة الرجال في الاهتمام بالفتيان. تعلم النساء أنّ الرجال قد أصبحوا بمثابة عاملٍ خفيّ يؤثر على حياة الفتيان. إنّ أكثر النساء إدراكاً لهذه المسالة هنّ من يعانين من عدم تحمّس أبنائهم للتعلّم. تعتبر كاثي أنّ محاولة مساعدة الفتيان الذين يواجهون مشكلات تربوية دون تواجد للرجال في حياتهم هي بمثابة قيادة طائرة دون ربّان مساعد. تشدّد كاثي على أنّها مسألة شديدة الخطورة.

كما قال جوزيه، فإنّ الأمهات والمعلمات قادرات على منح الفتيان الكثير ممّا يحتاجون إليه. إلاّ أنّه من المستحيل أن توفّر هؤلاء النساء الهوية الذكورية لأبنائهن وطلابهن. إنّ الآباء والمرشدين والمدرّسين هم الوحيدون القادرون على منح الفتيان الحسّ الذكوري. ينتشر في أيامنا هذه تواجد الأبطال الذكور، ممّا يعني المزيد من الحرية والفرص للجميع. إلاّ أنّ ذلك لا يكفي، فالفتيان بحاجة إلى رجال يوجهونهم إلى هويتهم كذكور، وهذا ما افتقر إليه جوزيه.

لا يتمّ تعليم الفتيان هذه الهوية من خلال جملة أو عبارة بل من خلال سنواتٍ من تفاعلهم مع الرجال. إن طلب الوالد من ابنه أن يبذل مجهوداً أكبر في المدرسة، وإن حصل ذلك مرّةً واحدة، فإنّ ذلك غير مفيد. على الرجال المشاركة في تجربة الفتيان التعلّمية، ولا يتمّ ذلك بمجرّد توفير المال للأبناء بل من خلال إرشادهم إلى الهوية الذكورية وإنعاش الحوافز التعلّمية لديهم.

على هؤلاء الرجال النظر في عيون الفتيان لتأكيد تواجدهم في حياتهم. عند تعبير الرجل لابنه عن أنّه مستعدّ لمنحه كلّ ما يريد، فعليه أن يظهر ذلك بشدّة وأن يعني ما يقوله إلى حدّ كبير.

العادات الذكورية المفيدة:

لدى دارين ابنان، وهو والد ترعرع في ويسكونسين في عائلة كبيرة. عند بلوغه الثانية عشرة من عمره، اصطحبه والده في رحلة صيد مع جدّه واثنين من أعمامه وثلاثة من أنسبائه. يذكر دارين هذه التجربة ويصيغها بالشكل التالي:

«كانت عادةً سنوية يشارك فيها الرجال في عائلتي. أثناء الرحلة، كنّا ننام في الخيم ونتناول الطعام ونحن نجلس حول نار المخيم. كما أننا لم نستحم لمدة أسبوع، لكنّنا كنّا نسبح في البحيرة بشكل يومي. بعد رحلتي الأولى، بتّ أتطلّعُ إلى ذلك الأسبوع طوال السنة. لم أتخلّف عن مشاركتي في هذه الرحلة في سنواتي الجامعية وحتى بعد زواجي. عند بلوغ ابني الأكبر الثانية عشرة من عمره، اصطحبناه إلى الرحلة. إننا نواجه الكثير من الصعوبات للتأكد من حدوث هذا الطقس العائلي كل سنة، إلاّ أنّ رؤية السعادة في عينيّ ابني تنسيني هذه الصعوبات» .

تذكرنا تجربة دارين بالماضي، عندما كانت العائلات متواجدة في المكان نفسه وعندما لم يكن أفرادها منتشرين حول العالم. كما وأنّ حالات الطلاق كانت أقل تواجداً عندها. من المؤكد أنّ تحقيق ما قامت به عائلة دارين أمر لا يقدر على إنجازه الجميع. إلاّ أنّه من المهم أن يتوفر للفتى أمثلةٌ عليا ذكورية، خصوصاً إن كان يعاني من مشكلات تعلّمية. هناك الكثير من الكتب والصفحات الإلكترونية التي تعرض الإرشادات إلى كيفية الاهتمام بالفتيان ومنحهم التوجيه الخاص بالهوية الذكورية. نأمل أن ترجعوا إلى هذه الموارد وأن تستخدموا تجربة جوزيه للتأثير على الرجال في مجتمعاتكم ولحثّهم على تأدية أدوارهم في حياة الفتيان.

عليكم تذكّر أنّ أسلافنا الذكور تواجدوا حول رجلين أو ثلاثة رجال أثناء نموّهم وخصوصاً عند وصولهم إلى سن البلوغ. قام هؤلاء الرجال بمنح الفتيان

مـا يحـتـاجـون إليـه من دعم وتوجـيـه. كـمـا كـان هناك عـدد يتـراوح بين الخـمس والعشر رجال في حياة الفتى المراهق. في أيامنا هذه، نناضل ليتواجد والدٌ واحد في حياة الفتى.

على كلّ والد في مجتمعنا الالتزام بالمشاركة في حياة الفتيان من خلال إرشادهم لأبنائهم وللذكور الآخرين. على كل أب أن يرشد ما لا يقل عن فتىً آخر، وقد يحصل ذلك في الحي أو في المدرسة أو الملعب أو مكان العمل. إن اقتنع الرجل بهذه الفكرة، فلن يعتبر نفسه رجلاً ناجحاً إن لم يكن عضواً في فريق تربوي يهتم بفتىً آخر وليس بابنه فحسب. إن لم يكن لدى هذا الرجل أبناء، فلن يشعر بعدم مشاركته في هذه التجربة، إذ أنّه سيلعب دوراً مهماً في حياة فتىً آخر.

هل يستطيع رجالنا القيام بهذه المهمة بشكل جيد وفعال؟ بوسعكم تنفيذ ذلك وعليهم إنجازه. تقع مسؤوليتهم في تحفيز الفتيان على التعلّم وعلى الاستمتاع بالحياة.

عدم التغاضي عن مساعدة أيّ فتى:

نستمع في بعض الأحيان إلى تعليقات فتيان يعتبرون التعلّم أمراً غير مهم. علينا الانتباه إلى هذا الكلام وأخذه بعين الاعتبار. ما يعنيه هؤلاء الفتيان هو أنّ المدرسة والمدرّسين لا يمنحونه ما يلزم من الحوافز للتعلّم.

إنّ تجاهل العوامل التي تؤدي إلى تحفيز الطلاب يعني أنّ مجتمعنا لا يعي أنّ التعلّم هو أهم ما يعمل على تنمية الفتيان على الصعد الفكرية والنفسية والاجتماعية. على المجتمع ومختلف أفراده العمل على تحفيز الفتيان وزرع الحماس التعلّمي في نفوسهم.

في الماضي، كان التعلّم يتم من خلال التحاور مع الآخرين (تذكروا أيام

سقراط). كان المدرّسون يقومون بتحدي الفتيان ليتعلموا كلّ ما كان ضرورياً وصحيحاً. تعلّم الفتيان عندها كلّ ما كان ذي قيمة في حياتهم وكل ما كانوا يستطيعون تطبيقه. لذلك، استمتع هؤلاء الذكور بتجربتهم التعليمية.

أصبحت هذه التجربة غير ممتعة في أيامنا هذه. لم تعد تعتمد على عنصر التحدّي. لا تتناسب وحاجات الفتى وميوله. كما وأنّها لا تتوجه إلى المشكلات النفسية التي يعاني منها الفتى في عائلته. علينا الالتزام كمجتمع بعدم التغاضي عن مساعدة أي فتى يحتاج إلى التحفيز التعلّمي.

يحبّ الفتيان العزلة ولكنّهم يرغبون بالظهور بصورة تثير اهتمام الآخرين وإعجابهم. لذلك، فهم بحاجة إلى مدارس ومجتمعات تعزّز احترامهم لأنفسهم، وقد تحدّث هيرمان هيس عن هذا الفخر بالذات في روايته الشهيرة «سيدارتا». في هذه الرواية، يطلعنا هيس على تجربة شاب لم يشعر بالرضا تجاه حياته وتجربته التربوية، إذ أنّه كان يدرك أنّ هناك عنصراً مفقوداً. كان يعلم أنّه لم يتمتّع بأيّ حافز ليتعلّم أو ليصبح رجلاً ناجحاً. إنّ هذا الحافز هو ما على جميع الفتيان اعتباره هدفاً حياتياً، وعلينا مساعدتهم لتحقيق هذه الغاية. لم تعد هناك حاجة ليكره أيّ فتى مدرسته وليعتبر التعلّم أمراً غير مهم أو غير ممتع. لا يجب أن نقبل بافتقار الذكور إلى الحماس التعلّمي، وعلينا العمل بجهد للتوصل إلى مجتمع يتحمّس فيه الذكور للتعلّم.

الفصل الثاني عشر

مساعدة الفتيان الحساسين في مدارسنا

إنّ أكثر ما يسعد الفتيان هو التحرّك بحرية في الطبيعة، والأمواج تلامس أقدامهم والرياح تداعب شعرهم. تتفجر طاقة الفتيان في الطبيعة وكأنّها سجين قد فك أسره.

والت ويتمان

أطلعتنا لي فورستون على تجربتها وهي والدةٌ من غراند جانكشون، كولورادو:

«إنني متضايقةٌ من أنّ ابني، البالغ من العمر التسع سنوات، لا يشبه معظم الفتيان في أطباعه. إنني أرى الكثير من الفتيان الذين يشبهون ابني، وأعتبرهم ذكوراً أقل حظاً من غيرهم. إنّ ابني ذكي للغاية تماماً كهؤلاء الفتيان. إنّ قدرته على القراءة وعلى حلّ المسائل الحسابية متقدّمة إلى حدّ كبير. إلاّ أنّه يكره المدرسة (وإنّ مدرسته عالية المستوى). ليست لديه ميولٌ رياضية؛ لذلك، فإنّه لا يمارس أيّ نوع من الرياضة. كان عضواً في فريق كرة القدم وحاول ما بوسعه ليمارسها بشكل جيد، إلاّ أنّه كان يخاف من الكرة. كان يحاول الانتماء إلى الفريق إلاّ أنّ الأعضاء الآخرين كانوا لاعبين أكثر مهارةً منه. لذلك، فإنّهم لم يعيروه اهتمامهم ولم يشجّعوه أو يعزّزوا شعوره بأنّه ينتمي إليهم. أدّى ذلك إلى

انسحابه من الفريق بعد ثلاثة مواسم من المباريات التي شعر فيها بالإحباط والعزلة، وذلك أمرٌ أتفهّمه إلى حدّ بعيد.

إنّه يقوم بركوب الدراجة إلاّ أنّه حاول تعلّم ركوبها عندما كان في السادسة من عمره. كان يقع باستمرار ممّا جعله يرفض المحاولة من جديد. استغرقني إقناعه بالمحاولة مرّة أخرى العديد من السنوات.

ليس ابني تنافسياً كمعظم الفتيان، ولا يشارك في ألعاب تشجّع التنافس مع الآخرين. إنّ أكثر ما يظهر حسّ المنافسة لديه هي أوراق اللعب التي تعتمد على المبارزة. لطالما تساءلت عن سبب ولعه بأوراق اللعب، خصوصاً وأنّه لم يربح مطلقاً في السنتين الماضيتين منذ أن تعلّم القواعد الخاصة بها. إنّ أكثر ما يذهلني هو أنّه راضٍ بهذا الوضع الذي تغلب عليه الخسارة.

يتمتع ابني بخيالٍ واسع، إذ إنّه يستمتع بالرسم وبتأليف القصص وبتمثيل أدوارٍ مختلفة وهو يلعب. يمضي ساعاتٍ طويلة وهو يقوم بهذه النشاطات. إنّه فتى حسّاس يهتم لأمر الآخرين. كما وأنّه كثير الخوف. يستغلّه الآخرون، ويخبرني دوماً عن أنّ الطلاّب الأكبر سناً يقومون بمضايقته، وأنّ الطلاّب في المرحلة التمهيدية يرمونه بالحجارة.

ليس ابني شاذاً جنسياً. إنّه يعبّر عن إعجابه بزميلاته في الصف. إلاّ أنّه حساسٌ للغاية ومولعٌ بالفنون ورقيقٌ بالفطرة. لقد أدّى ذلك إلى كرهه لنفسه لأنّه بدأ يدرك عدم انتمائه إلى العالم الذكوري التقليدي.

ما هو دور الأهل والمدرّسين في مساعدة الفتيان الحساسين؟ أرغب بالحصول على إرشادات أستطيع تطبيقها لمساعدة ابني على الانتماء إلى عالمه. أريده ألاّ يضطر إلى تغيير طبيعته، ولكنني أودّ أن يشعر بأنّه جزء من بيئته التي تطغى عليها الرياضة والعنف والسيطرة. لا تتوافق هذه البيئة وأطباع ابني إلاّ أنّ عليه التوصّل إلى شعورٍ بالانتماء إليها».

تظهر رسالة لي حالة الفتيان الحسّاسين بشكل دقيق، وخصوصاً ما يتعلّق بالأزمة التي يعانون منها في مدارسنا ومجتمعاتنا. يتّسم ابن لي بالذكاء وبأداء أكاديمي جيد، إلاّ أنّ ذلك يبدو غير كافٍ لجعله يشعر بالانتماء إلى بيئته. إنّه جزء من المجتمع الذكوري، ممّا يدفعه إلى محاولة التأقلم مع القيم التقليدية الطاغية على المجموعة ومع أولوياتها. إلاّ أنّه يشعر بعدم القدرة على تطبيق هذه الأولويات وإنجازها نظراً لما في نفسه من آمال وأحلام وطموحات. يتعرض هذا الفتى إلى الأذى النفسي المستمر، خصوصاً وأنّ الآخرين ينبذونه ويعتبرونه فاشلاً. إنّه في مأزق اجتماعي لا علاج له إذ أنّه ليس داءً. إنّه وبكل بساطة مختلفٌ عن الفتيان الآخرين، ولن يغيّر الفريقان نفسيهما للتأقلم مع بعضهما البعض. ليس أيّاً منهما على خطأ ولا يعاني أيٌّ منهما من مرضٍ ما. كلّ ما في الأمر هو أنّهما مختلفان.

اتصلت بي بعد قراءتي لرسالتها، وأطلعتني على أنّ تجربة ابنها وبعض أصدقائه كانت الحافز الأساسي الذي حثّها على تأليف كتابها «الفتيان الأقل حظاً». أعتقد أنّ هذا الكتاب قيّم للغاية، خصوصاً وأنّه يلفت النظر إلى فئة من الفتيان المحتاجين إلى عونٍ إضافي.

لطالما كنت في صغري طالباً أقلّ حظاً من زملائي. لم أكن رياضياً وكنت ضعيف البنية. لم أنتمِ إلى مجموعة الفتيان في محيطي، إذ أنني كنت أكثر حساسيةً وعاطفةً منهم. كنت أتلهّف لمساعدة الآخرين ولتفجير طاقتي في الطبيعة تماماً كما عبّر والت ويتمان عن ذلك. أردت أن تكون المدرسة مكاناً آمناً أتعلّم فيه وأكتشف فيه ذاتي تماماً كما أقوم بمختلف الوظائف الأخرى. كانت طبيعتي تتطلّب هذه الأمور، وشعرت أنّها تختلف عن طبيعة الفتيان الآخرين. لطالما كنت منبوذاً.

تعتبر لي أنّ هؤلاء الفتيان أقلّ حظاً ونموّاً من غيرهم ،ويكتفي معظم

المدرّسين باعتبارهم أكثر حساسيّةً فحسب. ذلك وصفٌ دقيق. منذ حوالى عشر سنوات، أطلقت صفةً أخرى على هؤلاء الذكور، وكانت هذه الصفة نتيجةً لأبحاثي في العلوم الدماغية. آمل أن تصف هذه العبارة هؤلاء الفتيان (أو الفتيات) ولو بشكل جزئي: «أصحاب العقل المزدوج الجنس».

أصحاب العقل المزدوج الجنس

آمل أن تعمل هذه العبارة على شرح الفرق بين الفتى الحسّاس والذكر الأكثر رجوليةً. في دم هذا الفتى الحساس مستوى أقل من التوستسترون وأعلى من الأوكسيتوسين. لذلك، فإنّ طبيعته البيولوجية لا تجعله يحاول البحث عن ذاته من خلال الأعمال العنيفة بل بتوثيق العلاقات وبالاهتمام بالآخرين. قد يعلو لدى هذا الفتى الحسّاس مستوى النموّ اللغوي (في دماغه أقسامٌ لغوية مكتملة النمو في كلا النصفين الذهنيين). كما وأنّ الأجزاء العاطفية في دماغه أكثر نمواً من غيره من الذكور. كما وأنّ الألياف العصبية التي تصل نصفي دماغه تكون أكبر حجماً من تلك الموجودة في أدمغة غيره، ممّا يسمح بتفاعل الوظائف الذهنية في الدماغ ويؤدي إلى مزيد من العمليات الدماغية العاطفية. لذلك، فمن الممكن اعتبار عقل هذا الفتى الحسّاس مزدوج الجنس.

تلك هي حال معظم المؤلفين والفنانين والمتفوّقين أكاديمياً. من المرجّح أن يكون عقل المدرّس في الصف الأول من ذلك النوع، إضافةً إلى عقل الآباء الذين لا يعملون ويقومون برعاية العائلة. تتطلب الرعاية بالأطفال لسنواتٍ عدة كمية أكبر من الأوكسيتوسين (للقدرة على توثيق العلاقات) ومستوى أقل من التستوسترون (لعنفٍ اقل) وقدرة تعبيرية أكبر (مزيد من العناصر التي تصل الأجزاء الدماغية اللغوية والعاطفية والفكرية)، ومهاراتٍ سمعية وحسيّة أخرى (ممّا يحتاج إلى نمو القسم الخلفي من الدماغ لاستيعاب الإشارات الحسيّة التي يبثها الأطفال بشكل مستمر).

يدرك جميعنا وجود الكثير من الفتيان الحساسين في منازلنا ومدارسنا. ويبقى السؤال: ما هو عددهم؟ يتطلّب التوصّل إلى عدد محدد ما لا يقلّ عن عقد أو عقدين. إلاّ أنّ صور الأشعة الخاصّة بالدماغ التي تتمّ في جامعة كامبريدج من قبل سايمون بارون ?كوهين قادرةً على تقدير هذا العدد.

ألّف بارون -كوهين كتاب «الفرق الجوهري» وقام بتثوير الدماغين الذكوري والأنثوي بواسطة الأشعة لمدة عقد كامل. أظهرت أحدث دراساته في آذار/مارس 2004 أنّ الاختلاف في الدماغ بين الجنسين يظهر من اليوم الأول من حياة الأطفال. كما وتوصّلت هذه الدراسة إلى أنّ في كل مجموعة مؤلفة من سبع إناث فتاةً تتمتع بخصائص فكرية ذكورية، وفي كل مجموعة تتألف من خمسة ذكور فتىً لديه مواصفات فكرية أنثوية. من غير المفاجئ أن ينهي د. بارون- كوهين دراسته بالإشارة إلى أنّ لنتائجه تأثير على ما يتمّ تطبيقه في المدارس. تؤكد أبحاثه أنّ الجنسين بحاجة إلى أساليب تعليمية مختلفة. يتشابه عمل د. بارون - كوهين وبحوث مركز غوريان في عدم استخدام عبارتي «الدماغ الذكوري» و«الدماغ الأنثوي» للدلالة إلى أنّ أحدهما أفضل من نظيره. ما تهدف إليه هذه الدراسات هو لفت النظر إلى أنّ في العقل خصائص تابعة إلى كلّ جنس، خصوصاً وأنّ تكوينه يختلف عند الجنسين. من غير الممكن أن يتشابه أيّ دماغين، إلاّ أنّ هناك حالات لوجود بعض أوجه الشبه بين الدماغ الأنثوي والدماغ الذكوري. يؤدي هذا التشابه إلى وجود فتيان حسّاسين يحتاجون إلى عون إضافي وإلى مزيد من الاهتمام من قبلنا.

مكافحة الآراء المقولبة حيال الجنس الآخر

آرتشي وورذام معلّمٌ ووالدٌ من تكساس أرسل لي مجموعة تجارب مثيرة للاهتمام. تمّ طرح سؤال «ما تعريفك للحب؟» على مجموعة من الأطفال

المتراوحة أعمارهم بين الأربع والثماني سنوات. كانت هناك إجابتان مذهلتان لاثنين من الفتيان:

بيلي (أربع سنوات): «عندما يحبّكم شخصٌ ما، فإنّ تفوّه هذا الإنسان لاسمكم يكون مختلفاً. تدركون أنّ اسمكم بأمانٍ في فيه».

بوبي (سبع سنوات): «تشعرون بالحبّ في الغرفة في عيد الميلاد إن توقفتم عن فتح الهدايا وإن قمتم بالإصغاء لبعض الوقت».

أطلعتنا والدة جايدين البالغ من العمر أربع سنوات التجربة التالية: «جارنا رجلٌ كبير في السن توفيت زوجته مؤخراً. عندما رآه جايدين وهو يبكي، توجه ابني إلى فنائه الخارجي وجلس في حضنه. بقي هناك إلى أن توقف جارنا عن البكاء. عندما سألت جايدين عمّا قاله لجارنا الكبير في السن، أجابني بأنّه لم يقل له شيئاً وأنّ كلّ ما قام به هو مساعدته على البكاء».

يعبّر هؤلاء الفتيان عن حساسيّتهم وعاطفتهم الجيّاشة من خلال أحاسيسهم وأفكارهم وأعمالهم. يذكرنا ذلك باستمرار بأنّ الحساسيّة جزءٌ من طاقة الذكور. إنّ كون فتياننا صعبي المراس وكثيري الحركة (خصوصاً وأنّهم كما قال أفلاطون «أكثر الحيوانات هيجاناً») جعل المدارس والعائلات والمجتمعات تتعامل وطاقة الفتيان على أنّها لا تظهر إلاّ من خلال الحركة الجسدية واللّمسية. إنّنا ننسى أنّ الشعور مع الآخرين وإدراك أهمية المحبة ومساعدة رجلٍ مسنٍّ في محنته هي أوجه أخرى من طاقة الفتيان. يظهر كل فتى حساسيّته في العديد من التجارب الحياتية، وقد تشتد هذه الحساسيّة عند المراهقين الذين يظهرون بصورة قوية تغلب عليها اللامبالاة. إلاّ أنّ الفتيان الحسّاسين الذين نتحدث عنهم في هذا الفصل هم ذكورٌ يمضون مزيداً من الوقت وهم يختبرون طاقاتهم من خلال فحصهم لأفكارهم ومشاعرهم من خلال الدموع والحنان والكلمات أو الأفكار العاطفية.

يعاني هؤلاء الفتيان في مجتمعاتهم التي لا تعترف بهذا النوع من الرجولية الذي يتمتعون به. تتعرض ثقتهم بأنفسهم للوهن من جرّاء الضغط الاجتماعي الذي يتطلّب منهم التصرف بقوّة وعنف والانخراط في الرياضة والتسبّب بمشكلات سلوكية. إضافةً إلى ذلك، فإنّ المجتمع يفترض أن حياة هؤلاء الفتيان الحساسين تقوم على الشذوذ الجنسي، ممّا يؤدي إلى نبذهم وعزلهم عن الآخرين.

إنّ أهم دور علينا الالتزام بإنجازه هو محاربة الأفكار المقولبة التي تجزم أنّ الفتيان الحسّاسين لا يتمتعون بالرجولية اللازمة. بدأت الكتب والكثير من الموارد الأخرى بالصدور لمساعدتنا على محاربة هذه الأفكار. نذكر من هذه الكتب: «أعجوبة الفتيان» و«الشاب الفاضل» اللذين قمت بتاليفهما، «الفتيان الحقيقيون» من تاليف ويليام بولوك، «الفتيان الضائعون» من تأليف جايمس غاربارينو. تتمحور هذه الكتب حول إرشادنا إلى الأساليب التي يجب اتباعها لوضع حدّ للأفكار المقولبة المحيطة بفتياننا.

بوسع كلّ فردٍ منّا الالتزام بلعب دور يومي وأساسي في محاربة هذه الأفكار. عند رؤيتنا لفتى حساس يتعرض للمضايقة، بوسعنا إنقاذه. من خلال قيامنا بذلك، نظهر لأنفسنا وللفتيان في مجتمعنا معنى احترام الآخرين. إنّ رعاية الفتيان الحسّاسين والمحاولة السريعة لإنقاذهم من مختلف أشكال المضايقة أمران شديدا الأهمية. تساعد هذه العناية بحثّ الذكور على التعبير عن مشاعرهم تماماً كابن لي. كما وتشجع الفتيان الحسّاسين على طلب المساعدة عند الحاجة وتضمن حصولهم على العون المناسب بما يختص بالمشاعر والأحاسيس.

الفتيان الحسّاسون ومشاعرهم الرقيقة

عندما يبدأ الراشدون التفكير بكيفية مساعدة أيّ فتى حسّاس، فإنّ أول ما يخطر ببالهم هو إنقاذه ومن ثم رعايته الفوريّة من خلال تشجيعه على التعبير عمّا يخالجه من مشاعر. إنّنا نساعد هؤلاء الفتيان لاستخدام الكلمات المناسبة التي تعبّر للآخرين عمّا يحسّون به. إننا نفترض أنّهم قادرون على إيجاد الكلمات التي تترجم أحاسيسهم. لذلك، فإنّ ما نقوم به هو التشديد على أنّهم لا يحتاجون إلى تأييد الشبّان وتقبّلهم لهم. كما ونطلب منهم عدم إعارة هؤلاء الشبّان أيّ اهتمام إذ إن هدفهم الوحيد هو إغاظتهم من خلال كلماتهم القاسية. إضافةً إلى ذلك، فإننا نسألهم عادةً إن كانوا على ما يرام ونطلب منهم التعبير عمّا يشعرون به. في الواقع، من الخطأ أن نتوقّع من الفتيان أن يعبّروا عن أحاسيسهم بسهولة، إذ أنّهم قد يعجزون عن إيجاد الكلمات المناسبة، ممّا قد يشعرهم بالإحباط. إلاّ أنّ الأمر يختلف عند تعاملنا مع الفتيان الحسّاسين، إذ إن تشجيعنا إيّاهم للتعبير عن مشاعرهم أمرٌ مفيد للغاية. يستخدم هؤلاء الفتيان العبارات التي تظهر ما يخالجهم من شعور مثال «أشعر بالحزن» أو «أشعر بالغضب» أو «أشعر أنني فاشل». لذلك، فمن السهل التحاور معهم أثناء تناول العشاء أو في غرفهم أو في مكتب مستشار المدرسة. نعرض عليكم في قسم الاقتراحات التالي استراتيجيات تمّ تطبيقها وإظهار فعاليتها في تعزيز القدرة على استخدام الكلمات للتعبير عن الأحاسيس.

يعمل ديك بياتزا على تدريب المدرّسين حيال كيفية التعليم بأساليب تتناسب والقدرات الفكرية المناسبة، كما وأنّه مدرّب منتسبٌ إلى طاقم مركز غوريان. في رسالةٍ له، عبّر لنا ديك عن أهمية استخدامه في الصغر للكلمات المعبّرة عن مشاعره.

«أذكر مراهقتي وشعوري الدائم بالوحدة. لطالما كنت أشعر بأنني مختلف

عن أصدقائي وعائلتي وبأنني لا انتمي إلى مجتمعي. كنت أظنّ أنّ لا أحد غيري يختبر هذه الأحاسيس لشدّة تأثيرها على حياتي. بدأت بكتابة الشعر وبتخبئة ما كتبته تحت سريري. ساعدتني الكلمات التي كنت أدوّنها على اكتشاف ذاتي إلى حدّ كبير. أعتقد أنّ لكلّ فتى أسلوبه الخاص في محاولته على معرفة نفسه بشكل أوضح. إنّه يعتمد على تجاربه اليومية وعلى المشاعر المتأتية منها ليصبح أكثر قدرةً على فهم شخصيته وحياته».

إنّ كلام ديك شديد الأهمية، إذ أنّه يُظهِر بشكل جليّ كم أنّ الفتى الحسّاس يحتاج إلى استخدام الكلمات للتعبير عن أحاسيسه. كما وأنّه يشدّد على حاجة هذا الفتى إلى الشعر والتحاور كوسيلتين لإظهار ما يخالجه من شعور.

التعابير غير الشفهية ودورها في إظهار المشاعر:

لقد قمنا بالتأكيد على ضرورة استخدام الفتى الحسّاس للكلمات للتعبير عن مشاعره. إلاّ أنّه من المهم الإشارة إلى اختلاف الجنسين في هذه المسألة، حتى وإن بلغت درجة الحساسية ذروتها عند الفتيان. أطلعني ديك على إدراكه لهذا الاختلاف وتوصّله إليه بعد إشرافه على تدريب الطلاب والمدرّسين.

كثيراً ما لا تكون الكلمات كافيةً للتعبير عن مشاعر الذكور الحسّاسين (تماماً كالفتيات). يسهل على الفتيات إيجاد الكلمات المناسبة للتفوّه بما في داخلهن من أحاسيس، في حين أنّ معظم فتياننا الحسّاسين (وخصوصاً في سن البلوغ وفي مرحلة المراهقة) يواجهون صعوبةً في ذلك الأمر. لذلك، فقد لا يكون بوسع هؤلاء الذكور البوح بجميع مشاعرهم بواسطة الكلام.

لا بدّ وأنكم عجزتم في كثيرٍ من الأحيان عن إقناع الفتيان بالتعبير عن مشاعرهم. إنّ العديد منهم يرفضون محاولاتكم لمساعدتهم من خلال حثّهم على التحاور معكم. من المرجّح أنّكم تساءلتم عن السبب الذي يمنع الفتى من التواصل

معكم بالرغم من طبيعته الحسّاسة. إن حصل ذلك، فعليكم عندها اللجوء إلى استراتيجيات أخرى تشجعه على التعبير عن أحاسيسه.

اقتراحات

- عبّروا عن مشاعركم عندما تطلبون من الفتى أن يعبّر عن أحاسيسه. إلاّ أنّ عليكم الانتباه من عدم التأثير سلبياً على مشاعر الفتى عند قيامكم بذلك كقولكم: «إنني شديد الاستياء بسبب معاملة (تود) لك، ولكنني أريد معرفة ما تشعر به أنت».

- أثناء طرحكم للأسئلة المتعلقة بمشاعر الفتى، تجنّبوا الانتقال من موضوع إلى آخر. حضّروا ما تريدون قوله وخطّطوا لذلك لتضمنوا وضوح أسئلتكم. قد تضطرون أحياناً إلى أن تسألوه عمّا فكّر به عندما تعرّض للمضايقة من قبل زملائه عوضاً عن سؤاله عمّا شعر به. يميل الفتيان إلى التحدث عن أفكارهم في بادئ الأمر عوضاً عن أحاسيسهم.

- عندما تسنح لكم الفرصة، استخدموا عباراتٍ تشجع الفتى على البوح بمشاعره وتظهر له أنكم تصغون إليه باهتمام. قد يكون سكوتكم فعّالاً في بعض الأحيان، وخصوصاً عندما يبدأ بالبكاء. تصرفوا وفقاً لحدسكم.

- اسمحوا للفتى بالانتقال من موضوع إلى آخر أثناء التحدث عن موقفٍ ما، ولكن تكرار القصة نفسها قد يجبركم على تأكيد استيعابكم للمسألة من خلال إعادة صياغة ما قاله. بعد ذلك، اطرحوا عليه سؤالاً جديداً.

- عانقوا الفتى أو المسوا كتفه أو ظهره بلطف عندما يبكي. من غير المضرّ لمسه في هذه الأوقات الحسّاسة. عندما يعبّر عن عدم راحته تجاه ذلك، ابتعدوا عنه. قبل أن يظهر عدم الارتياح، عليكم الاستمرار بلمسه إذ إن ذلك يكون ما يحتاج إليه كدليل على عاطفتكم ودعمكم له.

● تقبّلوا كل ما يقوله الفتى حتى وإن بدأ حديثه بالتكلّم عن صديقته عوضاً عن والده مثلاً. إن كان ذلك سيؤدي في نهاية المطاف إلى التعبير عمّا في داخله تجاه والده، فعليكم السماح له بذلك.

لطالما قمنا في العقود الأخيرة بالاعتماد على ما يقوله الأطفال، ذكوراً وإناثاً، لفهم ما يخالجهم من مشاعر. إنّنا من خلال ذلك نركّز على الأسلوب الأنثوي في التعبير، الأمر الذي أظهر فعاليته عبر السنين. لا بدّ من احترام أية محاولة تهدف إلى زيادة التواصل الإنساني الذي يتمّ ليفهم الأشخاص مشاعر الآخرين. إنّ الكلمات شديدة الأهمية في رعايتنا للفتيان ولسلامتهم النفسية والعاطفية.

إلاّ أنّ العناية بالفتيان وحساسيّتهم لا تقتصر على استخدام الكلمات، إذ إن هناك استراتيجيات أخرى يجب اتباعها لإتمام ذلك. يعرض عليكم ما تبقّى من الفصل هذه الوسائل التي تستطيعون اللجوء إليها للاعتناء بالفتيان وبأكثرهم حساسيةً.

تجربة أحد الفتيان الحسّاسين:

فلو هيليار هي إحدى زميلاتنا في مركز غوريان. من خلال عملها في جامعة ويسكونسين، وأثناء جلسة تدريب أشرفت عليها، اطلعت فلو على كثير من التجارب. كانت إحدى هذه التجارب خاصة بفتى حسّاس في الصف الخامس في منطقة تامبا. قامت فلو بتدريب معلمة هذا الفتى، وشاطرتها هذه التجربة:

«كان هذا الفتى يشعر بعدم الانتماء إلى الصف. كان ذلك يؤثّر عليه بشدّة، ممّا جعله ينهار في الصف ومن ثمّ يخرج هارباً من الغرفة. باتت مهمة نائب المدير محاولة اللحاق به وإعادته إلى المبنى. قمنا بما بوسعنا لمساعدته على السيطرة على حساسيّته في الصف وبين زملائه، إلاّ أنّ محاولاتنا المستمرة باءت بالفشل.

بعد حضورنا لجلسة التدريب الخاصة بالاختلاف الفكري بين الجنسين، تغيّر أسلوبنا مع هذا الفتى. عوضاً عن اللجوء إلى التحدث إليه فور انهياره وهربه من الصف، قرّرت اللحاق به إلى الخارج وإعطاءه كرةً علينا جعلها تثب مراراً وتكراراً. لم يعجبه اقتراحي في بادئ الأمر، ولكنّه سرعان ما وافق على القيام بذلك. لعبنا بالكرة معاً ممّا أدّى إلى تشجيعه على التحاور معي والتعبير عمّا في داخله من أحاسيس. من خلال هذا النشاط، استطاع الفتى أن يصل إلى درجة عالية من الهدوء وأصبح بوسعنا العودة إلى الصف.

بعد أسبوع من لجوئي إلى هذه الاستراتيجية، بات الفتى قادراً على البوح بما يواجه من مشكلات مع زملائه. كما وأصبح يتحدّث إليّ وإلى المدرّسين الآخرين بارتياح أكبر، خصوصاً عند حاجته للمساعدة عندما ازدادت حدّة النشاطات في الصف. إضافةً إلى ذلك، لم يعد يهرب من الصف بل بات مكتب نائب المدير ملجأه عند شعوره بالانزعاج. عند ذهابه إلى مكتب معلمه، كانا يلعبان بالطابة تماماً كما فعلت معه في البدء، وأدّى ذلك إلى توقفه عن الانهيار والهرب وإلى تعجّب نائب المدير من فعالية هذه الاستراتيجية« .

إنّ تلك التجربة تشير إلى عدم الفعاية الدائمة لاستخدام الكلمات عند ظهور أية مشكلة. كان هذا الفتى بحاجة إلى نوعٍ آخر من المساعدة. والجدير بالذكر أنّ معلّمته مزجت ثلاثة عناصر تعلّمتها في جلسة التدريب الخاصة بالاختلاف في الدماغ بين الجنسين.

1- من خلال توثيق علاقة الفتى مع أحد الأشخاص، يصبح بوسعه السيطرة على أحاسيسه بشكل أفضل. إنّ ذلك فعّال للغاية مع الأطفال بشكل عام، إلاّ أنّ الفتيان غير قادرين على التعبير عن مشاعرهم في جميع الحالات. لذلك، فإنّهم بحاجة إلى المزيد من الروابط للشعور بالأمان وللبوح بما يخالجهم من أحاسيس. تشتدّ هذه الحاجة عند الفتيان الحسّاسين وعند زملائهم

المفتقرين إلى الحافز التعلّمي. يحتاج هؤلاء الذكور غير المتحمّسين إلى أن يحثّهم الراشدون على التعبير عن مشاعرهم. أمّا الفتيان الحسّاسون، فإنّهم بحاجة إلى من يرشدهم إلى كيفية السيطرة على أحاسيسهم حتّى في أكثر المواقف المؤثّرة.

2- تعمل الحركة الجسدية (كوثب الكرة) على مساعدة الفتيان على تنمية القدرة على التعبير بواسطة استخدامهم للكلمات وللأفعال. يميل الدماغ الذكوري إلى الوظائف الحركية، ممّا يعني أنّ استخدام الحركة يعزّز هذه الوظائف ويؤثّر على الأقسام الدماغية الأخرى كتلك المسؤولة عن اللغة والعاطفة.

3- تولّد الحركة الجسدية شعوراً بالأمان وتشجّع الفتيان على التحاور مع الآخرين. عندما يتحرّك الفتيان، يصبحون أكثر قدرةً على التعبير عن أحاسيسهم لمجرّد أنّ ذلك النشاط يعزّز شعورهم بالأمان. عند مشاركة أحد والديه أو مدرّسه أو زميله في هذه الحركة الجسدية، يشعر الفتى بالأمان وبالقدرة على السيطرة على مشاعره.

إنّ تجربة الفتى الذي هرب من الصف بشكل مستمر تبرهن أنّ أوّل ما نلجأ إليه عادةً هو حثّ الفتيان على قول ما يشعرون به. إن لم تنجح هذه الاستراتيجية، فعلينا عندها أن نستعمل الحركة الجسدية كوسيلة ذات فعالية مؤكدة. إنّها تساعد الفتيان على التعبير عن مشاعرهم وتؤدّي إلى الاستقرار النفسي والعاطفي. قد لا تكون العبارات التي يستعملها الفتى في بادئ الأمر طويلةً وكافيةً لفهم أحاسيسه. إلاّ أنّها تساعد الأهل والمدرّسين على تشجيع الفتى على التحاور معهم بالطريقة التي يسعون إليها.

مهمة الأهل في مساعدة الفتيان الحسّاسين

يحتاج جميع الفتيان إلى المساعدة على الصعيد العاطفي وفي مختلف أعمارهم. إلاّ أنّ الفتيان الحسّاسين بحاجة إلى رعاية إضافية من أهاليهم وفرقهم التربوية. إن توفّرت للذكور هذه الرعاية، فإنّ النتيجة تكون توازناً سليماً في المجتمعات، وذلك ما يسعى إليه الأهالي والأجداد والأصدقاء والجيران وجميع من يُعنى بمسائل الفتيان الحسّاسين.

تعليم القسوة والرقّة:

كثيراً ما يشعر الأهالي والمربّون بالضياع عند محاولة اتخاذ القرار المناسب المتعلّق بوضع الفتيان الحسّاسين في جوّ تنافسي. من المرجّح أنّكم تتساءلون إن عليكم حمايتهم من المنافسة، خصوصاً وأن ذلك قد يؤثر على ثقته بنفسه إن خسر في مباراةٍ رياضية مثلاً. إلاّ أنّكم، وفي الوقت نفسه، قد تلتفتون إلى أهميّة تعريضه لهذا الجوّ التنافسي الذي سيتواجد فيه في المستقبل.

لستم الوحيدين الذين يحاولون اتخاذ القرار المناسب حيال المنافسة. هناك الكثير من الأهالي الذين يظنّون أنّ تعرّض الفتيان لهذا الجوّ التنافسي يحول دون كونهم ذكوراً حسّاسين. إلاّ أنّ هناك مجموعة أخرى من أولياء الأمور تحاول جهدها لمنع الآخرين من محاولة تغيير الفتيان، مشدّدةً على ضرورة احترام طبيعتهم.

في الواقع، إنّ نجاح الفتى الحسّاس، على الصعيدين النفسي والاجتماعي، يعتمد على أخذ هذين الرأيين بعين الاعتبار. بالرغم من أنّ وجهة النظر المشجّعة لتعريض الفتى إلى المنافسة قد تكون أكثر قسوةً، إلاّ أنّ فيها درجة عالية من الصحة. كثيراً ما يواجه الفتى صعوباتٍ إضافية في حياته الاجتماعية في المستقبل إن قام الآخرون بحمايته بشكل مفرط في صغره. عليه اكتساب المهارات التي يحتاج إليها أيّ رجل في مجتمعاتنا المتطلّبة والقاسية.

ولكنّ نجاحه المستقبلي لا يعتمد على تغيير دماغه وقدرته الفكرية. إنّ طبيعته تؤدي إلى وصوله إلى النجاح. إن كان الفتى الحسّاس مدركاً لذاته وللمصاعب التي سيواجهها في المجتمع، وإن كان مقدّراً لطبيعته الفريدة من نوعها، فإنّه سيغدو رجلاً واثقاً من نفسه. لا يصل الإنسان إلى هذه الدرجة العالية من الثقة بالنفس بمجرّد تعلّم المهارات الجديدة. إنّنا لا نحاول الإيحاء بأنّ هذه المهارات غير مهمة، خصوصاً وأنّها حزء من كينونيتنا. إلاّ أنّ التوصّل إلى اكتساب هذه المهارات يتطلّب إدراكنا لذاتنا وفهمنا لهويتنا وشخصيتنا.

إن كُنتِ أماً لفتى حسّاس، وإن كان زوجك يتعامل بقسوة مع طبيعة ابنك، فمن المهم أن تلجئي إلى الأقارب والمدرّسين والمستشارين. بوسع هؤلاء الأشخاص مساعدة الأب والابن على إيجاد نشاط مشترك يستطيع الفتى من خلاله أن يتعلّم القسوة. كما ويؤدّي هذا النشاط إلى استيعاب الوالد لطبيعة ابنه العاطفية ولضرورة احترام هذه الحساسيّة التي تعرّف عن ابنه. (من الممكن أن تكون الأم هي من يجب حثّها على فهم ابنها، خصوصاً وأنّ هناك أمهات أكثر قسوةً على أبنائهن مقارنةً بالآباء).

اختيار الرياضة المناسبة للفتيان الحسّاسين:

يستطيع الكثير من الفتيان تحمّل الضغط الذي يتعرّضون إليه من قبل مدرّبي الرياضة أو من قبل الفريق الذي ينتمون إليه. يتقدّم هؤلاء رياضياً ويتحمّلون قساوة الكلمات التي يوجهها إليهم المدرّبون واللاعبون. كما وأنّهم لا يتأثرون بالفشل إن واجهوه ويحاولون التعلّم من أخطائهم ليصلوا إلى النجاح. لا ينطبق هذا الأمر على الفتيان الحسّاسين، وفي معظم الأحيان، لا نكون بحاجة إلى محاولة اختيار النشاطات الرياضية لهم. إلا أنّ علينا أن نكون أكثر حذراً في اختيارنا لهذه النشاطات التي يجب أن تتناسب وطبيعتهم.

هناك بعض الأمور التي يمكنكم تنفيذها لمساعدة الفتى الحساس على اختيار النشاط الرياضي الذي يسمح له بالنمو والتقدّم.

ـ تحدّثوا إلى المدرّب وإلى الأهالي الآخرين لمعرفة إن كان الفريق مناسباً للفتى. أكثر ما عليكم التركيز عليه هو ألاّ يضغط الفريق على ابنكم من خلال توقّع الأفضل منه أو من خلال عدم تقبّل الفشل.

ـ حاولوا معرفة الأسلوب الذي يتّبعه المدرّب أو الراشدون الآخرون. هل هو أسلوب إرشادي أو تنافسي؟ على المدرّب أن يرشد اللاعبين وأن يعلّمهم المنافسة، مع حرصه على استيعابهم لضبط النفس وللعمل الجماعي وللسيطرة على المشاعر ولتقدير الذات. يسعى المرشد عادةً إلى أن يفشل الفتيان في بعض الأحيان لتكون تجاربهم أقرب إلى الحياة الواقعية.

ـ حاولوا معرفة درجة توافق الفريق أو الرياضة مع شخصية ابنكم الفطرية. إن لم يكن بطبيعته ميالاً إلى الرياضة الجماعية، فعليه عندها ممارسة السباحة أو الركض أو كرة المضرب أو الغولف. قد تعتمد هذه الألعاب الرياضية على الفرق، إلاّ أنّها تعزز المجهود المنفرد وتكافئه.

اجعلوا ابنكم يدرك الصلة بين الرياضة والنشاطات الأخرى التي يحبّها. قد يكون مولعاً بالعلوم أو بالتغذية، ومن الممكن دمج هذه الميول الشخصية مع الرياضة. قد يكون قارئاً بارعاً، فبإمكانكم عندها شراء الكتب التي تتمحور حول الرياضة التي قد اختار ممارستها.

ـ استخدموا الوسائل المرئية والمسموعة لتشجيعه على ممارسة الرياضة. هناك الكثير من الأفلام المتمحورة حول الرياضة. شاهدوا هذه الأفلام مع ابنكم، خصوصاً تلك التي تروي حياة فتيان حسّاسين استطاعوا النجاح في الرياضة.

مساعدة الفتيان ذوي الوزن الزائد:

في الأسبوع الثاني لانخراطها في المرحلة الثانوية في المدرسة، عبّرت لي ابنتي غابرييل عن سرورها لكونها فتاة. قالت لي إنّ الأولاد الآخرين لا يهزؤون من الفتيات لكونهن بدينات، ولكنّ ذلك أمر يتعرض إليه الفتيان. كثيراً ما يهزأ الفتيان من البدينين منهم، وهذا أمر أحزن ابنتي باستمرار.

لم أصدّق ما قالته في بادئ الأمر. هل كانت تعني أنّ الفتيان يهزؤون من البدينين أكثر ممّا تفعل الفتيات بزميلاتهن البدينات؟ إنّ النساء والفتيات أكثر من يقمن بشراء الكتب الخاصة بالحميات وأكثر من يتّبعن هذه الحميات الغذائية. تعاني الإناث عادةً من الاضطرابات الغذائية، خصوصاً وأنّ المظهر الخارجي بمثابة هوس بالنسبة إليهن. لقد زارني الكثير من الفتيات في جلسات استشارية بعد تعرّضهن للمضايقات من صديقاتهن اللواتي اعتبرنهن ذوات وزن زائد.

أطلعت غابرييل على تجربتي مع الفتيات، ممّا دفعها إلى الاعتراف بأن الإناث يسخرن من الآخرين بشكل حاد. إلاّ أنّها عبّرت لي عن أنّ الفتيان أكثر قسوةً في تعابيرهم الساخرة.

كانت تلك تجربة ابنتي المتعلّقة بالمجموعات الذكورية والأنثوية. عوضاً عن قبول ما قالته بشكل فوري، حاولت تذكّر طفولتي. كنت ولداً ضعيف البنية، ممّا جعلني أتعرض إلى الكثير من المضايقات. في المرحلة التكميلية، كان لي صديق بدين تعرّض باستمرار إلى سخرية الآخرين. كانوا يطلقون عليه مختلف الأسماء مثال «الفتى البدين» أو «ذو المؤخرة البدينة». هناك تعابير أكثر قسوة في أيامنا هذه، ومعظمها يشمل كلمات بذيئة للغاية.

يواجه الفتيان سخرية زملائهم الذكور عندما يتعارض مظهرهم الخارجي

والمظهر المعهود، هزيلين كانوا أو بدينين. هناك تزايد لإمكانية تحوّل مسألة الوزن عند الفتيان إلى أزمة. ليست هذه الأزمة متعلّقة بالمظهر الخارجي فحسب، بل إنّها قد تؤدّي إلى تعرّض الفتيان الحسّاسين إلى الأذى العاطفي والنفسي. إن كان الفتى حسّاساً بالفطرة وإن كان وزنه زائداً، فإنّه قد يتعرّض للكثير من السخرية والمضايقة وقد يؤدّي ذلك إلى نبذه.

إن كنتم تعتنون بفتى ذي وزن زائد، هناك مسائل عليكم الالتفات إليها:

1- **الحِمية الغذائية:** هناك العديد من الحميات التي قد تلجؤون إليها، إلاّ أنّ الأهم هو أنّ على ابنكم تغيير النظام الغذائي الذي يتبعه. يعرض الفصل الخامس من هذا الكتاب المزيد من التفاصيل والاقتراحات المتعلقة بالغذاء.

2- **التمارين الرياضية الإلزامية:** كانه الفتيان في الستينات والسبعينات يمارسون الرياضة بشكل أكبر ممّا يفعلون في أيامنا هذه. إنّ طبيعة جسم الذكور يجعلهم بحاجة إلى التمارين الرياضية. بدأ الإنسان حياته وهو يعمل في الصيد والفلاحة، ممّا دفع الأولاد إلى التحرّك والعمل وممارسة التمارين الرياضية بشكل مستمر. تحتاج أجساد ذوي الوزن الزائد إلى العودة إلى هذه الحياة المليئة بالحركة وبالرياضة.

3- **المناقشات العائلية:** تتجنّب الكثير من العائلات مسألة الوزن خشيةً منها من التأثير على ثقة النفس لدى الأولاد البدينين. إنّ ذلك أمر خاطئ للغاية. إن كان وزن الفتى يصل إلى حوالى المئة كيلوغرام، وإن كان يمضي وقته أمام شاشة التلفاز أو بألعاب الفيديو، فإنّ المسؤولية تقع على عاتق أولياء الأمور. على هؤلاء تفسير خطورة المسألة وشرح التأثيرات السلبية لهذا التصرف.

4- **المساعدة الطبية (عند الحاجة):** قد يحتاج ابنكم إلى فحص للغدّة، وقد يعطيكم طبيبه المزيد من الاقتراحات الخاصة بالفحوصات اللازمة.

5- **الحماية من مضايقة الزملاء:** في ملحق الكتاب اقتراحات يمكنكم تطبيقها لحماية الفتيان من مضايقة الزملاء لهم. لا يتعرّض الفتى البدين عادةً للضرب من قبل زملائه، خصوصاً وأنّ حجمه قد يحميه من ذلك. إلاّ أنّه قد يتعرّض للكثير من السخرية من قبل هؤلاء الفتيان. لذلك، فإنّه بحاجة إلى أن تعلّموه الردود السريعة (مثال «أعلم أنني بدين ولكنني...»). كما ويحتاج هذا الفتى إلى أن تعلّموه كيفية تجاهل هؤلاء الزملاء الذين يسخرون منه. أخيراً، عليكم تدريبه على السيطرة على مشاعره الحزينة والوحيدة.

مساعدة الفتيان الحسّاسين على مواجهة الصدمات:

أرسلت لنا كايتي تجربتها مع ابنها برايس البالغ من العمر اثنتي عشرة سنة. وصلتنا رسالتها من ولاية أريزونا، وفيها: «إنّ ابني ذكي للغاية ولكنّه فتى حسّاس. تطلّقت وزوجي في السنة الماضية عندما كان برايس في الحادية عشرة من عمره. لم يتقبّل برايس هذا الطلاق وبات مفرط الحركة. إنّ تعرّضه إلى أي انتقاد يصيبه بالغضب أو العبوس. كما وأنّه لا يقوم بإنجاز فروضه المنزلية، ممّا أدّى إلى تراجع علاماته المدرسية. أتحدث ووالده عنه على الأقل مرّة في الأسبوع، وقررنا اصطحابه إلى جلسات استشارية. أخبرنا ناصحته أنّه يعاني من ردّة فعل من جراء الصدمة التي ألحقها به طلاقنا. إنّها تساعد برايس إلى حدّ كبير.

يتحسّن الأداء الأكاديمي لبعض الفتيان بعد تعرّضهم لصدمة شخصية أو عائلية. يبذل هؤلاء جهداً إضافياً في المدرسة، محاولين من خلال ذلك نسيان الألم الذي يشعرون به. إلاّ أنّ البعض الآخر من الفتيان يتأثرون بشكل سلبي يؤدّي إلى تراجع أدائهم الأكاديمي. يتأثر الفتيان الحسّاسون بالصدمات التي يتعرّضون لها، وتكون النتيجة تقلباً في المزاج وتراجعاً في الأداء المدرسي.

تجاوباً مع هذا التقلّب والأداء الأكاديمي المتراجع، علينا الالتفات إلى أهمية توثيق الروابط. بعد الصدمة وأثناءها، يرتفع مستوى الهرمونات عند الفتى، ممّا يزيد من إفراز الأدرينالين ويؤثر على الوظائف الفكرية ككل. إنّ أكثر ما يحتاج إليه الفتى في هذه المرحلة هو الروابط التي تريحه من الضغط النفسي الذي يمرّ به. قد يصبح مزاجه متقلّباً وتنخفض علاماته وقد تصيبه نوبات من الغضب. إلاّ أنّ ما علينا استيعابه هو أنّ الفتى يحاول، من خلال هذه التغيّرات المزاجية والأكاديمية، أن يطلب المساعدة المتمثلة بالعلاقات الوثيقة. إنّ هذه الروابط المتينة هي ما يحتاج إليه الفتى في هذا الوضع النفسي غير المستقرّ.

يفتقر الكثير من الفتيان إلى الحماس التعلّمي، ولا يقتصر ذلك على الحسّاسين منهم. إنّ هذا الأمر يعود إلى رغبتهم وحاجتهم إلى أن يبذل من حولهم المزيد من الجهد لتمضية الوقت معهم. عند وفاة أحد الوالدين أو عند الطلاق، قد يكون من الصعب أو المستحيل حصول الفتى على ما يحتاجه من العلاقات الوثيقة. إنّ ذلك يؤثر عليه إلى حدّ كبير وقد يدمّره نفسياً.

من المهمّ أن يمضي الفتيان الحسّاسون المزيد من الوقت مع الراشدين الذين يبادلونهم المحبة والمودّة. تشتدّ هذه الضرورة عندما تكون في حياة هؤلاء الفتيان حالات من الطلاق أو أيّة صدمات أخرى. عند تعرّض الفتى إلى أية صدمة شخصية أو عائلية، تزداد حاجته لروابط وثيقة تصله وأفراد من الفريق التربوي. قد يكون بوسع مدرّسي الفتى الحسّاس أن يوجّهوه بطريقة فعالة. إلاّ أنّ تلك المسألة منوطة بالأهالي والأجداد والمدرّسين الخصوصيين وجميع الأفراد الآخرين المقرّبين إلى الفتى. على هؤلاء تمضية المزيد من الوقت معه، وقد ينضمّ المستشارون إلى الفريق التربوي في هذه الحالة.

قد تعتبرون عزلة الفتى انعكاساً لطبيعته العنيدة أو لعدم رغبته بالتفاعل مع الآخرين، ممّا قد لا يشجعكم على التدخّل لتغيير هذا الواقع. إلاّ أنّ ما عليكم

إدراكه هو أنّ هذه الإشارات التي تظهر عند الفتى الحسّاس تعني أنّ لديه حاجة ماسّة لتوجيهكم ولتعبيركم عن الحبّ الذي تشعرون به حياله.

من خلال حديثنا عن الحساسيّة الناتجة عن الصدمة، لقد استخدمنا الطلاق كمثال أساسي لأنّه أكثر الصدمات التي تصيب فتياننا في أيامنا هذه. إلاّ أنّ الطلاق ليس الصدمة الوحيدة التي قد تؤدّي إلى تراجع الفتى أكاديمياً. يزداد مستوى الأدرينالين والكورتيزول عند الفتى حين تعرّضه لأي نوع من الاعتداء، جنسياً كان أو جسدياً أو عاطفياً، خصوصاً وأن ذلك يؤثّر على الوظائف الفكرية إلى حدّ كبير.

مساعدة الفتيان الشاذّين جنسياً:

اتصل أحد الفتيان على الخط الساخن المخصص للمشكلات الشبابية، وكان راين أولريتش المجيب على هذا الاتصال. طلب الفتى من راين أن يعطيه سبباً واحداً للحياة. تمّ هذا الاتصال في منتصف الليل بعدما أعلن الفتى أنّه يريد الانتحار. كان هذا القرار ناجماً عمّا واجهه الفتى بعدما اكتشف والداه أنّه شاذّ جنسياً وبعدما قال الكاهن إنّ الشيطان يسيطر عليه وبعدما تخلّى عنه بعض أصدقائه.

تقوم المجموعة المساعدة للشباب بأعمالها في واشنطن، وتهدف إلى دعم الذكور الشاذّين جنسياً والمثيلي الجنس، وخصوصاً من تتراوح أعمارهم بين الأربع عشرة والخمس والعشرين سنة. يدير هذه المجموعة راين أولريتش، ويتلقّى الكثير من الاتصالات من طلاّب في المراحل التكميلية والثانوية والجامعية. لقد اطلع راين على الدراسات التي تتمّ من قبل الطاقم في البرنامج التربوي لمنع الانتحار الشبابي. أظهرت هذه الأبحاث أنّ احتمال انتحار الذكور الشاذّين جنسياً يفوق الاحتمال الخاص بالذكور الأحاديي الجنس بثلاث مرات. من حسن

الحظ أنّ عدد الأطفال الذين يقومون بالانتحار بتقلّص مستمر في السنوات الأخيرة. إلاّ أنّ نسبة الانتحار من قبل الشاذّين جنسياً لا تزال مرتفعة.

يترأس د. تشارلز ويبيلزمان عيادة كايزر بيرمانينت الخاصة بالمراهقين في سان فرانسيسكو، كما وأنّه عضو في اللجنة الأميركية المختصة بطب الأطفال والمراهقين. وفقاً إلى د. ويبيلزمان، هناك أوجه إيجابية وسلبية في الوضع الذي يواجهه الفتيان الشاذون جنسياً في أيامنا هذه. لقد لاحظ أنّ هناك تزايداً في تقبّل المجتمع للشذوذ الجنسي ممّا يؤدي إلى تقليص الاكتئاب عند الفتيان الشاذين جنسياً وإلى انخفاض نسبة انتحارهم (...)، بالرغم من ذلك، هناك الكثير من المناطق حيث لا يزال المجتمع المتمثل بالعائلات وبمختلف الأفراد غير متقبلٍ للشذوذ الجنسي. إنّ ذلك يؤدّي إلى ازدياد عدد المنتحرين وإلى ارتفاع نسبة الاكتئاب عند الذكور الشاذين جنسياً.

إن كان ابنكم شاذاً جنسياً وإن كانت طبيعته هذه تجعله مكتئباً ومتألماً، فإن عليكم الالتفات إلى الدراسات الخاصة بهذه المسألة. ليس الشذوذ الجنسي أمراً يكتسبه الفتى. لم تظهر أية دراسة إلى أنّ هناك احتمالاً أكبر لكون الفتى شاذاً جنسياً إن ربّته الأم دون وجود الأب أو إن كان أولياء أمره شاذين جنسياً. وإنّه يشعر حينها بالانجذاب إلى الفتيان الآخرين.

إنّ الكثير من الذكور الشاذين جنسياً (وليس جميعهم) حسّاسون للغاية. في أيامنا هذه، هناك الكثير من الجدل حول الشذوذ الجنسي على الصعد الدينية والعلمية والاجتماعية. لذلك، على العائلات أن تقوم بنفسها بمساعدة هؤلاء الفتيان وبدعمهم. إنّ أيّ ولي أمر يدعم شاباً شاذاً جنسياً يقوم من خلال ذلك بمساعدته على الشعور بأنّ هناك بصيص أمل في المجتمع الذي يخاف من المجموعة التي تشكل نسبة 5 إلى 10 بالمئة من المواطنين.

يتعرّض الشاذون جنسياً وأهاليهم إلى الكثير من العوامل الاجتماعية الضاغطة. لذلك، فمن المهم أن يحضر هؤلاء جلسات استشارية وأن يتلقوا الدعم من مجموعات مختلفة. إن لم تكن في مجتمعكم منظمات تدعم الشاذين جنسياً، فقد يكمن الحل في أن تنشئوا منظمة خاصة بكم. تمّ تمويل مجموعة راين أولريتش عند إنشائها بحوالى خمسين ألف دولار أميركي، وقام بذلك رجل أعمال مهتمّ بهذه المسألة الاجتماعية. من المفيد أيضاً التحدث إلى الشاذين جنسياً وإلى أهاليهم، إضافة إلى المنظمات والمجموعات الداعمة لهذه الفئة من المواطنين. كما بوسعكم اللجوء إلى الشبكة الإلكترونية أو الإنترنت للبحث عن منظمات محلية ودولية وعن مجموعات أخرى قد توفّر لكم المعلومات المناسبة وقد تساعد الشبان الشاذين وذويهم.

إنّ أكثر المسائل التي تخيف الشاذين وأولياء أمورهم هي إطلاع الأفراد المحيطين بهم على حقيقة طبيعتهم الجنسية. يخاف الكثير من الفتيان من ردّة فعل ذويهم ممّا يدفعهم إلى إخفاء الحقيقة عنهم. يؤدّي ذلك إلى الإحباط والاكتئاب. إن كان لديكم أدنى شك بأنّ ابنكم قد يكون شاذاً جنسياً، الجؤوا إلى الشاذين الذين تعرفونهم واطلبوا منهم النصائح. كما عليكم طلب التوجيه من أهالي بعض الفتيان الشاذين ومن الفرق التربوية المتعاملة معهم، إضافةً إلى المنظمات والمجموعات التي سبق وتحدثنا عنها. ناقشوا هذه المسألة معهم وطالعوا ما يمكنكم إيجاده من كتب ومقالات عنها. حاولوا تعلّم كيفية التعامل والفتى الشاذ جنسياً خصوصاً وأنّه بأمسّ الحاجة إلى الحب والرعاية والدعم. تحدثوا إلى ابنكم وحاولوا فهم ما يجري في حياته، وسيؤدّي ذلك إلى ارتياحه إلى حدّ كبير. إن كنتم غير قادرين على مناقشة المسألة معه، الجؤوا إلى الأهالي

الآخرين وإلى أفراد يدعمون الشذوذ، إذ إن ذلك سيساعدكم على فهم ابنكم وعلى دعمه بالطريقة التي يحتاج إليها.

عليكم احترام حساسية بعض الشبان وشخصياتهم. على مجتمعنا دعم هؤلاء ومنحهم التشجيع الذي يحتاجون إليه، فهم مستقبلنا ومصدر قوتنا.

مهمة المدرّسين في مساعدة الفتيان الحسّاسين

يشكل الفتيان الحسّاسون تحدّياً للمدرّسين، وخصوصاً في أيامنا هذه وفي نظامنا التربوي الحالي. يصاب العديد من الفتيان الحسّاسين بالاكتئاب ويشعر الكثير منهم بالوحدة. قد يبذل بعضهم مجهوداً إضافياً أثناء تنفيذهم للفروض المدرسية، إلاّ أنّ العديد منهم يتركون المدرسة في عمر مبكر. هناك عشرون بالمئة من الفتيان الذين ينتمون إلى المجموعة الحسّاسة، ممّا يعني أنّ عددهم كبير ويستدعي اهتمامنا. على المدرّسين والمديرين وجميع من يعمل في المدارس ألاّ يستسلموا وأن يحولوا دون فشل هؤلاء الفتيان أكاديمياً. لحسن الحظ، هناك العديد من الاستراتيجيات التي أثبتت فعاليتها مع هؤلاء الفتيان الحسّاسين. لذلك، بوسع جميع المدارس البدء بتطبيق هذه الأفكار مع طلاّبها.

توظيف أفراد داعمين:

يعمل تيري شولتز كعامل اجتماعي في المدارس، وبدأ بعمله كمحامٍ طلاّبي في مدرسة أولاي نورث في كانساس في منتصف التسعينيات، وفي هذه المدرسة وست مئة طالب. أطلعنا تيري على تجربته قائلاً: «المحامي الطلاّبي هو مستشار غير أكاديمي قادر على زيارة الطلاب في منازلهم كما تدعو الحاجة. يعنى هذا المحامي ببرامج الاحتياجات الخاصة ويتجوّل في المنازل لمساعدة الطلاّب الإناث والذكور الذين يواجهون مشكلات معينة. كانت تلك هي مهمتي، فأصبحت مستشاراً متجوّلاً» وتعامل مع الكثير من الطلاب. منهم من أراد الانتحار ومنهم من عانى من مسائل أخرى شديدة الخطورة.

كـان لحـضـور تيـري في المدرسـة تأثيـر كـبيـر على الطلاب، وخـصـوصـاً الحسّاسين منهم ومن شعر منهم بأنّهم منبوذون. أطلعني تيري على حادثة وقعت في المدرسـة، وتمثّلت بمضـايقـة مـجـمـوعـة طلاب لحـارسٍ أمني أثناء أحـد اجتماعاتهم. تدخل تيري لحلّ المسألة، ممّا أدّى في النهاية إلى استجوابٍ قاسٍ قام به هؤلاء الطلاب مع تيري. سألوه عن تجربته الشخصية في المدرسة الثانوية وعن الحياة في الستينيات.

طالع تيري ما كتبته عن الفتيان الحسّاسين ولاحظ أنّ العديد من الطلاّب الذين قام بمساعدتهم ينتمون إلى هذه الفئة من الفتيان. عبّر تيري عن تجربته مع هؤلاء قائلاً: «من خلال عملي معهم، تعلّمت الكثير من الدروس الخاصة بالعلاقات وضرورة توثيقها وبالعزلة وأسبابها». كان هؤلاء الفتيان متلهفين لوجود الروابط المتينة في حياتهم ولشعورهم بمحبة الآخرين في المدرسة، خصوصاً وأنّهم اعتبروا هذه البيئة معاديةً لهم. انعزلوا عن الطلاب الآخرين ورفضوا كلّ ما كانوا يقومون به، ممّا أشعرهم بالوحدة.

في رسالته، شدّد تيري على أنّهم كانوا فتياناً حسّاسين وأضاف: «كان هناك طابع مشترك في حياتهم وهو الحزن عند وفاة حيواناتهم الأليفة أو أجدادهم. كما وأنّهم واجهوا صعوبةً في الافتراق عن أولياء أمورهم، الأمر الذي عانى منه بشكل خاص الشبان المفتقرون إلى وجود الأب في حياتهم. سمعت الكثير من التجارب التي كان الأب فيها موجوداً ولكنه غير متفاعل مع الفتى ومسائله. إضافةً إلى ذلك، تمحور الكثير من التجارب حول الطلاق الذي أبعد الآباء عن أبنائهم. قمت بجلسات استشارية مع العديد من الشبان الذين تمتعوا بالذكاء الحاد والذين واجهوا الكثير من الصعوبات. اكتشف بعض هؤلاء أنّ لأمهاتهم علاقات عاطفية وذلك من خلال اطلاعهم على رسائلهن الإلكترونية أثناء تصليح جهاز الكمبيوتر».

أدّى حضور تيري إلى تقلّص عدد الاضطرابات السلوكية في مدرسة أولايث. يؤكد ذلك التأثير الإيجابي أنّ للرجال دوراً مهماً في حياة الفتيان الحسّاسين، الأمر الذي لاحظه زملاء تيري. عبّر أحد المدرّسين عن ذلك من خلال الرسالة التالية: «للرجل الأكبر سناً تاثير واضح على الفتيان، إذ أنّهم يعتبرونه رجلاً جديراً بالاحترام. ليس هذا الرجل والدهم ولكنّ ذلك أمرٌ إيجابي، فهو بذلك إنسان موضوعي وجدير بالثقة. يشعر الفتيان بالقدرة على مناقشة جميع المواضيع مع هذا الرجل بصراحة تامة». لاحظ مدرّسون آخرون شعور الفتيان بالارتياح عند التحدث إلى هذا الرجل الأكبر سناً، خصوصاً وأنّه يتجاوب بشكل كبير مع جميع الطلاّب والمدرّسين ويعمل على حلّ مشكلاتهم. أضاف تيري أنّ الكثير من الأمهات شعرن بالغبطة حيال إرسال أبنائهن إليه وحيال تحدثه إليهم.

في تجربة تيري نصائح عدّة، خصوصاً وأنّه تعلّم من خلال ما قام به مع الفتيان ضرورة تحمّل الصدمات. على المحامي الطلابي أن يكون قادراً ومستعداً لانتقاد الطلاب عند الحاجة على أن يتمّ ذلك على انفراد. كما وعليه أن يصغي إلى الفتيان وأن يعمل على توثيق العلاقة معهم للوصول إلى الثقة المتبادلة. إنّ توقّع المحامي الطلابي التماس نتائج سريعة، فإنّ ذلك سيؤدي إلى شعوره بالكثير من خيبات ألأمل.

في نهاية رسالته، قال تيري: «يريد الشبان الحسّاسون الشعور بالانتماء إلى مجتمعهم. إن تواجد في حياتهم شخص يودّ التقرّب منهم بشكل متفهم وغير متسلّط، فإنّ ذلك يجعلهم يتجاوبون معه بشكل إيجابي. يعتبر العديد من هؤلاء الفتيان أنّ المدرسة بيئة غير مريحة، ولكنّهم يتجاوبون مع رجل أكبر سناً خصوصاً وأنّه يظهر لهم اهتماماً بالغاً».

أهمية توعية المستشارين المدرسيّين على الاختلاف الفكري بين الجنسين

لا تدخل في ميزانية الكثير من المدارس مسألة محامي الطلاّب، ممّا يشكّل ضغطاً إضافياً على الفتيان الحسّاسين وعلى الفتيان الذين يواجهون الإحباط والعزلة والوحدة. لو لم تأخذ مدرسة أولايث مسألة محامي الطلاب بعين الاعتبار في ميزانيتها، لما استطاع تيري شولتز مساعدة الفتيان في مدرسته. حصل الأمر نفسه مع آن واكر في مدرسة بارك هيل في ميزوري، واطلعنا على تجربتها الناجحة مع فتيان كانوا بحاجة إلى مساعدة إضافية. حصلت مدرستها على تمويل لتدريب المستشارية على فهم النمو العاطفي والنفسي عند الذكور، ممّا أدّى إلى نتائج إيجابية. اطلعتنا آن على مثالين:

«في الصف الثاني عشر طالب يعاني من الاعتداء في منزله. من خلال تدخل مستشاري المدرسة، استطاع الانتقال للعيش مع والدين لشاب كان قد توفي في الصف التاسع. كان وضع هذا الفتى حسّاساً للغاية، لكنه بات طالباً في الجامعة وفي كلية الطب.

في المدرسة أيضاً طالب في الصف السادس يعاني من مشكلة مماثلة في منزله. أدّى الاعتدءا المنزلي إلى فشله المدرسي وإلى تغيبه عن 30 بالمئة من حصصه. التحق هذا الطالب ببرنامج استشاري خاص بحالات الاكتئاب ومحاولات الانتحار، وحصل ذلك بعد إلحاح من مدرّسيه والعاملين الاجتماعيين. أدّت الجلسات إلى تحسّن وضعه، وأصبح الآن شاباً ناجحاً».

لاحظ المستشارون والمعالجون النفسيون أنّ التحدث إلى الفتيان أمرٌ مهم ومفيد، إلاّ أنّهم أشاروا إلى أنّ الاعتماد على هذه الوسيلة فحسب أمر لا يجدي نفعاً. من المهم التجوّل مع الفتى ومرافقته في نزهات يتم التحدث فيها. من خلال ذلك، يحترم المستشارون الميول الفكري عند الذكور ويعترفون بأهمية

الحركة الجسدية عندهم. إنّ القيام بذلك يعني الانتقال من الاستشارة الجلوسية إلى الاستشارة المشائية.

تعتمد الاستشارة الجلوسية على قدوم الفتى إلى المكتب والجلوس للتحدث مع المستشار. عليه عندها مناقشة مختلف الأحاسيس والأفكار دون أية حركة جسدية. أمّا الاستشارة المشائية، فهي أسلوب يوناني يعتمد على التحدث أثناء المشي. إنّ هذه الطريقة أكثر فعالية مع الفتيان. إذ إن دماغهم يعمل بشكل أفضل عند تزاوج الكلام والحركة. إن أجبر الفتى على النظر إلى عينيْ المستشار وهو جالس في كرسيه، فإنّ ذلك قد يعطّل الوظائف الفكرية النفسية واللغوية.

لذلك، فقد لاحظت آن واكر، إضافةً إلى تيري شولتز وغيرهما من مستشاري الذكور، أنّ التقنيات الاستشارية الحديثة شديدة الأهمية. بالرغم من نمو الفتيان الحسّاسين لغوياً وعاطفياً، إلاّ أنّهم يستفيدون أيضاً من تنوّع التقنيات الاستشارية. نذكر من هذه الأساليب الاستشارة الجماعية حيث تتم المناقشات من قبل مجموعة من الأشخاص، الاستشارة المشائية التي تشجع الفتى على فهم أحاسيسه بشكل يتناسب وطبيعته الفكرية عوضاً عن مجرّد الجلوس والتحدث إلى المستشار، كلٌّ في كرسيّه الخاص.

مهما كان الأسلوب الاستشاري، فليس هناك مجالٌ لتجاهل أهمية البرامج الاستشارية في حياة الفتيان. من الواضح، وكما لاحظ تيري، أنّ المدارس تتأثر إيجابياً من خلال تطبيقها لهذه البرامج، إذ إن الأداء الأكاديمي يتحسّن والاضطرابات السلوكية تتقلّص. أمّا آن، فتشدّد على أنّ حياة هؤلاء الفتيان تتعرض للإنقاذ عند حضورهم لجلسات استشارية عديدة.

مواجهة العنف والتنمّر:

بعثت لنا لوري واشنطن، وهي أم لثلاثة أبناء، الرسالة التالية:

«كنت أقوم بجلي الصحون في منزلي عندما دخل أحد أبنائي الثلاثة إلى المنزل من بابه الخلفي وبشكل مسرع. صرخ ابني الأوسط وهو في العاشرة من عمره: «سيقوم بضربنا! سيقوم بضربنا!» كان يبتسم ويركض، وقام أخوه بالأمر نفسه. بعد ذلك، دخل زوجي مسرعاً وفي يده كرة من الثلج. كان أولادي وأبوهم يقومون برمي كرات الثلج على بعضهم وكان الفتيان يتطلعون إلى ضربهم بالثلج. خرج أولادي من المنزل وهم يرمون كرات الثلج ويتسببون بفوضى عارمة.

أذكر أنّني فضّلت عندها لو أنّ أبنائي لم يستعملوا كلمة «ضرب». كما وتمنّيت ألاّ يلعبوا بطريقة عنيفة، خصوصاً وأنّني لم أستخدم في تربيتهم أي نوع من العنف. إنّ ذلك يخيفني للغاية حتى اليوم بالرغم من أنّ لدي زوجاً وثلاثة أبناء.

لكنّهم كانوا في الفناء الأمامي يرمون كرات الثلج على بعضهم البعض ممّا أدّى إلى الأذى في بعض الأحيان. إلاّ أنّهم كانوا يستمتعون بما كانوا يقومون به. لم يكن بوسعي القيام بشيء إذ إنّهم كانوا مولعين بما كانوا يفعلونه».

قد تحمل تجربة لوري إمكانية تحوّل العنف الممتع إلى عنف مؤلم، ولكنّها تظهر أهمية ذلك العنف في تجربة الفتيان التربوية. يتعلّم الفتيان الكثير من الأمور من خلال ضرب آخرين أو تعرّضهم للضرب من قبل الآخرين. يتعلّمون المنافسة والروح الجماعية؛ يتعلمون القسوة والرقة؛ يتعلّمون الأساليب الفعّالة والفاشلة؛ يدركون السرعة التي يستطيع ركضهم التمتع بها؛ يتعلّمون الاختباء؛ يتعلّمون الهزيمة ومن ثم الربح. إنّ طبيعة الذكور تدفعهم للتعلّم من خلال العنف، جسدياً كان أم شفهياً أو اجتماعياً. لذلك، فمن الخطأ إزالة جميع أنواع

السخرية والضرب من حياة الفتيان. بالرغم من أننا نحاول حماية فتياننا الحسّاسين، إلاّ أنّ علينا تقبّل العنف الذكوري.

في الوقت نفسه، إدراكنا لطاقة الذكور لا يغيّر الواقع المتعلّق بحساسيّة بعض الفتيان وتعرّضهم للأذى النفسي والجسدي من جرّاء العنف. على كلّ مدرسة ومنزل حماية الفتيان والأولاد بشكل عام. يحتاج فتياننا وفتياتنا الحسّاسون إلى مساعدة إضافية على التعامل مع العنف الطبيعي والذكوري.

كيف يستطيع الأهل والمدرّسون تفسير الفرق بين العنف المفيد والعنف الضار؟ كيف يستطيع هؤلاء حماية الفتيان الحسّاسين من التنمّر؟

لقد ابتكر مركز غوريان معايير للتنمّر، إضافةً إلى تقنيات وأساليب لوضع حدّ لهذه المسألة. في ملحق الكتاب شرح وافر لهذه التقنيات التي يستطيع الطاقم المدرسي اتباعها. كما وفي الملحق التعديل الذي أجري على قانون واشنطن الذي يمنع التنمّر والذي تمّ اشتراعه في العام 2002 تحت إشراف عدد من المختصين.

اختيار الطريقة المؤدّية إلى النجاح

كتب فيكتور فرانكل المقولة التالية: «من الممكن أن نحرم الرجل من كل شيء إلاّ من آخر الحريات الإنسانية. حق اختيار المواقف الخاصة بظروف معينة وحق اختيار الأسلوب الشخصي المناسب».

كان فرانكل طفلاً حساساً وعاش في زمن النازية المدمّرة. عند خروجه من المعتقلات النازية، أصبح فرانكل عالماً نفسياً وفيلسوفاً اجتماعياً. كانت أهم نظرياته قائمة على أنّ جميع الأشخاص قادرون على الوصول إلى النجاح، مهما كانت ظروف حياتهم قاسية.

يعاني الفتيان الحسّاسون من محاولة التصرّف وفقاً لطبيعتهم في

مجتمعاتهم. لا يستطيعون تغيير الجميع تماماً كما يعجز المدرّسون أو الأهالي أو المجتمع عن تغيير الذكور ليصبحوا مثل الفتيان الحسّاسين. على هؤلاء الأفراد الراشدين توعية الجميع حيال ضرورة تقبّل الفتيان الحسّاسين ومساعدتهم.

في الوقت نفسه، إنّ الذكور موجودون في المجتمع وهدفهم النجاح. إننا بحاجة إلى نجاحهم هذا لنستمر. إننا نبني مجتمعاتنا على العنف الذكوري وعلى طاقتهم. إننا بحاجة إلى الذكور جميعاً، ممّا يشمل هؤلاء الذين لا يشعرون بالانتماء إلى مجتمعاتهم وهؤلاء الذين سيقاومون الأفكار السائدة في هذه المجتمعات. كما وأننا بحاجة إلى الذين يتأذون من واقعهم في المجتمعات إلى أن يدفعهم هذا الألم إلى حثّ الجميع على تقبلهم.

قد يشعر الفتى الحسّاس بأن لا سلطة له، إلاّ أنّ اختلافه عن الآخرين يعطيه القوة. إنّها القوة التي اكتسبها فرانكل، قوة الحرية وقوة اختيار الموقف الشخصي. إنّها قوة على جميع الفتيان اكتسابها، خصوصاً من يشعرون بعدم الانتماء إلى مجتمعاتهم. بوسع هذه القوة أن تساعد فتياننا الحسّاسين، ولا يكتسبون هذه القوة دون دعمنا لهم.

إن كان الفتى الحسّاس يعاني من مشكلات أكاديمية، عليكم تفسير معنى الحرية، الحرية التي يسعى جميعنا إلى اكتسابها مهما كان ذلك أمراً صعباً. عليكم أن توضحوا له أهميّة هذه الحرية التي تشير إلى كون الإنسان على طبيعته مهما كان رأي الآخرين أو أفعالهم.

ساعدت لي فورتسون ابنها من خلال زيادة حساسيّة الآخرين ومن خلال حثّ المدرسة والمجتمع على دعمه. إلاّ أنّها علّمته أيضاً الاعتماد على نقاط قوته وعلى حقه بالاختيار. عندما يصبح ابنها رجلاً، تأمل ألاّ يكون قد عانى ممّا واجهه فرانكل وأن يكون قد اكتسب من نزاعه مفتاح النجاح والسعادة: طبيعته الفريدة من نوعها.

الخاتمة

«يعتمد مستقبل العالم على راحة الأولاد في منازلهم ومدارسهم».

التلمود

بدأ هذا الكتاب بتجربتين، الأولى تجربتي الخاصة في سنواتي المدرسية التي غلب عليها بعض الألم، والثانية تجربة كاثي التي عانت من مشكلة ابنها المدرسية. لقد تمّ تأليف هذا الكتاب بمهنية وشغف. أرغب وكاثي أن نرى الجيل الجديد من الفتيان مولعين بالمدرسة. على المدرسة وبإمكانها أن تكون مكاناً ممتعاً للفتيان ومكاناً لا يخشونه بأيّ شكل من الأشكال.

نأمل أن يكون هذا الكتاب قد عرض لكم أحدث التقنيات والنظريات الخاصة بتعليم أبنائكم والفتيان في مدارسكم والشبان في مجتمعاتكم. إننا بحاجة إلى الكثير من التغيّرات الاجتماعية إن كان هدفنا احترام طبيعة الفتيان والرجال. لا يمكننا العودة إلى عالم مليء بالأفكار المقولبة والخاطئة التي تعتبر طبيعة الرجال طبيعةً موحدة. كما أننا لا نستطيع الاعتماد على نظرية واحدة أو دين واحد. إنّ أبناءنا كثيرو التنوع، ممّا يعني عدم القدرة على تعليمهم بطريقة متشابهة.

ما نقوم به لحماية أبنائنا وتعليمهم أمرٌ علينا التفكير به بشكل عميق، إذ أنّه يشمل الكثير والكثير من التفاصيل والمتاهات.

لتعليمهم وحمايتهم، علينا أخذ الآتي بعين الاعتبار:

إنّه عملٌ مقدّس طلبه منكم الله.

إنّه امتداد للمنطق والعدل.

إنّه نضال لنجاح طاقة الفتيان، وليستطيع الفتيان استغلال هذه الطاقة في بناء مستقبل اجتماعي أفضل.

إننا بأمسّ الحاجة إلى منح أبنائنا الحب وإلى احترامنا لفكرهم ولمواهبهم. إننا نعيش في عصر معقّد يحتاج فيه الفتيان إلى أعلى المستويات التربوية. إنّ كلّ ما تقومون به لمساعدة عقول الفتيان لا يقتصر على فتى أو اثنين ولا على صف واحد أو مدرسة واحدة. إنّه يؤثر على مجتمع كامل يحاول فهم الرجل وطبيعته ويحاول إيجاد السبل التي تجعل من الفتيان رجالاً ويحاول التعريف عن الأساليب التي على الراشدين اتباعها للرعاية بالفتيان.

لم يتمّ طرح هذه الأسئلة في الماضي. كانت الإجابة عليها مبنية على افتراضات. إلاّ أنّ الزمن قد تغيّر. إنّ عدم الالتفات إلى طبيعة الرجال والنساء أمرٌ يعني تجاهل أهم المواضيع الإنسانية.

نأمل أن تستخدموا هذا الكتاب كنموذج لتعليم الفتيان بشغف وفعالية. ليس هذا الكتاب الأسلوب الوحيد الذي يؤدي إلى النجاح. إلاّ أننا ندرك أنّ التوعية ضرورية وأنّ الاعتماد على العلوم أمرٌ يساعد المجتمع على التطور ويعزّز التحاور بين الأفراد.

فليمتزج العلم مع الدين والنظريات التربوية. على أبنائنا تعلّم الدين والتاريخ، ولكنّهم بحاجة إلى فهم العلوم وإلى تطبيقنا لها. نأمل أن تستفيدوا من تطبيقكم للعلوم الدماغية ونأمل أن يؤدّي اعتمادكم عليها إلى استيعاب الفتيان والرجال. نأمل أن يساعدكم هذا الكتاب على فهم أبنائكم وعلى تطوير أساليبكم في المنزل والمدرسة ليصل الفتيان إلى أفضل مستويات السلامة الفكرية والجسدية.

ملحق:

عشر استراتيجيات لمعالجة التنمّر بين الفتيان

هناك أمور عليكم أخذها بعين الاعتبار عند مواجهتكم لحالات التنمّر العادية والشديدة.

1- إنّ السخرية جزء طبيعي من حياة كل طفل، أي أنّها ليست تنمّراً في جميع الأحيان. لا يمكن تصنيف الأفعال العنيفة كلّها على أنّها تنمّر. إنّ التنمّر نوع من العنف ومن الممكن تعريفه على الشكل التالي: إن التنمّر محاولةٌ يقوم به شخص أو مجموعة لإلحاق الأذى بفرد آخر أو بمجموعة أخرى، وقد يكون هذا الأذى جسدياً أو عاطفياً.

2- استمعوا إلى ابنكم وانتبهوا إلى جميع التفاصيل التي يتفوّه بها. تأكدوا ممّا يتعرّض له من قبل زملائه وإن كان ذلك مجرّد سخرية ودّية بين الأصدقاء أو تنمّراً وعنفاً من قبل الآخرين. لفهم حقيقة الأمور، عليكم اللجوء إلى رأي راشد آخر، وهنا يأتي دور الفريق التربوي الذي بوسعه مساعدتكم لتقييم المسألة بشكل دقيق.

3- إن كان ابنكم يتعرّض للسخرية أو المضايقة، بوسعكم التدخل بالتعاون مع الفريق التربوي. عليكم أن تعملوا على استيعابه لنقاط الضعف التي يسخر منها الآخرون. بإمكانكم زيادة ثقته بنفسه من خلال تعليقاتكم المشجعة؛ عليكم تنبيهه إلى الصفات التي على المرء أن يتمتع بها ليصبح جديراً بصداقته. ساعدوا ابنكم على اتخاذ القرارات المتعلقة بتصرفاته وإن كان عليه تغييرها.

4- أمّا إن كان يتعرّض للمشاحنات العنيفة جسدياً ونفسياً، فعلى الأهالي والمدرّسين التدخّل لوضع حدّ لهذا التنمّر. قوموا باتصالات هاتفية وابعثوا رسائل إلكترونية للجسم الإداري في المدرسة أو للنادي الرياضي أو لأية مؤسسة أخرى. عليكم أيضاً الاتصال بأولياء أمور الأولاد الذين يعرّضون الفتى للتنمّر، إلاّ أنّ عليكم القيام بذلك بحذر شديد. على الفريق التربوي والطاقم المدرسي التعاون لحلّ هذه المشكلة.

5- عند اتصالكم بالإداريين أو بأهالي الأولاد، اعرضوا عليهم ما لديكم من براهين تشير إلى التنمّر. إنّ أوّل مصدر لهذه الدلائل هو الفتى نفسه وكلماته المتعلّقة بالتنمّر الذي يتعرض إليه (انتبهوا إلى الوصف الذي يقوم به الفتى). إن كان ابنكم على وشك الانتهاء من المرحلة الإعدادية أو في مرحلة مدرسية متقدمة، فبوسعه مساعدتكم من خلال كتابة تجربته بشكل مفصل.

6- إنّ الوسيلة الثانية للحصول على الدلائل هي مقابلة شهود كانوا متواجدين أثناء حدوث التنمّر. من المهم تدوين كلّ ما يقولونه بشكل واضح ودقيق. إن كانوا مستعدين لكتابة أقوالهم بنفسهم، فذلك يكون أفضل.

7- أثناء قيامكم بهذه الإجراءات، حاولوا إيجاد وسائل يستطيع ابنكم وأصدقاؤه الذين يتعرضون للتنمّر تطبيقها لمواجهة الزملاء العنيفين بشكل آمن وناجح. من المهم أن يتدخل الفريق التربوي، ولكن ذلك لا يلغي ضرورة تحلّي الطالب نفسه بالقوة والقدرة على التحدّي وحثّه على التعاون معكم لمواجهة هذه المصاعب. عليكم أن تساندوا ابنكم، إلاّ أنّ مساعدتكم له في البيئة التي يتواجد فيها مع زملائه مسألة تحول دون تعرّضه للأذى والإحراج في المستقبل.

8- بينما تقومون بالإجراءات الوقائية والمواجهة للتنمّر، تأكدوا من التفاتكم إلى حاجات ابنكم وإلى ضرورة شعوره بالأمان. في بعض الحالات، يكون عليكم

القيام بذلك بشكل فوري لا يسمح بالكثير من الإجراءات التحضيرية. قد تضطرون إلى الاتصال بمدير المدرسة فوراً دون تواجد البراهين على التنمّر. إن أجبرتم على القيام بذلك، فعليكم عدم التردّد.

9- عليكم ملاحقة المسألة مع الجسم الإداري ومع أولياء أمور الزملاء العنيفين. أكدوا من أنّ الأسبوعين التاليين لتدخلكم يحملان درجة عالية من الأمان، وراقبوا الأحداث لمعرفة إن تغيّر الوضع مع ابنكم. إن بدأ الفتى بالتحدث عن وضعه بشكل أكثر ارتياحاً مع أحد الوالدين، فعليكم دعم هذا الخيار. إن كان بحاجة إلى مقابلة مستشار المدرسة أو معالج نفسي أو أي شخص موجِّهٍ آخر، فعليكم دعمه وتشجيعه على القيام بذلك.

10- حافظوا على الهدوء عند مساعدة أيّ طفل يعاني من التنمّر. عليكم ألاّ تبالغوا في ردّة الفعل تماماً كما عليكم عدم التقليل من خطورة المسألة. قد يضطر ابنكم إلى مبادلة الفتيان العنيفين بالمثل في بعض الأحيان (خارج المدرسة)، وقد يربكه طلبكم ألاّ يدافع عن نفسه. قد يحتاج إلى الهرب في بعض الحالات وقد يولّد طلبكم بالدفاع عن نفسه المزيد من العنف. يواجه ابنكم الخوف والإحراج والغضب في بعض الأحيان. عليكم التصرف كراشدين وعليكم التحلّي بالحكمة بينما تصغون إليه وتحضّرون ما عليكم قوله وفعله تجاوباً مع ما يجري. عليكم دعم ابنكم وهو ينمو نفسياً وجسدياً.

للحصول على معلومات إضافية تساعدكم على مواجهة التنمّر، يمكنكم مطالعة كتاب باربارا كلوروسو التي ألّفته تحت عنوان: «الأولاد والتنمّر».

المعلومات الإضافية ومصادرها

يفخر مركز غوريان باستخدامه لوسائل وقائية ومضادة للتنمّر في ولايتين هما ميسوري وواشنطن.

في العام 1998، كانت د. باتريسيا هينلي مديرة مركز ميسوري للأمان المدرسي. عملت د. هينلي بالتعاون مع مركز غوريان على اشتراع قوانين تجعل من المدارس أكثر فعالية وأمناً. كان التنمّر أحد المواضيع التي تمّت مناقشتها. طالبت هينلي باللجوء إلى المشروع المقاوم للتنمّر الذي ابتكرته الجمعية الرافضة للعنف في مدينة كانساس في ولاية ميسوري. نشرت الجمعية كتيّباً مفيداً يحمل معلومات مفصّلة من الممكن تطبيقها بسهولة. بإمكانكم الاتصال بالجمعية على العنوان التالي: 301 آرمور، شقة 440، مدينة كانساس، ميسوري 64111، أو على الرقم التالي: 816-753-8002.

في العام 2000، وبسبب عمليات إطلاق النار التي قام بها بعض الطلاب في الولايات المتحدة، طلبت كريستين غريغوار مساعدة الخبراء لاشتراع قوانين ضد التنمّر في واشنطن. كانت غريغوار عندها تعمل كمدّعية عامة للولاية وكانت تقوم بأعمالها المختلفة تحت إشراف غاري لوك الذي كان حاكم واشنطن في حينها. كان مايكل غوريان أحد الخبراء الذين تم طلب المساعدة منهم. وافق الجميع على أنّ التنمّر مشكلة خطيرة وأنّ معظم الطلاب الذين قاموا بإطلاق النار على الآخرين في المدارس كانوا قد تعرّضوا للتنمّر. باتت هذه المشكلة منتشرة بين الذكور والإناث في الولايات المتحدة في العقد الماضي.

تمّ العمل على مشروع قانون ضدّ التنمّر لمدة سنة، وتمّ إرساله إلى نواب ولاية واشنطن. إن كانت ولايتكم تسعى لاشتراع قانون مماثل، بإمكانكم الاتصال بالمدعي العام على العنوان التالي: ص.ب.: 40100، أولمبيا، واشنطن 0100-98504 أو على الرقم التالي: 753-6200.

مركز غوريان

إنى كنتم تودّون مساعدة مجتمعكم على منح الفتيان والفتيات جميع ما يحتاجون إليه، نرجو منكم الاتصال بمركز غوريان. يتعاون المركز مع الأهالي، والمدارس والمؤسسات والأنظمة الإصلاحية والأطباء والعلماء النفسيين، إضافةً إلى جميع الأفراد الذين يعملون لخدمة الأطفال. إنّنا نشرف على جلسات تدريب في جميع أرجاء الولايات المتحدة وكندا وأستراليا.

تتمحور جلسات التدريب حول: (1) الاختلاف التعلّمي بين الفتيان والفتيات، (2) تعليم الفتيان وتربيتهم، (3) تعليم الفتيات وتربيتهم، (4) التوصل إلى البيئة المدرسية الفضلى. إنّ التزامات مركز غوريان ومدرّبيه لا تقتصر على تدريب المدرّسين والأهالي، بل تشمل التأكد من مشاركة المؤسّسات والوكالات ومن قدرة هذه الشركات على تدريب العامين فيها.

بوسعكم الاتصال بمركز غوريان للحصول على معلومات عن كيفية جعل مدرستكم حقلاً لأبحاث المركز. كما وتستطيعون معرفة مسائل أخرى متعلقة بمواعيد جلسات التدريب الصيفية التي تشرف عليها سنوياً.

بإمكانكم الحصول على معلومات أخرى على موقعنا الإلكتروني:

www.gurianinstitute.com

معلومات عن المؤلِّفَيْن

مـايكل غـوريان فـيلسـوف اجـتـمـاعـي ومعـالـج لـلـمـشكلات الـعـائليـة ومـؤلف لعـشـريـن كتـابـاً صُنِّفت من قبـل مجلة نيويورك تايمز على أنّهـا الأكثـر مـبـيعـاً، وتُرجمت إلى سبع عشرة لغة. شارك مـايكل في تأسيس مركز غوريان الذي يقوم بأبحاث على المستوى العالمي. كما يُعنى هذا المركز بابتكار برامج تربوية جديدة وبتدريب المدرّسين. لقد أُطلق على مايكل اسم «فيلسوف الناس» وذلك بسبب قدرته على الدمج بين حياة الناس الطبيعية ومختلف الأفكار العلمية.

من خـلال عمله في علم الاجـتمـاع، بدأ مـايكل الأبحـاث الخاصـة بالدمـاغ والأعـصـاب، وأدخل هذه المعلومـات بشكل سلس إلى جـمـيع المنازل والمؤسـسـات والمدارس والهيئات الحكومية. لديه العديد من الكتب التي ساعدت المجتمع في مجـال تنميـة الأطفال ومنهـا: «أعـجـوبة الفـتيـان»، «الـشـاب الفـاضل»، «الفتـيان والفتيات يتعلّمـون بشكل مختلف»، و«أعجوبة الفتيات». لقد ولّدت هذه الكتب موجاتٍ من الجدل، وبدأت كتبه الخاصة بعلم الأحياء العصبي بلفت النظر إلى ضرورة فهم الدماغ الذكوري وما يسبّبه من تصرفات.

لقد عـمل مايكل كمـسـتـشـار للعـديد من العـائلات والشـركـات والمعـالجين والأطباء، إضافةً إلى المدارس والوكالات والكنائس والمحامين. يجول مايكل سنوياً في أكثر من عشـرين مـدينة للمـشاركن في مؤتمـرات مـختلفـة. يتمّ استـخـدام شـرائط الفيـديو التي أشـرف عليـهـا لتـدريب الأهالي والمتطوعين في مـخـتلف الوكالات الأميركية والكندية.

لقد ألقى مـايكل محـاضـرات في جـامـعـات مـختلفـة منهـا: هـارفـرد وجـون

هوبكينز وستانفورد وكولورادو وميسوري ـ كانساس وغونزاغا وأنقرة وكاليفورنيا . تبرهن نظريته على احترامه لمختلف المجتمعات والحضارات (الأوروبية والآسيوية والشرق أوسطية والأميركية)، خصوصاً وأنّه عاش في هذه المناطق وعمل ودرّس فيها .

لقد تمّت مناقشة أعمال مايكل في مختلف وسائل الإعلام ومنها نيويورك تايمز وواشنطن بوست والولايات المتحدة اليوم (USA Today) ونيوزويك وتايم ومجلة وول ستريت، إضافة إلى مجلات أخرى تُعنى بالتربية والتعليم. كما تحدثت بعض البرامج التلفزيونية عن أعماله واستقبلته كضيفٍ فيها مثال برنامج اليوم (Today Show) وصباح الخير يا أميركا (Good Morning America) وفي مختلف البرامج الأخرى على شاشات الـ CNNو PBSوعلى الإذاعة الوطنية .

يقطن مايكل في سبوكاين في واشنطن مع زوجته غايل وابنتيهما غابرييل ودافيتا .

بوسعكم الاتصال به عبر www.gurianinstitute.com

تعاونت كاثي ستيفنز مع مايكل غوريان لإنشاء قسم التدريب الخاص بمركز غوريان في كولورادو، حيث تتم الجلسات التدريبية الصيفية. لقد قامت كاثي بتدريب المدارس والإصلاحيين والأهالي في جميع أرجاء الولايات المتحدة وكندا، وتمحورت جلساتها حول الاختلاف التعلّمي بين الفتيان والفتيات. كما تشرف كاثي على القسم التدريبي في مركز غوريان في أستراليا .

لكاثي ما يزيد على خمسس وعشرين سنة من الخبرة التطوعيّة المرتكزة على الأطفال والشباب والعائلات والنساء. تشمل خبرتها تعليم الموسيقى (من الصف الأول حتى الثامن)، وتصميم البرامج التربوية في المراحل المبكرة، وابتكار برامج أخرى خاصة بالعنف المنزلي والإصلاح ومنع الحمل لدى المراهقات

والتوعية الثقافية والاكتفاء الذاتي لدى النساء. لقد تعاملت كاثي مع أفراد ومجتمعات فقيرة ومتنوّعة الأعراق.

لقد أشرفت كاثي وقامت بنفسها بدورات تدريب في مؤتمرات محلية على مستوى الولاية والبلاد. تحمل شهادة ماير ـ بريغز وشاركت في مركز التوعية الثقافية الذي تمّ إنشاؤه بتمويل من جمعية تُعنى بالأطفال وحقوقهم في تينيسي.

في العام 2002، حصلت كاثي على جائزة أونسونغ من قبل المؤسسة النسائية في كولورادو. في العام 2004، تمّت تسميتها امرأة العام من قبل جمعية بايكس بيك النسائية. تقطن كاثي في كولورادو مع زوجها دون. لديها ابنان هما مايك وكيفن ولها حفيدان هما آسبن (7 سنوات) وماثيو (8 سنوات).

بوسعكم الاتصال بكاثي عبر www.gurianinstitute.com

كتب أخرى مثيرة للاهتمام

«الفتيان والفتيات يتعلمون بشكل مختلف! دليل للمدرّسين والأهالي».

تأليف: مايكل غوريان

ردمك: 0-7879-6117-5

«يعرض هذا الكتاب استراتيجيات فعّالة لمنح الفتيان والفتيات فرصاً تربوية متساوية. يقدّم مايكل غوريان تقنيات بوسعها تحويل صفوفنا والأساليب الوالدية في تعليم الأطفال».

جون غراي، مؤلف كتاب «الأطفال أساس المجتمع»

«يقترح غوريان والمؤلفون المشاركون أساليب مبتكرة لتغيير البيئة التعليمية بطريقة تشجع على التفوق عند الجنسين».

إدوارد زيغلير، محاضر في مادة علم النفس في جامعة يال

أصبحت لدينا أخيراً نتائج علمية تظهر اختلاف الدماغ بين الجنسين، وتكمن أهمية ذلك في تأثير الفروقات على التجربة التعلّمية. في كتابه هذا، يعرض مايكل غوريان معلومات حديثة عن الاختلاف بين الجنسين في الوظائف الفكرية والتعلّمية. يقدّم غوريان طريقة جديدة لتعليم الأطفال، ويعتمد هذا الأسلوب الحديث على العلوم الخاصة بالدماغ والأعصاب والاختلاف الهرموني بين الجنسين.

«الفتيان والفتيات يتعلّمون بشكل مختلف! دليل مفصّل للمدرّسين».

تأليف: مايكل غوريان وآرليت س. بالو

ردمك: 0-7879-6485-9

إنّ هذا الكتاب دليل يسهل تطبيقه ويعتمد على الأبحاث الحديثة الخاصة بالاختلاف بين الجنسين على صعيد الدماغ ونمو الأعصاب والهرمونات والسلوك والحاجات التعلمية. يعرض الكتاب استراتيجيات يستطيع المدرّسون اللجوء إليها لابتكار منهاج وبيئة تربوية تسمح للفتيان والفتيات بالاستمتاع بتجربتهم التعلّمية. إضافة إلى ذلك، يقدّم الكتاب معلومات عمّا يحتاج إليه الأطفال للتعلّم بشكل فعّال.

مايكل غوريان (سبوكاين) متخصصٌ بالتربية والتعليم يعمل كمعالج عائلي. لغوريان أربعة عشر كتاباً ككتاب «أعجوبة الفتيان» الأكثر مبيعاً وكتاب «الشاب الفاضل» وكتاب «الابن الحسن». يعطي غوريان محاضرات عديدة، ولقد سبق ونشر أعماله في نيويورك تايمز ومجلة وول ستريت وأميركا اليوم وتايم وفي منشورات أخرى. كما وحلّ غوريان ضيفاً في عديد من البرامج التلفزيونية كبرنامج اليوم (Today Show) وصباح الخير يا أميركا (Good Morning America) إضافةً إلى ذلك، ظهر غوريان على عدد من المحطات كالـ CNN وغيرها.

